كامل البهائي

تأليف

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري

المشهور بـ (عماد الدين الطبري)

من علماء القرن السابع الهجري

الجزء الأول



تعريب وتحقيق

محمد شعاع فاخر

كامل البهائي

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري

المشهور بـ (عماد الدين الطبري)

من علماء القرن السابع الهجري



الجزء الأول



ردمك الجزء الأوّل : ٤ ـ ٠٧١ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 071 - 4

ردمك مشترك : ٠ ـ ٠٧٣ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 073 - 0

الكتاب : كامل البهائي ـ ج ١

المؤلف : الشيخ عماد الدين الطبري

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

عدد المطبوع : ٢٠٠٠ نسخة جلد ١

سنة الطبع : ١٣٨٤ـ١٤٢٦ه

الطبعة : الأُولىٰ

عدد الصفحات : ٤٣٢ صفحة وزيري

المطبعة : شريعت

السعر : ٨٠٠٠ تومان سعر الدورة الواحدة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المترجم

نازعتني نفسي أن أقنع بشبه المقدّمة التي صدّرها الناشر للكتاب وأسلم من المؤاخذات التي تحاسبني على مقدّمتي بعد كتابتها، إذ ليس من اللائق بي بعد صرف هذا الجهد المضني على الترجمة أن أترك إبداء الملاحظات التي بدت لي خلالها مع علمي بمكانة المؤلّف العلميّة، فهو كما نصّ عليه أرباب التراجم: الشيخ الفقيه عماد الدين وعماد الإسلام الموثوق به عند العلماء الأعيان، العالم الخبير المتدرّب النحرير، المتكلّم الجليل، المحدّث النبيل، الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن الحسن الطبريّ أو «الطبرسيّ» الآمليّ الاسترآباديّ، كان معاصراً للمحقّق الطوسيّ والمحقّق الحلّيّ والعلّامة[1]، آرائه الفقهيّة منقولة في الكتب نقلها الشهيد الثاني في رسالة صلاة الجمعة، والمحقّق السبزواريّ في ذخيرته عند مبحث صلاة الجمعة وكذلك القاضي نور الله التستري وآخرون، كان من أفاضل عصره ومن فحول الإماميّة وأكابرهم، له مصنّفات جيّدة في الفقه والحديث والكلام وغيرها، همّ فيها بتشييد قواعد الدين وتحقيق حقائق المذهب.

---

(١) انظر المصادر الآتية لاسيّما رياض العلماء ١: ٢٦٨ وأعيان الشيعة ٥: ٢١٣ واعلم بأنّ هذا الكلام ليس منّي وإنّما نقلته من مقال عنه في مقدّمة «أسرار الإمامة» له.

وقد نالت كتبه الفقهيّة اهتمام الفقهاء المتأخّرين، ونقلوا آرائه في كتبهم، وهذا دليل ساطع على جلالته ووثوقه عند فقهاء كبار أمثال الشهيد الثاني وصاحب الذخيرة وغيرهما، وثمّة دليل آخر على تبحّره في العلوم الإسلاميّة وخاصّة الفقه والكلام، هو ما نستشفّه من كلمات الثناء التي مدحه بها أصحاب التراجم، وأشرنا إلى بعضها في البداية.

يقول المرحوم المحدّث القمّي الذي أورد ترجمةً مفصّلة للمؤلّف في كتاب (الفوائد الرضويّة): واعتنى به الوزير المعظّم بهاء الدين محمّد بن الوزير شمس الدين محمّد الجويني المشهور بصاحب الديوان المتولّي حكومة بلاد فارس في عصر هلاكو، وكانت للشيخ منزلة رفيعة ومكانة سامية عنده.

نسبه وموطنه:

ذكر معظم أرباب التراجم نسب المؤلّف على النحو الآتي: الحسن بن عليّ بن محمّد ابن عليّ بن الحسن عماد الدين الطبريّ، وذهب بعض آخر منهم إلى أنّه الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن الحسن عماد الدين الطبريّ.

وقال المؤلّف عن نفسه في مواضع من كتاب (كامل البهائي) أنّه الحسن بن عليّ ابن محمّد بن الحسن الطبريّ، وإذا علمنا أنّ المؤلّف سمّى نفسه في مواطن أُخرى الحسن بن عليّ الطبريّ فإنّنا على يقين أنّه كان يراعي الاختصار في تعريف نفسه وأنّ جدّه الأوّل محمّد، وجدّه الثاني عليّ، وجدّه الثالث الحسن كما جاء ذلك أيضاً في كتاب كامل البهائيّ المطبوع، وهكذا ذكره صاحب الذريعة في أكثر المواضع التي أورد فيها مؤلّفاته.

وأمّا نسبته إلى طبرستان فشيء ذكره المؤلّف مراراً وصرّح به أرباب التراجم كما أنّه نفسه انتسب أيضاً إلى مازندران وهما واحد، ولا شكّ أيضاً في كونه من بلد

آمل الذي كان في القديم أوّل طبرستان كما نسبه إليه جمع كثير من العلماء وهذا العنوان كما يطلق عليه يطلق على بعض آخر من العلماء أيضاً ... الخ، انتهى موضع الحاجة منه.

ومؤلّفاته تعرب عن فضله لاسيّما ما كان منها في تشييد المذهب، ورجل كهذا كيف يخترق مجاله العلميّ فيؤخذ عليه أنّه قال ما لا ينبغي أن يقال، أو كتب ما لا يصحّ خلا أنّني وجدت كثيراً من هذا وذاك في كتابه «كامل البهائي» وداخلتني الحيرة وتأرجح قلمي بين ما تراه عيني ويشعر به فكري وبين مكانة المؤلّف السامية في عالم التشيع لأنّه واحد من روّاده في أقطار البلد المحروس ايران. وينبغي أن تستثنى مدينة «قم» حيث أنّها لم يسبقها سابق في هذه الريادة ولم يلحق بها لاحق، ولعمري أنّها سبقت العالم كلّه في تبلور الشخصيّه الشيعيّة داخل إطار المذهب الجعفريّ، وأنّ لها مواقف لا تطال في الدعوة إلى الأخذ بهذه المدرسة ليس في ايران وحدها بل في الوطن الإسلامي كلّه.

ولا يخامرني ريب بأنّها حامي حمى الإسلام في ايران ولولاها لكانت ايران في عهد رضاخان قد تحوّلت من النقيض إلى النقيض وكان هذا الجبّار ينوي أن يقوم في ايران بالدور الذي قام به أتاتورك في تركية لولا أنّه ارتطم في الصخرة التي لا تؤثّر فيها معاول الزمن وهي «قم» المدينة المقدّسة العالمة، وقاسى هذا البلد الأمين ما قاساه من صولة الحاكم المتمذهب بغير مذهبها ولكنّها صبرت على اللأواء والشدّه صبر الأحرار حتّى قهرت الزمن ولم يقهرها، وطامنت من جماحة فلان عصيه لها وسمّاها المعصوم: «عشّ آل محمّد» وهي بحقّ عشّ ذهبي لهم ولشيعتهم، ولست أرى بلداً في الإسلام نظير هذا البلد لم يأو إلى دوحه سوى مذهب آل محمّد منذ نشأته على يد الأشاعرة الشيعة وإلى يوم الناس هذا لذلك يعتبر طليعة الروّاد في المذهب. أمّا خارج حدود هذا البلد الأمين وفي محيط الأُمّة الإيرانيّة فقد تسود

المذاهب العاميّة الأُخرى بعنف دمويّ لأنّ أوّل الدواء عندها كآخره القتل والقتل وحده وتصفية الخصم، فكانت نقمة جبّارة على ذاتها وعلى غيرها من الذوات، وحينئذٍ حين يطلع في هذا الجوّ المكفهرّ كوكب وضّاء يضيء للشيعة حوالك الزمن كصاحبنا عماد الدين وينطلق من أسار هذا المناخ القائم ويجنح شطر الحق لا لمصلحة اقتضت ذلك منه بل انجذاباً إلى الدليل الذي لا يخترق والبرهان الذي لا يقهر.

هنا يبدأ الغلوّ في الحرص من أبناء المذهب على مثل هذه الشخصيّة فيعد الحديث عنه بغير الأكبار والإعجاب ضرباً من التفريط به ولم يكن ذلك محض تعصّب وعناد بل نظراً لعطائه الضخم في علوم زمانه ممّا يجعل من المستحيل تحميله الهفوات الواردة في كتابه لبساطتها بحيث لا تخفى على من همّ دونه بمراتب كثيرة فما بالك به وهو العالم المتكلّم البحّاثة الواعي المُلمّ بعلوم عصره والمحيط بمعارف زمانه.

وهنا أقول بصراحة: خامرتني هيبة من يرمي بنفسه إلى البحر من سفينة في أن أقول لعماد الدين: أخطأت أو قصّرت أو التبس عليك أو أو أو إلى آخره، إلّا أنّي رأيت الأمانة العلميّة وعلاقتي النقيّة مع القارئ المقامة على الحقّ والصدق والصراحة أكبر من هذه المشاعر فحملني ذلك كلّه على كتابة المقدّمة وإن جرّ البعض إلى لومي وتقريعي والذي يشفع لي فيما رأيت أنّي أنقد مستغرباً لا جارحاً، وقطع عليّ التعجّب من المؤلّف بعد الإعجاب به أنّي عزوت جلّ الهفوات إلى يد خفيّة تصرّفت بالكتاب تصرّفاً إن لم تفقده مكانته العلميّة التي استحقّها بين الكتب فقد رقطت وجهه الناصع بها كما يرقط الوجه الجميل بالنمش.

وجدت في الكتاب أخطاءاً لغويّة وتاريخيّة وحتّى كلاميّة أيضاً ولكن بعد إجهاد الفكر واضطرابه في هذا المنحى الصعب أخالني بلغت شاطئ الحقيقة ولم أبحر في أعماقها حتّى النهاية بما بادهني من الشعور المستأنس بأنّ النصّ قد تصرّف ـ

بالبناء للمجهول ـ فيه. وتسربت إليه خيوط من غير نسجه من أنوال جاهله وربّما كانت عفويّة ولكن لا أستبعد أن يكون ذلك قصداً، ويبقى من المهمّ جدّاً التعرف على الدافع الذي حمل الناسخ على استبدال لفظ مكان آخر أو وضع جملة محلّ أُخرى، وإنّما عصبت التهمة بجبين الناسخ ونظرائه ممّن يملكون القدرة على التلاعب بالآثار، فلأنّ الألفاظ التي جرى تغييرها ليست ممّا يخطأ فيه الغبي الجاهل فضلاً عن الحكيم العالم، خذ على سبيل المثال ترجمة المؤلّف قول الإمام لمروان «أما إنّ له إمرة» بالمرأة ـ زن ـ فهذا كيف يخطأ فيه عماد الدين المتكلّم والمؤرّخ والفقيه الحاذق، والمؤلّف باللغة العربيّة أيضاً، وجلّ الألفاظ المبدلة على هذا النمط البسيط.

أضف إلى هذا لغة الكتاب الفارسيّة فما كانت تشبه سبك عصر المؤلّف وهي أقرب إلى الفترة القاجاريّه منها إلى ذلك العصر المغولي. هذا كلّه ومنه ما أترك بيانه لدارسي الكتاب والمؤلّف وعصره من ذوي الاختصاص حملني على الاعتقاد بتسرب نسيج العنكبوت إلى خيوط هذا الكتاب القيّم الحريريّة فعلمت أنّ وراء هذا الإسفاف عقولاً متدنيّة إلى درجة العناء.

لاسيّما والكتاب غير محقّق ولم يشر الناشر إلى النسخة التي اعتمدها في طبع الكتاب فللكتاب نسخ عدّة ذكرها الشيخ أغا بزرك الطهراني ﵀ وليست نسخة واحدة، ويجمل بنا أن نذكر هنا ما قاله شيخنا العظيم الأغا بزرك الطهرانيّ رحمة الله تعالى عليه فإنّه قال في الذريعة:

«كامل البهائي» فارسيّ في الإمامة وشرح ما جرى بعد الرسول ﷺ ولذا يسمّى بـ«كامل السقيفة» للشيخ عماد الدين الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ الطبريّ، وفي النسخة المطبوعة بدل جدّه علي الطبري الحسن، وهو المعاصر للخواجه نصير الدين الطوسي، كتبه بأمر الوزير بهاء الدين محمّد بن الوزير شمس

الدين محمّد الجويني صاحب الديوان والمتولّي لحكومة اصفهان في دولة هولاكـو المغول.

إلى أن يقول: قال في الرياض: وهو كتاب كبير في مجلّدين، والمتداول منه المجلّد الأوّل وهو في أحوال أميرالمؤمنين وإثبات إمامته وإبطال غيره، والمجلّد الثاني في أحوال باقي الأئمّة وقد رأيت منه نسخة تامّة بكاشان عـند كـلانتر تـلك البـلدة وأُخرى بأسترآباد في كتب المولى حسين الأردبيلي ويوجد أيضاً نسخة عتيقة عند المولى ذوالفقار ونسخة تامّة في اصفهان عند الميرزا أشرف بـن المـيرزا حسـيب والذي عندنا إنّما هو المجلّد الأوّل منه، وقال قبل ذلك: إنّ الموجود عندي هو المجلّد الأوّل إلى آخر شهادة الحسين عليه السلام.

أقول: الميرزا أشرف هو صاحب فضائل السادات المطبوع، وقد كانت عـنده النسخة بتمامها وينقل عنها في كتابه كما صرّح به في (الرياض)، فلو وجد في كتابه النقل عن (الكامل) مع عدم وجوده في النسخة المطبوعة منه يعلم أنّه منقول عن مجلّده الثاني فإنّ المطبوع منه هو المجلّد الأوّل فقط كـما يأتي، ونسـخة الرضـويّة المكتوبة في ٩٧٤ ق مطابق مع المطبوع، ونسخة في المجلس: ٢٠٧٧ غير مؤرّخة يرجع إلى القرن الثامن ساقط الأوّل والأخير.

إلى أن قال: وقد طبع في بمبئي في ١٣٢٣ المجلّد الأوّل فقط وفيه حكاية سماعه في اصفهان في ٦٠٣ عن مفتي يزيديّ، ومنه إلى فراغ الكتاب أزيد من سبعين سـنة، فإمّا تاريخ السماع غلط أو أنّه كان من المعمّرين لأنّه ألّف أسرار الإمـامة في ٦٩٨ والأوّل أظهر لأنّ النسخة المطبوعة مغلوطة للغاية، وأمّا المجلّد الثاني فما عـثرت عليه إلى اليوم[1].

(١) الذريعة ١٧: ٢٥٢.

فهل أنّ النسخة المطبوعة اليوم طبعت على نسخة بمبئي لابدّ أن تكون الحال كذلك لكثرة أغلاطها.

وكان على الناشر أن يتحرّى الدقّة في نشره الكتاب بتحرّيه الخير، فلا يجمد على ما أسداه الأوائل لعصرهم وعليه القيام بتحقيق هذا التراث القيّم فيميط عنه ما علّق به من غبار التشويه والتغيير فيعمد إلى تحقيق الكتاب وعلى رأس ذلك صحّة نسبته لمؤلّفه وتبيين النسخ المعتمدة الخطّيّه في طباعته أو حتّى النسخة الواحدة إن لم يوجد سواها إلّا أنّه لا يوجد شيء من هذا في الطبعة الإيرانيّة للكتاب، ولست أعرف السرّ في إهمال مثل هذا الكتاب بدون تحقيق، ولو صرف مثّقّفونا بعض الجهد على تحقيقه لكان خيراً من عشرات الكتب التي كتبت بعده أو في عصرنا، وأُخرجت إخراجاً جيّداً أنيقاً، وما كان مردودها ليناسب جمال إخراجها، أمّا هذا الكتاب وغيره من الكتب المدافعة عن المذهب فلست واجداً من يعني بأمرها.

والكتاب تجاوز صداه اللغة التي كتب بها وصار مفزع العلماء ومصدرهم الذي لا يستغنى عنه في موضوعه ولكنّي وجدت محتواه التاريخيّ في بعض جوانبه دون سمعته بأشواط لأنّ غرائبه كثيرة وفيه أساطير يكذّبها العقل والنقل نظير قتل معاوية لعائشة بالشكل الذي أورده ﷺ فإنّه لا يعقل على الإطلاق والمشكله أنّه أورده مرسلاً وهي طريقته في المستغربات ولم يعزه إلى مصدر أيضاً حتّى بالوجادة فثبوت وضعه لا يحتاج إلى كبير جهد، ومثل هذه الأُمور تجد الكثير في الكتاب.

هذا من جهة ومن جهة أُخرى، تجده يقصر في إشباع الموضوع الذي أثبت الفصل من أجله نظير الفصل الذي خصّصه لدحض النسب الأمويّ فلم يأت بشيء يذكر اللهمّ إلّا جملة قصيرة في صدره ثمّ الخوض في مسائل لا ينظمها سلك واحد.

وأعجب ما رأيت منه إعراضه عن ذكر أُمّ البنين عليها السلام بل تجنّب ذكرها من رأس كأنّه لا يصحّح وجودها بل هذا هو رأيه على الحقيقة فلم يشر إلى وجـودها ولو على طريقة الردّ وإنّما نسب العبّاس عليه السلام إلى ليلى بنت مسعود الثقفيّة وجعل له أخاً واحداً منها وسمّاه جعفراً وكنّاها بأُمّ البنين، وهـذا خـرق غـير مسـئول لإجماع المؤرّخين وكان عليه تحقيقاً أن يشير إلى من ذكر وجودها ثمّ يعمد إلى إثبات مـا يراه فلماذا لم يفعل ذلك ليت شعري.

كما أنّه يؤكّد وفاة أُمّ كلثوم في دمشق الشام فإذا ثبت ما يقوله البعض مـن أنّ زينب هي أُمّ كلثوم يقع شطر من تاريخ كربلاء في مهبّ الشكوك وإن إفاد في رفع طائلة الإبهام عن القبر المنسوب في دمشق.

ويزعم أنّ بقاء أهل البيت في دمشق امتدّ إلى أكثر من عشرة أيّام مـن ربـيع الأوّل وفيه رحلوا إلى مدينة جدّهم ولازم هـذا القـول إنكـار يـوم الأربـعين ولم يصرّح بذلك لفظاً لولا اقتضاء اللزوم، ولعلّه أوّل من فتح للشيخ النوري الطريق إلى إنكاره لأنّه اعتمد على كامل البهائي وجعله من أوّل مصادره في كـتابه «لؤلؤ ومرجان» وناقش الشيخ الطوسي بقوّة ما رواه السيّد ابن طاووس في آخر اللهوف من أنّ أهل البيت قالوا للدليل مُر بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم .. الخ[1]. ومـا مـن ريب أنّ النوريّ رحمه الله تأثّر بكتابه فقد ذكره بكثير من الإعجاب وأثنى عليه وسمّاه العالم الجليل البصير عماد الدين الحسن بن عليّ الطبرسيّ صاحب المؤلّفات الرائقة مثل أسرار الإمامة وغيرها مثل كامل السقيفة المـعروف بكامل البهـائي ... الخ[2]

---

(١) النوري، لؤلؤ و مرجان: ١٤٩.

(٢) نفسه: ١٥٨.

ولابدّ من كون الشيخ النوري حائز على النسخة الصحيحة وإلّا لما اعتنى بالكتاب.

وأعجب ما رأيت من هذا المؤلّف هو غارته الشعواء على كتاب «التعجّب» للشيخ الكراجكيّ فقد استلّ بل استلب منه ما ينيف على الربع في مناظراته من دون إشارة ولو بالكناية إلى صاحبه أو إليه، ومهما قلنا عن حسن نيّة المؤلّف أو عن مكانته العلميّة فإنّه لا يعذر على الإطلاق، على أنّه استند إلى كتب ليست في مستوى التعجّب من قبيل كتاب فعلت فلا تلم في المثالب أو الحاوية فإنّه ذكرها أحسن ذكر، فما السبب في إهمال كتاب التعجّب وقد أتخم كتابه من مادّته البديعة، والكتاب وإن صغر حجمه إلّا أنّه كبير المحتوى عظيم الفائدة على كلّ مسلم مطالعته بإمعان ليقف على حقيقة الخصوم، ولا يمكن أن تكون المسألة عفويّة ولا عكسيّة لأنّ الكراجكيّ عليه الرحمة توفّي سنة ٤٤٩ واسم الكتاب الكامل «التعجّب من أغلاط العامّه في مسألة الإمامة» وعماد الدين الطبري صاحبنا كتب كامل البهائي سنة ٦٧٥ فبين الكتابين حدود: ٢٣٦ سنة، ولم يشر أحد إلى ذلك ممّن كتب عن الكامل أو مؤلّفه ولا أقصد هنا التشهير به نعوذ بالله من ذلك لأنّي أعتزّ بالمؤلّف اعتزازاً فاق حدود المتصوّر، ولكنّي أردت جلاء الحقيقة وإن أوقف القارئ على جليّة الأمر لأنّي دهشت حقّاً حين رأيت الرجل ينقل مناظرات الكراجكيّ بقضّها وقضيضها إلى كتابه دونما إشارة إليه ورأيت ذلك حقّاً مضيّعاً للكراجكيّ فآثرت الإشارة إليه وخلصت إلى نتيجة وثقت بها لنفسي من أنّ عماد الدين الطبريّ رحمه الله مناظر لا يشقّ له غبار وهفوته مغفورة في هضم حقّ الكراجكيّ يشفع له الهدف السامي من تأليف الكامل الذي نصّ عليه في آخر الكتاب ولكن المؤرّخ يتضائل فيه إلى درجة الإسفاف.

ثمّ أنا على يقين من أنّ الهفوات اللغويّة في الكتاب ليست منه بل هي مدسوسة

فيه ، ونحـتاج لكي نصل إلى نتيجة مرضيّة إلى دراسته ببذل جهد طائل مركّز ، كما أنّي واثق بل لا محيد عن ذلك من أنّ الرجوع إلى نسخة الخطّيّه يفيد كثيراً في كشف الحقيقة ، أمّا الهفوات فقد ذكرتها في الهوامش وسيطّلع عليها القارئ ولا حاجة إلى تكرارها في المقدّمة .

نبذة عن الكتاب

والكتاب نفيس للغاية ومهمّ جدّاً وفيه ريٌّ لأوام الولي وشفاء لعلّته بما يورده من حجج دامغة على الخصم تبصرة بحقيقته إن كان ممّن يتبصّر ، وكان من الحقّ ألّا تخلو المكتبة العربيّة منه ، لذلك عرض عليَّ الأُستاذ الكبير والناشر القدير صاحب المكتبة المضيئة أمس واليوم وغداً إن شاء الله الأخ أبو زينب ترجمته فلبّيت مسرعاً وجعلته شكراً للّه على سلامتنا هو من مرضه الذي ألمّ به وأنا من حادث الاصطدام الذي كاد يؤدّي بحياتي لولا فضل الله عليَّ وعليه وشكراً له على تعاهدة مثل هذه الآثار وتعهّده للمؤلّفين والمترجمين ببذل خير الجهد لنشر آثارهم والحمد للّه بدءاً وختاماً .

وأختم المقدّمة بالتصدير الذي صدّر به الناشر الكتاب وقد أخذه من الفوائـد الرضويّه وفيه ذكر لمؤلّفات الطبري التي أغنانا عن ذكرها في المقدّمة .

المترجم ـ محمّد شعاع فاخر

بسم الله الرحمن الرحيم

التصدير:

شرح حال المؤلّف مطابقاً لما تفضّل به المحدّث القمّي رضوان الله عليه

قال المحدّث القمّي في كتابه الفوائد الرضويّة ص ١١١: الحسن بن عليّ بن محمّد ابن الحسن عماد الدين الطبريّ شيخ عالم، ماهر خبير، متدرّب، نحـرير مـتكلّم جليل محدّث نبيل، فاضل، فهّامة.

معاصر للخواجه نصر الدين الطوسي والمحقّق الحلّي والعـلّامة الحـلّي، وهـو صاحب الكتب الشريفة في أُصول المذهب وتشييد قواعد الدين والفقه والحديث وغير ذلك، مثل:

١ ـ معارف الحقائق

٢ ـ عيون المحاسن

٣ ـ بضاعة الدين

٤ ـ الكفاية في الإمامة

٥ ـ النقض على معالم فخر الدين الرازي

٦ ـ المنهج في فقه العبادات والأدعية والآداب الدينيّة.

٧ ـ كتاب أسرار الإمامة

٨ ـ جوامع الدلائل والأُصول في إمامة آل الرسول
٩ ـ العمدة في أُصول الدين وفروعه
١٠ ـ نهج الفرقان
١١ ـ تحفة الأبرار في أُصول الدين
١٢ ـ مناقب الطاهرين
١٣ ـ أربعين بهائي
١٤ ـ كتاب (أحوال السقيفة) (وهو كامل البهائي).

وكان الوزير المعظّم بهاء الدين محمّد بن الوزير شمس الدين محمّد الجويني المشهور بصاحب الديوان المتولّي لحكومة الممالك الإيرانيّة في أيّام السلطان هلاكو خان وكان نظير الصاحب بن عباد له عنايه خاصّة بالعلماء وشيعة الإمام أميرالمؤمنين.

وكانت عنايته بالشيخ الطبري أكبر وكان ينزله عنده بالمنزلة الرفيعة والدرجة الخصيصة، فلا بدع أن يبادله المؤلّف نفس المشاعر الخاصّه فيوقف عليه خاطره المتدفّق بالثروات العلميّة فيؤلّف له عدداً من الكتب منها «أربعين بهائي» في تفضيل أميرالمؤمنين، والكتاب الذي بأيدينا الآن «كامل البهائي في السقيفة».

وقال في ديباجة الكامل: ولمّا ألّفت كتبي في مناقب الطاهرين وهي بمجموعها في التولّي، لزمني من ذلك أن أكتب كتباً في التبرّي، فكتب كتاب الكامل في موضوع التبرّي.

وكلا الكتابين هما بمثابة السيف والرمح على المخالفين ونيف كلاهما على ثلاثين ألف سطر.

وطبع الكامل بمدينة بمبئي إلّا أنّ نسخه شحّت حتّى لا تكاد تحصل على نسخة واحدة منه، ولمّا اجتزت بتلك الديار حصلت بيدي نسخة منه ولكن لم يقدّر لي ويا

للأسف تصحيحها وكانت غايةً في ردائة الطبع والأخطاء إلى درجةٍ يتعذّر على غير العالم الاستفادة منها ، وهو كتاب جليل جمّ الفوائد كثير العوائد ، وقد فرغ من تأليفه في سنة (٦٧٥) وبقي في تحريره اثني عشر سنة بذل جهداً عظيماً في جمع مادّته وترتيبها ولكنّه لم يقتصر عليه وحده بل أخرج في هذه المدّة مع انشغاله به كتباً عدّة نفع بها العالم والمتعلّم.

ويظهر من مادّة الكتاب أنّ عند الشيخ أُصول النسخ من كتب الأصحاب القدماء من قبيل كتاب «فعلت فلا تلم» وهو في المثالب ومن مؤلّفات أبي الجيش مظفّر بن محمّد الخراسانيّ وهو من متكلّمي الشيعة والعارف بأخبارهم ومن تلامذة أبي سهل النوبختي.

ومثله كتاب «الحاوية» وهو في مثالب معاوية لعنه الله ، ومؤلّفه القاسم بن محمّد ابن أحمد المأموني السنّي.

وبعد أن يفيض الشيخ في نقل قضايا عدّة من كتاب الكامل ، يقول:

وصفوة القول: أنّي لا أعرف تاريخ وفاته ولا موضع قبره ولم يذكرهما أحد ، وقال صاحب روضات الجنّات: إنّ هذا الشيخ أشار إلى نبذ من ظرائف أحواله ولطائف أخباره ومن جملة قضاياه مناظرته لأهل بروجرد في تنزيه الله تعالى من التشبيه ، ومنها انتقاله من البلدة الطيّبة قم إلى اصفهان بأمر الوزير المشار إليه يعني بهاء الدين صاحب الديوان وإقامته في تلك البقاع سبعة أشهر واجتماع الناس عليه من اصفهان وشيراز وأبرقو واقليم آذربيجان وقرؤوا عليه مختلف العلوم الربّانيّة وانتفعوا به ، وممّن انتفع بعلمه السادات والأكابر والصدور ، إلى غير ذلك من نوادر أخباره ، والله العالم.

ختام كلام المحدّث القمّي

ديباجة الكتاب

سبحان الملك الأحد الذي لا يحيط بكرسيّ عظمته أوهام الإنس والجنّ: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[1] أي لا يحيط به علم مخلوق من مخلوقاته.

ويستحيل تصوّر الكمّيّة والكيفيّة في أعتاب قدسه، ولا يمكن توهّمها لجلال ذاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] ويستفاد من هذا أنّه عالم بكلّ سماع ورؤية.

ولا يجوز النقصان والزوال والتغيّر على غرّة كماله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾[3] أي إنّ ذاته الربوبيّة الأكبر والأكرم.

ولا تحتاج شمس قدرته إلى جلال أو معين: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[4].

ولوح علمه يجلّ عن السهو والغفلة والخجل: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[5].

ولم ينسج طيلسان رحمته إلّا من خيوط العدل والرحمة: ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[6].

---

(١) طه: ١١٠.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) الرحمان: ٢٧.

(٤) محمّد ﷺ: ٣٨.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) الكهف: ٤٩.

وذروة قدسه العليا أرفع من أن تحلق إليها طيور عقول البشريّة وأرواح ونفوس الملكيّة، أو ترقى إلى قممها العليّة: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾(١).

وعقاب وحدته ما فتئ منزّهاً عن العوارض والأوصاف الخلقيّة: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾(٢).

وشرح صفات ذاته العليا أجلّ من أن يأتي عليه ذووا الصفات الخفّاشيّة أذكياء الإنسانيّة الذين وسموا على غررهم بميسم الحدوث: ﴿لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُوراً﴾(٣).

وعلى أحداقهم بنور القدم: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾(٤).

وبقيت على عرصة الوجود أبديّةً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾(٥).

أولئك الذين يقبسون النور من شمس الوجود ومن غرّة المعبود: «يا من لا يعرف ولا يدري كيف هو إلّا هو، يا من لا يقدر على قدرته إلّا هو، يا من هو كلّ يوم في شأن، يا من لا يشغله شأن عن شأن، يا من لا إله إلّا هو وإليه المصير».

ونهدي مئات أُلوف الأُلوف من هديّة الصلوات وتحف التحيّات من جنابه سبحانه إلى المجلى الشريف والوجود المطهّر، صدر الكونين، مقتدى الثقلين، ومقصود العالمين محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن عدي بن تيم بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ـ وهو قريش ـ بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان.

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) الإخلاص: ٣ و ٤.

(٣) الدهر: ١.

(٤) الرحمان: ٢٦.

(٥) آل عمران: ٢٦.

إلى محمّد ذاك الذي بدأ بشارة أوّلاً: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين» وبدأ آخراً بالظهور، وتجلّى بإظهار المعجزات، واستخفى بدلالة العصمة.

الذي تمنّى آدم مع اصطفائه، وإدريس مع عظمة منزلته ودراسته، ونوح مع طول عمره وكثرة عبادته، وإبراهيم مع خلّته، وموسى مع رفعته بالمناجاة، وعيسى مع دلالة نبويّه أن يكونوا في أعتاب دولته وسدّة إرادته، مِن: «اللّهمّ من أُمّة محمّد» وسلّموا قياد أرواحهم إلى حضرة واجب الوجود.

وعلى أولاده وعترته عليهم الصلاة والسلام الذين هم كمال الدين وبرهان اليقين، وبناة الشريعة ومقتدى الملّة، وأُمناء الرحمان ومفسّرو القرآن، وحجج الله تعالى وأوصياء المصطفى ﷺ المعصومون: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (١).

المنصوص عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢).

والمراد من أُولي الأمر ملوك العدل، أي الأئمّة المعصومون عليهم السلام، ونوّابهم وسادتهم ـ أي سادة النوّاب ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣).

وواهبوا نفوسهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (٤).

والمطعمون: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ (٥).

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) التوبة: ١١١.

(٥) الدهر: ٨.

أوّلهم أميرالمؤمنين وحجّة ربّ العالمين عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب ابن هاشم بن عبد مناف صاحب العزّة.

المعنيّ بهذا الحديث: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ـ يعني ما وجد في الأنبياء موجود في عليّ عليه السلام.

وآخرهم صاحب الدولة: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

أمّا بعد؛ فاعلم بأنّ رواة الأخبار رووا عن داود النبيّ أنّه كان يقول في مناجاته: إلهي، لم خلقت العالم وما فيها؟! فخاطبه الحقّ تعالى قائلاً: «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف».

مع أنّ العلماء أجمعوا على أنّ خلق الإنسان كان من طريق الإحسان إليه، على صفة الدوام، ولا يتحقّق ذلك إلّا بالتكليف بعد بلوغه وكمال عقله، ونصب الأدلّة وإزاحة العلّة، ولم يكن الغرض منه دوام التعظيم والإجلال، لأمكن أن يكون أعطاه ابتداءاً من غير استحقاق كما يعطي ذلك الصالحين والطالحين. وكمال التكليف مع الألطاف لأنّ بعثة الأنبياء وإنزال الكتب مع الوعد والوعيد والإنذار والتخويف كان ذلك لإتمام الحجّة، قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1].

ولو أنّنا افترضنا أنّ الوجود لا يحتوي إلّا على شخص واحد يجوز عليه الخطأ والعصيان لكان إرسال الأنبياء أو الأئمّة إليه من الواجبات: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ

---

(١) الإسراء: ١٥.

مِن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(١) .

والدليل على صحّة ذلك إرسال آدم إلى إبليس، وإن لم يجر من الإنسان إلّا ذنب واحد حيث قتل قابيل هابيل فإنّ الله تعالى أرسل آدم إلى بنيه الآدميّين ولمّا فارق الدنيا أرسل الله شيثاً هبته إلى الخلق عامّة وإلى ذرّيّة قابيل خاصّة. فكان أبناء هابيل وشيث جميعاً مسلمين كما كان أبناء قابيل جميعاً كفّاراً إلى أن استأصل الله شأفتهم وأتى على ذراريهم بالطوفان زمن نوح عليه السلام فأغرقهم: **﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾**(٢) .

ولم يخل زمن ولا فترة من نبيّ أو وصيّ نبيّ، ومن نوح إلى سام وحام ويافت، ومنهم إلى يهودا وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيّوب وشعيب وموسى ويوشع وطالوت وداود وسليمان وزكريّا ويحيى وعيسى وشمعون وخالد وبرده(٣) !! ومن برده إلى محمّد صلى الله عليه وآله رسول الله، ومنه إلى مذهب أهل البيت بدءاً بعليّ، ومنه إلى الحسن، ومنه إلى الحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ الباقر وجعفر بن محمّد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعليّ بن موسى الرضا ومحمّد بن عليّ التقي وعليّ بن محمّد النقي والحسن بن عليّ الزكي العسكري والحجّة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان محمّد بن الحسن عليهم السلام واحداً بعد واحد حتّى هذه الآية: **﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾**(٤) .

ومن يعتقد هذه العقيدة يسمّى شيعة وإماميّاً واثنا عشريّاً، ولكن على مذهب الجمهور يكون المعتقد كما يلي: أنّ أمر الدين والشريعة بعد الرسول صلى الله عليه وآله يكون

---

(١) طه: ١٣٤.

(٢) نوح: ٢٥.

(٣) لا أعرف في الأنبياء نبيّاً بهذا الاسم ولعلّه مصحّف من بريده أو نظيره. (المترجم)

(٤) آل عمران: ٣٤.

باختيار الأُمّة، فهي التي تبايع من تختاره لمقام الخلافة على يد أهل الحلّ والعقد، وهؤلاء يُدْعَون بأهل السنّة.

أمّا الطائفة الأُولى فهم الذين ينزّهون الله من صفات الحدث، ومن الشريك؛ لا في القدم ولا في الذات ولا في الصفات، ولا يثبتون له معاني القدم بل يقولون: هو القادر والعالم والحيّ والموجود، وهذه الصفات الذاتيّة وهي أزليّة أبديّة، وتعتبر ألفاظ الصفات من قول الواصف وهي من حيث كونها ألفاظاً ينطق بها الواصف محدثة.

ويعتقدون بعدم وقوع الرؤية عليه لأنّ ذلك من صفات المخلوقين، ولا يوصف بالجسميّة أو الجوهر أو العرض، ولا تحويه جهة أو مكان.

ويعتقدون بأنّه عادل لا يظلم مثقال ذرّة أو أصغر من ذلك أو أكبر، وأنّه صادق سبحانه.

ويرون العبد فاعلاً مختاراً.

ويثبتون العصمة للأنبياء من الولادة إلى الوفاة.

ويعظّمون ذرّيّة النبيّ ويجعلون لهم نصيباً في أموالهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾(١).

ولا يقدّمون أحداً من أتباع النبيّ الذين يجوز عليهم الخطأ وقد أسلموا بعد كفر على آل النبيّ المعصومين.

ويقولون بعصمة أهل بيت النبيّ محمّد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

ويرسلون اللعنة على من ظلم أهل هذا البيت أو آذاهم.

ويصلّون عليهم.

---

(١) الأنفال: ٤١.

ويحرّمون الخمر والدفّ والناي والمزمار والربابة والشطرنج والنرد والفقاع؛ قليله وكثيره، ويرونه رجساً من عمل الشيطان.

ولا يسبغون الوضوء بالخمر، ويزيلون الخبث بالماء بعد البول أو الغائط، ويرون المني نجساً، ويسجدون على الأرض أو ما أنبتت ممّا لا يؤكل ولا يلبس، ويصلّون بجلد مأكول اللحم، ولا يصلّون إلّا بما أجمع المسلمون على جوازه من اللباس أو المكان.

ويحتاطون في أُمور النساء، ويثبتون العدّة لهنّ، ولا ينكحون ذات العدّة حتّى تخرج من عدّة، ولا يعملون الحيلة بالمحلّل فينكحونها في صلاة العشاء للمحلّل ويؤتون بها صباحاً إلى البيت لأنّهم يرون أنّها لو علقت فإنّ ما في أحشائها لا يعلم من أبوه حيث يشتبه الأمر فلا يطيب جنين يُسق من مائين في بطن أُمّه.

ولا يصلّون وراء الفاجر الخمّار أو الفاسق، وإن كان فسقه باللعب بالجوز.

ولا يجيزون المعصية على الأنبياء؛ قلّت أو كثرت، من يوم الولادة إلى يوم الوفاة على الإطلاق.

وإذا أذنبوا اعتبروا أنفسهم مخطئين ومجرمين، ولا يلقون التبعة على ربّهم سبحانه، مِن ثَمّ لا يموت ميّتهم إلّا عن توبة، ويرون التوبة حقّاً.

ويحرّمون وطأ الغلمان، ولا يجيزون إجراء صيغة العقد عليهم.

ولا يقيمون الصلاة بجلد الكلب، ولا يجيزون الصلاة إلّا بالثوب الطاهر من جميع الأدناس والنجاسات.

ولا يلحقون الولد بالمرأة إذا لم تكن على فراش زوجها، ولا يقولون بأنّ رجلاً لو كان في المشرق وامرأة في المغرب ثمّ ولدت ولداً من دون أن ترى الزوج أو يراها لا يعتبر هذا الولد ابن زنا.

ولا يقولون ببقاء الولد أربع سنين في بطن أُمّه، إذ من المحتمل إذا كان الأمر

كذلك أن تأتي امرأة بعد موت زوجها أو غيابه بولد فينسب إليه، فيسمّى ابنه وهو من حرام.

وإذا صاموا لا يفطرون حتّى يدخل الليل بغروب الشمس وحدوث الظلمة.

ولا يصبحون في شهر رمضان على جنابة.

ويوجبون الكفّارة على من أفطر عمداً والقضاء، ولا يجيزون الجماع إذا أفطروا عمداً بزعم حلّيّته ولا بغير ذلك.

ويورثون أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بآيات المواريث، وظاهر الكتاب، ولا يعملون بخبر الواحد، ولا ينسخون القرآن بخبر الواحد، ولا يخصّصون عامّه.

ولا يرون الآيات الواردة في أهل البيت منسوخة.

ولا يتمرّدون على الله ورسوله ﷺ.

ولا يعطون الوزارة لمن نفاه النبيّ من المدينة.

ولا يسلّطون الظالم والفاسق على المسلمين.

ولا يرسلون الخمّار إلى بلدٍ والياً أو إماماً.

ويقدّمون الأعلم والأصلح.

ولا يسمّون من لم يستخلفه رسول الله ﷺ خليفة.

ويرون آل رسول الله أولى بملك الدنيا من أولئك الذين قتلوهم وداروا برؤوسهم في البلدان.

ولا يظهرون الفرح والزينة في يوم عزاء الرسول، ولا يكتحلون، بل يبكون وينوحون ويوافقون رسول الله بيوم عزائه.

ويرون آباء الأنبياء وأُمّهاتهم مؤمنين احتراماً لهم.

ولا يقذفون الأنبياء بالزنا ولا يقولون بأنّهم كانوا مغرمين بحبّ النساء ومغازلتهنّ.

ولا يقولون أنّ النكتة السوداء التي أُخرجت من قلب محمّد بعد شقّ الصدر كانت علامة الكفر.

ويتمّون الركوع والسجود في الصلاة ولا يظهرون سوء الأدب في صلاتهم بنظرهم إلى اليمين تارة وإلى اليسار أُخرى بل يصوّبون النظر إلى مواضع السجود.

وإذا استقبلوا محاريبهم رفعوا أصواتهم بالأذان والإقامة، ويكثرون من الدعاء والذكر، ولا يظهرون سوء الأدب عند النيّة، ويقيمون النيّة في قلوبهم لتخلو من الرياء، فإذا سلّموا بعد الصلاة ما يزالون متوجّهين إلى القبلة بطمأنينة يذكرون الله كثيراً ويدعونه ويسبّحون ويهلّلون ويكثرون من الدعاء، ولا يتركون مكان الصلاة بسوء الأدب بل يصلّون على الأنبياء والأوصياء ويدعون لأحبّتهم وذويهم، ويثنون على الله أحسن الثناء، ويلعنون أعدائهم على سبيل الإجمال ثمّ يختمون بسجدة الشكر.

ولا يختمون الصلاة بالضرطة[1]، ولا يسجدون لمشايخهم، ولا يستقبلون القبلة بالبول أو الغائط، فإذا أخذهم النوم تطهّروا، ولا يقربون الصلاة بعد النوم من دون وضوء، ولا يتطهّرون إلّا بنيّة، ولا يقتدون في الصلاة باليهود فيضعون يداً على يد، ولا يعتريهم الشكّ بدينهم ومذهبهم، مِن ثَمّ هم في: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[2] قائمون، ولا يقولون في ختام الفاتحة آمين.

---

(١) نعتذر من هذه الكلمة ولولا أنّ المؤلّف ذكرها بالعربيّة لغيّرناها إلى لفظ أكثر نزاكة منها. (المترجم)

(٢) الفاتحة: ٦.

ويقولون: إنّ الله سبحانه ساق لنا الهداية بالقرآن والنبيّ وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ويعطون زكاة أموالهم إلى صلحائهم في ظاهرهم، وعرفوا الفرائض والسنن....

ومن ادّعى بعد رسول الله بأنّ: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ حلالين وأنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما» لا يقبلون قوله، ولا يطيعون أمره، ويقولون: إنّ الله تعالى قال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[١] ولم يقل ما حرمكم[٢] فلان وفلان.

ويقولون: ينبغي على الخليفة أن يكون أعلم الخلق لا أنّه يجهل معنى «الأبّ» الذي جعله الله فاكهة للبهائم كما جعل الفاكهة لابن آدم، لكي لا يتوقّف عندما يُسئل عن شيء، ويقول على المنبر أمام الخلائق حين احتجّت عليه امرأة فحجّته: «كلّكم أفقه منّي حتّى العجائز ـ أو قال: المخدّرات ـ في البيوت»[٣].

ويقولون بحكم قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٤] لا يخلو المكلّف من حجّة ناطقة عليه.

ويقولون: إنّ ما أعطاه الرسول لأولاده لا يحقّ لمن يأتي بعده أن يغتصبه منهم.

ويعتقدون بحجّيّة العقل وأنّه مبنى الشرايع جميعاً، وعليه يقوم التوحيد والعدل.

ويقولون: إنّ الله لا يفعل فعلاً بغير حكمة لأنّ ذلك يؤدّي إلى العبث.

ويقولون: لا ينال شرع رسول الله بالقياس بل على أساس: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) حرمكم من الحرمان لا التحريم. (المترجم)

(٣) وفي رواية: «كلّ الناس أفقه منك يا عمر». البكري عن العقد الفريد ١: ٣٤١ ط مصر ١٣٢١ هـ.

(٤) القيامة: ٣٦.

ولا يستبيحون في غيبة إمامهم دماً أو مالاً كائناً ما كـان، ولا يأكـلون لحـوم الضباع ويحرّمون لحوم الأرانب.

ويعتقدون بأهل البيت في التختّم باليمين، ويأنفون من وضع الخـاتم في اليسـار لأنّها تلي الفرج، ويقولون بأنّ الرسول ﷺ قال: «اليمين للوجه واليسار للفرج».

ويرون أنّ الله لا يكلّف بما لا يطاق، ولا يدخل المؤمن النار والكافر الجنّة، ولا يفعل الفعل خلافاً لما وعد.

ولا يعتقدون بمذهب وضع بعد النبيّ بمأتي سنة أو ثلاثمائة سنة، ويقولون: كلّ مذهب ليس لأهل البيت فهو باطل.

ولم يختلف أئمّة هذه الطائفة من محمّد بن الحسن إلى أميرالمؤمنين صـلوات الله عليهم وأبنائهم، فكلّهم على صراط واحد سويّ ومذهب واحد، وكانوا جميعاً على مذهب أبيهم أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان أميرالمؤمنين على مذهب رسول الله باتفاق لا على طريقة الصحابة.

ويقولون: إنّ الاختلاف برهان البطلان بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ (١).

وأئمّة هذه الطائفة هم ذرّيّة الرسول وأولاده ووارثه، ويصلّي عليهم العالمون، وهم آل محمّد على التعيين واليقين، ومن خاطبهـم منهم فـلا يخـاطبهم إلّا بهـذه العبارة: يابن رسول الله، ويابن بـنت رسـول الله، وإليـه مشـاهدهم قـبلة ذوي الحاجات في العالمين، وملجأ المؤمنين والمنافقين، ويظهر في كلّ عام معاجز عدّة في مشاهدهم المشرّفة.

ولا يمرّ يوم إلّا ويزيد الله في مواليهم ومحبّيهم كما هو الحال في خطّة مـازندران

---

(١) النساء: ٨٢.

موطن ولادة مصنّف هذا الكتاب الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسن، ولم يكن فيه قبل قرن من الزمان خمسمائة شخص على مذهب التشيّع، وفي هذا اليوم وهو سنة خمسة وسبعين وستمائة (٦٧٥) ليس فيه خمسمائة إنسان على غير هذا المذهب، ولقد آمن جميع أهل المنطقة بمعجزة الأئمّة عليهم السلام، ولا يأتي طويل زمان على هذا المذهب حتّى يختاره أهل العالم بنصّ القرآن حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (١).

ولا يأتي إيذاء هذه الطائفة على المؤذين بخير كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما عادانا بيت إلّا وخرب، ولا نبح علينا كلب إلّا جرب» ومن شكّ في هذا الحديث فلينظر بعين العبرة إلى آل أبي سفيان ماذا رأوا وماذا جنى آل زياد وآل العبّاس والبرامكة، وهم من جملة الخوارج، ليس لهؤلاء اليوم أثر يُذكر، فلا مضجع ظاهر ولا قبر يزار، وليس لهم موالون ولا ذرّيّة يذكرون، لقد استأصل الجميع وانقطع نسلهم على يد السلاطين العادلين والملوك العاملين من دون أن يعلق بمالكهم أثر أو ضرر، وبعد القضاء على هؤلاء واستئصالهم مالوا إلى السادات وإلى أهل البيت، ورفعوا عنهم طوق القهر، وبالغوا في إكرامهم إلى أقصى حدّ، مِن ثَمّ كان سادات أهل البيت في المشرق والمغرب أكثر عدداً من النجوم وجميعهم يحيون في الرفاه وبلهنية العيش ورخاء البال مع النعمة والجاه والاقتدار والإنعام والإنظار لكي يبسط الباري ببركة وجودهم رايات هؤلاء الفاتحين على أقصى بلاد ايران والطورانيّين والهند والروم والعرب والعجم، بل من مطلع الشمس إلى مغربها، وانقاد إلى أمرهم سلاطين العالم وانتهوا عند نهيهم وأطاعوا أوامرهم وامتثلوا لحكمهم، وأحاطت هيبتهم وقوّتهم، وسمو أمرهم بالمكان والزمان حتّى قصد تجّار

---

(١) النور: ٥٥.

الصين المغرب وأمنوا الطريق: ﴿لاَيَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً﴾[1] وإنّما قال «نيلاً» لأنّ رغبة العدوّ اليوم في الشرّ، على مركب من قوله تعالى: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] لأنّهم على الحقّ ويسعون من أجله.

وإن كنت في شكّ ممّا قلناه فالق نظرك على العدل والرحمة والعظمة والعطف، والإدارة ورعاية الدين أيّ ملك ظاهر في المملكة والسلطنة والنسب العالي والجوهر الخالص وعلوّ الهمّة والإحاطة بأنواع العلوم وفنون الكفاية والكياسة وحسن السيرة وصفاء السريرة ومعتمد المذهب وحافظ الدين والدنيا، من يكون بهذه الصفات إلّا المخدوم المطلق، حجّة الحقّ على الخلق، أعدل سلاطين الأوّلين والآخرين، علاء الإسلام والمسلمين محمّد بن الصاحب الأعظم، عرق من شجرة المملكة ونبقة من دوحة السلطنة، شمس الحقّ والدين، عماد الإسلام والمسلمين، محمّد بن محمّد صاحب الديوان حرس الله عليهما ـ كذا وردت ـ وأبقاهما مبرقعين بالعزّة والجلال، قابضين على أعزّ الرفعة والكمال، ناهضين في عقدة المجد على أقدام الهمم، فيّاضين للأيادي والنعم، باسطين للعدل في الأُمم، بحقّ محمّد وعليّ وأهل بيتهما الطاهرين، آمين إلى يوم الدين.

ولقد بسط الله رايته على أقاصي العالم ببركة حسن سيرته وبسطه العدل واعتقاده الصادق بآل بيت محمّد ﷺ، والبراءة من عدوّهم، وتعاهده السادات وعلماء أهل البيت عليهم السلام، واعتكف سلاطين الربع المسكون بمقتضى الآية: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[3] على عتبة جلاله، وخسف بأعادي إقباله ومبغضي طائفته

(١) التوبة: ١٢٠.

(٢) البقرة: ٣٨، المائدة: ٦٩ و....

(٣) آل عمران: ٢٦.

الأرض : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾(١) ، وغاص بعضهم في بحر الهلاك : ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَعَهُ جَمِيعاً﴾(٢) فأصبحوا أثراً بعد عين لمفارقتهم موالاة آل محمّد ﷺ ، ويتلون الآية : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣) على سبيل الحسرة .

وحرّمت التقيّة في زمنهم بظهور دولتهم بعد أن كانت واجبة لقلّة الأنصار والأعوان وكثرة الأعداء بمقتضى قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِاللّٰهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾(٦) وأمثال ذلك من الآيات والأحاديث .

وحين أشرقت شمس هذه الدولة من مشرق السعادة ، وغمر نور الرحمة والعدالة البسيطة بأجمعها ، اقتلعت أنياب ظلم الظالمين من عباد الله ، ومرّغت صولتهم وبطشهم برغام الذلّة ، وأرباب الظلم والطغيان أدخلوا رؤوسهم في ثقوب الثوبة وتسلسل الإخلاص ، وتصنّعوا ورد التسبيح والتهليل : ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٧) ولقد نزل فيهم : ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾(٨) .

تعالى الله ما أعلاه قدراً — وأجراه على سنن اعتدال

عليها للإله الفرد حمد — لما أسدى إلينا من نوال

---

(١) القصص : ٨١.

(٢) الإسراء : ١٠٣.

(٣) النساء : ٧٣.

(٤) المؤمن : ٢٨.

(٥) آل عمران : ٢٨.

(٦) النحل : ١٠٦.

(٧) يونس : ٩١.

(٨) آل عمران : ٩٠.

وهذا كلّه دعاء لصاحب الديوان الداعي لهذه الدولة ـ يعني المؤلّف نفسه ـ والمؤلّف والجامع لهذا الحديث فإنّه يفخر بثنائه ودعائه وخدمته لهذه الحضرة على علماء الأرض، ويتباهى على حكماء الأوّلين والآخرين، وإن شاقك البرهان على ذلك، فاعلم:

إنّ أوّل شخص من محبّي أهل البيت عليهم‌السلام ومواليهم ورفقائهم الذين احتموا بهذه الدولة وأثبتوا حقوق خدماتهم الدينيّة وكتبوا لصاحب الحضرة ملجأ العالم الكتب الشيعيّة هو هذا العبد، أقلّ العباد شأناً وأدناهم مقاماً، فقد كتب بتوفيق الله تعالى وببركة أهل بيت النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وبمعجزة من قائم آل محمّد عليه‌السلام وباسم هذه القدرة الملكيّة كتاب مناقب الطاهرين، وبدأه بولادة رسول الله إلى خاتم الأوصياء صاحب الأمر وبيان معجزاته ومناقب سيرته، ثمّ إظهار ما أقامه المنافقون والخارجون من مظالم عليهم.

وكذلك منهجهم في العبادات والصلاة والصوم والزكاة والخمس والجهاد، مع مجمل توابعها من الفرائض والنوافل والأدعية والنيابة وأحكامها، وكيفيّة العبادات وما يحتاجها المكلّف في العام كلّه، وكذلك عرضنا أربعين البهائيّ في تفضيل أميرالمؤمنين عليّ صلوات الله عليه ونظائره في الإمامة وغيرها، وبما أنّ عقيدة صاحب الحضرة طاهرة، وجوهره كبير، وطينة الأُسرة المالكة والسلطنة والوزارة والإرادة صادقة مع عترة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله، وتعاهده للعلماء وتدليله لغرس نعمته عظيم، فقد قبل هذا كلّه قبول الرضا.

وحصل التسليم بما في الكتاب من المؤالف والمخالف بحضور علماء الطوائف زماناً بعد زمان، وهذه نعمة يجب شكرها وهو فرض عين على الشيعة كافّة، ويوم القيامة يتباهي بذلك المصطفى والمرتضى والحسن والحسين والأئمّة جميعاً صلوات

الله عليهم، وسائر الشيعة على الأنبياء عليهم السلام والأُمم السالفة، ويكونون شفعاء لصاحب الحضرة عند الله سبحانه.

والأمل معقود أنّه سوف يدخل الجنّة بدون شفاعة بل ربّما كان شافعاً للأُمراء والملوك والسلاطين في العالم، في عرصة القيامة إن شاء الله تعالى.

وكما قيل في هذا الباب بالآيات والأخبار والدلائل العقليّة في صدر الكتاب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[1].

ولمّا كانت مناقب الطاهرين ونظائرها داخلة في فرع التولّي رأينا من اللازم أن نشرع ببسط فرع التبرّي أيضاً، ومزجناه بالعربيّة والفارسيّة لتعمّ الفائدة، وهو مبنى على أبواب وفصول ودلائل ومسائل، وبعد الاستخارة وطلب الإذن من واجب الوجود عمّت عاطفته وقدرته على العالمين، سمّيناه: «**كامل البهائي في السقيفة**» جعل الله تعالى هذه التحفة على مخدومنا مباركة، وزيّن الله أيّام هذه الدولة بأنواع العزّة والكرامة، وما زال منبر دين الإسلام والملّة والوحي والتنزيل وسموّ محمّد وأهل بيته قائماً ببقاء هذه الدولة، وما زالت الموفّقيّة والعناية الإلهيّة والرحمة ونظرة العطف واللطف على هذه الدولة هاطلة، وسرادق هذه المملكة ضاربة أطنابها على البسيطة على كرّ الدهور والعصور، من قاف إلى قاف، ومن جابلقا إلى جابلسا بأوتاد الأبد، وجنّبها الله ريح الحسد النكباء من عيون الحسّاد، وأبعدها عن هذه الساحة المنظورة للمولى، والمتحقّقة فيها إرادة أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

وتواترت على هذا المجلس نعمة العالمين، ورعاية السلطان، وتوالت آناء الليل وأطراف النهار.

---

(١) الأعراف: ٤٣.

وجعل الله أولياء هذه الدولة وأحبّائها ممكّنين منصورين، وأعدائها مخذولين ومقهورين.

وأقرّ الله عين سيّد العالم شمس الحقّ والدين محمّد صاحب الديوان بدين قرّة العين بهاء الحقّ والدين محمّد بن محمّد صاحب الديوان، وبقاء أيّام دولته، واستجاب الله دعاء هذا الحقير عقب تلاوة القرآن والقيام بالفرائض المكتوبة ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً، في حقّ هذه الدولة وهذه الأُسرة، وكما أنّ الحقّ عزّ وجلّ وعلا أنعم عليهم بملك الدنيا نسأله أن ينعم عليهم بنعيم الآخرة الأبديّ في جنّات النعيم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ (١).

وبناءاً على هذا الحديث: «المرء مع من أحبّه» كما أنّه في هذا العالم مقيم على محبّة أهل البيت عليهم السلام أن يكون غداً يوم القيامة محشوراً تحت لواء محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ الباقر وجعفر بن محمّد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعليّ بن موسى الرضا ومحمّد بن عليّ التقي وعليّ بن محمّد النقي والحسن بن عليّ العسكري والحجّة القائم محمّد الحسن صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليهم بحقّ محمّد وعترته الطيّبين الطاهرين.

ختام الديباجة

(١) الدهر: ٢٠.

الباب الأوّل

في أقسام العلم

اعلم أنّ العلم إمّا ضروريّ أو كتبيّ «كسبيّ». فلو كان ضروريّاً كلّه لارتفع الخلاف بين العقلاء، ولو كان استدلاليّاً بأجمعه لما أمكن تحقيق أيّ علم وأيّ بحث ولأدّى ذلك إلى التسلسل، فإذا كان البحث في المنقولات كان البدء والختام مبنيّاً فيها على التصادق، وإذا كان في المعقولات بني على التناصف والتسليم أو على الضروريّ إن تعذّر التناصف. نظير حدوث العالم الذي جعله علماء الكلام المسلمون على تغيّره أو غير ذلك ممّا هو لازم العالم كالأوصاف والأشكال والتركيب والاختصاص بالجهة والتميز.

وأمّا العلم الضروري وهو ما يعبّر عنه بالجبلّي أيضاً والفطري أظهر وأشهر من قبيل شكر المنعم؛ مِنْ ثَمّ بدأ الله كتابه وشريعته ودستور خير الأنبياء والأنام بقوله: ﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[1]، لئلّا يرى الجهّال الذين لم يتعمّقوا في بحور العلوم الدينيّة ولم يصلوا إلى أعماقها، ولم يستخرجوا الدرر واللئالي من أصدافها بالغوص في قيعانها أنّ القرآن محض تقليد ولا يوافق الأدلّة العقليّة.

---

(١) الفاتحة: ٢.

ألا ترى كيف علّل سبحانه وجه الحكمة في تحريم الخمر والميسر بإيقاع العداوة بين الأودّاء، وإظهار البغضاء كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1] وكلّ أمر جلب الشرّ والعداء وأوجد الشقاق والخلاف بين الناس ينبغي الاحتراز منه بالضرورة.

ومن هنا علّل وجوب الصلاة بأن جعل سبب ذلك الوجوب أنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[2] أي إنّ الصلاة من جملة الألطاف في الواجبات النقليّة وترك القبائح العقليّة.

وما لم يبيّن حكمته أوكله إلى العلوم الفطريّة والضروريّة، كما قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[3] وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[4]. ومن المعلوم أنّنا لم نكن هناك ساعة المُسائلة بل الغرض من بيان ذلك تحصيل العلم الضروري، ومركوز في فطرة الإنسان أنّه حيثما يوجد صنع فهناك صانع؛ شاهداً أو غائباً، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[5] فيكون جواب الحقّ تعالى من هذا المنطلق على قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ وليس بقول لسان أو كتابة بنانٍ.

ففي كلّ شيء له آية　　دليل على أنّه صانع

---

(١) المائدة: ٩١.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

(٣) يس: ٦٠.

(٤) الأعراف: ١٧٢.

(٥) لقمان: ٢٥.

وروي: واحد(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٢).

وتسبيح غير العاقل دليل على الصنع العجيب والتركيب اللطيف الدالّ على الصانع القادر المختار، لكي يحمل العاقل عند مشاهدة ذلك ببصيرة العقل أن يقول: «سبحانه من خالق قادر، سبحانه ما أعظم شأنه» وأمثال هذا الذي يضطرّ العاقل عنده إلى التسبيح.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾(٣) ونحوها من الآيات.

---

(١) الشعر لأبي نؤاس وهو هكذا:

فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كلّ شيء له آية ... تدلّ على أنّه واحد

(المترجم)

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) الدهر: ٤.

الباب الثاني

في أقسام النعم

أمّا أعظم النعم **فأوّلها** الوجود بعد العدم.

ثانيها: إفاضة الحياة والتمايز عن الجمادات.

ثالثها: الشكل الخاصّ للإنسان بصورته وفيه الخلاصة البشريّة وهي العقل والترقّي بالنظر في عالم الملكوت وعلوّ الدرجة بالعمل الصالح: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**(١). وفيه أيضاً الشهوات البهيميّة وهي أدنى المراتب في الحيوان، فإذا امتثلتم الأوامر والنواهي: **﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**(٢) جزتم درجات الملائكة، أمّا إذا ركنتم إلى الشيطان فكنتم من حزبه واتّبعتم المعاصي انحطّت درجاتكم عن دركات البهائم؛ لأنّ البهائم لم تكن عرضة للوساوس الشيطانيّة بخلاف الإنسان بدليل قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾**(٣).

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) الإسراء: ٧٠.

رابعها: كمال العقل وهو خلاصة الوجود والأُنموذج من عالم الملكوت، سبب الحياة الباقية والسلطان العادل على عالم الطبيعة، ومفتي مسند الشريعة والقاضي المولّى من قبل واجب الوجود، الذي لا يتيسّر بدونه معرفة الصانع وإدراك الكلّيّات والجزئيّات من العالم العلوي والسفلي، ما استنبحه بنظر إرادته وبصيرته هو الحقّ، وما قاله هو الصدق، ما سمعه الصواب: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١).

والقوى الخمس الأركان والعناصر الجسمانيّة عبيده ومُؤتَمِرَة بأمره: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢).

وجنّة المأوى نتاج طاعته، والنعيم الأُخروي والحور والقصور ونيل الرغبات البشريّة في الجنّة ثمرة الائتمار بأمره، ومعالم امتثال أوامره ونواهيه.

والجحيم التي هي سجن العصاة، ومعتقل المجرمين والمعاندين والفاسقين كانت مسبّبة عن عصيانه.

وبعهدته اتّباع أحكام الأنبياء وترجيح حكم الله على الهوى والشهوة.

والنار المحرقة المجدّدة: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ (٣)، ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ (٤)، ونصيب المعذّب من: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٥)، وطبيعة شرابه: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ (٦) كلّ

(١) النجم: ١١ و١٢.
(٢) النحل: ٥٠.
(٣) النساء: ٥٦.
(٤) الحجّ: ٢١.
(٥) الحاقّة: ٣٠ و٣١.
(٦) الكهف: ٢٩.

ذلك من ترك أوامره وارتكاب نواهيه.

الخامس: الإعلام والإلهام والإرشاد ونصب الأدلّة وإزالة العلّة بالتوحيد والعدل والنبوّة والإمامة وما يتّبع ذلك، وتوفيق تحصيل هذه المعاني بـ: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (١)، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣).

السادس: التكليف؛ لأنّه إذا حصل العلم بمعرفة الذات والصفات فإنّ الحكيم تعالى يكره أن تكون ساحة العبد معطّلة ويظلّ خالي الوفاض، والشيطان يقول: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤)، فلم يترك الحقّ سبحانه عبده فارغ البال وخليع العذار: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٥)، بل ألقى في عنقه قيد التكليف، وهو تأديب في الدنيا وحصول الثواب في العقبى: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٦).

السابع: الابتلاء والامتحان، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ (٧)، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (٨)، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ (٩) وتفسير الآية عند بعضهم على الوجه التالي: أنّنا

---

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) العلق: ٥.

(٣) يوسف: ٣.

(٤) ص: ٨٢.

(٥) القيامة: ٣٦.

(٦) الذاريات: ٥٦.

(٧) العنكبوت: ٢.

(٨) البقرة: ١٥٥.

(٩) البقرة: ١٤٣.

لم نحوّل القبلة إلى الكعبة التي كانت تدور في خلدك وكانت رغبة لك إلّا لنميّز من يتّبع الرسول ممّن ينقلب على عقبه ويعود إلى كفره الأوّل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (١) أي الكافر من المسلم.

وفي موضع آخر دلّ على كثرة الخبيث كما قال: ﴿قُل لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (٢)، والطهارة عبارة عن الإسلام، والخبث عبارة عن الكفر والنفاق، وهذا الابتلاء محك لرجال العالم والمائز بين العالمين والجاهلين، وإظهار لكفر الكافرين ونفاق المنافقين: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (٣).

الثامن: هديّة الهدى لعباده كرامة من لدنه سبحانه ولم يسلمهم إلى حيّز الابتلاء بل ألهمهم كيفيّة الاستدلال وألزمهم الحجّة على ذلك، وجعل مدح الدنيا ومدح ثواب الآخرة في عرض طاعة العبوديّة كما قال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٤) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (٥).

وجعل ذمّ الدنيا واستحقاق عقاب الآخرة في عرض معصية العباد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (٦)، وقال: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ (٧).

وبعض هذه الدلالة والتنبيه تكون حاصلة بالأدلّة العقليّة وكيفيّتها مركوزة في

---

(١) آل عمران: ١٧٩.
(٢) المائدة: ١٠٠.
(٣) الأنفال: ٤٢.
(٤) الكهف: ٣٠.
(٥) الكهف: ١٠٧.
(٦) الجنّ: ٢٣.
(٧) الانفطار: ١٤ ـ ١٦.

جبلّة بني آدم، وبعضها الآخر ببيان الأنبياء؛ لأنّ العلم بكيفيّة العبادة من حيث التفصيل والمقدار لا تستقلّ بإدراكها العقول ما لم ترشد إلى ذلك وتنبّه عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (١)، ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (٣).

وينبغي على العقال أن يقيم بناء الدين والملّة على هاتين الحجّتين: إحداهما العقليّة التي تنظر فيم موضعها في الدليل لا في الشبهة، والثانية: السمعيّة في موضعها، وتضع العقل في ميزان النقل وتأوّل ما وافقه العقل.

وبما أنّ العامّة لا يملكون المهارات لدفع الشُّبَه وقعدوا عن تطلّب العلوم، ويقنعون بالتقليد ونظائره، وليست لهم قوّة التميّز بين الطبع والهوى، والعقل ورضا الله، أو أنّ بعضهم يستبدلون الدنيا الفانية بالمذهب ترغيباً بالحكّام أو ترهيباً، ولا يبدون اهتماماً بالثواب الأبديّ والعقاب السرمديّ، لذلك عمد أهل البدع على وضع المذاهب بعد مرور قرن أو قرنين أو أكثر من ذلك، فأقاموا بناء الدين بعد وفاة رسول الله ﷺ طمعاً بالجاه الدنيوي أو اغتراراً بكثرة السواد التابع، أو طلباً للصيت والشهرة في الدنيا، وبحثاً عن المقلّدين على النشوء والارتقاء، وظلّوا تابعين حيث ولدوا، فلم يسعوا وراء الحقّ عن طريق الانصاف والتتبّع، وقنعوا بهذا المقدار الذي كشفته الآية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٤)

---

(١) الأنعام: ٤٨، الكهف: ٥٦.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) الإسراء: ١٥.

(٤) الزخرف: ٢٣.

وقال الله تعالى بحقّهم: ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١).

أو إنّهم قنعوا بتقليد المعلّم فلم يبحثوا عن الحقّ بطريق الانصاف عن المذهب الآخر ليعرفوه ما هو وماذا فيه وما هي مقالته؟ لكي يوازنوا بين الأقوال ويقارنوا بعضها ببعض كي يختاروا القول الحقّ منها بالنظر الصافي والعقل الكافي، ومع هذا يدّعي كلّ واحد منهم قائلاً: أنا مع الحقّ، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٢).

في بيان ما هو المذهب الحقّ من المذاهب المتعدّدة

اعلم أنّ الحقّ لا يكون إلّا واحداً من هذه المذاهب، والدليل على ذلك الإشارة من صاحب الشريعة خاتم الأنبياء محمّد المصطفى ﷺ حيث قال: إنّ بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين وسبعين ملّة وستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين ملّة كلّهم في النار إلّا ملّة واحدة. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي(٣).

---

(١) الأنبياء: ٥٤.

(٢) المؤمنون: ٥٣.

(٣) علينا الآن أن نورد لك المصادر التي ذكرت الحديث عند أهل السنّة وأهل التشيّع وسوف يظهر لك أنّ عبارة «ما أنا عليه وأصحابي» مقحمة في الحديث وليست منه.

١ ـ مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ٨٣٠٢، وليس فيه الجملة، وحديث رقم ١٦٥٤٥، وفيه: كلّها في النار إلّا واحدة وهي الجماعة.

ورواه ابن ماجة عن عوف بن مالك وفيه: لتفترقنّ أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة وثنتان وسبعون في النار. قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة. ورقم الحديث هنا ٤٠٧٥ وهو مرويّ عن عوف بثلاث طرق، وسياقها واحد تقريباً.

....

ورواه الدارميّ عن معاوية بن أبي سفيان، باب في افتراق هذه الأُمّة، ورقم الحديث ٢٥١٦ وليس فيه الجملة المقحمة.

ورواه أبو داود عن معاوية بن أبي سفيان أيضاً ورقمه ٤٤٨٠، وفيه جملة: وهي الجماعة.

وفي طريق آخر عن أبي هريرة برقم ٤٤٧٩ وليس فيه الجملة.

ورواه الترمذي عن أبي هريرة باب ما جاء في افتراق هذه الأُمّة، ورقم الحديث هنا ٢٧١٠ وليس فيه الجملة، وعقّب عليه بقوله: قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وفي طريق آخر عن عبدالله بن عمرو برقم ٢٧١١ ويختلف سياقه عنها جميعاً، وفيه الجملة المقحمة التي ذكرها المؤلّف: «ما أنا عليه وأصحابي» وتعقّبه الترمذيّ بقوله: هذا حديث حسن مفسّر غريب لا نعرفه مثل هذا إلّا من هذا الوجه.

ورواه في مصباح الزجاجة عن عوف بن مالك برقم ١٤١٢، والجملة فيه: من هم؟ قال: «الجماعة».

ورواه في عون المعبود عن أبي هريرة، رقم ٤٥٨٦ فاقداً للجملة المقحمة بطريقين.

وأخرج حديثي الترمذيّ صاحب التحفة ولم يزد عليهما بشيء.

وهناك مصادر حديثيّة لأهل السنّة روت هذا الحديث وقلّ منها من ذكر الجملة المقحمة: «ما عليه أنا وأصحابي».

وهذه الجملة يدحضها العقل والنقل، فإنّ النبيّ ﷺ لم يذكر هؤلاء الأصحاب الذين تابعوه مَن هم، ولم يذكرهم في حياته أو بعد وفاته، ومن المعلوم أنّ أصحابه خالفوه حيّاً وميّتاً، واختلفوا بعده كما اختلفوا وهو على قيد الحياة فكيف يكون اتّباعهم عاصماً من الافتراق، والعجب من المؤلّف حين يذكر هذه الجملة دونما نقد وحتّى إيعاز وإحالة إلى من رواها وأخرجها عن النبيّ ﷺ، والآن لندرسها في مصادر الشيعة:

... عن يحيى البكّاء، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والباقون هالكة، والناجية الذين يتمسّكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم ولا يعملون برأيهم، فأولئك ما عليهم من سبيل. فسألت عن الأئمّة، فقال: عدد نقباء بني إسرائيل. (الخزّاز القمّي، كفاية الأثر، ص ١٥٥)

وقال ابن البطريق تعقيباً على قول النبيّ ﷺ: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا»: وهذا الأمر منه ﷺ

وبناءاً على هذا فإنّ أصحاب الرسول ما هم معتزلة ولا أحنافاً ولا شوافع ولا موالك أو حنابلة بل إنّ هذه المذاهب لم تظهر إلى الوجود إلّا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا بعد سنين طويلة.

➲ بالتمسّك بأهل بيته عامّ لكلّ أهل الإسلام، وهو أيضاً واجب يدلّ على وجوبه وقبح تركه، لأنّه عليه السلام قال: ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، فجعل ترك التمسّك بهما هو الضلال، فصار ترك هذا الأمر قبيحاً نعلم وجوبه لقبح تركه، ثمّ جعل ذلك مستمرّاً ممتدّاً بذكر الأبد في لفظ الخبر وضرب لها غاية ينتهي إليها، وهو قوله صلى الله عليه وآله: حتّى يردا عليّ الحوض، فصار ذلك دليلاً على الاقتداء بهما إلى آخر الأبد، فقد صار الخبر الوارد بإجماع كافّة أهل الإسلام من قول النبيّ صلى الله عليه وآله: افترقت أُمّة أخي موسى إلى إحدى وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقون في النار، وافترقت أُمّة أخي عيسى اثنين وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقون في النار، وستفترق أُمّتي ثلاثاً وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقون في النار، بياناً عن الفرقة الناجية من أُمّته، وهي التمسّك بالثقلين، وهما كتاب الله وعترة رسوله بدليل قوله صلى الله عليه وآله: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا» فصار التمسّك بهما هو طريق النجاة وترك التمسّك بهما هو طريق الضلال... الخ. (ابن البطريق، العمدة، ص٧٤)

نعم، ذكر السيّد ابن طاووس الحسني في الطرائف عن أنس بن مالك قال: كنّا جلوساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله فتذاكرنا رجلاً يصلّي ويتصدّق ويزكّي، فقال لنا رسول الله: لا أعرفه ـ وساق الحديث إلى أن قال: ـ قال لعليّ عليه السلام: فاقتله فإنّك إن قتلته لم يقع الضلال والاختلاف بين أُمّتي أبداً. قال عليّ: فأخذت السيف ودخلت المسجد فلم أره، فرجعت إلى رسول الله وقلت: ما رأيته، فقال: يا أبا الحسن، إنّ أُمّة موسى افترقت أحد وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّة عيسى افترقت أحد وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّة عيسى افترقت على اثنين وسبعين فرقة، فرقنة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار. فقال: يا رسول الله، من الناجي؟ قال: المتمسّك بما أنت عليه وأصحابك... الخ. (الطرائف: ٤٣٠)

هذا هو الحقّ في الرواية، والرواية التي اعتمدها المؤلّف هي رواية سنّيّة، والجملة التي يذكر فيها النبي «أصحابي» جملة مقحمة يكذّبها العقل والنقل، وأنا أستغفر الله لي وللمؤلّف حيث روى الرواية من غير نظر إلى أُصولها ثمّ هو لم ينقدها مع علمه بما داخلها من الوضع. (المترجم)

وجاء القرآن مؤيّداً للحديث كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (١)، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٣).

وهذه الآيات دلائل واضحة على أنّ الحقّ واحد لا يتعدّد، فعلى المكلّف النظر في الملل الإسلاميّة وأقوال علمائهم وأئمّتهم، وليعرض أقوالهم على الأدلّة العقليّة والآيات القرآنيّة؛ فما وافقها فليقبله، وما حاد عنها فليعتبره ردّاً وباطلاً وغير مقبول وخارجاً عن الدين والملّة، والله أعلم بالصواب.

في بيان عقيدة الشيعة وأهل السنّة

اعلم بأنّ فرق الإسلام يدور معظمها على مدارين:

الأوّل: الجماعة التي يقال لها أهل السنّة والجماعة، وهذه الطائفة يعتقدون بالصحابة بعد النبيّ ويجيزون الخطأ على الإمام، ويقولون: صلّوا وراء كلّ برّ وفاجر، ويقتدون بالفسّاق.

الثاني: الجماعة المسمّاة بالشيعة، وهذه الطائفة لا تجيز الاقتداء بالفاسق، ويعتقدون بإمامة عترة النبيّ وأولاده، ويقولون بعصمتهم، ويقولون عن الصحابة أتباع النبيّ، ولا يصحّ تقديم التابع على الخالق، ويقولون: لم يقدّم التابع من عهد آدم إلى رسول الله على ذرّيّة النبيّ؛ لأنّ للذرّيّة الأهليّة، وهي تحقّقة لأمير المؤمنين عليّ وأولاده بإجماع المسلمين لو تركهم العدوّ، وينبغي أن يكون الأمر في عهد النبيّ

---

(١) يونس: ٣٢.

(٢) سبأ: ٢٤.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

كما كان عليه في سائر العهود، وهذه سنّة الأنبياء بأمر الله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[(١)].

سؤال: واعترض خصوم الشيعة بالطعن عليهم قائلين: إنّ الفرق ما بيننا وبينكم هو في الأقلّيّة والأكثريّة، والأكثريّة بجانبنا.

فأجاب الشيعة بعدّة أجوبة:

أوّلها: إنّ الكثرة وقعت موقع المذمّة والنقصان، ودلّت على البطلان، ولقد قال إمامكم الفخر الرازي: إنّ كثرة أسباب الضلالة موجبة لكثرة الضلالة.

ثانيها: في قصّة نوح عليه السلام: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[(٢)]، وجاء في التفاسير أنّ هؤلاء كانوا سبعين أو اثنين وثمانين شخصاً، ولمّا هبطوا من السفينة كفروا بأجمعهم إلّا ثمانية أشخاص وهم: نوح وسام وحام ويافث مع أزواجهم، وكفر الباقون ورجعوا إلى عبادة الأصنام.

ووجه الدلالة في هذا أنّ نوحاً لبث فيهم ألفاً إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله فما آمن معه إلّا قليل، وظلّ الباقون من أهل العلم على كفرهم وضلالتهم، فما يضير الشيعة أن يقلّ عددهم عن غيرهم.

الثالث: قصّة موسى عليه السلام كما ذكرها الله وفيها ذكر القوم الذين آمنوا به: ﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾[(٣)]، وجاء في التفسير أنّ فرعون أرسل في مقدّمة الجيش خمسمائة قائد، وكلّ قائد معه عدد من الجيوش تجشّمهم يتعقّب بني إسرائيل، وخرج فرعون بجيش لا يحصى عدده إلّا الله تعالى، وخرج موسى بثمانين

(١) الإسراء: ٧٧.

(٢) هود: ٤٠.

(٣) الشعراء: ٥٤ و٥٥.

ألفاً ومعهم القسيّ، يقابل كلّ واحد من بني إسرائيل عشرة آلاف رجل من أعدائهم الأقباط، بل يزيدون. وقال بعض المفسّرين: كان عدد بني إسرائيل ستّمائة ألف إنسان مع الرجال والنساء والأطفال والعبيد والجواري، أمّا جيش فرعون فكان في مقدّمته خمسمائة ألف قائد وأمير، وخرج فرعون بالسواد الأعظم الذي لم ير الرائون مثله.

ووجه الدلالة فيه أنّ قلّة أصحاب موسى عليه السلام لا تدلّ على بطلان مذهبهم كما لا تدلّ الكثرة مع فرعون على أحقّيّته، ومثله يقال في قلّة سواد الشيعة إذ لا يدلّ على بطلان مذهبهم.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

الخامس: قوله تعالى: ﴿قُل لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾[2].

السادس: في قصّة داود عليه السلام: ﴿كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3]، وكان جيش طالوت مؤلّفاً من ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وجيش جالوت لا يحصى ولا يُعدّ.

السابع: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ﴾[4]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[5] وأمثال هذه الآيات حيث وردت الكثرة مورداً للذمّ والملام والتقبيح والقدح والبطلان.

---

(١) الأنعام: ١١٦.

(٢) المائدة: ١٠٠.

(٣) البقرة: ٢٤٩.

(٤) الأعراف: ١٨٧.

(٥) العنكبوت: ٦٣.

الثامن: قوله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(٢)، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣)، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِنكُم مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾(٦)، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا﴾(٧).

وهذا دليل على أنّ الضلالة في صفّ الكثرة والجمهور غالباً.

التاسع: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ﴾(٨)؛ لأنّ الله وعد جهنّم أن يملأها ولم يعد الجنّة بذلك، مِن ثَمّ يكون امتلائها ممّا لابدّ منه، ولا يكون ذلك إلّا بالكثرة، والشيعة جمع قليل فلا يشملهم هذا الوعد.

وكذلك قوله تعالى حكاية عن إبليس لعنه الله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(٩)، والمستثنى أقلّ من المستثنى منه بإجماع العلماء، لذلك يقول النحاة: الاستثناء هو إخراج الجزء من الكلّ.

وأمّا عرفاً، فالعقلاء على علم من أنّ النفيس هو الجزء الأقلّ في العالم وما كان خسيساً فهو الكثير الذي لا يضبط عدّه لكثرته، ولا نظير لهذه الحجج الذي يتمسّك بها الشيعة.

---

(١) الزخرف: ٧٨.

(٢) سبأ: ١٣.

(٣) النحل: ٨٣.

(٤) التوبة: ٨.

(٥) الأنفال: ٦٦.

(٦) آل عمران: ١٣.

(٧) الأعراف: ١٧٩.

(٨) ق: ٣٠.

(٩) ص: ٨٢ـ٨٣.

الباب الثالث

في بيان مذاهب أهل السنّة، والجواب عنها للشيعة

في فصولٍ كثيرةٍ.

الفصل الأوّل

تعتقد طائفة من أهل السنّة أنّ الله تعالى استوى على العرش، ويرون الله سبحانه جسماً يزول من مكان إلى مكان، وأثبتوا له النزول والصعود.

والجواب: قال شيعة أهل البيت: لا يجوز اعتقاد الجسميّة له سبحانه، لأنّه إن كان جسماً فلابدّ أن يكون مشاركاً للأجسام بوجه ومخالفاً لها بوجه آخر، كما لابدّ من حدوث المغايرة بين ما به المشاركة وما به المخالفة، وحينئذٍ يلزم من ذلك القول بالتركيب، والمركّب محتاج إلى جزئه وجزئه غيره، وما احتاج إلى غيره فهو الممكن، ولا يكون قديماً.

وأيضاً: يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فكيف يشابه الأجسام، ولو كان

---

(١) الشورى: ١١.

جسماً فلا يخلو من عوارض الجسميّة كالحركات والسكنات والأشكال والجهات والصور، وهذه بجملتها عوارض الحدوث، وما لم يخلُ من عوارض الحدوث فهو المحدث.

ثمّ وجدنا بعد الاستقراء أنّ ذوي الحرف والصنّاع لا يشبهون صناعاتهم، والله سبحانه خالق الجسم والجوهر والعرض فلابدّ من منافاته مع جميع مخلوقاته، وعدم تشابهه معها.

ثمّ إنّ العرش والجبل من خلقه ومثلها مساجد همدان التي هي مهابطه ومنازله سبحانه عمّا يقول الجهّال -كما يزعم الخصم- وهذه محدثة بالإجماع، والله تعالى قديم وهو مستغن عنها منذ الأزل بذاته، والصفات الذاتيّة لا تتغيّر.

وكذلك يمنع العقل بدلائله من التجسيم، ومثله السمع: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وآية «استوى» معناها: استولى.

يقول مصنّف هذا الكتاب الحسن بن عليّ الطبريّ: حضرت في سنة (٦٧٠) في مدينة يزدجرد، فسمعت العامّة تعتقد في الله أُموراً لا يجوز ذكرها، فنهضت إلى مفتي البلد وكان يعرف بالزهد والورع والعلم، وقد أسند إليه منصب القضاء والولاية في البلد المذكور، وقلت: يلزمك وأنت معتمد هذه الخطّة ومقتداهم أن تحول بين العامّة وبين ما تقوله وتعتقده في الله سبحانه، فقال بعد أن ضحك: يا فلان، ماذا تقول لو علمت بأنّي أقول من هذا بأكثر من قولهم، وأعتقده بأكثر من اعتقادهم!

وبقيت شهراً أُحاوره في هذا وشبهه، وكانت حالي معه مشبهة لحال نوح مع قومه: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً﴾ (١).

---

(١) نوح: ٦.

وكان لي صديق يجاور كبيراً لهم من أهل هذه الديار، فقال له: أيجمل بالله أن يهبك رأساً ولحية ثمّ يخلي نفسه منهما ؟!

وحضرت يوماً مسجدهم الجامع فسمعت الواعظ يذكر منقبة لمعاوية، وقال في ختام كلامه: يقام يوم القيامة لمعاوية سرير فوق العرش بمساحة كذا، ويجلس الحقّ تعالى تحت هذا السرير! «فاعتبروا يا أُولي الأبصار».

الفصل الثاني

وأكثر أهل السنّة يثبتون المعاني في الصفات، فيقولون: إنّ الله عالم بعلم، وقادر بقدرة، وحيّ بحياة، وهكذا.

والجواب عن ذلك: يقول الشيعة: إنّ صفات الله سبحانه ذاتيّة فهو قادر بذاته، والقدرة والعلم والحياة صفات ذاتيّة له، وأمّا باقي الصفات من قبيل كونه مريداً وكارهاً وسميعاً وبصيراً ومدركاً فمردّها إلى العلم وتابعة له.

وإذا قلنا بأنّه قادر بقدرة فإنّ ذلك يؤول إلى تعدّد القدماء وهو مذهب قريب من الشرك، ثمّ هذا القول تماماً مشبه لمذهب النصارى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾[1]، ولأنّ النصارى أثبتوا القدماء ثلاثة فاستحقّوا العقوبة لذلك، وقال عنهم: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ...**﴾ الآية، كيف نسبوا الجمع إلى القديم وحاصله ضرب ثلاثة في مثلها[2].

---

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) لم يتّضح لي معنى العبارة فترجمتها كما وردت، والمعروف عن النصارى أنّهم يقولون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، ويمكن أن يريد المؤلّف بأنّ قولهم هذا يؤدّي إلى أن يكونوا تسعة حين تنسب كلّ أُقنوم إلى صنويه على حدّة مثلاً تقول: الأب والابن والروح القدس، فهؤلاء ثلاثة، ثمّ

مسألة: وكذلك يقولون بقدم القرآن.

والجواب عنه: يقول الشيعة: إنّ القرآن معجزة محمّد ﷺ، ومحمّد محدث فكيف تكون معجزته قديمة؟! وإذا جاز القدم لمعجزته جاز كذلك لمعاجز الأنبياء، ولو قيل بقدم ما في الدفّتين فإنّه مكتوب بالضرورة، وهذا المعنى حادث.

ولو قلنا بأنّ القرآن هو الحرف والصوت فإنّ ذلك محال قطعاً لأنّ الحرف والصوت لا يكونان قديمين لأنّ فيه سابقاً ولاحقاً، وكلّ واحدٍ منهما محدود بحدود الزمان، وما كان كذلك فما هو بقديم.

ويقول الحقّ أيضاً: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾(١)، وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِم مُحْدَثٍ﴾(٢) والمراد من الذكر القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٣)، وقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾(٤)، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾(٥)، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٦)، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾(٧). وردّ الله على المشركين بقوله: ﴿هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾(٨).

وإذا كان القرآن قديماً فإنّ سائر الكتب المنزلة مثله، فيكون الأنبياء والصلحاء

⬅ الابن والأب والروح القدس ثلاثة فصاروا ستّة، ثمّ روح القدس والابن والأب ثلاثة فهؤلاء تسعة، هذا ما وصل إليه إدراكي ولا أجزم به، والعلم عند الله. (المترجم)

(١) الطور: ٣٤.

(٢) الأنبياء: ٢.

(٣) الحجر: ٩.

(٤) الأنبياء: ٥٠.

(٥) الزخرف: ٣.

(٦) القدر: ١.

(٧) البقرة: ١٨٥.

(٨) الأحقاف: ١١.

والفسّاق والكفّار الذين جاء ذكرهم في القرآن هؤلاء جميعاً قدماء، «سبحانك هذا بهتان عظيم».

الفصل الثالث

وأكثر أهل السنّة والجماعة يثبتون الرؤية، ويرون مشاهدة الله بالعين الباصرة جائزة.

والجواب عنه: قال الشيعة: إنّ سلامة الرؤية مرتبطة بسلامة العين وسلامة المرئي، ورفع الحجاب عنه، واليوم هذه الشروط الثلاثة متوفّرة، فلو كان الله يُرى لرأيناه اليوم، وحيث لا نراه اليوم فهو دليل على استحالة رؤيته.

ولو جازت الرؤية عليه لا يخلو من كونه جسماً أو جوهراً أو عرضاً، وهذا محال لأنّ هذه حادثة وهو قديم، وقال الله سبحانه كذلك: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾[1]، فكيف لم يره موسى على عظمته وجلالة قدره ورتبة نبوّته، ويراه الجاهل؟

سؤال: وربّما قيل: إذا كانت الرؤية ممتنعة فكيف طلبها موسى من ربّه، فقال: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[2]، والأنبياء لا يسألون المحال؟

والجواب عنه: إنّ موسى كان مضطرّاً بسؤاله الرؤية، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[3]، ولو كانت الرؤية تحصل بالسؤال لم يهلكهم الله بالصاعقة

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) النساء: ١٥٣.

ولم يقل: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾.

وللشيعة دليلان على عدم الرؤية: عقليّ ونقليّ، وأمّا أهل السنّة فقد تمسّكوا بالنقل وحده فتعارض النقلان ما لنا وما لهم، وترجّح ما عندنا عليهم لوجود الحجّة العقليّة عندنا وعدم وجودها عندهم. ثمّ إنّ الدليل النقليّ لا يعدو التأويل.

وأظهر دليل على امتناع الرؤية قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[1].

أضف إلى ذلك أنّه لو أمكنت رؤيته فلا تمكن بالكيفيّة، ولو عدم الكيفيّة لم يكن مشاهداً مرئيّاً، والكيف محدث.

وبناءاً على ما تقدّم: فلو أمكنت رؤيته لكان أحدهما معرضاً على الآخر، فلو أعرض الله عن عبده فويل لذلك العبد، ولو أعرض العبد عن ربّه فهو الكفر بعينه.

الفصل الرابع

وأكثر أهل السنّة لا يقولون بالعدل كما يقولون: إنّ الله تعالى يجوز أن يكلّف عبده بما لا يطاق، وأمر أبا جهل وهو لا يريده، وليس من المستحيل أن يسلب الإيمان من المؤمن عند موته ويعطيه الكفر.. كما لا يستحيل أن يسوق المؤمن يوم القيامة إلى النار والكافر إلى الجنّة، ولا يقولون بالحسن والقبح العقليّين وإنّما يعرف ذلك بالنقل، وفعل الله خالٍ من الحكمة، وأمثال هذه الطامّات.

والجواب عنه: يقول الشيعة: إنّ الله لا يكلّف بما لا يطاق، والعقلاء يقبّحون القبيح لقبحه بالضرورة كتكليف الأعمى بتنقيط المصاحف على الدقّة، وأمر الإنسان بالطيران في الهواء.

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

ومع هذا فإنّ نفي التكليف بما لا يطاق ورد سمعاً من الله تعالى حيث يقول: ﴿لاَيُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١)، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾(٣)، ولهذه نظائر جمّة.

مسألة: ولمّا كان التلبيس والتعمية ممتنعين على الله تعالى فلا يصحّ أن يأمر عبده بالإيمان وهو لا يريده، ولو صحّ لكان أبو جهل ممدوحاً على كفره ويستحقّ المثوبة على ترك الإيمان، لأنّ ما فعله ما هو إلّا الامتثال لأمر الله، فلو عذّبه الله بالنار لكان ظالماً له على مذهبهم، وله أن يخاطب ربّه يوم القيامة: يا ربّ، إنّك أردت الكفر منّي ففعلته فلم تعذّبني بنارك؟! «سبحانك هذا بهتان عظيم على الله».

ويقال أيضاً: كيف يجوز على الله تعالى أن يبعث نبيّاً مثل محمّد ﷺ ومعه كتاب كالقرآن وفيه الأوامر والنواهي وكلاهما كذب لأنّهما أنزلهما وهو لا يريدهما ولا يريد ما قاله الرسول الذي أمر باتّباعه أو ورد في القرآن؟! «نعوذ بالله من هذا الاعتقاد».

مسألة: ولو جاز أن يسلب العبد إيمانه عند الموت فهو الظلم الصريح، والجور القبيح، فكيف يستساغ أن يرسل الله تعالى مأة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألفاً ومع مأة كتاب وأربع كتب منها عشرة مع آدم الصفي، وخمسون مع هبة الله شيث ابن آدم، وثلاثون مع إدريس وهو أوّل من تعلّم الكتابة، وعشر مع إبراهيم، وينزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، والفرقان على

(١) البقرة: ٢٨٦.
(٢) البقرة: ١٨٥.
(٣) النساء: ٢٨.

محمّد ﷺ، وقال في هذه الكتب كلّها: آمنوا بي لأدخلكم الجنّة، فآمن المكلّف المسكين رجاء أن يدخل الجنّة وينال الثواب الأبدي، وجاهد في سبيل الحقّ سنين عدداً، وحارب الشيطان وعبد الرحمان بناءاً على ما وعده الله وطمعاً بثوابه فكيف يجوز على الله خلف الوعد ويكذّب هذه الكتب كلّها ويردّ دعوى أنبيائه ورسله فيسلب عبده وقت الموت إيمانه ويهبه لآخر غيره، وربّما كان هذا الغير مشركاً بالله سنيّه كلّها، عاصياً لربّه، فيكذّب الكتب المنزلة ومن أُنزلت عليهم من الرسل ؟!

انصفوا أيّها العقلاء، أيّ فاسق يرضى بهذا؟ وأيّ ظلم أظهر من هذا الظلم؟ حاشاه من ذلك، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

قال سحرة فرعون لفرعون: إذا نحن غلبنا موسى ألنا أجر عندك؟ قال: بلى، وذلك قوله تعالى: ﴿أَءِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[١]، فالعجب كلّ العجب من عبيد فرعون المجازيين يتمنّون نيل الخير منه، وأنزلوا الثقة بفرعون، وراحوا يتمنّون عليه وهم يصدّقونه، وعبيد الله الحقيقيّون يرون الله يكذب عليهم !!

مسألة: ما يقولون من عدم معرفة الحسن والقبح بالعقل قول باطل.

اعلم أنّ البراهمة ونظائرهم المنكرين للشرع والمكذّبين للرسل يحكمون بحسن المحسنات وقبح المقبّحات، مع أنّهم ليس لهم سماعيّات ولا نقليّات ولكنّ العقلاء على العموم يعرفون القبح في ضرب شخص ليخرج من كونه إنساناً، أو ليكون جماداً، أو ليترك النفس في الهواء، أو يخرج من ملك الله، أو يزيل جبل أُحد من مكانه، أو ماء البحر الأبيض المتوسّط بكفّه بالضرورة. كذلك يعرفون حسن شكر المنعم وبرّ الوالدين وقضاء حاجة المحتاج.

---

(١) الشعراء: ٤١ و٤٢.

مسألة: لو كانت أفعال الله من غير غرض معتدّ به لجرّ ذلك إلى العبث وهو يستحيل على الحكيم، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾(٢) وأمثال هذه الآيات والأخبار، كذلك ما بيّنه الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف.

الفصل الخامس

ما يقال عن الأكثر من أهل السنّة جبريّ وقدريّ بناءاً على أنّهم سلبوا الاختيار من العبد وما يفعله العبد من خيرٍ أو شرّ فهو من الله، والظلم والشرك والمعاصي كلّها والزنا واللواط وشرب الخمر وقتل المؤمنين والفاسقين ونواهي العالم كلّها ما هي إلّا بمشيئة الله تعالى وإرادته، وجرى التقدير على هذا، ولا يجري غيره وما يصدر من المؤمن والكافر بتقدير حكم الله عليها، ولا يقدران على التغيير.

والجواب عنه: والشيعة يقولون بأنّ العبد فاعل مختار في ما يفعله من خير وشرّ، من الطاعة والمعصية والإباحة، وهذا ضروريّ لا يحتاج إلى دليل. ولو لم يكن مختاراً لما استحقّ المدح أو الذمّ على فعله، ألا ترى لا يمدح زيد بفعل عمر ولا يذمّ، ولمّا كان المدح والذمّ على الفعل عائداً إلينا كان عود الفعل علينا أيضاً.

وأيضاً: لو لم يكن العبد فاعلاً مختاراً لبطل الأمر والنهي ووعيد الأنبياء وإنزال الكتب والجنّة والنار والتماس الفعل والترك وطلب عمل واستدعاء عامل وقضاء الحاجة وما شابه ذلك، كان جميعه عبثاً وكذباً وخال من الحكمة، وحاشا الله من

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) البيّنة: ٥.

ذلك، وكيف يجوز على الله أن يدخل عبداً النار بذنب غيره ؟!

حكاية: يحكى عن محمّد بن سليمان وهو من ملوك بني أُميّة. وكان المجبّرة دائموا النقص عليه والقدح فيه أمام محمّد بن سليمان وكان مجبّراً مثلهم، وذات يوم اجتمع المجبّرة عنده ورجوه أن يحضر ذلك العالم الشيعيّ حتّى يحاججوه ويفلجوا حجّته، وقالوا: إنّه يطعن في مذهبك ويقبّحه وأنت سلطان الوقت، ويكفّر علماء الإسلام ويضلّلهم، ويراك مخطئاً بقبولك هذا المذهب، ويرى ملوك بني أُميّة كلّهم فسّاقاً فجّاراً.

فأمر محمّد بن سليمان بإحضاره، فلمّا حضر بالغ في تهديده وتوبيخه، وقال له في ختام كلامه معه: أنت القائل بأنّ العبد فاعل مختار، وليس فعله بتقدير من الله ؟!

فقال الشيعيّ: أيّها الأمير، ائذن لي بقول كلمة واحدة قبل إصدار أمرك.

فقال: قد أذنت لك.

فقال العالم الشيعيّ: افترض أيّها الأمير أنّي وصاحباً لي كنّا ليلاً عندك وكنت عند صاحبتك فلانة التي تهواها وسمرت عندها، فلمّا أصبح الصباح عمدت أنا في السوق إلى ذكر محاسنك وعدلك وعفّتك وطهرك وكتمت ما رأيته منك من الزنا والفواحش والمكر والخديعة والظلم، وأمّا صاحبي فقد فضح أمرك وشهّر بك بين الناس وأفشى سرّك، فأسألك بالله أيّ منّا نحن الاثنين تحبّه دون صاحبه ؟

قال: أُحبّك أنت الذي كتمت سرّي وآمر بإكرامك.

فقال الشيعيّ: أنت صاحب الكبائر الذي ارتكبت هذا كلّه لا ترضى أن أفضحك وأكشف أمرك وأبوح بسرّك، والله المنزّه عن هذا كلّه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1] أعني كيف يرضى الكريم الغني أ ينسب إليه شرك أهل العالم كلّهم وكفر بني

---

(١) الكهف: ٤٩.

آدم ومعاصي الفسّاق والأجلاف وأولاد الزنا وقتل الأنبياء والأوصياء من لدن آدم إلى انقراض العالم ؟!

ثمّ قال: يا أمير، هذا هو مذهب إبليس: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾(١).

فهزم المجبّرة الحاضرون شرّ هزيمة، فأكرم الأمير العالم الشيعي الإكرام الذي يستحقّه وأجازه جائزة سنيّة، وقال: إذهب آمناً ولا تطعن على الأمير فإنّك لا تسلم من العتاب.

حكاية: يقول أبو بكر طاهر بن الحسين السمّان: دعى مجبّرٌ مجوسيّاً إلى الإسلام، فقال المجوسيّ: ليس الأمر لي، يريد أنّه غير مختار ليترك أو يفعل إنّما قضى الله عليه هذا وقدّره. فقال الجبري: صدقت يا مجوسي.

وروي أيضاً أنّه كان لعبدالله بن داود مولى وكان عبدالله عَلَماً من أعلام زمانه، فقرأ قارئ في مجلسه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾(٢) وكان المولى عالماً بمذهب الجبر، فقال: هو الذي منعه من السجود، ولو قال إبليس ذلك لكان صادقاً وقد أخطأ إبليس الحجّة، ولو كانت أنا حاضراً لقلت له أنت منعته.

وكان في المجلس شيعيّ، فقال: ألا تستحي أيّها الرجل من ربّك! تحتجّ لإبليس عليه وإبليس مع ما هو عليه من الشيطنة لم يحتجّ بها لنفسه، بُعداً لك وسحقاً، فانقطع الجبريّ وسكت.

وقال أبوبكر أيضاً: سأل عدليّ جبريّ: هل الزنا خير أو تركه؟ فقال الجبريّ: بل الزنا خير. فقال العدليّ: لم ذلك ؟!

فقال الجبريّ: لأنّ الله قضى عليه وقضاء الله خير.

---

(١) الحجر: ٣٩.

(٢) ص: ٧٥.

فقال العدليّ: ويلك يا جبريّ، أتقول الكفر خير من الإيمان والزنا خير من الإحصان ؟!

أيّها العاقل، فهذا هو مذهب القوم، الكفر لأبي جهل خير من الإيمان لأنّه أطاع الله بكفره، فلو آمن لكان خلاف مشيئة الله تعالى، والعجب كلّ العجب أن يقاد إلى النار بعد هذه الطاعة.

أحلف بالله الذي لا يموت بأنّي سمعت من علماء المجبّرة يقولون: إبليس خير من آدم لأنّ إبليس انقاد إلى إرادة الله وعمل آدم خلاف إرادته، وإنّ موسى لمّا دعا إبليس تاب إبليس ولكنّه لم يقبل توبته، فكان إبليس مطيعاً وموسى عاصياً، نعوذ بالله من هذاالمذهب.

وأمّا الأخبار الواردة في هذا الباب فقد روى الشيخ الفقيه الزاهد أبوبكر بن الحسين بن عليّ السمّان عن الحسن البصريّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لن يلقى العبد ربّه بذنب أعظم من الإشراك بالله، وأن يعمل بمعصية ثمّ يزعم أنّها من الله.

وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتّى يحمل على الله كلّ ذنب عصي به.

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعت رسول الله يقول: سيأتي قوم يعملون ويقولون: هي من عند الله، فإذا رأيتموهم فكذّبوهم فكذّبوهم فكذّبوهم ـ ثلاث مرّات ـ.

وعن أنس عن رسول ا الله صلى الله عليه وآله: إنّه كان يذكّرنا في آخر الزمان من الشدّة والظلم، قال: إذا كان ذلك نشأ نشو، يعملون بالمعاصي ثمّ يزعمون أنّها من الله، عليهم لحق اللعنة وعليهم تقوم الساعة....

وعن الحسن أنّه قرأ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم

مُسْوَدَّةٌ﴾(١)، فقال: هم المجوس واليهود والنصارى وناس من هذه الأُمّة زعموا أنّ الله قدّر عليهم المعاصي وعذّبهم عليها وكذبوا وأثموا على الله، والله تعالى يسوّد وجوههم لذلك.

روي عن أبي الشعثاء أنّ لُصّاً اجتاز بابن عبّاس، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: قدّر عليّ. فقال ابن عبّاس: كلمته أشدّ من سرقته، يحمل ذنبه على الله.

وروى الزهري عن مولانا حجّة الله على الخلق عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّ سارقاً مرّ بحلقة عبدالله بن عبّاس، فقال أحد الحاضرين: نعوذ بالله من قضاء السوء. فغضب ابن عبّاس وقال: لقولكم أعظم من سرقته، ثمّ ما زال يشنّع على قولهم حتّى تابوا منه.

وعن ابن عمر قال: القدريّة مجوس هذه الأُمّة؛ إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تصلّوا عليهم، وإن لقيتموهم فلا تسلّموا عليهم. قيل: أيّهم؟ قال: الذين يعملون بالمعاصي ثمّ يزعمون أنّها من الله، كتبها عليهم.

أمّا الآيات الواردة في ذلك لاسيّما تلك التي تصف القرشيين بالجبريّة فقد رفعوها من القرآن، وكان معاوية ويزيد ابنه لعنهما الله قد أحييا هذه السنّة الخبيثة في عهدهما وأدخلوها إلى الإسلام، فكان الجبريّة من أتباعهما، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

(١) الزمر: ٦٠.
(٢) الأنعام: ١٤٨.

أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [١] .

ألم يقل آدم وهو في الدنيا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٢] ؟

وقال موسى : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [٣] .

وقال ذوالنون : ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٤] .

وقال داود : ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ [٥] .

فتبيّن ممّا تقدّم أنّ الأنبياء جميعاً ينزّهون الله تعالى وينسبون ذنوبهم إلى أنفسهم ، ولو كان الذنب ليس من العبد فما الحاجة إلى التوبة ؟ وقال : ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [٦] .

وقال : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِكَ﴾ [٧] .

وقال : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُؤْمِنٌ﴾ [٨] أي : إنّ كفركم وإيمانكم على أنفسكم لا على الله ، وهذا من أوّل القرآن إلى آخره يلقي التبعة في المعاصي على الإنسان .

وقال إبليس : ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٩] ، ولو كان الفعل من الله لكان لعن إبليس

(١) الأعراف : ٢٨ .
(٢) الأعراف : ٢٣ .
(٣) القصص : ١٦ .
(٤) الأنبياء : ٨٧ .
(٥) ص : ٢٤ .
(٦) سبأ : ٥٠ .
(٧) النساء : ٧٩ .
(٨) التغابن : ٢ .
(٩) ص : ٨٢ .

غير سائغ حيث قال: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾(١).

وغرضهم من هذا الاعتقاد حيث ردّوا شقاوة الأشقياء إلى تقدير الله تعالى وإرادته أنّهم حين رأوا بعض الصحابة والتابعين ظلموا عترة المصطفى وغصبوهم حقّهم، وأفتوا بالظلم والطغيان، وسعوا في هلاك أهل البيت عليهم السلام فلطّخوا أيديهم بدمائهم، وحملوا الأُمّة عليهم، وجرّأوهم على الاستخفاف بحقّهم، وأصبحوا تحت طائلة ملام العقلاء، فوضعوا هذه البدع لدفع هذه الملامات، مِن أنّ العبد لا اختيار له، والفعل كلّه من الله تعالى لأنّ هذا هو قضاء إرادته ومحلّ تقديره أن يكون الأمر على هذه الكيفيّة، ليقصروا من لوم الناس لهم ولعنتهم إيّاهم، وذلك حين اتّضح للناس أنّ الصحابة هم الذين ظلموا الصدّيقة عليها السلام في فدك، وظلموا أميرالمؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين وعليّ بن الحسين عليهم السلام.

ويجيب المخالفون على هذا أنّ الله تعالى أراد هذا منهم: فأراد من آدم أن يعصيه، وكذلك موسى وذوالنون ويوسف وداود ومحمّد، ويقولون بأنّ يوسف داعب زليخا، وارتكب داود القبيح مع زوج وزيره أُوريا، والنبيّ مع امرأة زيد، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٢)، وقال في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾(٣)، إلى أن يقول بعد ذكر الأنبياء: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤)، وقال بعد ذلك: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٥)، أمر محمّداً صلى الله عليه وآله بالاقتداء بهم، فلو جازت عليهم

---

(١) ص: ٧٨.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) الأنعام: ٨٣.

(٤) الأنعام: ٨٧.

(٥) الأنعام: ٩٠.

الذنوب والمعاصي فلا يبقى فرق بينهم وبين الفسّاق والأجلاف حينئذٍ.

والأدلّة العقليّة تعضد الآيات القرآنيّة الدالّة على العصمة من قبيل «اصطفى» و«اجتبيناهم» و«هديناهم».

وسبب نفيهم للعصمة هو ما يقول به الشيعة من وجوب عصمة الإمام وأنّ المشرك لا ينال الإمامة وإن تاب، مِن ثَمّ نفوا وجوب العصمة عن الله تعالى وجوّزوا المعصية من الأنبياء من أجل تنزيه عمل الشيخين ومعاوة ويزيد وأمثالهم ليجنّبوهم لعنة اللاعنين، فجعلوا الله تعالى والأنبياء في منزلة الفسّاق ومحلّهم.

الفصل السادس

جُلّ أهل السنّة يقولون بجواز القياس في الشريعة.

الجواب عنه: ولا يجيز الشيعة القياس في الشرع كما قال عبدالله بن عبّاس: أوّل من قاس إبليس حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[١]، وقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٢] ولم يأت النبيّ بالقياس، ولو جاز لأحد من الناس لكان رسول الله أولى به.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣] فلو أنّه فارق الدنيا من دون تبليغ لكان مخطئاً، ويكون القرآن كذب علينا وحاشاهما من ذلك.

وقال رسول الله ﷺ: «أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً» أي يوجد من نفسه ما لا يوجد.

---

(١) الأعراف: ١٢، ص٧٦.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النحل: ٤٤.

والغرض من وضع القياس هو التستّر على جهل أئمّتهم لأنّهم تصدّوا للإمامة فارغي الوفاض من العلم فالتجئوا إلى القياس، والقياس يعارض الله تعالى لأنّه يقوم في مقابل حكم الله ورسوله فيحكم عليهما فكأنّه قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَاأَنْزَلَ اللَّهُ﴾(١).

وحرّم الله الخمر والنرد والشطرنج وغيرها من أنواع القمار وهؤلاء يستحلّونها ردّاً على الله وخلافاً للقرآن حيث يقول: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «كلّ مسكر حرام» ولم يفرّق بين القليل والكثير، وهؤلاء يستحلّونه إلى حدّ الإسكار ويرون ذلك تديّناً وعبادة مخالفة لقول الله تعالى القائل: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً﴾(٣)، وقال: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ الآية(٤).

وبناءاً على مذهب الشيعة أنّ من ارتكب هذه المعاصي واعتقد بأنّه مصيب بفعل هذا ومات على غير توبة فإنّه يحرم يوم القيامة من نعيم الجنّة كما قال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾(٥).

سؤال: وهذه المعاصي يفعلها كثير من الشيعة.

الجواب: نعم ولكن علماء الشيعة وصلحائهم وزهّادهم مبرّؤون من هذه التُرّهات، ولا يفعلون ذلك قطّ، ولكن أهل الدنيا منهم وملوكهم وسلاطينهم والعامّة الذين يأتون هذه الموبقات يعدّون أنفسهم عصاة مخطئين، وكلّما ذكروا استغفروا منها واستقالوا من جريرتها، وهم دائبون في تطلّب التوبة يوماً بعد يوم.

---

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) الأعراف: ٥١.

(٤) محمّد ﷺ: ٣٦.

(٥) الأحقاف: ٢٠.

ولكن المخالف يخرج من هذه الدنيا عن غير توبة لأنّهم يرونها من الطاعات وهي معاصي، ثمّ إنّهم لا يرون لأنفسهم اختياراً في الفعل أو الترك، وإنّما فعلوا ذلك بإرادة من الله تعالى، وبعضهم يرى وطئ المملوك فعلاً مباحاً كما يقول مالك.

حكاية: في سنة اثنين وسبعين وستّمائة (٦٧٢) لمّا سافرت ـ أنا الداعي إلى المؤمنين ومصنّف هذاالكتاب الحسن بن عليّ بن الطبريّ ـ من قم إلى اصفهان بقيت هناك سبعة أشهر بأمر من سيّد العالم بهاء الحقّ والدين صاحب الديوان محمّد، فنال توفيق الهداية جماعة بسبب مثولي في تلك الخُطّة وأفادوا من العلوم الدينيّة من أهل اصفهان وشيراز وأبرقوه ويزد ونواحي أذربيجان من السادات والصدور والأكابر، الذين كانوا في ذلك الجزء من العالم ملتجئين إلى غوث العالم، فنالوا النفع كما كان عليه الحال بين العرب والعجم ممّا لا يكاد يخفى، ويعترفون اليوم به وسوف يظلّون كذلك مذعنين إلى يوم القيامة.

وخلاصة القول: أنّ بعض السادة حضروا من شيراز وحكوا لنا، قالوا: كنّا في شيراز ومتى ما خرجنا من بيوتنا لطلب التطهّر والاستنجاء ورآنا أهل السنّة ومعنا المطهّرة، رفعوا عقائرهم بشتمنا.

فيا للعجب! إنّ من لم يتطهّر من الحدث ولم يجر عليه الماء ليزيل أخباثه يعتبر سنّيّاً صحيح العقيدة، ومن فعل ذلك نزولاً عند قول الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾[1] يعتبر رافضيّاً.

فائدة: وكلّما نعتوا هؤلاء بالرافضة فإنّ الشيعة يطلقون عليهم رافضة أيضاً، ويضيفون إلى ذلك ألقاباً أُخرى زيادة على ما تقدّم: الأوّل: خارجي، والثاني: ناصبي، والثالث: يزيدي، والرابع: جبري، والخامس: مشبّهة، والسادس:

---

(١) الأنفال: ١١.

منافق، والسابع: مرواني، والثامن: قدري، والتاسع: عدوّ أهل البيت أو ظالم آل محمّد، والعاشر: حطب جهنّم، وأمثال ذلك.

بيّنة: لو اجتمع أهل العالم وأرادوا إثبات ذنب واحد أو خطيئة واحدة للشيعة لما استطاعوا إلّا بقولهم أنّهم لا يؤمنون بخلافة أبي بكر، وينكرون خلافته.

والجواب عنه: يقول القوم ـ وهو من الموارد التي اتفقوا عليها ـ أنّ إمامة أبي بكر تمّت باختيار جماعة من الصحابة والاختيار باطل، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1] ثمّ إنّ موسى مع ما هو عليه من رتبة النبوّة اختار من قومه سبعين كما قال سبحانه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[2] وختام أمرهم كان الهلاك بالصاعقة، لقولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[3] ولم يكن اختيارهم موفّقاً وقد حكى الله تعالى هذا المعنى في قصّته.

فكيف يصحّ اختيار خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي سفيان بن حرب الذين ما منهم أحد إلّا وقد حارب رسول الله أربعاً وثمانين حرباً، وقتل آلافاً من المسلمين، ويكون اختيارهم صواباً ؟! ونذكر جانباً من هذا الباب.

نكتة: في كتاب «الزينة» من كتب المخالفين: إنّ من الأسماء اسم الشيعة وحده كان مشهوراً في عهد النبوّة ولم يكن لقب إلّا وجاء في مدحه أو ثلبه حديث إلّا اسم الشيعة فلم يرد حديث واحد ينقصهم.

ثمّ قال: كان هذا الاسم معروفاً زمن رسول الله ﷺ وكان مشتهراً بين الصحابة، وقد دعي به جماعة، منهم: سلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، وعمّار بن ياسر،

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) النساء: ١٥٣.

والمقداد بن الأسود الكندي وغيرهم، وكان هؤلاء لا يكادون ينحازون عن أميرالمؤمنين أو يفارقونه، فسمّوا يومئذٍ شيعة عليّ عليه السلام، ولمّا اشتعلت الحرب بين معاوية والمولى أميرالمؤمنين عليه السلام عُرِف أولياء عليّ ومحبّوه باسم الشيعة، وجيش معاوية وتابعوه باسم أهل السنّة، ولمّا حصلت منازلة بين شخصين من العسكرين، فقال أحدهما: أنت سنّيّ، فقال الآخر: وأنا سنّيّ، وكان المقصود بهذا اللقب شيعة عليّ وليس أمراً آخر، «إنّ في ذلك لعبرة لأُولي الألباب».

نكتة: جاء في تفاسير أهل البيت عليهم السلام: ولمّا اطلع الله تعالى إبراهيم الخليل على علوّ رتبة عليّ وفضله، دعا إبراهيم، فقال: اللهمّ اجعلني من شيعة عليّ، فاستجاب الله دعائه، بقوله: «وجعلناكم من شيعته»، فحكى رسول الله هذه الحكاية: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾(١)(٢).

وكذلك حكى عن موسى، فقال: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾(٣) فكان أتباع الأنبياء والأوصياء والأولياء يُدعون بالشيعة، واليوم بقي هذا اللقب ملازماً لشيعته.

حكاية: قال عليّ بن نصر أبوالحسن الحنفيّ في بعض تصانيفه: حضر مجلس الإمام جعفر الصادق أحد موالي أهل البيت وقال: يابن رسول الله، عرضت لي حاجة مهمّة إلى السلطان وليس لي وسيلة توصلني إليه، وجئتك الآن لتكون لي شافعاً عنده لقضاء حاجتي.

فقال له الإمام الصادق عليه السلام: قم الساعة والتحق بالسلطان وانتظر الفرصة حتّى يعرض لك رجل من صفته كذا وكذا فإنّه من خواصّ حجّابه، وجُدّ في الأمر حتّى

---

(١) الصافّات: ٨٣.

(٢) راجع التبيان للطوسيّ ٨: ٥٠٨.

(٣) القصص: ١٥.

تكلّمه على انفراد، فقل له: أرسلني الإمام جعفر إليك وبعث معي علامة لتقضي حاجتي عند السلطان، ففعل ما أمره الإمام وقضي حاجته، فعاد الولي إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: يابن رسول الله، إنّ الرجل سمع اسمك كاد يغمي عليه من النشاط والفرح، فذهب إلى ذلك الجبّار حالاً وقضى حاجتي، فما يصنع وليّكم مع هذا الحبّ في دار عدوّكم ؟!

فقال الإمام عليه السلام: إنّ الله تعالى قضى لنا من الكرامة بأن جعل عند عدوّنا واحداً من موالينا أو أكثر مقرّباً إليه ومن خواصّه وأركان ملكه ليقضي حاجات ذوي الحاجات من موالينا.

مِن ثَمّ لم يخل وجه خليفة بدءاً من الخلافة العبّاسيّة حتّى انقراض دولتهم من وجود وزير أو وكيل خراج أو حاجب خاصّ أو مدبّر لأمر ذلك الملك شيعيّ، وكذلك الحال في سلاطين خوارزم الذين أكثر وزرائهم من قم أو كاشان، وأُمراء خراسان كانوا شيعة بأجمعهم، ولا تخلو بقعة من بلاد الإسلام من وجود مؤمن محترم ومكرّم؛ إمّا ظاهر الاعتقاد بالتشيّع أو عاملاً بالتقيّة، كعمّ رسول الله صلى الله عليه وآله أبي طالب عليه السلام يخفي إيمانهم ليلتئم مع صناديد قريش وأكابرهم بظاهره، ويوافقهم، وبهذا يستطيع أن يمدّ رسول الله وأصحابه بالمعونة، وينصره بماله وبيده وروحه وكذلك بجاهه، وكان جانب النبيّ وأتباعه قويّاً ما دام عمّه على قيد الحياة، فلمّا وافته منيّته هبط الأمين جبرئيل عليه السلام على رسول الله، وأمره بالهجرة: «فقد مات ناصرك»، واتفق العلماء على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾ (١) في بيت أبي طالب، وقال الله تعالى في حقّ مواليه: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ (٢).

---

(١) الضحى: ٦.

(٢) الأنفال: ٧٢ و ٧٤.

يقول مصنّف هذا الكتاب: وقد استدللت يوماً على إسلام أبي طالب وإيمانه في مدينة اصفهان بحضور المولى الأعظم بهاء الدين صاحب الديوان محمّد بهذه الآية.

نكتة: اتفق العلماء على أنّ يوم الحساب في عرصة التغابن والندامة، تبدأ المُسائلة فتأتي كلّ فرقة بعذرها.. فيقول بعضهم: حاد بي عن العبادة ضعف الهرم وتناهي الشيخوخة.

ويقول البعض الآخر: كنّا أقناناً في طاعة العباد فلم يتيسّر لنا أداء المقامين: العبوديّة والعبادة، فصعب علينا القيام بطاعتك.

ويجيب الآخرون بأنّ أنفسنا كانت عليلة.

ويعتذر بعضهم بما أُوتي من المال والملك عن القيام بواجب الطاعة.

ويقول بعضهم: حال بيننا وبين العبادة الفقر والفاقة: «كاد الفقر أن يكون كفراً».

ويقول قوم غيرهم: شغلنا الملك والسلطان عن عبادتك.

﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1] فيقول الله للشيوخ: كان عبدي نوح النبي أكبر منكم سنّاً وكان يومئذٍ قد بلغ تسعمائة وخمسين عاماً وهي مدّة أداء الوحي ومع ما هو عليه من الضعف والشيخوخة لم يزل يزيد في العبادة كلّ يوم.

ويقول للأقنان والمماليك: كلّا، فإنّ يوسف كان مملوكاً وأسيراً عند عزيز مصر منذ الطفولة وحتّى الكهولة فلم تحل عبوديّته لعزيز مصر عن عبادتنا وطاعتنا.

ويقول للمرضى: كلّا، فإنّ أيّوب النبيّ عاش في السقم زماناً فلم يزدد إلّا إقبالاً على عبادتنا يزيد فيها كلّ يوم.

ويخاطب ذوي الثروات فيقول: كلّا، إنّ إبراهيم في أيّامه الأُولى منعّماً حائزاً على نعم عظيمة، فنال في الآخر لانقياده لأمرنا درجة الخلّة ببذله ذلك المال وإنفاقه في

---

(١) الأنعام: ١٤٩.

طريق عبادتنا، فلم يكن عند أحد من البشر ما عنده من المال، ولم يصل بشر إلى ما وصل إليه من العبادة.

ويقول للفقراء: كلّا، فإنّ محمّداً الخاتم ﷺ وموسى وعيسى ويحيى وهارون وزكريّا وأمثالهم كانوا فقراء ومقلّين مع درجتهم في النبوّة والعصمة والرسالة.

ويخاطب الملوك والسلاطين: كلّا، فإنّ في الطبقة الأُولى كان كيومرث أوّل ملك في الأرض مع ما حازه من الملك والدولة والقيادة فقد كان منقاداً لأمرنا ولم تفته عبادة من الواجبات بالعدل والسياسة مدّة ثلاثين عاماً، وهي أيّام ملكه، وثبتت الشريعة بسيفه وقويت، وكان في زمن نبوّة شيث.

وفي الطبقة الثانية كان أفريدون، حكم العالم مدّة خمسمائة عام بالعدل والقسط وتعاهد الرعيّة، وقام بكلّ ما وجب عليه.

وفي الطبقة الثالثة يوسف بن يعقوب، سلطان مصر.

وفي الطبقة الرابعة الاسكندر الرومي، ويقال: إنّه متقدّم على يوسف، فملك الربع المسكون، ورأى عجائب العالم، وقهر غالب الملوك مع الاقتدار والانتصار والحكم، وكان النور قائد عسكره، والسائق الظلمة، والملائكة المقرّبون أعوانه، ونزلت فيه آيات من سورة الكهف.

وفي الطبقة الخامسة طالوت وداود النبي مع الشوكة والقوّة ومرتبة الرسالة والصولة، وكان يحيط بخيمته في كلّ آن أربعون ألفاً من رجال الحرب على أُهبة الاستعداد لتلقّي أوامره، وأتباعه وحشمه يتلقّون أرزاقهم منه.

وفي الطبقة السادسة سليمان بن داود الذي كان معسكره مأة فرسخ، خمس وعشرون فرسخاً للناس، وخمس وعشرون فرسخاً للجنّ، وخمس وعشرون فرسخاً للوحوش والسباع، وخمس وعشرون فرسخاً للطيور والهوام وأمثالهم، وسخّرت له الريح فكانت تنقلهم بأقصر وقت صباحاً من الكوفة ويهبطون

خراسان في الليل: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾(١)، ولم تثبت عمره كلّه في ديوانه جريمة واحدة؛ لا صغيرة ولا كبيرة، فقبضه الله إليه مطهّراً معصوماً، وهذا الملك العظيم لم يمنعه من عبادة الله جلّ جلاله، ورفع الله عنه الحساب في ماله وملكه ومعيشته: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢).

ويقيم الحقّ تعالى إثبات النيّة وإلزام الحجّة على هؤلاء الطوائف أصحاب الذرائع والعلل، فيسكت الجميع ويطأطأون رؤوسهم هواناً وافتضاحاً: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(٣) حتّى يصل النداء: خذوا هؤلاء المجرمين إلى جهنّم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾(٤).

والغرض أنّ في كلّ دورة من دورات الزمن شخصاً ذا رئاسة ودولة وسلطان، يمدّه الحقّ ويعينه، وفي زماننا طلع بهاء الدنيا والدين محمّد صاحب الديوان رفع الله رايات الإسلام والمسلمين ببقاء دولته، فطاب باطناً وظاهراً.

---

(١) سبأ: ١٢.

(٢) ص: ٣٩.

(٣) إبراهيم: ٤٣.

(٤) الحاقّة: ٣٠ـ٣٢.

الباب الرابع

في أنّ الشيعة ناجية

اعلم أنّه لا خلاف بين أهل القبلة بأنّ رسول الله ﷺ قال: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح؛ من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق»[1]، ولا ريب أنّ من كان

---

(1) راجع لتخريج الحديث الكتب التالية:

المستدرك ٢: ٣٤٣ تحقيق المرعشلي، ط بيروت، دار المعرفة ١٤٠٦، والجزء الثالث منه ص١٥١.

ومجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٦٨ خرّجه في أربع طرق عن أبي ذر وعن ابن عبّاس وعن عبدالله ابن الزبير وعن أبي سعيد الخدري.. والسياق متقارب تقريباً.

وأخرجه الطبرانيّ في المعجم الصغير ١: ١٣٩ ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت في مجلّدين بدون تاريخ، وكذلك أخرجه في الجزء الثاني منه ص٢٢، وأخرجه في المعجم الأوسط بثلاث طرق: الأوّل عن أبي ذر (٤: ١٠)، والثاني عنه أيضاً (٥: ٣٥٥)، والثالث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٦: ٨٥)، وأخرجه الطبراني أيضاً في المعجم الكبير عن أبي ذر بطريقين، والثالث عن ابن عبّاس (٣: ٤٥)، وفي الجزء الثاني عشر عن ابن عبّاس أيضاً (ص٢٧).

وذكره ابن سلامة في مسند الشهاب عن المقدام بن معدي كرب (٢: ٢٧٣) ومثله عن ابن عبّاس وعن أبي ذر.

وجاء ذكر الحديث في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٨.

خارج السفينة كان هالكاً بشهادة النبيّ ونصّ القرآن الكريم: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾(١) ومن كان معه في السفينة كتبت له النجاة.

وبناءاً على هذا فإنّ مصنّف الكتاب يحمد الله حقّ حمده حيث وفّقه في عنفوان الشباب وأيّام الجدّة والحداثة إلى التمسّك بأهل هذا البيت والتمذهب بمذهبهم، وسدّده لبلوغ هذه العقيدة المرضيّة، وللاعتصام بالعروة الوثق، قال تالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٢)، وجاء في الحديث القدسيّ: «خلقت عبادي كلّهم حنفاء».

والإنسان نزولاً على حكم الفطرة يكون مؤمناً حتّى الخامسة عشرة وبعدها

⬅ وذكره ابن الآبار في درر السمط في خبر السبط بعبارة فخمة حيث يقول: ما غدر الأمويّة وأبنائها في قتل العلويّة وأفنائها «أهم يقسمون رحمة ربّك» دليل في غاية الوضوح على أنّهم كسفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلّف عنها غرق، ثمّ يحبسهم آل الطليق ويطردهم آل الطريد، وما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد... الخ (ص١١٦).

وذكره الزرندي الحنفي في كتاب نظم درر السمطين (ص٢٣٥).

وذكره السيوطي في الجامع الصغير ١: ٣٧٣ برقم ٢٤٤٢، وفي الجزء الثاني ص٥٣٣ ورقمه ٨١٦٢.

وجاء في كنز العمّال بالأرقام التالية: ٣٤١٦٩، ٣٤١٧٠، ٣٤١٥١، ٣٤١٧٠.

وسمّاهم المناوي في فيض القدير (٢: ٦٥٨) فقال: (أهل بيتي) فاطمة وعليّ وابنيهما وبنيهما أهل العدل والديانة.. الخ، أي العصمة. وقال في الجزء الخامس بعد ذكره الحديث معلّقاً على قوله (سفينة نوح): ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة جدّهم وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في معادن الطغيان.

هذا تخريج الحديث في كتب أهل السنّة والجماعة، وأمّا الشيعة فالحديث متواتر عندهم ولا تحصى الكتب التي أخرجته منهم، وسياقه لا يختلف كثيراً عن سياق العامّة. (المترجم)

(١) نوح: ٢٥.

(٢) الروم: ٣٠.

يسمّى مؤمناً بتصديقه بالتوحيد والعدل والنبوّة والإمامة، كأميرالمؤمنين عليه السلام الذي صدّق رسول الله وهو ابن الثالثة عشرة أو العاشرة، والمسألة اتفاقيّة على إيمانه قبل البلوغ، ومذهب الشيعة على هذا بانّ عليّاً عليه السلام صدّق برسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الفترة من عمره وإلّا فلم يكن بحاجة إلى أن يؤمن؛ لأنّ الإيمان لا يكون إلّا عن شرك، وعليّ عليه السلام لم يشرك بالله طرفة عين، وكان غيره محتاجاً إلى الإيمان. واتفق محقّقو الشيعة على أنّ عليّاً لا ينبغي أن يقال عنه بأنّه آمن لأنّه كان ممّن يجب الإيمان به وبولايته وإمامته على العالمين وهو جزء من أجزاء الإيمان.

روى بابويه القمّي في كتاب العيون المحاسن عن الثقاة عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى أنّه قال: «ولاية عليّ بن أبي طالب حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»(١).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:

ومن سرّنا نال منّا السرور ... ومن ساءنا ساء ميلاده

وما فاز من فاز إلّا بنا ... وما خاب من حبّنا زاده(٢)

وقال الحارث الهمدانيّ يوماً لأميرالمؤمنين عليه السلام: يا علي، إنّي أُحبّك، وأخاف

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٦.

(٢) في البحار نسبها إلى الإمام الباقر عليه السلام مرّة وإلى زين العابدين عليه السلام أُخرى، في روايتين الأُولى عن عبدالله بن المبارك وفيها أربعة أبيات منسوبة للإمام السجّاد عليه السلام:

لنحن على الحوض روّاده ... نذود ونسقي ورّاده

وما فاز من فاز إلّا بنا ... وما خاب من حبّنا زاده

ومن سرّنا نال منّا السرور ... ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان غاصبنا حقّنا ... فيوم القيامة ميعاده

والثانية عن بعضهم والأبيات منسوبة لمحمّد بن عليّ بن الحسين (الباقر) عليهما السلام (٤٦: ٩١). (المترجم)

حالتين من حالاتي: النزع، وحالة المرور على الصراط. فقال عليه السلام: لا تخف يا حارث، فما من أحد من أوليائي وأعدائي إلّا وهو يراني في هاتين الحالتين وأراه ويعرفني وأعرفه.

يا حار همدان من يمت يرني *من مؤمن أو منافق قبلا*
يعرفني طرفه وأعرفه *بنعته واسمه وما فعلا*
وأنت عند الصراط معترضي *فلا تخف عثرة ولا زللا*
أقول للنار حين تعرض للعرض *ذريه لا تقربي الرجلا*
ذريه لا تقربيه إنّ له *حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا*
أسقيك من بارد على ظمأ *تخاله في الحلاوة العسلا*
هذا لنا خالص لشيعتنا *أعطاني الله فيهم الأملا*(١)

أبو الصلت الهروي قال: كان الإمام ذات يوم في مجلس المأمون، وجرى نقاش بينه وبين بعض المنافقين حتّى سألوه: يابن رسول الله، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ، أنت قسيم الجنّة والنار، فكيف يكون ذلك؟

فقال الإمام عليه السلام: الآنّ محبّته موجبة لدخول الجنّة، وعداوته موجبة لدخول النار، وبهذا ينقسم أهل النار وأهل الجنّة بمحبّته وعداوته، ثمّ شرع في بيان المسألة بياناً شافياً، وذكر تقريراً لطيفاً نال إعجاب الحاضرين من أولياء وأعداء فأطروه كثيراً، وسرّ المأمون من بيانه.

قال أبو الصلت: فلمّا خلوت بالإمام بعد قيامه من المجلس، قلت له: يا مولاي،

---

(١) وردت الرواية في البحار أكثر تفصيلاً وذكر أنّ الشعر للسيّد الحميري، وأوّله:

قول عليّ لحارث عجب   كم ثمّ أُعجوبة له حملا

ج٣٩: ٢٤١. (المترجم)

إنّ لك اليوم اليد البيضاء على مواليك بتقريرك اللطيف، فلقد أحييت قلوباً ميتة.

فقال الإمام: يا أبا الصلت، إنّ الذي سمعته طابق مذهب القوم الذي نطقت به كتبهم وإلّا فذهبنا أهل البيت على أنّ الإمام أميرالمؤمنين يقف على شفير جهنّم يوم القيامة ويقول: يا نار خذي هذا فإنّه من أعدائي وذري ذاك فإنّه من أحبّائي ...(١).

يقول عبدالله الدامغاني في كتاب «سوق العروس» في مدح فاطمة والحسن والحسين وأهل بيت رسول الله والثناء عليهم وهو من العلماء وأصحاب الحديث ومن أهل السنّة والجماعة:

تطاول ليلي ولم أرقد ... فكنت كذي اللدغ والأرمد
بذكر النبيّ وذكر الوصي ... وذكر هوى المصطفى أحمد
حسان الوجوه عظام الحلو ... م كرام المغارس والمحتد
ومن دنس الرجس قد طهروا ... ففاز الذي بهم يقتدي

---

(١) عثرت على هذا الحديث في عيون أخبار الرضا عليه السلام على النحو التالي:
عن أبي الصلت الهروي قال: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام: يا أبا الحسن، أخبرني عن جدّك أميرالمؤمنين بأيّ وجه هو قسيم الجنّة والنار؟ وبأيّ معنى فقد كثر فكري في ذلك؟
فقال له الرضا عليه السلام: يا أميرالمؤمنين، ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبدالله بن عبّاس أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى. فقال الرضا عليه السلام: فقسمة الجنّة والنار إذا كانت على حبّه وبغضه فهو قسيم الجنّة والنار.
فقال المأمون: لا أبقاني بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنّك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله.
قال أبوالصلت الهروي: فلمّا انصرف الرضا عليه السلام إلى منزلته أتيته فقلت له: يابن رسول الله، ما أحسن ما أجبت به أميرالمؤمنين! فقال الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت، إنّما كلّمته حيث هو، ولقد سمعت أبي يحدّث عن آبائه عن عليّ عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، أنت قسيم الجنّة يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي، وهذا لك. (عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩١ ط الأعلمي، الأولى ١٤٠٤)

عليّ أبوالحسن والحسين رشيدين للراشد المرشد[1]

أورد إبراهيم الثعلبي والزمخشري والنهرواني وأضرابهم وهم من علماء السنّة في آية القرابة يعني قوله تعالى: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[2] رواية عن جرير بن عبدالله عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

من مات على حبّ آل محمّدٍ مات شهيداً.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له من قبره باب إلى الجنّة.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.

ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة[3].

---

(١) الأبيات تحتوي على أخطاء صحّحتها بناءاً على ذوقي: اللاغ = اللدغ، وذكر هو = وذكر هوى. (المترجم)

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٦: ٢٣ عن الزمخشري وفيه زيادة على ما ذكر المؤلّف: ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، وذكر القرطبي قبل ذلك قول الثعالبي: وليس بالقوي، إنّما يعني قول من قال عن الآية: «قُل لا أسألكم» الآية، وقال قوم: الآية منسوخة وإنّما نزلت بمكّة، فقال القرطبي: وليس بالقوي.. وكفى قبحاً بقول من يقول: إنّ التقرّب إلى الله بطاعته ومودّة نبيّه ﷺ ←

نكتة: قال النهرواني: سألوا من النبيّ: يا رسول الله، من قرابتك؟ قال ﷺ: عليّ وفاطمة وابناهما.

ويقول أميرالمؤمنين: ذهبت إلى رسول الله ﷺ وشكوت إليه حسد الصحابة لي، والعبارة كما يلي: شكوت ألى رسول الله ﷺ حسد الناس لي، فقال: أما ترضى (يا علي ـ المؤلّف) أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت الحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرّيّتنا خلف أزواجنا (وشيعتنا ورائنا ـ المؤلّف) وشيعتنا من خلف ذرّيّتنا(١).

واتفق المفسّرون من كافّة الطوائف على وجوب محبّة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بآية القرابة.

يقول مصنّف هذا الكتاب: الدليل على وجوب محبّة أهل البيت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(٢) ومعنى الآيه هكذا: ندعو كلّ فريق يوم القيامة مع إمامه ونحشره معه، فنحشر اليزيديّ مع يزيد ونسوقه إلى جهنّم، ومحبّي معاوية معه، وأصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعيّ وحنبل نحشرهم كلّ فريق تحت لواء إمامه، ويكون الشيعة مع أميرالمؤمنين وأولاده وأبي ذر وسلمان وعمّار والمقداد بإجماع هذه الطائفة من أهل الجنّة، فيكون حشر الشيعة معهم.

ومنه الجواب عنه لعليّ عليه السلام عن النبيّ ﷺ: يا عليّ، لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق(٣).

وأهل بيته منسوخ، وقد قال النبيّ ﷺ: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، إلى آخر الحديث.

(١) ابن البطريق، العمدة، ص ٥٠ ونسبها محقّق الكتاب إلى تفسير الكشّاف للزمخشري ٣: ٨١.

(٢) الإسراء: ٧١.

(٣) هذا الحديث صحيح وقد اخرجه مسلم في جامعه، والعثور عليه سهل لمن أراده. (المترجم)

وروى المحدّث الدربنديّ عن الرسول ﷺ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين عليهم السلام في حظيرة القدس في قبّة بيضاء، سقفها عرش الرحمان(١) بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٢) يعني عليّاً وأولاده. وقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، شيعتك هم الفائزون.

ويقول المخالفون: ونحن أيضاً نحبّ النبيّ وأهل بيته.

الجواب: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(٣).

حكاية: حضرت يوماً مع نجل مخدومي بمنتزه قرية بطرية في قرية واقعة بين قم وكاشان في العاشر من محرّم الحرام سنة ثلاث وسبعين وستّمائة (٦٧٣) وكنت أتلو جانباً من مقتل عترة رسول الله ﷺ وكان أحد العلماء حاضراً ساعتئذٍ وراح يصدّقني على ما أقول ويعينني خوفاً من بطشه وطمعاً في ماله «يقصد صاحب الديوان»، ولمّا خلا إلى شياطينه من النواصب بلغني عنه ذمّه للإمام الحسين معهم ومدحه ليزيد، مع أنّه يقال عنه أنّه أكثر انصافاً من غيره من علمائهم، فإذا كانت هذه حال المنصف فما ظنّك بغير المنصف منهم!

كنت في اصفهان سنة اثنتين وسبعين، ولمّا رجعت يوماً من ديوان الدولة جائني علويّ مستعرب وقال لي: أي فلان، كنت اليوم عند أحد العلماء فدعوت الله له بما قدرت عليه من الدعاء، وقلت له في آخره: حشرك الله مع أبي بكر وعمر وعثمان، فأجابني: أُقسم بالله لو أدخل هؤلاء إلى الدرك الأسفل من النار لكان أحبّ إليّ أن

---

(١) كتاب الأربعين، لمحمّد بن طاهر القمّي الشيرازي، ص٤٧٣، وفيه: أنا وفاطمة، مكان قوله: «سقفها عرش الرحمان» قوله: «وهي قبّة المجد»، راجع: إحقاق الحقّ ٩: ٢٢٠ عنه.

(٢) الطور: ٢١.

(٣) الفتح: ١١.

أكون معهم من أن أكون مع عليّ وأهل بيته في جنّة الخلد مع النعيم والحور والقصور.

وقال أحمد بن حنبل: قلت يوماً لمؤمن وأنا أُحاوره: لا يكون الرجل مؤمناً حتّى يبغض عليّاً قليلاً[١]. فقال المؤمن: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يحبّ عليّاً كثيراً، لا تعرف حقيقة المرء أو اعتقاده إلّا في حال الغضب، ونادراً ما يمكن معرفة ذلك في حال الصفاء والسلم.

وغرضنا من ذكر هذه الحكايات هو إعلام المؤمنين بأنّهم كما يبغضون الصحابة الذين ظلموا أهل البيت فإنّ مخالفي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين يبغضونهم كذلك ولكنّهم يحجمون عن كشف ذلك لعلوّ درجة أهل البيت وسموّ مقامهم، ولمّا لم تكن هذه المنزلة للصحابة فإنّ الشيعة يجأرون ببغضهم ما لم تكن هناك تقيّة يتّقونها.

بيّنة: قال السيّد المرتضى علم الهدى ﷺ: سأل سائل السيّد الحميري ـ ولم يكن هاشميّاً وإنّما كان السيّد لقبه وكان رجلاً فاضلاً شاعراً مشهوراً بين علماء أهل القبلة ـ: كيف أحببت عليّاً وأهل البيت مع أنّ أبويك يلعنانه ويواليان بني أُميّة[٢] وأنت تواليهم وتحبّهم وتمدحهم بصدق؟

قال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فلقد غاصت عليّ الرحمة غوصاً، وأخرجتني من بحر الجهل والضلالة والعداوة لآل الرسول ﷺ ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٣].

---

(١) لعن الله أحمد بن حنبل فأين هو من قول النبيّ لعليّ: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق، وأنا المترجم أُقسم بالله بأنّ دينهم النفاق وهم أعظم كفراً من إمامهم ابن آكلة الأكباد لعنه الله.

(٢) كانا على دين الأباضية ولم يكونا شيعةً لبني أُميّة. (المترجم)

(٣) النساء: ٨٣.

قال السيّد المرتضى: صدق الحميري؛ لأنّ أبويه كانا من أتباع بني أُميّة ومن النواصب ظاهري النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام، وجرت العادة على أنّ المرء تابع لمحيطه والبيئة التي عاش فيها وينشأ على أخلاقها وعاداتها أو على ما درج عليه أبواه وأقربائه وأقرانه، أو على توجيه الأُدباء والعلماء له، وهؤلاء جميعاً كانوا نواصب، وعاش الحميري بين ظهرانيهم فخرج من بينهم مؤمناً طاهر الاعتقاد، فلا يكون ذلك إلّا بفضل من الله وبتوفيق ربّانيّ خاص.

فائدة: اعلم بأنّ ملوك بني أُميّة كانوا جميعاً يعرفون فضل عليّ وفاطمة وأولادهما، وعلوّ مرتبتهم، وحصل لهم العلم بذلك، وأمّا غيرهم فهم كما قال الله حكاية عن موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[(١)]، وهؤلاء يقيناً عرفوا رسالة موسى ولكنّهم أنكروها، وكذلك فعلوا مع محمّد والقرآن كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[(٢)].

ومثله حال بني إسرائيل مع هارون عليه السلام وهو نبيّ ووصيّ موسى، وعرف أولئك الناس مقامه ورفيع منزلته عند الله وقربه من موسى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[(٣)] وكان ابن عمّ لبني إسرائيل ولكنّهم تركوه وحده ومالوا إلى عبادة العجل، وكذلك إخوة يوسف عرفوه بعلمه وورعه ونبوّته أكثر من غيرهم ومع ذلك أرادوا قتله كما ظهر ذلك للعلماء والعقلاء، كما ذكر في كتاب الله: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾[(٤)] وإنّما قالوا ذلك لأنّهم أبناء علات،

---

(١) الصف: ٥.

(٢) البقرة: ٨٩.

(٣) الأعراف: ١٥٠.

(٤) يوسف: ٨.

وأرادوا بأخيه شقيقه بنيامين.

وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (١).

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقيّة بعد ذكره القوم وما جنوه عليه وشكايته منهم وجرأتهم عليه: بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حليت الدنيا بأعينهم وراقهم زبرجها، ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (٢) كما قتل عمر بن سعد عليه اللعنة الإمام الحسين طمعاً بملك الري وقزوين والديلم، فدخلت روحه الخبيثة النار قبل أن يرى هذا الملك بعينيه، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٣).

سؤال: إذا كان القوم لا يجهلون مقام أميرالمؤمنين عليه السلام فكيف إذا شتموه ولعنوه وهم يعرفونه؟

الجواب: كان إبليس يعرف نبوّة آدم، ومثله بنو إسرائيل يعرفون مرتبة موسى وعزّته، وعرف أولاد يعقوب أخاهم يوسف، ويقول الله أيضاً: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٤) وكان إيمانهم تقليداً فخذلهم الله تعالى، وعندنا وفي مذهبنا هم كفّار بالله ورسوله وبمخالفتهم إمام زمانهم، وصدق في حقّهم كلام الله حكاية عن إبليس لعنه الله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦).

---

(١) النحل: ٨٣.

(٢) لقمان: ٣٣.

(٣)

(٤) الأنعام: ٩١.

(٥) ص: ٨٢.

(٦) النساء: ٢٠.

ومع هذا فلا يخفى على أهل العقل مقام أميرالمؤمنين وقرابته وأهل بيته من رسول الله ﷺ، وكان بنو أُميّة على فرق شديد خشية أن يعرف العامّة فضلهم وعلوّ مرتبتهم وعزّتهم على صعيد الترفّع والقرابة من النبيّ ﷺ فيخرجون عليهم.

وذكرت كتب التاريخ والسير أنّهم كانوا يحرّضون الناس عليهم ويلعنونهم ولكنّهم لا يذكرونهم بأسمائهم، فيسمّون أميرالمؤمنين أبا تراب، والحسن والحسين أولاد أبي تراب، فخرجوا على أهل البيت عليهم السلام وأرادوا محو شريعة الإسلام، ويرفعونها من بين الأُمّة، واشتروا ذمم العلماء وأصحاب المعرفة بالجاه والمال وكثرة العطايا فعرّوهم عن دينهم.

وجرت حالهم مع عليّ وأولاده على نسق حال بلعم بن باعورا مع موسى وهارون، أو كبرصيصا الراهب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (١).

سلّمنا بأنّ العامّة كانت تعلم بفضلهم وتعرف حالهم فكان شأن العامّة كشأن إخوة يوسف عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً﴾ (٢) لاسيّما اليهود فقد عرفوا موسى وعيسى، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

سؤال: بناء على هذا فإنّ العامّة لا تستحقّ اللوم والتعنيف؟!

---

(١) إبراهيم: ٢٨ و٢٩.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) البقرة: ٧٥.

(٤) البقرة: ١٤٦.

الجواب: قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ (١) إلى أن قال تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَعَهُ جَمِيعاً﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٣) ويشمل الآل هنا الأقارب والأباعد لأنّ الله أهلكهم جميعاً معه وأدخلهم إلى جهنّم. وقال تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٤)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ (٥) وهذا محض كذب منهم، وفي القرآن أمثال هذه الآيات واردة في مواضع لا تُعدّ وهي افتراء الواحد واتّباع الآخرين له، وإعانته على ظلمه.

وفي القيامة يتبرّأ التابع من المتبوع كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (٧).

وأوضح من هذه الآيات الآيتان التاليتان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (٨).

الجواب الآخر: النظر واجب على المكلّف في مثل هذه القضايا والتقليد غير جائز، والمقلّد وإن كان على الحقّ هالك لأنّ التقليد باطل، فكان الواجب على العامّة أن يتحرّوا في أمر الشيعة وأهل البيت حين شوّه العدوّ صورتهم الحقّ

---

(١) الزخرف: ٥٤.
(٢) الإسراء: ١٠٣.
(٣) المؤمن: ٤٦.
(٤) الأنعام: ٧١.
(٥) الفرقان: ٤.
(٦) الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨.
(٧) البقرة: ١٦٦.
(٨) إبراهيم: ٢٨ و ٢٩.

والدقّة، بل هذا هو واجب العلماء قبل أن يجب على العامّة.

الجواب الآخر: على المكلّف أن لا يلقي بالاً لما يقوله والداه ولا لما يقوله أهل الباطل.

لمّا وصل الملك السعيد محمود بن سبكتكين إلى العراق وكانت رايته قد بلغت الري، جاءه جماعة من النواصب وشكوا إليه الشيعة بأنّهم يسبّون الصحابة، فلم يقنع السلطان بأقوالهم وحكّم عقله، وشرع بالبحث والتحرّي والفحص، واجتهد في هذا الأمر بعد الجدّ والمثابرة، فعلم بتوفيق من الله أنّ الحقّ مع الشيعة، والمرجئة والقدريّة على الباطل، فاستبصر ونبذ ما كان يعتقد من العقيدة الباطلة، ولكنّه أخفى مذهبه صيانةً لملكه لما رأى الضلال قد استحوذ على العالمين، فكان يمدّ الشيعة والأشراف بالمعونة مادام على قيد الحياة بجدّ واجتهاد بالحدّ المقدور له.

وهذه القصّة ذكرها أبوالفضل الكرماني في تاريخه، وكان يستعمل خواصّه من الوزير وغيره وأصحاب أعماله من الشيعة دائماً، وكذلك ملوك مازندران كانا مؤمنين أباً عن جدٍّ، ومثلهم الأُمراء عضد الدولة وركن الدولة وناصر الدولة[1]، وكان بين الخلفاء من هو من الشيعة إلّا أنّه يتخفّى منهم الخليفة الناصر، وكان من أعيان تلك الدولة الصاحب كافي الكفاة ولم يكن أحد نظيره، وله عشرة آلاف بيت في مناقب أهل البيت ومثالب أعدائهم والتبرّي من هؤلاء الأعداء.

وكان في وزراء سلاطين خوارزم القمّي والكاشي، وآخر خليفة الذي أغار على الكرخ ونهب أهل البيت وآل الرسول ﷺ لم يهنأ بذلك ووقع البلاء على رأسه.

والسلطان ملكشاه الذي قبل أقوال نظام الملك وقتل الكثير من الشيعة لم يمرّ عليه عام واحد حتّى هلك، ووصل نظام الملك الناصبي أيضاً إلى الدرك الأسفل.

---

(١) إن كان يقصد آل بويه فهم شيعة ولا يتخفّون عن أحد لأنّ السلطان كان لهم يومذاك. (المترجم)

وإذا نظرت بعين الحقيقة فلن تجد بيتاً عادى هذه الطائفة إلّا هلك، في الصدر الأوّل حين أظهر قوم من الصحابة عداوتهم أدال الله منهم ولم يبق لهم أمر ولا لأولادهم، فإذا سمعت عن فلان بأنّه بكريّ أو عمريّ أي أنّه من ذرّيّة هذين الاثنين فهو كذب محض، والدليل على ذلك أنّ القوم ليست لهم شجرة ولم يقل أحد أنّ لهم أخلافاً.

الثاني بنو أُميّة مثل معاوية ويزيد وعثمان إلى خمسة عشر ملكاً، وقضى على آخرهم الأمير الغازي أبو مسلم المروزي بجيش من خراسان، وقتلة الحسين قضى عليهم المختار والمسيّب قضاءاً مبرماً، وتركاهم جذاذاً، وأرسلا إلى جهنّم أضعافاً مضاعفة منهم، ويقرؤون اليوم هذه الآية: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الآية(١).

ولمّا جائت النوبة إلى بني العبّاس بدؤوا حكمهم بقتل السادة والأئمّة كما دلّ على ذلك كتاب «مقاتل الطالبيين» الذي ألّفه الاصفهاني حيث قتل كلّ خليفة منهم الآلاف ردّاً على قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(٢).

وجعل الله ما قوله الناصبون من تُرّهات عن ملوكهم وسلاطينهم فيدعون هذا أميرالمؤمنين، وذاك خليفة المسلمين هباءاً منثوراً، ومدّ ظلّ راية محبّي أهل البيت ودولتهم على أقاصي العالم، ووضع بني زياد وبني مروان وبني العبّاس وبني سفيان وأتباعهم حيث يريد محبّو أهل البيت عليهم السلام.

بيّنة: حكى عبدالله النيشابوري قال: كانت بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فذهبت إليه يوماً وأقمت في موضع، فلمّا علم بمقدمي أرسل إليّ

---

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٢) الكوثر: ١.

أحد رجاله فدعاني وأنا ما أزال في ثياب السفر، فذهبت إليه وكنّا في شهر رمضان، فدعاني إلى الجلوس، فأمر لي بماء ووضوء، فغسلت يدي، وأمر لي بطعام فنسيت أنّنا في شهر رمضان فرفعت إلى فمي لقمة أو لقمتين فتذكّرت أنّنا في شهر رمضان فأمسكت عن الطعام، فقال لي حميد: مالك؟ أعرضت عن الأكل. فقلت له: لعلّ لك عذراً من مرض وغيره منعك من الصوم، أمّا أنا فلا عذر لي.

فقال: وأنا أيضاً ليس لي عذر يوجب الإفطار ولكنّي يائس من رحمة الله، ثمّ شرع بالبكاء، ولمّا فرغ من الأكل سألته: يا أمير، مالك تبكي هكذا؟

قال: لمّا وصل هارون الرشيد إلى طوس، دعاني ليلة وجائني خادمه فقال: أجب أميرالمؤمنين، فلمّا جئته وجدت بين يديه شمعاً يضيء، فسلّمت عليه وأنا خائف على نفسي منه، ووجدت سيفاً إلى جانبه، فرفع رأسه وقال: كيف طاعتك لأميرالمؤمنين؟ فقلت: طاعتي لأميرالمؤمنين بالنفس والمال، فردّني إلى البيت حالاً.

فما بلغت بيتي حتّى جائني خادمه ثانياً وقال: أجب أميرالمؤمنين، فاسترجعت وقلت في نفسي: ما دعاني إلّا للقتل، فوقفت بين يديه أرتعد من الخوف، فلمّا رآني، قال: كيف طاعتك لأميرالمؤمنين؟ قلت: طاعتي لأميرالمؤمنين بالنفس والمال والأهل والولد والدين، فضحك ودفع إليّ السيف الذي معه وقال: اذهب مع هذاا لخادم واعمل بما يأمرك به.

ثمّ سار بي الخادم إلى البيت فرأيت فيه حفرة عميقة جدّاً، ورأيت في البيت أبواباً ثلاثة مغلّقة، وفيه ستّون علويّاً من أولاد فاطمة محبوسين؛ منهم الشيخ والشابّ والكهل، فاخجرهم واحداً بعد الآخر وأمرني بضرب أعناقهم وألقاهم في الحفرة حتّى قتلت منهم سبعاً وخمسين رجلاً، ورأيت بينهم شيخاً حلو الطلعة،

مديد القامة، فلمّا رآني قال: أيّها الشقي، أما تستحي منّا ونحن من أهل بيت النبوّة والإمامة، فماذا تقول لربّك يوم القيامة وبماذا تجيب المصطفى والمرتضى وفاطمة والحسن والحسين؟

فارتعدت فرائصي من قول الرجل، فقال لي الخادم اللعين: أتريد أن تعصي أميرالمؤمنين؟ فضربت عنق ذلك الشيخ خوفاً على نفسي إلى أن قتلت الستّين وكلّهم فاطميّون وعلويّون، أيّها الرجل، فإذا كانت حالي بهذه المثابة فماذا ينفعني الصوم والصلاة؟! لا شكّ بأنّي من أهل النار.

بيّنة: المعروف عن المنصور الخليفة أنّه كان يقيم البناء ببغداد ويضع سادات العلويّين في جدره حتّى يموتوا، وذكر ذلك الكبار في تصانيفهم والشعراء بأشعارهم، وكان كلّ خليفة يأتي يفخر على صاحبه بأنّه زاد عليه بقتل العلويّين، وقال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ حسب ونسب ينقطع إلّا حسبي ونسبي.

وكره الله استئصال أهل البيت وأراد بقائهم في الدنيا، فلن تجد اليوم بقعة من بقاع الإسلام إلّا وفيها من السادة الآحاد أو العشرات أو المئات والآلاف، يموجون كما يموج النمل في قراه، ويلعنون ظالمي آبائهم وأجدادهم كما يلعنون الشامتين بهم، وخلاصة الأمر أنّ أبا مسلم المروزي رفع اللعن عن أهل البيت.

أمّا التعصّب فقد كان ضارباً بجرانه بين الملل الإسلاميّة حتّى وصلت النوبة إلى الصاحب الأعظم شمس الحقّ والدين محمّد صاحب الديوان، فرفع التعصّب عن العالمين وصار سادات الدنيا وعلماء الزمان بإكرامه وإنعامه عليهم ونظمه لأُمورهم

---

(١) الكوثر: ٣.

وإدرار المعاش عليهم مرفّهين، ولم يشاهد السادات في الحقب كلّها مثل هذه العزّة، ومثل هذا التقدير والاحترام الحادث في زمانه، وكان سادات أهل البيت وأولاد رسول الله ﷺ يقاسون الأمرّ مع الخصوم والمخالفين في مدى الأحقاب والسنين، وكانوا واقعين تحت طائلة العداوات والخصومات، يتحمّلون المحن والشدائد والشتائم، بل شنّت عليهم الحرب العوان إلى هذا اليوم، حتّى بلغت النوبة الملك والعاهل مخدومنا محبّ أهل بيت النبيّ ﷺ، موالي العترة الطاهرة، رضيع قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(١) وارث ملك دارا والاسكندر المهيب: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِنَ اللَّهِ﴾(٢)، سيف الله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾(٣) فأخرج العصبيّة من هامات القدريّة، انتقام الله على المنافقين، حجّة الله على سلاطين الجور والجبر، بهاء الحقّ والدين محمّد بن محمّد صاحب الديوان، الذي سلب القوّة في العالم كلّه من المنافقين والمعاندين والمخالفين، فلا يستطيع أحد منهم وإن أُوتي الحول والطول أن يظهر عصبيّة أو خصاماً، بل أكثر القوم خوفاً من هذه الدولة يظهرون التشيّع وليكن ما يكون.

وإنّي أنا العبد الأقلّ أُحبّ أن أُبيّن بعض الدلائل على إمامة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده عليهم السلام قبل البدء في الموضوع المزمع بيانه لأنّ التولّي سابق على التبرّي، لكي لا يخلو هذا الكتاب النفيس من فائدتين، ويكون مرجعاً للشيعة، ويلمّوا منه بتحقيق المذهب، لأنّ علمائنا حين فقدوا الناصر وكثر عليهم العدوّ مالوا عن التصريح إلى التلميح، واكتفوا عن البيان بالتعريض والكنايات، وما

---

(١) النور: ٣٦.

(٢) الحشر: ١٣.

(٣) الحديد: ٢٥.

يسطرونه في أسفارهم لا يعدو التعريض إلّا القليل منهم، ولكنّي أنا العبد واثق باللطف الإلهي بمعاجز الأئمّة عليهم السلام، وما علمته كتبت أربعة دوانق منه وذهب دانقان هدراً «لأنّ الإجماع حصل بأنّ التقيّة واجبة ..»(١).

ولقد وجدنا نحن العون والظهير بسلطانٍ كمخدومنا بهاء الدين محمّد، ولم يكن للعلماء هذا السند والظهير، وما توفيقي إلّا بالله، وما الاستعانة إلّا منه، وعليه أتوكّل وإليه أُنيب.

---

(١) أمّا في زماننا فقد ذهب موضوع التقيّة إلى غير رجعة، ويجب أن نعرّي أعداء الله النواصب من ثيابهم حتّى تبدو سوءاتهم، لا لأنّنا أقوى منهم بل قوّتنا بالحقّ والحجّة. (المترجم)

الباب الخامس

في دلائل حجّة الله على خلق الله أمير المؤمنين عليّ وأولاده الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين

الدليل الأوّل:

اعلم أننا وجدنا الأُمّة اختلفت بعد نبيّها بالخلافة، فقال بعضهم: أبوبكر، وقال بعضهم: عليّ، ولمّا بحثنا الأمر وقلّبناه على وجوهه وفحصناه فحصاً دقيقاً وجدنا ثلاثاً وسبعين مذهباً، مدحوا عليّاً في كتبهم العلميّة وعلى لسان خطبائهم ووعّاظهم وأهل بيته وأثنوا عليه وعليهم ولم يعترضهم الشكّ في إمامته ولم يختلفوا ولو يوماً واحداً، إلّا أنّ طائفة قالوا إنّه الإمام بعد النبيّ بلا فصل، وطائفة قالوا بعد عثمان. واتفقت فرق الشيعة وهم ثمانية عشر فرقة على إمامته وإبطال إمامة الشيخين، فحصل الإجماع من الفرق الإسلاميّة كافّة على إمامته وبقي من عداه موضع تنازع واختلاف، وأهل العقل يدركون على أنّ الاقتداء بالمتفق عليه أولى من المختلف فيه على كلّ حال.

الدليل الثاني:

رأيت العالمين اتفقوا على عدالة عليّ وصلاحيّته وعلمه وزهده وورعه، وقال

الشيعة بعصمته بالدلائل العقليّة والنقليّة، والإجماع حاصل على عدم معصوميّة أبي بكر وكان مشركاً في ستّ وأربعين سنة من عمره حتّى أسلم، واختلفوا في عدالته فنفاها بعضهم وكذلك أهليّته، وأثبتها البعض الآخر له بعد الإسلام.

ولمّا لم يكن رسول الله بين ظهرانينا ليقطع مادّة النزاع بيننا ونقتدي به وجب الاقتداء بمقطوع العدالة والورع والصلاحيّة، والاقتداء به أولى من الاقتداء بمن اختلف في عدالته، وطال النزاع حولها حتّى بلغت الأقوال فيها الآلاف، ولو عمد القوم إلى الانصاف، وأخرجوا التعصّب للمذهب من رؤوسهم فإنّهم لا يستطيعون إثبات العصمة والأهليّة لأحد من الناس لاسيّما بناءاً على مذهبهم الذي يجيز المعاصي حتّى على الأنبياء، ويقولون: ليس من المستحيل أن يسلب الله العبد إيمانه عند موته ويحلّ محلّه الكفر بإرادته، وفي مذهب الشيعة لا يجوز هذا الظلم على الله تعالى.

أمّا الذين أثبتوا له الأهليّة والصلاحيّة فحجّتهم ظاهرة، وأمّا الذين نفوهما عنه فإنّهم قالوا: لو كانت للرجل صلاحيّة أو ورع لم يتقدّم على عليّ صاحب الحقّ ولم يغصب فدكاً من فاطمة الزهراء عليها السلام التي نحلها النبيّ[1] إيّاها، ولأعطى الخلافة عند هلاكه إلى عليّ عليه السلام لأنّه صاحب الحقّ، وأجرى الحدّ على خالد بن الوليد الذي زنى بزوج مالك بن نويرة كما أشار عليه عمر بن الخطّاب ولكنّه رفض ذلك.

الدليل الثالث:

طالعت كتب التاريخ، والسير زائداً على ذلك حاورت علماء الطوائف متفحّصاً

---

(١) يستعمل المؤلّف دائماً كلمة «الرسول» وأنا لا أستحلّ استعمالها لأنّ المبشّرين ومنهم عدوّ الله لويس شيخو لعنه الله استعملوها كيداً ودسّاً بزعم أنّ رسول الله كان رسولاً من رسل كنيستهم فلذلك يطلقون عليه، هذه الكلمة ليسرّوا حسواً في ارتغاء وأنا استبدلت كلمة النبيّ بها. (المترجم)

فرأيت أنّه ما من نبيّ أو رسول كان خليفته والقائم مقامه مشركاً من قبل وآمن بعد سلخ أربعين سنة من عمره في الشرك، وخلّى ورائه ثلاثمائة وستّين صنماً ثمّ أسلم، ولمّا لم يشاهد هذا في تاريخ الأنبياء فإنّ نبيّنا وهو الأفضل وخاتم الأنبياء كيف يكون خليفته على خلاف ما عليه خلفاء الأنبياء، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾(١)؟ وكيف يرتكب خليفة المعاصي ويفعل النواهي وعبد اللات والعزّى إلهين من دون الله؟ وجميع فرق الإسلام يقولون: إنّ عليّاً عليه السلام لم يشرك بالله طرفة عين أبداً، فوجدت العدالة والعفّة والعصمة هذه اللوازم للإمامة موجودة في عليّ عليه السلام وليست في غيره من سائر الخلفاء فقطعت ببطلان خلافتهم وصحّة خلافته عليه السلام.

الدليل الرابع:

تتبّعت آثار وأخبار وتواريخ علماء السلف فوجدت أنّ نبيّاً لم يخرج من الدنيا حتّى يكون ذرّيّته وأقربائه خلفائه والقائمين مقامه؛ فكان وصيّ آدم ولده شيث واسمه هبة الله، ووصيّ نوح سام ابنه، وأولاد إبراهيم: إسماعيل وإسحاق أوصيائه، ووصيّ يعقوب يوسف، وموسى أقام مقامه أخاه هارون في حياته، ويوشع بن نون بعد وفاته، ويوشع بن نون عمّ موسى، وداود ولده سليمان، وعيسى ويحيى وكلاهما أبناء خالفة، وزكريّا قريب عسى، وما فعله هؤلاء الأنبياء من نصب أقاربهم خلفائهم لابدّ من كونه بأمر الله تعالى فيكون هذه السنّة مطّردة في جميع الأنبياء من الله تعالى، كما قال: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾(٢) ومفهوم هذه الآية: إنّك ماض على سنن من قبلك من الأنبياء.

(١) الأحقاف: ٩.
(٢) الإسراء: ٧٧.

والإجماع حاصل على أنّ سنّة الأنبياء لم تنسخ في هذه الشريعة فلابدّ من بقاء التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة لكي لا يكون معنى الآية معطّلاً.

وقال: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾(١) وكان إبراهيم قد استخلف ذرّيّته فلابدّ من كون خليفة نبيّنا من أقربائه، ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾(٢) ولم يكن مستحقّاً لهذا الأمر ومؤهّلاً له بعد النبيّ من أقربائه إلّا عليّ وأولاده عليهم السلام لولا ما فعله الصحابة.

الدليل الخامس:

كذلك استقرأت الكتب وإجماع أهل القبله فلم أجد رسولاً مات ولم يوص إلى أحد، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾(٣)، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: من مات بلا وصيّة مات ميتة جاهليّة(٤). ونظير هذه الأخبار الدالّة على تحريضه أُمّته على الوصيّة، فلابدّ من أن يبادر إلى العمل بها قبل أُمّته لأنّ اللفظ ورد بصيغة العموم، والله تعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾(٥).

والإجماع منعقد على أنّ أبابكر وعمر لم يكونا وصيّي رسول الله صلى الله عليه وآله بل الوصيّ عليّ عليه السلام، يشهد بذلك المؤالف والمخالف، على ذلك وكان أوصياء أنبياء السلف أئمّة

---

(١) آل عمران: ٩٥.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) البقرة: ١٣٢.

(٤) الحديث موجود بكثرة في كتب أهل السنّة والجماعة بالصيغة التي ذكر المؤلّف، وفي بعض كتبهم غيّروا في السياق فرووه هكذا: من مات بلا إمام مات ميتة جاهليّة. (مسند أحمد، رقم ١٦٤٨٩)

(٥) البقرة: ٤٤.

ولم يكونوا خلفاء حيث لم يكن في ذلك الزمان خليفة فينبغي أن يكون في زماننا وصيّ نبيّنا إماماً كذلك.

الدليل السادس:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]، وقال: ﴿سَلاَمٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾[2]، ويس محمّد ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3].

وآل إبراهيم هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب كانوا جميعاً أنبياء وأوصياء، وآل عمران موسى وهارون وكانا نبيّين ولهما اختيار الأنبياء في زمانهما، وكان نبيّنا أفضل الأنبياء فينبغي أن يكون آله أفضل الآل من آل إبراهيم وآل عمران وكان لهما مرتبة النبوّة، ولم يكن أبوبكر وعمر من الآل بالإجماع وإنّما آله عليّ والحسن والحسين وباقي الأئمّة عليهم السلام، والذي كان مشركاً ثمّ أسلم لا يقدّم على من هو أفضل من الأنبياء وهم آل رسول الله ﷺ.

ولا يمكن أن يراد بالآل جميع الأُمّة لتخصيص اللفظ في القرآن بآل إبراهيم وآل عمران، وبظاهر اللغة لقول علماء السلف: آل الرجل ما يؤول إليه بالنسب وهو مشتقّ من الأوّل وهو الرجوع، وتكون الأفضليّة بالعصمة والعلم والورع والجهاد في سبيل الله، ولا يوجد هذا المعنى إلّا في عليّ عليه السلام ويفقد ذلك الصحابة كلّهم في أنفسهم على كلّ حال.

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) الصافّات: ١٣٠.

(٣) يس: ١ ـ ٣.

الدليل السابع:

لا خلاف بوقوع الخلاف بين المهاجرين والأنصار على الخلافة وكانت حجّة المهاجرين عليهم أنّ «الأئمّة من قريش» ورسول الله منهم، وكون الإمام من قريش لأجل قرابتهم من النبيّ، والأنصار ليست لهم هذه القرابة يقيناً، وعليّ والحسن والحسين وارثوا رسول الله، وعليّ ابن عمّه والحسنان ابناه.

والقرابة التي كانت لأبي بكر مع النبيّ صلى الله عليه وآله كانت لعمرو بن العاص ولخالد بن الوليد ولسائر القرشيّين ولم يكن أحد من هؤلاء يستحقّ الخلافة لبعد قرابتهم ورفع العصمة عنهم ونفي النصّ بشأنهم، أو لخوفهم من الله تعالى القائل: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] فلم يتقدّم أحد منهم إلى هذا الخطر العظيم ما عدى أبابكر الذي صدقت عليه الآية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله اختار من ولد إبراهيم، إسماعيل، واختار من إسماعيل قريشاً، واختار من قريش هاشماً.

ولا يحقّ للصحابة أن يؤخّروا من قدّمه الله واختاره ويخذلوه ويعدوّه رعيّة، ويحكموا غيره الذين خذلهم الله ويقدّموهم، ويعدّوا اختيار أبي سفيان المنافق وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص مقدّماً على اختيار الله وراجحاً، فإذا ثبت هذا ثبتت إمامة عليّ وخلافته.

الدليل الثامن:

اشتهر عند المؤالف والمخالف بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ: الحقّ مع عليّ وعليّ مع

---

(١) الحجرات: ١.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

الحقّ يدور معه حيثما دار[١]. وإذا ثبت بهذا الحديث أنّ الحقّ مع عليّ، تكون كلّ دعوى تخالفه باطلة، كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[٢] ولازم هذا بطلان خلافة أبي بكر بصورة واضحة وصريحة.

الدليل التاسع:

روت أُمّ سلمة ونقل روايتها المخالف والمؤالف عن النبيّ ﷺ أنّه قال: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[٣]، والخصم يعترف بهذا، فمن لم يكن مع القرآن كان ضالّاً مضلّاً، وثبت لدينا بنقل شايع مستفيض أنّ عليّاً عليه السلام قال: ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله[٤]، وقوله: أنا أوّل من يحشر يوم القيامة للخصومة[٥] وأمثال هذه الشكايات التي صدرت من جنابه، وأجمعت

---

(١) راجع مجمع الزوائد للهيثميّ ٧: ٢٣٥، المعيار والموازنة: ٣٥ ونسبه في هامش الكتاب إلى فرائد السمطين ١: ١٧٦ ط ١، وتحت الرقم ١١٦٠ من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ٣: ١١٧، وفي الباب ٢٥ من الفصل الأخير من غاية المرام: ٥٣٩، وأيضاً ذكره في ص١١٩ المعيار والموازنة وص٣٢١ و٣٢٢، وفيه تتمّة: لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض، وجاء في شرح نهج البلاغة ٢: ٢٩٧ و١٨: ٧٢.

(٢) يونس: ٣٢.

(٣) المستدرك ٣: ١٢٤ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، مجمع الزوائد ٩: ١٣٤، المعجم الصغير للطبرانيّ ١: ٢٥٦، المعجم الأوسط له أيضاً ٥: ١٣٥، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ١٧٧، كنز العمّال ١١: ٦٠٣ رقم ٣١٩١٢، فيض القدير ٤: ٤٧.

(٤) الإمام عليّ عليه السلام لأحمد الرحمانيّ الهمداني: ٧٣٩، عبدالله الحسن، المناظرات في الإمامة: ٤٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٣٠٦ و١٠: ٢٨٦.

(٥) ذكره في كتاب المناظرات في الإمامة بسياق آخر وبنفس المعنى إلّا أنّ فيه تتمّة «مع الثلاثة» ص٣٩٥، وذكره البخاري في صحيحه ٥: ٦ ط دار الفكر - بيروت بالأُفست عن طبعة استانبول ١٤٠١ هـ، المستدرك ٢: ٣٨٦، النووي على مسلم ١٨: ١٦٦، مقدمة فتح الباري لابن حجر: ⇐

الأُمّة على أنّ الحقّ مع القرآن، فمن خرج على القرآن كان ضالّاً فاسقاً وهو على الباطل، وعدوّ القرآن عدوّ الله ورسوله، فمن كان عدوّ الله ورسوله لا يليق بالخلافة كذلك القرآن دستور الشريعة الصامت والإمام دستورها الناطق، ودستور الشريعة مقدّم وعدوّه عدوّ الله.

الدليل العاشر:

ينبغي أن يكون الإمام أعلم رعيّته، له علم بكلّ ما تحتاجه وإلّا احتاج إلى إمام فوقه يعلمه وهذا يجرّ إلى التسلسل، والتسلسل باطل، وعليّ أعلم الصحابة وجاء فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ وأعلمكم عليّ[1] وكان يفتيهم، ولم يستطيعوا البتّ في قضيّة في غيابه، ولقد قال عمر ما يقرب من سبعين مرّة: لولا عليّ لهلك عمر، وجمعت قضايا الإمام عند الفرق كلّها.

وجاء في كتب أهل القبلة أنّه سُئل أبوبكر وعمر عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[2] فقالا: لا نعرف معنى الأبّ، وقال عليّ عليه السلام على المنبر مرّة بعد أُخرى والمهاجر حاضر: سلوني قبل أن تفقدوني، وقال: علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم ففتح لي من كلّ باب ألف باب، فإذا ثبت كونه الأعلم ثبتت إمامته لأنّ

← ٣٧٠، وفتح الباري ٨: ١١٦ و٣٣٧ و١١: ٣٤٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٠٦، كنز العمّال ٢: ٤٧٢ رقم ٤٥٣، تفسير الطبري ١٧: ١٧٢، شواهد التنزيل للحسكاني: ٥٠٣، تفسير القرطبي ١٢: ٢٥، تفسير ابن كثير ٣: ٢٢٢، الدرّ المنثور للسيوطي ٤: ٣٤٨، تفسير الثعالبيّ ٤: ١١٣، هذه جميعها كتب للعامّة ولم نستشهد بها ثقة بها ولكن لندينها من فمها. (المترجم)

(١) فتح الباري ١٠: ٤٧٨ واقتصر على الجزء الأوّل، شرح نهج البلاغة ١: ١٨ و٧: ٢١٩، المنافي في فيض القدير ١: ٢٨٥، كشف الخفاء للعجلوني ١: ١٦٢، تفسير القرطبي ١٥: ١٦٢ و١٦٤ وكلّها ذكرت الجزء الأوّل من الحديث. (المترجم)

(٢) عبس: ٣١.

تقديم الجاهل على العالم قبيح عند العقلاء كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (١)، وقال: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٢).

الدليل الحادي عشر:

اعلم بأنّ القوّة والعلم من صفات الكمال وصفات الأنبياء، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٣).

وقال في حقّ جبرئيل: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ (٤).

ولمّا ذكر طالوت ووصفه لبني إسرائيل بعد إنكارهم نبوّته، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (٥).

وقال عن داود: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾ (٦).

وقال عن موسى حكاية لقول ابنة شعيب: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (٧).

وقال عن هود: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ (٨).

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) الذاريات: ٥٨.

(٤) النجم: ٥ و٦.

(٥) البقرة: ٢٤٧.

(٦) ص: ١٧.

(٧) القصص: ٢٦.

(٨) الأعراف: ٦٩.

وجعل العلم في الأنبياء ضمن صفات الكمال وحصول القوّة والعلم لهم برهاناً على صحّة نبوّتهم وإمامتهم، هذا والقوم يعلمون أنّ شيوخهم ليس عندهم عشر معشار ما لعليّ عليه السلام من القوّة والعلم فلم يؤثر عنهم اشتراك في حرب أو قتل كافر على أيديهم، أو أنّهم أصلحوا اعوجاجاً أو خلالاً في الإسلام، بل كانوا دائماً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (١) كما فعلوا يوم أُحد.

ولا يخفى على العلماء أنّ عثمان بن عفّان فرّ ثلاثة أيّام في وقعة أُحد ثمّ عاد بعدها وكان مختفياً هذه المدّة كلّها في غار ولم يملك قوّة القلب التي يخرج بها منه، فهذا علمهم وهذه شجاعتهم، ولكن إذا يحاس الحيس يتقدّمون، وكان عليٌّ ظاهراً ولم يطلبه أحد.

وإذا تكون كريهة أدعى لها … وإذا يحاس الحيس يُعدى جندب

ولمّا ثبت أنّ عليّاً أعلم وأشجع ثبتت إمامته وبطلت إمامة غيره على الوجه الأحسن.

الدليل الثاني عشر:

لقد حصل الاتفاق منّا ومنهم وبشهادة أبي بكر أنّه لا يجوز اتّباع غير عليّ عليه السلام لاسيّما بناءاً على مذهب الخصم من صحّة إمامة أبي بكر، فلقد قال بحضور المهاجرين والأنصار على منبر رسول الله: أقيلوني ولست بخيركم وعليّ فيكم، ويزعم الخصم أنّه ندم على قبوله الخلافة. إذن، خلافته لم تصحّ بأدلّة عقليّة لأنّ العقل ليس بحجّة عند الخصم، ولم تكن بالنقل إذ لو كانت بالنقل لما وقع الخلاف (٢)

---

(١) القمر: ٤٥.

(٢) أخشى أن يستدلّ الخصم بالصلاة مع وجود النقل فيها، فقد اختلفوا في كيفيّتها وشرائطها وغير

بين المهاجرين والأنصار ومع ذلك فالخصم لا يدّعي نقلاً يدلّ على النصّ عليه، فلم يبق في جعبتهم إلّا الاختيار، وكذلك تمّ فعلاً حيث اختاره الصحابة، ولكنّه عزل نفسه وأخرجها من الخلافة ولم يأتنا خبر أكيد باختيارهم ثانية له أم لا.

ويظهر من كلامه أنّ خلافته باختيار الأُمّة ويقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1] فسلب الاختيار من الأُمّة.

واعترف بأنّه ليس خيرهم فتناول الحكم جميع الصحابة فلم يستثن أحداً فيقتضي على هذا أن يكون كلّ صحابيّ خيراً منه وأكبر وأعلم، وعلى هذا القياس يكون مفضولاً لكلّ صحابيّ، والصحابة خير منه فيكون تقدّمه باطلاً لاسيّما وقد قال: «وعليّ فيكم» أي أنّ الحقّ معه والأهليّة له وفيه وهو حاضر لديكم فانتخبوه.

الدليل الثالث عشر:

لمّا أُنزلت سورة براءة وفيها نبذ العهد المشرك أعطاها النبيّ ﷺ إلى أبي بكر وبعثه إلى مكّة، ولمّا خرج أبوبكر من المدينة هبط الأمين جبرئيل على النبيّ وقال له: يا رسول الله، إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، فقال النبيّ: عليّ منّي وأنا من عليّ، فوجّهه على ناقته العضباء وكانت لرسول الله، وأمره أن يلحق أبابكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على الناس بمكّة، وقال: خيّره بالرواح معك أو الرجوع، والعبارة النبويّة هي: اركب يا فتى ناقتي العضباء والحق أبابكر فخذ براءة من يده وامض بها إلى مكّة فانبذ بها عهد المشركين إليهم،

➲ ذلك، أقول: هذا الاختلاف لابدّ منه في المسائل النظريّة ولا يقصد المؤلّف مثله إنّما يقصد الخلاف الواقع في الصحّة والبطلان وهو أصل المسألة وكذلك خلافة أبي بكر. (المترجم)

(١) القصص: ٦٨.

وخيّر أبابكر بين أن يسير مع ركابك أو يرجع إليّ..

فلمّا وصل عليّ إلى أبي بكر خاف وأخذ يسأل عليّاً عليه السلام عن الحال، فقال: خير إن شاء الله، وأخبره بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولمّا رجع إلى رسول الله، قال: يا رسول الله، إنّك جعلتني لأمر طالت الأعناق إليه، فلمّا توجّهت له رددتني عنه، هل نزلت فيّ آية؟ قال: لا ولكن الأمين هبط عليّ عن الله تعالى بأنّه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، وعليّ منّي ولا يؤدّي عنّي إلّا عليّ عليه السلام(١).

وكانت قوّة الإسلام بنبذ عهد المشركين، هذا وبه ظهر صلاح حال المسلمين، وكان طلائع فتح مكّة، وهذا ملحق بمرتبة أميرالمؤمنين العظيمة ومقاماته الرفيعة فإنّ الله لم ير من يليق لهذه المرتبة وهذه العزّة سواه، وشهدت بهذا كتب ثلاثة وسبعين مذهباً.

ووجه الاستدلال به أنّ سنة النبيّ باقية لا تتغيّر لاسيّما السنّة التي اعتضدت بنصّ إلهي فهي ليوم القيامة باقية: ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾(٢) فيكون على هذا عزل أبي بكر قائماً إلى يوم القيامة، وولاية أميرالمؤمنين وتوليته كذلك باقية إلى يوم القيامة، والعجب من قوم يرونه خليفة والله تعالى لم يره أهلاً لتبليغ آية إلى الخلق حتّى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بواسطة جبرئيل أن يعزله وينصب عليّاً عليه السلام لهذا العمل الكبير.

---

(١) راجع للحديث الكتب التاليه للشيعة والعامّة: أحمد الرحماني الهمداني، الإمام عليّ، ص١٨٣؛ الأحمدي الميانجي، مكاتيب الرسول ١: ٢٦٤؛ البيهقي، السنن الكبرى ٥: ١١١ وقد غيّروا في السياق وحرّفوا الكلام ليصونوا ماء وجه صدّيقهم، ويأبى الله إلّا إراقته؛ الزرندي الحنفي، نظم درر السمطين: ١٣٢؛ تفسير نور الثقلين ٢: ١٧٩ و١٨١ و١٨٤.

(٢) الإسراء: ٧٧.

الدليل الرابع عشر:

لمّا أُمر رسول الله ﷺ بالهجرة من مكّة، أمر عليّاً أن ينام في فراشه، والحكاية على النحو التالي:

ائتمرت قبائل قريش على قتل رسول الله ﷺ، فهبط جبرئيل عليه وأخبره بما يعدّون له، وقال له: يا محمّد، إنّ هذه الجماعة تريد قتلك واستئصال شريعتك فاستخلف عليّاً مكانك ومُرْه بالنوم في فراشك، فأحضره النبيّ ﷺ وحاوره في الأمر، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: يا رسول الله، أو تنجو إن رقدت أنا في فراشك وتسلم نفسك أم لا؟ فقال رسول الله: نعم أسلم إن شاء الله إن نمت في فراشي، فنام عليّ عليه السلام ليلاً في فراشه وخرج رسول الله ﷺ متخفّياً من مكّة ونادى مناديه بين أصحابه أن لا يخرج الليلة أحد من بيته من أصحابي، فرأى أبابكر في طريقه قائماً في الطريق، فقال: يا أبابكر، ألم تسمع النداء؟ قال: نعم سمعته ولكنّي رأيت قريشاً مختلفة الأهواء فحضرتهم، فاصطحبه معه لأنّ الصلاح في ذلك، وقال: ربّما تعرّض لضرب قريش فأخبرهم عنّي، وأرسل إلى عليّ عليه السلام في اليوم الثالث أن أحمل أهلي؛ النساء وبناتي معك فإنّي لا أثق بغيرك ولا أعتمد على سواك في العالم كلّه لطهارتك وأمانتك وطيب نفسك.

فخرج عليّ عليه السلام من بين الأعداء بعقل ورأي صائب وكفائة خلقيّة عظيمة، بحيث لم يلحق بأحد من الخارجين معه أيّ ضرر أو يشعر بخطر، ولم يظفر بهم أحد من الكفّار، ولم يجرأ أحد على التعرّض لهم في الطريق من قطّاعه لعلمهم بشجاعة عليّ عليه السلام، وسار من مكّة ماشياً على قدميه مهاجراً حتّى بلغ المدينة ووصل إلى «قبا» وصحب رسول الله بأهله وعياله إلى المدينة بيوم واحد.

ولمّا كان عليّ في أوّل الهجرة خليفة رسول الله والقائم مقامه فلابدّ أن يكون

خليفته أيضاً في ختام الأمر لتبق سنّة الرسول قائمة دون نسخ أو تحريف إلى يوم القيامة، وكان أبوبكر في تلك الآونة خادماً، وشأنه شأن المكارين في خدمة النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان خليفته على أُمّته عليّ عليه السلام، ولم تكن لياقة ذلك لبشر سواه، ولمّا كان في هجرته الأُولى من بلد إلى بلد على خلفته فينبغي أن يكون في هجرته الأُخرى من الدار الفانية إلى الدار الباقية عليّ أيضاً ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾(١).

الدليل الخامس عشر:

لمّا فرغ النبيّ صلى الله عليه وآله من غزاة حنين أمره الله تعالى بأن يبادر إلى غزاة تبوك، وتبوك موضع في بلاد الروم، وجائه جبرئيل فأخبره بعدم الحرب هناك لذلك ما من حاجة إلى وجود عليّ في هذه الغزوة، لأنّهم سوف يصالحونك وينالون رضاك، فأضمر المنافقون وأعراب المدينة الشرّ في أنفسهم وقالوا: سوف نغزوا المدينة ونغير عليها بعد خروجه ونأسر نساء المهاجرين والأنصار وأطفالهم، وهذا يؤدّي إلى خراب الدين وتشويه سمعة الإسلام وتدنيس عرض أهله، ولمّا علم الله ما في قلوبهم أمر جبرئيل النبيّ بإبقاء عليّ في المدينة لحمايتها واستخلافه بها رعاية لحفظ دين الإسلام: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾(٢) وأعلمهم الله بوجود جماعة من المنافقين كثيرة بينهم، فأراد سبحانه أن يميز المنافقين عن المؤمنين وتعرف المؤمنون نفاقهم.

ولمّا علم الحال من جبرئيل، أمر المنادي بتحريض المسلمين على القتال أيّاماً، فأبى كثير منهم وتقاعسوا عن الجهاد، وبعضهم احتجّ بالحرّ الشديد ونضوج الثمر فلو أنّهم ذهبوا لتلفت الثمرة، ومع هذا فإنّ قوّتنا عاجزة عن قتال عدد مثل الروم،

---

(١) ق: ٢٩.

(٢) الحشر: ١٣.

فأقام النبيّ ﷺ عليّاً مقامه وجعله نائباً عنه وخليفة، وخرج من المدينة في وضح النهار، فأراد المنافقون أن يأخذ عليّاً معه ليخلو لهم الجوّ، وينالوا مناهم، فأُرجفوا به وقالوا: لم يتركه في المدينة حبّاً به وإنّما استثقالاً له، فلمّا بلغت مقالتهم أميرالمؤمنين عليه السلام خرج مسرعاً ينحو رسول الله ﷺ، فأخبره بما سمعه من ذوي النفاق، قائلاً: يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك إنّما خلّفتني استثقالاً ومقتاً، فقال له النبيّ ﷺ: ارجع يا أخي إلى مكانك فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي، ودار هجرتي، وقومي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي(١).

(١) تخريج حديث المنزلة: نحن نعرض لبعض المصادر التي أخرجته بما يتيسّر لنا إيذاناً منّا بأنّ العلماء كتبوا في هذا الحديث خاصّة سنداً ودلالة الكتب التي بلغت العشرات، ونقتصر على كتب الخصوم:

١ ـ النسائي، فضائل الصحابة، ص١٣، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أخرجه بعدّة طرق.

٢ ـ صحيح مسلم ٧: ١٢٠، ط دار الفكر ـ بيروت، في عدّة طرق.

٣ ـ سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، ط دار الفكر ـ الثانية سنة ١٤٠٣، بثلاث طرق.

٤ ـ المستدرك ٢: ٣٣٧، ط دار المعرف ـ بيروت، ١٤٠٦، بطريق واحد، و٣: ١٠٩ بطريقين.

٥ ـ السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٤٠، ط دار الفكر بيروت، بطريق واحد.

٦ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ١٥: ١٧٤، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت، الثانية ١٤٠٧ هـ، وقال النووي في التعقيب عليه: قال القاضي: هذا الحديث ممّا تعلّقت به الروافض والإماميّة وسائر فرق الشيعة في أنّ الخلافة كانت لعليّ وأنّه وصّى له بها... الخ.

٧ ـ مجمع الزوائد ٩: ١٠٩، ط دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨، بخمس طرق.

٨ ـ فتح الباري ٧: ٦٠ و٩: ٥٣، ط دار إحياء التراث العربي، رابعة.

٩ ـ الديباج على مسلم للسيوطي ٥: ٣٨٦، ط السعوديّة، دار ابن عفّان، ١٤١٦ أُولى.

١٠ ـ تحفة الأحوذي ١٠: ١٥٧، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أُولى ١٤١٠ هـ.

١١ ـ مسند أبي داود الطيالسيّ: ٢٨، ط دار الحديث ـ بيروت، بثلاث طرق.

⬅

....

١٢ ـ المصنّف للصنعاني ٥: ٤٠٦، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، ط المجلس العلمي، و١١: ٢٢٦.

١٣ ـ مسند الحميدي ١: ٣٨، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أُولى ١٤٠٩ هـ.

١٤ ـ مسند ابن الجعد: ٣٠١، تحقيق البغوي وعامر أحمد حيدر، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١٥ ـ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٩٦، تحقيق اللحّام، ط دار الفكر ـ بيروت، أُولى ١٤٠٩ هـ، بخمس طرق، وفي ٨: ٥٦٢ بطريق واحد.

١٦ ـ مسند ابن راهويه ٥: ٣٧، ط المدينة المنوّرة، مكتب الإيمان، أُولى ١٤١٢ هـ، تحقيق الدكتور برد البلوسي.

١٧ ـ الدورقي، مسند سعد بن أبي وقّاص: ٥١، تحقيق صبري، ط دار البشار الإسلاميّة ـ بيروت، أُولى ١٤٠٧، بستّ طرق.

١٨ ـ ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث: ١٣، تحقيق الأسعردي، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١٩ ـ الضحّاك، الآحاد والمثاني ٥: ١٧٢، تحقيق الجوابرة، ط دار الدراية، أُولى ١٤١١.

٢٠ ـ كتاب السنّة لعمرو بن عاصم: ٥٥١، تحقيق الألباني، ط المكتب الإسلامي ـ بيروت، الثالثة ١٤١٣، بعشرين طريقاً.

٢١ ـ مجلسان من إملاء النسائي: ٨٣، تحقيق الأثري، ط دار ابن الجوزي ـ الدمّام، أُولى ١٤١٥، اثنين وثلاثين طريقاً.

٢٢ ـ النسائي، خصائص أميرالمؤمنين: ٤٨، تحقيق الأميني، ط نينوى الحديثة، اثنين وعشرين طريقاً.

٢٣ ـ مسند أبي يعلى ١: ٢٨٦، تحقيق حسين سليم أسد، ط دار المأمون للتراث، بطريق واحد، و٢: ٥٧ بستّ طرق، و١٢: ٣١٠ بطريق واحد.

وأعجب من كلّ عجيب عبدالله بن سليمان الأشعث في قصيدته حين روى الحديث المتواتر في عليّ، في أبي بكر وعمر، ص٤٣، تحقيق محمود محمّد الحدّاد، ط أُولى ١٤٠٨ ـ دار طيبة الرياض، والممسوخ هو كما يلي: وتسميتهما بالوزيرين بيّن روي من حديث ابن عبّاس وأبي سعيد وأبي ذر وابن عمر وأبي أمامة وغيرهم بألفاظ، منها: لكلّ نبيّ وزيران، إنّ لي وزيرين،

....

وزيراي، إنّ الله أيّدني بوزيرين أهل، أبوبكر وعمر منّي بمنزلة هارون من موسى، وانظر الكنز ١١٥٦٦ ورجعت الكنز فما وجدت شيئاً من هذا، وتفاهة هذا القول لا تحتاج إلى ردّ فإنّه موضوع ليضاهوا به الحديث المتواتر الذي نحن بصدده.

٢٤ ـ جزء الحميري: ٢٨، تحقيق زيد بن مجدد عليزئي، ط أُولى، دار الطحاوي، حديث أكادمي ـ الرياض، ١٤١٣.

٢٥ ـ أمالي المحاملي، تأليف الحسين بن إسماعيل المحاملي، ص٢٠٩، ط أُولى ١٤١٢، تحقيق الدكتور إبراهيم القيسي، بطريقين.

٢٦ ـ خيثمة بن سليمان الإطرابلسي، حديث خيثمة، ص١٩٩، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام التدمري، ط ١٤٠٠ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢٧ ـ صحيح ابن حبّان ١٥: ١٦، تحقيق شعيب الأرناؤط، ط مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤١٤ هـ، بأربع طرق.

٢٨ ـ المعجم الصغير للطبراني ٢: ٢٢، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، بطريقين.

٢٩ ـ الأوسط ٢: ١٢٦ بطريق واحد، و٣: ١٣٩ بطريق واحد، و٥: ٢٨٧ بطريق واحد، و٦: ٨٣ بطريقين، و٧: ٣١١ بطريق واحد، و٨: ٤٠ بطريق احد، والكتاب طبع دار الحرمين، تحقيق إبراهيم الحسيني.

٣٠ ـ الكبير ١: ١٤٦ بثلاث طرق، ط ثانية، مكتبة ابن تيميّة ـ القاهرة، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، و٢: ٢٤٧ بطريق واحد، و٤: ١٧ بطريقين، و٥: ٢٠٣ بثلاث طرق، و١١: ٦١ بطريقين، و١٢: ١٥ بطريقين، و١٩: ٢٩١ بطريق واحد، و٢٣: ٣٧٧ بطريق واحد، و٢٤: ١٤٧ بخمس طرق.

٣١ ـ الحاكم النيسابوري ذكره في معرفة علوم الحديث من غير تخريج، ص٢٥٢، ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، الرابعة ١٤٠٠.

٣٢ ـ ابن عمرو النقّاش، فوائد العراقيين، ص٩٤، ط مكتبة القرآن ـ القاهرة، تحقيق مجدي السيّد إبراهيم، بطريق واحد.

٣٣ ـ ابن بشكوال، جزء بقي ابن مخلد، ص١٢٦، تحقيق عبدالقادر محمّد عطا صوفي، ط المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، أُولى ١٤١٣، بطريق واحد.

. . . .

٣٤ـ موارد الظمئان للهيثمي: ٥٤٣، تحقيق محمّد عبدالرزاق حمزة، ط بيروت ـ دار الكتب العلميّة، من غير تاريخ، بطريق واحد.

٣٥ـ كنز العمّال ٥: ٧٣٤ رقم ١٤٢٤١، تحقيق الحياني وصفوة السقاط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، لبنان، و٩: ١٦٧ رقم ٢٥٥٥٤ و٢٥٥٥٥، و١١: ٥٦٧.

وهنا قاصمة الظهر، فقد روى الحديث في الشيخين ولفظه: أبوبكر وعمر منّي بمنزلة هارون من موسى.. وبالطبع هذا من الموضوعات التي طلبها معاوية من الوضّاعين لتناقض الحديث المتواتر حيث كتب إلى الآفاق أنّ الأحاديث في الشيخين كثرت فانظروا لا تدعوا حديثاً يروى في فضل ابن أبي طالب إلّا وجئتموني بمناقض له في الخلفاء، ذكر ذلك جلّ المؤرّخين، فلعن الله معاوية ومن تابعه وشايعه ورضي عنه.

وص٥٩٩ الرقم ٣٢٨٨١ و٣٢٨٨٦، وص٦٠٣ رقم ٣٢٩١٥، وص٦٠٦ رقم ٣٢٩٣١ ـ ٣٢٩٣٤، وص٦٠٧ رقم ٣٢٩٣٥ ـ ٣٢٩٣٧، و١٣: ١٠٦ رقم ٣٦٣٤٥، وص١٢٤ رقم ٣٦٣٩٢ و٣٦٣٩٥، وص١٥١ رقم ٣٦٤٧٠، وص١٥٨ رقم ٣٦٤٨٨ و٣٦٤٨٩، وص١٦٣ رقم ٣٦٤٩٥ و٣٦٤٩٦، وص١٥١ رقم ٣٦٤٧٠، وص١٥٨ رقم ٣٦٤٨٨ و٣٦٤٨٩، وص١٦٣ رقم ٣٦٤٩٥ و٣٦٤٩٦، وص١٧٢ رقم ٣٦٥١٧، وص١٩٢ رقم ٣٦٥٧٢، و١٦: ١٨٦ رقم ٤٤٢١٦. وهذه الأرقام كلّها كتب وطرق أشار إليها المؤلّف بالأسماء والأرقام ونحن اكتفينا بالثاني اختصاراً.

٣٦ـ الفتني، تذكرة الموضوعات: ٨، ذكره ونفى عنه الوضع، وذكره ص٩٧ وقال: متفق عليه، وفي موضع آخر ذكر له زيادة وهي: لو كان لكنته. قال الخطيب: زيادة: ولو كان لكنته لا نعلم رواها إلّا ابن أبي الأزهر، وذكره العجلوني في كشف الخفاء ٢: ٣٨٢ وقال: رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن سعد بن أبي وقّاص، والكتاب مطبوع في دار الكتب العلميّة، ثانية ١٤٠٨هـ.

٣٧ـ نظام المتناثر من الحديث المتواتر، للشيخ محمّد جعفر الكتالي، ص١٩٥، قال: وقد تتبّع ابن عساكر طرقه في جزء فبلغ عدد الصحابة فيه نيّفاً وعشرين، وفي شرح الرسالة للشيخ جسوس رحمه الله ما نصّه: وحديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» متواتر، جاء عن نيّف وعشرين صحابيّاً، واستودعها ابن عساكر في نحو عشرين ورقة، انتهى، طب الكتاب في مصر، دار الكتب السلفيّة، تحقيق شرف حجازي، طبعة ثانية.

وهذا نصّ صريح في استخلافه، لأنّ هارون كان خليفة موسى عليه السلام، والآيات شاهد على ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[1]، وقال الله تعالى في جوابه: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾[2]، ولو عاش هارون بعد موسى لما جاز عزله؛ لا بعد وفاته ولا في حال حياته، لأنّ دعاء موسى كان على الإطلاق، وأجابه الله جواباً على العموم: ﴿أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾.

وبناءاً على هذا فقد ثبت النصّ على إمامة عليّ عليه السلام والحجّة قائمة في فعل الرسول وسنّته إلى يوم القيامة.

الدليل السادس عشر:

لمّا حجّ النبيّ حجّه الوداع وأقبل قافلاً منها ينحو المدينة وصل إلى موضع يدعى غدير خمّ وهو وادٍ قد اجتمعت فيه مياه السيول، ولم يكن في ذلك الموضع مكان للنزول، وكان الجوّ حارّاً جدّاً، فنزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3].

---

٣٨ ـ حسن بن عليّ السقّاف، إرغام المبتدع الغبي: ٥٩، وقال: رواه البخاري من طريق عبيدالله بن موسى العبسي.. والكتاب مؤلّفه: الغماري الحسني، ومحقّقه السقّاف، ط دار الإمام النووي، ط ثانية ١٤١٢.

٣٩ ـ إرواء الغليل للألباني، ذكره وقال: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري وقد أخرجه، وفي ج٨ من فتح الباري ص٨٦، وج٥ ص١١، وقال في ج٨ ص١٢٧: أخرجه البخاري ٢: ٤٣٦ و٣: ١٧٧، فما من حاجة إلى أن نذكر البخاري هنا في من أخرجه بعد ذكر الألباني له، والكتب التي خرّجت الحديث كثيرة جداً نكتفي منها بهذا، والحمد لله.

(١) طه: ٢٥ ـ ٣٢.

(٢) طه: ٣٦.

(٣) المائدة: ٦٧.

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله على خوف من المخالفين والمنافقين من الصحابة، لأنّهم أعلنوا عداوتهم لعليّ عليه السلام وكان وجلاً منهم، فوعد الله نبيّه بالحفظ منهم ومن شرّهم، وكان الموضع مفترقاً للقبائل إلى ديارهم ومساكنهم وبواديهم، فنزل النبيّ وأمر المسلمين بالنزول، وأمر منادياً ينادي: «الصلاة جامعة»، فداروا بالنبيّ وصنعوا له منبراً من حدوج الإبل، فرقاه النبيّ صلى الله عليه وآله ورفع عليّاً معه، وخطبهم خطبة بليغة، ولمّا فرغ منها وفيها الحمد والثناء، قال:

يا قوم، إنّي دعيت ويوشك أن أُجيب، وقدّمني خفوق، من بين أظهركم، وإنّي مخلّف فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ رفع صوته عالياً وقال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: اللهمّ بلى، فقال لهم على النسق ورفع بضبع عليّ حتّى بان بياض إبطيهما، وقال: فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، ثمّ نزل من المنبر وذهب إلى الخيمة المعدّة لذلك، وكان الحرّ شديداً إلى درجة لفّ القوم أرجلهم بأرديتهم، ولاذوا حول المنبر.

ولمّا دخل النبيّ صلى الله عليه وآله الخيمة أذّن المؤذّن للصلاة، فصلّى بهم النبيّ جماعة، وأمر بنصب خيمة أُخرى إلى جانب خيمته وأجلس عليّاً فيها، وأمر من كان حاضراً هناك بالسلام عليه بالإمامة، وأن يبايعوه بإمرة المؤمنين فبايعه المهاجرون والأنصار كلّهم، ومن بينهم عمر بن الخطّاب، فحيّاه وهنّئه وقال فيما قال: بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، ولمّا بايعه الرِّجال أمر النساء ببيعته، وكانت على النحو التالي: أمر بإناء مليء بالماء ووضع عليٌّ يده بالماء، ووضع الإناء على باب الخيمة فتأتي النساء للسلام عليه ثمّ يضعن أيديهنّ بالطشت ويذهبن، وكان هذا هو شكل بيعتهنّ.

واستأذن حسان رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي أن أقول في هذا المقام ما يرضيه تعالى، فقال النبيّ ﷺ: يا حسان، على اسم الله، فقام حسان واقفاً على قدميه ودار به الناس واجتمعوا حوله، فأنشد أبياتاً من الشعر مطابقة لمقتضى الحال، ولمّا فرغ من الإنشاد قال له رسول الله ﷺ: لا تزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، ولمّا كان النبيّ يعلم ما يصير إليه أمر حسان جعل الدعاء مشروطاً بلفظ «ما نصرتنا» ولم يجعله مطلقاً، ومثله القول في نساء النبيّ لمّا علم الله مصير بعضهنّ جعل القول فيهنّ مشروطاً لا مطلقاً: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾(١).

ولمّا علم طهارة أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعصمتهم وثباتهم على الإيمان والصلاحيّة، جعل آية مثوبتهم مطلقة وليست مشروطة، كما قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً* وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾(٢).

الدليل السابع عشر:

قال الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾(٣)، يقول الله تعالى: الرحم أولى من غيره بمقام رحمه، وأميرالمؤمنين عليه السلام حاز الصفات الثلاث: فهو رحم وهو مهاجر وهو مؤمن:

وأمّا الدليل على إيمانه فسورة هل أتى وأمثالها، والحديث المشهور الذي رواه

(١) الأحزاب: ٣٢.

(٢) الدهر: ٨ـ١٢.

(٣) الأحزاب: ٦.

المخالف والمؤالف عن عليّ عليه السلام قال: شكوت إلى رسول الله حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين(١).

والحديث المشهور أيضاً: اشتاقت الجنّة إلى ثلاث: عليّ وعمّار وسلمان(٢).

وعندنا أنّ أبابكر لا يستحقّها لأنّه ليس مهاجراً كما قيل إن شاء الله، والعبّاس وإن كان رحماً إلّا أنّه ليس مهاجراً لأنّه كان من طلقاء بدر.

ولمّا اجتمع في عليّ عليه السلام الإيمان والهجرة والرحم كان أولى بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله من غيره ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣).

الدليل الثامن عشر:

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾(٤) أنزل الله هذه الآية يوم المباهلة، وأبناءنا هنا الحسنان عليهما السلام، ونساءنا فاطمة عليها السلام بإجماع المفسّرين واتفاق العالمين، ولم يكن أبوبكر وعمر حاضرين حين المباهلة، وأنفسنا لم يكن أحد غير عليّ عليه السلام، ولا يعقل أن يكون الداعي والمدعوّ واحداً، فلزم أن يكون أنفسنا غير رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ إنّ العطف يدلّ على

---

(١) الحسكاني، شواهد التنزيل ١: ١٨٥، تحقيق محمودي، ط أُولى، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، ووافق سياق المؤلّف تفسير القرطبي ١٦: ٢٢، ط بيروت ـ دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥، كنز العمّال ١٣: ٦٣٩ بحذف الصدر الأوّل من الرواية، المستدرك ٢: ١٥١ مثله، وكنز العمّال أيضاً ١٢: ٩٨. (المترجم)

(٢) في كنز العمّال ١٣: ٢٩٦: تشتاق الجنّة إلى أربعة: إلى عليّ وأبي ذر وعمّار والمقداد.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) آل عمران: ٦١.

المغايرة ثمّ لا يجوز الفصل طبقاً لقواعد اللغة بين الشيء ونفسه بأجنبيّ[١]، فتبيّن من هذا أنّ أنفسنا غير الداعي، ولقد قال النبيّ ﷺ: «يا علي، نفسك نفسي، ودمك دمي، ولحمك لحمي»[٢].

ولمّا ثبت كون عليّ عليه السلام نفس رسول الله ﷺ تكون خلافة أبي بكر وعمر باطلة لوجود نفس رسول الله بينهم، ويحرم تقدّمهما عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٣].

الدليل التاسع عشر:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٤]. لم يؤثر عن أحد منذ خلق الله آدم إلى يومنا هذا أنّه أعطى الزكاة وهو راكع سوى عليّ عليه السلام، والحكاية كالتالي:

كان عليّ عليه السلام يصلّي في مسجد رسول الله، فجاء سائل والإمام راكع، فسأله، فأشار إليه باصبعه إلى خاتم في بنصره.

قال جار الله العلّامة: كان من عادة عليّ عليه السلام أن يتختّم باليمين، وما قيل من أنّ

---

(١) ينبغي إيضاح ذلك للقاري، فقوله: العطف يدلّ على المغايرة، ناظر إلى أنّ في «ندعو» ضمير يعود على النبيّ أي «هو» وأنفسنا معطوف عليه كلفظ «نسائنا» فلابدّ من كون المعطوف «أنفسنا» مغايراً للمعطوف عليه «هو» وهذه سنن العطف، أضف إلى ذلك لو قلنا بأنّ أنفسنا من ضمير «هو» في قوله «ندعو» واحد لكنّا فصّلنا بينه وبين نفسه بأجنبيّ وهو «أبناءنا ونسائنا» وهذا لا يجوز في قواعد اللغة. (المترجم)

(٢) اقتصر على الجزء الأخير في مناظرات الإمامة لعبدالله حسن، وأحال على: لسان الميزان ٣: ٢٤٧، مجمع الزوائد ٩: ١١١، ينابيع المودّة: ٥٠ الباب السادس، نظم درر السمطين: ٧٩، فرائد السمطين ١: ١٥٠ ح١١٣ وص٣٣٢ ح٢٥٧.

(٣) الحجرات: ١.

(٤) المائدة: ٥٥.

الصلاة سنّة والصدقة سنّة ولو قيل بأنّهما فرضان فلا يتداخلان أيضاً لأنّهما متغايران، فالصلاة تغاير الزكاة.

وانتزع السائل الخاتم من اصبعه.

وفي الآية إشاره إلى أنّه المتصرّف في أُمور الدين والقيّم على الإسلام، ومن كان بهذه الصفة أعني متصرّفاً في أُمور الدين بنصّ من الله وقيّماً على عباد الله لابدّ أن يكون إماماً ووليّاً على الناس.

الدليل العشرون:

روي عن طريق المخالفين والشيعة هذه الروايه المشهورة وهي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعطى الراية يوم خيبر لأبي بكر، ثمّ أعطاها ثانية لعمر، وفي الثالثة أعطاها لعمرو ابن عاص[1] فعادوا بها منهزمين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فتطاولت إليها أعناق الصحابة، فلمّا أصبح الصباح نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله: أين عليّ بن أبي طالب؟ قالوا: يا رسول الله: يشتكي عينيه، فبعث خلفه، فلمّا حضر وضع من ريقه في عينيه فعافاه الله حالاً، فأعطاه الراية[2]، فقال عليّ عليه السلام: أُقاتلهم حتّى

---

(١) لم يكن يومها ابن العاص قد أسلم، فقد كان إسلامه سنة ثمان قبل الفتح بستّة أشهر، ولعلّ المؤلّف استند إلى رواية تقول: إنّه أسلم عام خيبر، ولو صحّ فإنّ ذلك لا يكون إلّا بعد الواقعة لأنّ العام لم يسمّ باسم الواقعة حتّى وقعت، وعلى كلا التقديرين فإنّ إعطائه الراية غير صحيح. راجع: أُسد الغابة ٤: ١١٦. (المترجم)

(٢) ذخائر العقبى: ٧٣؛ فضائل الصحابة للنسائي: ١٦؛ مسند أحمد ١: ٩٩ و١٨٥، ٤: ٥٢؛ صحيح البخاري ٥: ٧٦؛ صحيح مسلم ٥: ١٩٥، ٧: ١٢٠ و١٢٢؛ سنن ابن ماجة: ٤٥؛ سنن الترمذي ٥: ٣٠٢؛ السنن الكبرى ٦: ٣٦٢ و٩: ١٠٧ و١٣١؛ شرح النووي على صحيح مسلم ١: ١٤١؛ مجمع الزوائد ٦: ١٥٠ و٩: ١٢٣ بخمس طرق؛ فتح الباري ٧: ٣٦٥؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٥٢٠، ←

يكونوا مثلنا ؟! فقال : انفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثمّ أُدعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله ، فوالله أن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم .

وهذا الحديث أجمع عليه أهل القبلة ، وهو دليل على عزل أبي بكر وعمر ونصب عليّ عليه السلام ، وغضب النبيّ عليهما ، وحبّ الله لعليّ الصادق الصدّيق .

الدليل الواحد والعشرون :

كانت خلافة أبي بكر بالبيعة وهي باطلة ؛ لأنّ الإمامة لو كانت بالبيعة أو لو كانت البيعة تدلّ على صحّتها لكان بنو أُميّة بأجمعهم أئمّة حتّى لعين اللعناء يزيد بن معاوية كان إماماً حقّاً ، ومن الممكن أن يبايع كافراً ولُصّاً جماعة فكيف تعقد بيعتها ، بل كيف يكون المبايع (بفتح الياء) خليفة على الأُمّة ببيعة جماعة معدودة له ، إذ أنّ هذه الجماعة بايعت عن أنفسها لا عن الآخرين ، فلو أنكرها غيرهم لبطلت لأنّها لم تكن بأمر الله ورسوله .

ثمّ إنّ أبابكر قال : «أقيلوني ولست بخيركم» فلو كان منصوصاً عليه لكان قوله هذا كفراً لأنّه ردٌّ على الله ورسوله[1] ، ولمّا كانت البيعة باطلة وأبوبكر تمّت له الخلافة بالبيعة فتكون خلافته باطلة أيضاً ، وببطلانها تثبت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام .

بطريقين ؛ الدورقي ، مسند سعد ، ص٥١ ، وكتب أُخرى يضيق المجال عن حصرها أعرضنا عنها . (المترجم)

(١) أقول : قول أبي بكر هذا لا يستلزم كفره لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام ردّ البيعة أيضاً بعد مصرع عثمان لعنه الله ، فقال : «دعوني والتمسوا غيري» الخ ، ولكن يثبت كفر أبي بكر بادّعائه الإمامة فشأنه شأن مسيلمة الكذّاب ، فهو أبوبكر الكذّاب لعنه الله . (المترجم)

الدليل الثاني والعشرون:

أوصى أبوبكر إلى عمر وجعلها عمر شورى(١)، وعثمان قتل من دون وصيّة، فإن كان أبوبكر محقاً فالثاني والثالث مبطلان، وإن كان محقّين فالأوّل مبطل، وعلى المكلّف الاقتداء بهم، والاقتداء بأيّ واحد منهم باطل لأنّه مناقض للاقتداء بالآخر لأنّهم اختلفوا، فيكون الثلاثة مبطلين، والحقّ مع عليّ لأنّ الثلاثة كلّهم خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الدليل بعينه يبطل مذهبهم لأنّ أبا حنيفة اختلف مع باقي الأئمّة في مسائل كثيرة، ومثله الشافعيّ، وتصحيح قول أيّ واحد من الأئمّة إبطال لقول الآخر ولحجّته، ولا ترجيح لأحدهم على الآخر فيكون جميعهم على الباطل، والأئمّة الإثني عشر عليهم السلام قول أوّلهم هو نفسه قول آخرهم، ولم يظهر خلاف واحد بينهم على الإطلاق.

فما كان من عند الله استحال أن يختلف، وما كان من عند غيره فالاختلاف فيه كبير، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾(٢).

الدليل الثالث والعشرون:

روى أنس بن مالك قال: أهدت أُمّ أيمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله طائراً مشويّاً، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي هذا الطير،

---

(١) الشورى مجرّد ادّعاء والهدف منها إيصال عثمان إلى الحكم من أجل دخول بني أُميّة عالم الإسلام من موضع القوّة لمسخه، وقد بيّنّا ذلك في كتابنا «جهاد كربلاء والإنسان» ما يزال مخطوطاً نسأل الله الإعانة على طبعه، آمين. (المترجم)

(٢) النساء: ٨٢.

فأرسلت عائشة وحفصة وكلّ واحد من النساء إلى آبائهنّ وقبائلهنّ ليحضروا عند النبيّ ﷺ.

يقول أنس: فجاء عليّ ثلاث مرّات ولكنّي أصرفه فأقول: رسول الله عنك مشغول، فيرجع من حيث أتى، إلى أن كانت الثالثة فدخل على رسول الله ﷺ، فقال له النبيّ ﷺ: يا علي، ما أبطأك عنّي؟ فقال: يا رسول الله، هذه هي المرّة الثالثة آتي ويصرفني أنس، فقال لأنس: لم فعلت هذا؟ فقال: سمعت دعاءك يا رسول الله فأحببت أن يكون رجلاً من الأنصار، فقال النبيّ: إنّ الرجل يحبّ قومه.

وهذه رواية لا خلاف فيها من أحد، ولمّا كان عليّ أحبّ الخلق إلى الله بإجماع المسلمين فيلزم تقديمه كما أنّ رسول الله أحبّ الخلق إلى الله(١).

الدليل الرابع والعشرون:

كانت إمامة الرجلين باختيار من الصحابة، والاختيار باطل؛ لأنّ الإمامة ركن

---

(١) تخريج الحديث من كتب الخصوم:

الحاكم النيسابوري، المستدرك ٢: ١٣٢، ط دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق المرعشلي.

الإسكافي، المعيار والموازنة: ٣٢٤، تحقيق المحمودي.

أمالي المحاملي، للحسين بن إسماعيل المحاملي: ٤٤٣، ط دار ابن القيّم، الأردن، أُولى ١٤١٢، تحقيق الدكتور إبراهيم القيسي.

الطبرانيّ، المعجم الأوسط ٢: ٢٠٧، تحقيق إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين، وأيضاً ٦: ٩٠ و٧: ٢٦٧ و٩: ١٤٦.

عبدالله بن عدي، الكامل ٢: ٢٥٢، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر ـ بيروت، ثالثة ١٤٠٩ هـ.

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٩: ٣٧٦، تحقيق عطاء، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أُولى ١٤١٧ هـ.

ابن عساكر، تاريخ دمشق ٤٢: ٢٥٠ و٢٥٧، تحقيق علي شيري، ط دار الفكر ـ بيروت.

ابن الأثير، أُسد الغابة ٤: ٣٠، ط طهران ـ إسماعيليان.

والإسكافي ليس من خصومنا وإن لم يكن على مذهبنا.

عظيم في الدين تعادل النبوّة وهي تقابل الرسالة كلّها، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[١] فكيف يجوز أن توضع معظم أُمور الدين باختيار الخلق لأنّه لو جاز اختيار الإمام جاز اختيار النبيّ أيضاً. فإذا أجابونا بأنّ الرسول تصدّقه المعجزة أجبناهم بأنّ الإمام تصدّقه العصمة والنصّ.

من جهة أُخرى فإنّ الله تعالى نفى الاختيار عن الخلق حيث قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٢].

ومن جهة ثالثة فإنّ موسى مع ما هو عليه من رتبة النبوّة اختار سبعين شخصاً من قومه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[٣] فاستحقّ جميعهم العذاب والصاعقة بما قالوا: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾[٤] والغاية من تكرار هذه القصّة هو تنبيه الغافلين ليعلموا أنّ الناس ليس لهم اختيار مع الله تعالى في أُمور الدين والشريعة وإنّما عليهم الامتثال فحسب في الأمر والنهي، كما قال تعالى: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٥]، وإذا بطل الاختيار لم يبق إلّا النصّ والعصمة وهما متحقّقان في أميرالمؤمنين وأولاده عليهم السلام.

الدليل الخامس والعشرون:

الحديث المتلقّى بالقبول من الأُمّة جميعاً: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجى، ومن تخلّف عنها غرق وهوى[٦].

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) الأعراف: ١٥٥.

(٤) النساء: ١٥٣.

(٥) الحشر: ٧.

(٦) سبق تخريج هذا الحديث. (المترجم)

والغرض من هذا الحديث لزوم التمسّك بأهل البيت عليهم السلام ؛ فمن تمسّك بولايتهم نجى ، ومن بعد عنهم هلك وهوى كقوم نوح ، وهذا نصّ صريح على أنّ الشيعة من أهل الجنّة ، من هنا حيث قال النبيّ : يا علي ، شيعتك هم الفائزون[1] .

ولمّا كان التمسّك بهم سبب النجاة كان التخلّي عنهم سبباً للهلاك ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[2] .

الدليل السادس والعشرون :

أجمعت الأُمّة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، أُنظروني (كذا) تخلفوني فيهما .

يقول زيد بن أرقم : نزل رسول الله على ماءٍ بين مكّة والمدينة ، فخطب الناس ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : يا أيّها الناس ، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجبت ، وأنا تارك فيكم الثقلين : كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا كتاب الله واستمسكوا به ، وأهل بيتي ، أُذكّركم الله في أهل بيتي[3] ، الحديث .

ويلزم بناءاً على هذا ترك غيرهم .

---

(١) مشكاة الأنوار : ١٥١ ، بحار الأنوار ٦٥ : ٧ و ١١٠ : ١٢ ، النمازي في مستدرك سفينة البحار ١٠ : ٥٧٠ ، بشارة المصطفى : ٤٢ و ٢٥٦ ، الأبطحي في الشيعة في أحاديث الفريقين : ١٧٥ .

(٢) يونس : ٣٢ .

(٣) لا يحتاج هذا الحديث إلى تخريج لشهرته بل لتواتره ، وقد تركنا حديث الغدير أيضاً من دون تخريج لأنّ حديثاً كتب فيه مولانا الأميني كتاب الغدير لا يحتاج إلى تخريج ، فمن أراده فليرجع إليه هناك .

الدليل السابع والعشرون:

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال الإسلام عـزيزاً إلى اثـني عشر خليفة كلّهم من قريش(١).

---

(١) تخريج الحديث: كثر مخرجوا هذا الحديث من الحفّاظ، وممّن أخرجه البخاري ومسلم، ومن ثمّ كثرت سياقاته، ونحن نذكر بعض من أخرجه وندع الباقين لكثرتهم.

١ ـ مسند أحمد ٥: ٩٠ و٩٣ و٩٨ بثلاث طرق، وص٩٩ و١٠٠ و١٠١ و١٠٦، ط دار صادر ـ بيروت.

٢ ـ صحيح مسلم ٦: ٣، بثلاث طرق، ط دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ سنن أبي داود ٢: ٣٠٩، ط دار الفكر ـ بيروت، أُولى ١٤١٠ هـ، تحقيق سعيد محمّد اللحّام، وذكر الحديث النووي في شرحه على صحيح مسلم وتخبّط في توجيه الحديث وسار على غير هدى، «إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»، راجع ٢: ٢٠١، ط دار الكتاب العربي، الثانية ١٤٠٧ هـ، وفعل مثله ابن حجر في فتح الباري ١٣: ١٨١ وخبط خبط عشواء، وذكر حيرة قومه وتخبّطهم بهذا الحديث.

٤ ـ تحفة الأحوذي ٦: ٣٩١، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أُولى ١٤١٠.

٥ ـ عون المعبود ١١: ٣٤٤، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ثانية ١٤١٥، و١٢: ٢٦٠.

٦ ـ مسند أبي داود الطيالسي: ١٠٥، ط دار الحديث ـ بيروت.

٧ ـ الضحّاك، الآحاد والمثاني ٣: ١٢٦، تحقيق الجوابره، ط دار الدراية، أُولى ١٤١١.

٨ ـ عمرو بن عاصم، كتاب السنّة، ص٥١٨، تحقيق الألباني، ط المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط ثالثة ١٤١٣.

٩ ـ صحيح ابن حبّان ١٥: ٤٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤١٤ هـ.

١٠ ـ المعجم الكبير ٢: ١٩٥ و٢٣٢، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، ط مكتبة ابن تيميّة ـ القاهرة، دار إحياء التراث العربي، الثانية.

١١ ـ كفايه الخطيب: ٩٥، تحقيق أحمد عمر هاشم، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١٢ ـ كنز العمّال ١١: ٢٤٦ رقم ٣١٣٩٨، و١٢: ٣٢ رقم ٣٣٨٥٠ و٣٣٨٥١، تحقيق بكري حياتي والسقاط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

وروي: لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولّاهم اثنا عشر رجلاً كلّهم من قريش.

ومن قال: الأئمّة اثنا عشر، لا يريد بهم إلّا عليّاً وأولاده، ولزم كونهم اثني عشر بناءاً على قول الخصم كما ذكره في المصابيح.

قالت أُمّ عطيّة: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم عليّ، فسمعته وهو رافع يديه يقول: اللهمّ لا تمتني حتّى تريني عليّاً(١).

وروى البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: أنت منّي وأنا منك(٢).

---

١٣ ـ المناوي، فيض القدير ٢: ٥٨٢ و٣: ٦٧٩، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أُولى ١٤١٥ هـ، تحقيق أحمد عبدالسلام.

١٤ ـ تفسير ابن كثير ٢: ٣٤، ط دار المعرفة ـ بيروت، ١٤١٢.

وقال ابن كثير: وفي هذا الحديث دلالة على أنّه لابدّ من وجوب اثني عشر خليفة عادل، وليسوا هم بأئمّة الشيعة الإثني عشر، فإنّ كثيراً من أولئك لم يكن لهم من الأمر شيء (٣: ٣١٢).

وأقول لابن كثير: أيّها الأموي الخبيث، أخطأت أستك الحفرة.

١٥ ـ نعيم بن حمّاد المروزي، كتاب الفتن: ٢٧٤، تحقيق الدكتور سهيل زكار، ط دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٤.

١٦ ـ البداية النهاية لابن كثير ٦: ٢٢١ و٩: ٢٢٩، تحقيق علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، أُولى ١٤٠٨.

أقول: إنّ عبارة: «كلّهم من قريش» ليست من النبيّ بل وإنّما وضعها الوضّاعون، وإنّما قال النبيّ: «كلّهم من بني هاشم» والشاهد على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الأئمّة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم. (نهج البلاغة، فضل أهل البيت، ص٣٠١) وكأنّه قالها عليه السلام على شكل الاستنكار على من قال: الأئمّة من قريش.

(١) رواه الخوارزميّ في مناقبه: ٧٠ ـ ٧١ ح٤٦، تحقيق المحمودي، ط مؤسسة نشر الإسلامي، الثانية ١٤١١ هـ عن أُمّ عطيّة، والطبريّ في ذخائر العقبى: ٩٤، وقال: أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب، ط ١٣٥٦ مصوّرة عن نسخة دار الكتب المصريّة ودار الكتب التيموريّة، مكتبة القدسي.

(٢) ابن البطريق، العمدة، ص٢٠١، تحقيق جامعة المدرّسين ـ قم، ط أُولى ١٤٠٧ مؤسسة النشر

وروى البراء أيضاً قال: رأيت النبيّ والحسن بن عليّ على عاتقه، يقول: اللهمّ إنّي أُحبّه فأحبّه، وقال للحسين: اللهمّ إنّي أُحبّه وأُحبّ من يحبّه.

قال ابن زعرة[1]: رأيت النبيّ على منبره والحسن بن عليّ إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه أُخرى، وهو يقول: إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وقال ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا.

وقال زيد بن أرقم: أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة والحسن والحسين، فقال: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.

عن ابن ربيعة: إنّ العبّاس دخل على رسول الله مغضباً وأنا عنده، فقال: ما أغضبك يا عبّاس؟ قال: مالنا ولقريش! إذا تلاقوهم تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى احمرّ وجهه ثمّ قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّكم للّه ولرسول الله. ثمّ قال: أيّها الناس، من آذى عمّي فقد آذاني[2].

الإسلاميّ، النسائي، خصائص أمير المؤمنين: ٨٨، ط مكتبة نينوى، تحقيق هادي الأميني، مجمع النورين: ٢٤٢، تنبيه الغافلين: ١٤٣، صحيفة الحسين: ٢٥٢.

(١) لم يتيسّر لي معرفة ابن زعرة هذا ولعلّه تصحيف من ابن زهرة أو ابن عمر.

(٢) الكوفي، مناقب أمير المؤمنين ٢: ١٢٢، تحقيق المحمودي، أُولى ١٤١٢هـ، ط مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة؛ القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار ٢: ٤٩٣، تحقيق الجلالي، ط مؤسسة النشر الإسلامي؛ ذخائر العقبى: ٩ بسياق مختلف، وقال: خرّجه الترمذي وقال: حسن صحيح، وخرّجه أحمد وقال بعد قوله: حتّى احمرّ وجهه وحتّى استدرّ عرق بين عينيه؛ النسائي، فضائل الصحابة: ٢٢، المسند ١: ٢٠٧ و٢٠٨، و٤: ١٦٥، بطريقين؛ الترمذي ٥: ٣١٨؛ المستدرك ٣: ٣٣٣ بطريقين، وص٥٦٨ وفيه: وأتاه ابن عبّاس فقال: إنّي انتهيت الخ، و٤: ٧٥.

وهذه الأحاديث بأجمعها مرويّة من طريق المخالفين، وترشد الخصم إلى خلافة أميرالمؤمنين.

الدليل الثامن والعشرون:

روى البراء بن عازب أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ: أنت منّي وأنا منك.

وقال عمران بن حصين: قال النبيّ ﷺ: إنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي.

وروى زيد بن أرقم عن النبيّ أنّه قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، وولاية

⬅ ومجمع الزوائد ١: ٨٨و٩: ١٧٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٥١٨؛ السنن الكبرى ٥: ٥١؛ الطبرانيّ في المعجم الصغير ١: ٢٣٩ و٢: ٩٦؛ المعجم الأوسط ٥: ٥٢ و٧: ٣٧٣؛ والمعجم الكبير ٢٠: ٢٨٥ بطريقين؛ كنز العمّال ١١: ٧٠٠ رقم ٣٣٣٩٥، و١٢: ٤١ رقم ٣٣٩٠٦ و٣٣٩٠٧، وص١٠٤ رقم ٣٤٢٠٢، و١٣: ٦٤٢ رقم ٣٧٦٢٣؛ المناوي في فيض القدير ١: ٢٥٥ وقال: رواه الطبراني بإسناد صحيح.

وضعّف الألباني قوله: من آذى عمّي في ضعيف الترمذي: ٥٠٦؛ تفسير ابن كثير ٤: ١٢٢ بطريقين؛ السيوطي، الدرّ المنثور ٦: ٧ ط الفتح ـ جدّة، أُولى ١٣٦٥؛ تاريخ بغداد ٤: ١٤٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٠٠ بأربع طرق؛ أُسد الغابة ٣: ١١٠ و٣٣١؛ المزّي في تهذيب الكمال ١٤: ٢٢٨، تحقيق بشارة عوّاد معروف، ط مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤١٣هـ، و٣٣: ٣٤١؛ الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢: ٨٨و١٢: ١٥٦، تحقيق شعيب الأرناؤوط وصالح السم، ط مؤسسة الرسالة، التاسعة ١٤١٣؛ الإصابة ٤: ٣١٧، تحقيق عادل أحمد عبّود، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أُولى ١٤١٥هـ.

ابن شبّه النميري، تاريخ المدينة ٢: ٦٣٩، تحقيق فهيم شلتوت، ط القدس ـ قم، دار الفكر ـ بيروت، بطريقين؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيّل: ٤٩ ط مؤسسة الأعلمي ـ بيروت؛ ابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٢١٥؛ وفي السيرة النبويّة ١: ١٩٢ تحقيق مصطفى عبدالواحد، ط أُولى ١٣٩٦، دار المعرفة ـ بيروت؛ سبيل الهدى والرشاد ١٠: ٤٧٦و١١: ٤ و٤٤٥؛ القندوزي في ينابيع المودّة ١: ٥٤ و٢: ١١٠ و٢٦١و٤٧٥، ط دار الأُسوة، تحقيق أشرف الحسيني، أُولى ١٤١٦هـ.

رسول الله صلى الله عليه وآله عامّة على جميع الخلق فيلزم أن تكون لعليّ مثل هذه الولاية.

قال حبيش بن جنادة: قال رسول الله: عليّ منّي وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو عليّ[(١)].

وبناءاً على هذا لم يحدث لأبي بكر وعمر تأدية الشريعة في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله أو يقدموا على أحد، ولم ينوبوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم يبلغونه الناس.

ولمّا آخى بين المهاجرين والأنصار قرن كلّ واحد إلى نظيره والشبه إلى شبهه مثل أبي بكر وعمر، وطلحة والزبير، وأبي ذر وسلمان. وترك عليّاً وحده، فقال: يا رسول الله، لم تركتني من غير أخ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أخي في الدنيا والآخرة[(٢)].

وقيل: قال العبّاس: يا رسول الله، لم تركت عليّاً؟ فقال: ما أخّرته إلّا لنفسي.

وعن عليّ عليه السلام: كنت إذا سألت من رسول الله أعطاني، وإذا سكتُّ ابتدأني[(٣)].

---

(١) هذه الأحاديث لتواترها لا تحتاج إلى تخريج لأنّها موجودة في جلّ كتبهم.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٣٣: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فجاء عليّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟! فقال النبيّ: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وذكر الحاكم في المستدرك نحوه ٣: ١٤؛ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٩٤ من مخطوطات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين العامّة، ط أُولى ١٣٧٧ هـ؛ وتنبيه الغافلين لابن كرامة: ٧٣ ط مركز الغدير للدراسات، المطبعة محمّد، ط أُولى، تحقيق السيّد تحسين آل شبيب، ١٤٢٠ هـ وقال في الهامش: رواه الحاكم في ٣: ٤١٤، وابن ماجة في صحيحه: ١٢، والنسائي في سننه ٣: ١٨، والمتقي في كنز العمّال ٩: ٣٩٤.

(٣) ذخائر العقبى: ٩٤، وقال: أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن؛ سنن الترمذي ٥: ٣٠١؛ المستدرك ٣: ١٢٥؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١٥٤؛ المعيار والموازنة: ٣٠٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٥؛ السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٤٢؛ خصائص أميرالمؤمنين له أيضاً: ١١٢؛ كنز العمّال ١٣:

وعن جابر: إنّ رسول الله ﷺ دعا عليّاً يوم الطائف فانتجاه...

ولمّا قدم المدينة وكان عدد أصحابه قليلاً وحين بنى المسجد فتحوا من بيوتهم عليه أبواباً ليكونوا يداً واحدة ويعلموا أخبار بعضهم بعضاً، فلمّا قوي الإسلام هبط جبرئيل وأمره بسدّ الأبواب إلّا باب عليّ، وقال النبيّ: لا يحلّ لأحد يستطرقه غيري وغيرك.

وروى البراء بن عازب عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام: أنت منّي وأنا منك.

ومن هذه الأخبار التي رويتها من كتب المخالفين نستنبط بأنّ عليّاً نفس رسول الله ﷺ، وحكمه حكمه، وكما أنّ التقدّم على النبيّ ضلالة فالتقدّم عليه ضلالة أيضاً.

الدليل التاسع والعشرون:

عن جابر بن عبدالله الأنصاري، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من سرّه أن يحيا حياتي ويموت موتي ويدخل جنّة عدن غرسها ربّي فليوالي عليّاً بعدي، وليقتد بأولاده من بعده فإنّهم خلقوا من طينتي، رزقوا علماً وفهماً، فويل للمكذّبين

⬅ ١٢٠ رقم ٣٦٣٨٧، و١٦: ١٣٧ رقم ٤٤١٦٦؛ المناوي في فيض القدير ٤: ٤٧٠؛ العلوي في دفع الارتياب عن حديث الباب: ١٥.

شواهد التنزيل ١: ٤٨؛ تفسير ابن كثير ٣: ٥٢٣؛ ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٨ ط دار صادر - بيروت؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢: ٣٧٧ و٣٧٨ و٣٨٦؛ أُسد الغابة ٤: ٢٩؛ ابن النجّار البغدادي، ذيل تاريخ بغداد ٥: ٧٤، تحقيق عطا، ط دار الكتب العلميّة - بيروت، ط أُولى ١٤١٧ هـ؛ تهذيب الكمال ١٥: ٣٧٣؛ تهذيب ابن حجر ٥: ٢٩٧ ط دار الفكر، أُولى ١٤٠٤؛ أنساب الأشراف: ٩٨، تحقيق المحمودي، ط مؤسسة الأعلمي - بيروت، أُولى ١٣٩٤؛ ينابيع المودّة ٢: ١٨٤ و٣٩٤.

بفضلهم من أُمّتي، لا ينالهم شفاعتي(١).

وعن فاطمة الكبرى قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ ولد أُنثى ينتمون إلى عصبتهم إلّا ولد فاطمة عليها السلام فأنا وليّهم وأنا عصبتهم(٢).

وهذه الأخبار تدلّ على إمامة عليّ وأولاده.

الدليل الثلاثون:

إنّ الله تعالى لم يجعل أحداً قسيمه سوى عليّ وأولاده، كما قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(٣) فجعل الأقسام ثلاثة: الله ورسوله وذووا القربى وهم عليّ وأولاده، وباقي الأصنام من يتامى ومساكين وأبناء السبيل وهم الذين يحتاجهم حاجة في الغربة وإن كانوا في وطنهم أغنياء بشرط كونهم من بني هاشم، فلم يستحقّ المساهمة مع الله ورسوله إلّا عليّ وأولاده، وهذا أعلى المناصب ودالّ على فضلهم، وتقديم المفضول على الفاضل قبيح على كلّ حال.

الدليل الواحد والثلاثون:

لم يوجب الله تعالى محبّة أحد من الناس على التعيين إلّا محبّة عليّ وأهل بيته،

---

(١) مجموعة الرسائل للصافي ٢: ٦٩ وقال: أخرجه أبو نعيم الاصفهاني عن ابن عبّاس؛ لسان الميزان ٢: ٣٤.

(٢) مجمع الزوائد ٤: ٢٢٤ و٩: ١٧٣؛ مسند أبي يعلى ١٢: ١٠٩؛ المعجم الكبير ٣: ٤٤ و٢٢: ٤٢٣؛ الجامع الصغير ٢: ٢٧٨؛ كنز العمّال ١٢: ٩٨ رقم ٣٤١٦٨، وص١١٤ رقم ٣٤٢٥٣، وص١١٦ رقم ٣٤٢٦٦؛ تذكرة الموضوعات: ٩٨؛ فيض القدير ٥: ٢٢؛ كشف الخفاء ٢: ١١٩ و١٢٠؛ ضعفاء العقيلي ٣: ٢٢٣؛ تاريخ بغداد ١١: ٢٨٣؛ تاريخ دمشق ٣٦: ٣١٣ و٧٠: ١٤؛ تهذيب الكمال ١٩: ٤٨٣؛ ميزان الاعتدال ٣: ٣٦ ط دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق البجاري.

(٣) الأنفال: ٤١.

وهم القربى الذين عناهم الله سبحانه بقوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1]، والدليل على هذا هو الحديث المروي من طريق المخالف والمؤالف أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

من مات على حبّ آل محمّدٍ مات شهيداً.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّدٍ مات مغفوراً له.

الا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الايمان.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يُزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة[2].

وغير خفيّ على العقلاء أنّهم غصبوا فدكاً من الزهراء وسلبوا العترة الخمس، وأفتوى بإباحة دماء عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وهذا بالضرورة ليس من المحبّة بل من العداوة.

الدليل الثاني والثلاثون:

عن البراء بن عازب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: يا علي، قل: اللهمّ اجعل لي

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) تخريج الحديث: تفسير القرطبي ١٦: ٢٣، قال القرطبي: قلت: ذكر الزمخشري هذا الخبر بأطول من هذا وساق الحديث بطوله؛ الثعالبي ٥: ١٥٧ ط دار إحياء التراث العربي، أُولى ١٤١٨، تحقيق أبو سنة، معوض، عبدالموجود؛ المقريزي، فضل آل البيت: ١٢٨، تحقيق عاشور؛ ينابيع المودّة ٢: ٣٣٣ و٣: ١٣٩.

عندك عهداً، وفي قلوب المؤمنين ودّاً (مودّة ـ المؤلّف)، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (١). (٢)

عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣) فيوشع بن نون سبق إلى موسى بن عمران، وعليّ بن أبي طالب سبق إلى رسول الله.

وعن ابن عبّاس قال: نظر النبيّ إلى عليّ عليه السلام، فقال: أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله، والويل لمن أبغضك بعدي (٤).

وعن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، أنت معك يوم القيامة عصًى من عصى الجنّة تذود بها المنافقين عن حوضي (٥).

عن ابن عبّاس: ما كان أحد أعلم بسرّ رسول الله وجهره من عليّ بن أبي طالب.

عن الحسن بن عليّ عليهما السلام: ما بعث رسول الله عليّاً قطّ إلّا أعطاه الراية (٦).

هذا الأخبار بمجموعها جائت من طريق المخالفين وهي دليل إمامته وبرهان على خلافته وعلى إبطال عمل الآخرين.

---

(١) مريم: ٩٦.

(٢) تفسير فرات الكوفيّ: ٢٥٠ تحقيق محمّد كاظم، الطبعة الثانية، ط المطبعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، أُولى ١٤١٠؛ شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٤٦٩.

(٣) الواقعة: ١٠ و ١١.

(٤) المستدرك ٣: ١٢٨ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ١٣٥؛ المعجم الصغير ٢: ٨٩؛ ميزان الاعتدال ٢: ١٧٨، تحقيق البجاري، ط دار المعرفة ـ بيروت، أُولى ١٣٨٢ هـ؛ تهذيب التهذيب ٤: ٢٤٩؛ جواهر المطالب ١: ٢٣٣؛ ينابيع المودّة ١: ٣٩٦ و ٢: ٣٧٥ و ٤٦٢.

(٦) مجمع الزوائد ٩: ١٢٥؛ المعجم الكبير ٢: ٧٩ بطريقين و ٣: ٨٠.

الدليل الثالث والثلاثون:

عن ابن عبّاس، عن رسول الله ﷺ: أنا دار الحكمة وعليّ بابها، ومن أراد الدار فليأتها من بابها[(١)].

وعنه عليه الصلاة والسلام وآله أنّه قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها[(٢)].

والغرض من هذا الحديث هو الدلالة إلى أنّ من أراد دخول الشريعة فعليه الإيمان أوّلاً بولاية عليّ وأهل بيته عليهم السلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن

(١) الترمذي ٥: ٣٠١؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١٥٥؛ مسند أبي يعلى ٢: ٥٨؛ الجامع الصغير ١: ٤١٥؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٠ رقم ٣٢٨٨٩ و١٣: ١٤٧ رقم ٣٦٤٦٢؛ فيض القدير ٣: ٦٠ وقال تعقيباً على الحديث: فناهيك بهذه المرتبة ما أسناها، وهذه المنقبة ما أعلاها، ومن زعم أنّ المراد بقوله: «وعليّ بابها» أنّه مرتفع من العلوّ وهو الارتفاع فقد تنحّل لغرضه الفاسد بما لا يجزيه نفعاً ولا يسمنه ولا يغنيه. أقول: إذن لماذا تقدّمون عليه ابن آوى وأخويه ؟!

العجلوني في كشف الخفاء ١: ٢٠٣، ونقل عن أبي سعيد العلائي قوله: الصواب أنّه حسن باعتبار تعدّد طرقه لا صحيح ولا ضعيف فضلاً عن أن يكون موضوعاً، هذا بعد أن نقل فيه أقوالاً مختلفة.

ردّ اعتبار الجامع الصغير: ١٥، تحقيق أحمد درويش، ط دار الباز شيكاگو؛ فتح الملك العلي: ٤٥، ط مكتبة أمير المؤمنين، تحقيق محمّد هادي الأميني، وللكتاب طبعة أُخرى بمطبعة السعادة بمصر ١٣٨٩ هـ وحقّقه النقشبندي؛ دفع الارتياب: ٣ و٩ و١٠ و١١ و١٤ و٢١ و٤٣ و٥٢ و٥٣؛ كتاب المجروحين ٢: ٩٤؛ تاريخ دمشق ٤٢: ٣٧٨؛ ابن الجوزي في الموضوعات ١: ٣٤٩ رواه عن طريق عليّ بخمس طرق، وعن ابن عبّاس بعشر طرق، وعن جابر بطريق واحد، ثمّ قال: هذا حديث لا يصحّ من جميع الوجوه وقد فنّد القماري دعوى من أنكره بكتاب مستقلّ سمّاه: فتح الملك العلي، وقد أتى فيه بالعجب والعجاب، وألقم ابن الجوزي ونظرائه ألف حجر وحجر.

وقال الذهبيّ في ميزان الاعتدال ٣: ٦٦٨ بعد أن عزاه إلى الترمذي: فما أدري من وضعه؟ البداية والنهاية ٧: ٣٧٥؛ سبل الهدى والرشاد ١: ٤٧٥ و١١: ٢٩٢؛ ينابيع المودّة ١: ٢١٨ و٢: ٩ و٣٩٣.

(٢) راجع: رفع الارتياب: ٣، واقرأ كتاب فتح الملك العلي تجزم بتوتر الحديث إن شاء الله.

أَبْوَابِهَا﴾[١] ومعنى البيوت هنا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، والباب عليّ عليه السلام وإلّا فيكون الكلام لغواً إذ لا فائدة من ذكر إتيان البيوت من أبوابها إلّا بهذا التأويل.

الدليل الرابع والثلاثون:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢]، وطاعة الرسول واجبة بالإجماع مطلقاً فينبغي أن يكون حكم المعطوف وهم أُولوا الأمر حكم المعطوف عليه وهو النبيّ صلى الله عليه وآله، فطاعتهم مطلقاً وعلى كلّ حال واجبة، ولا يصحّ أن يأمر الله بطاعة غير المعصوم الذي يصدر منه الخطأ والذنب لأنّه ربّما أمر المطيع بالمعصية، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٣].

وإذا جاز الخطأ والذنب على أُولي الأمر كان أبوبكر وعمر وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن سعيد ومروان بن الحكم وأبو سفيان ومعاوية ويزيد كلّهم من جنس واحد لا فرق بينهم؛ فوجبت العصمة على هذا لأُولي الأمر وهي ليست لأحد إلّا لعليّ وأولاده عليهم السلام.

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) مسند أحمد ١: ١٣١ و٤٠٩ و٥: ٦٦؛ مجمع الزوائد ٥: ٢٢٦ و٩: ١٧٧؛ شرح سنن النسائي للسيوطي ٣: ١٧، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تحقيق عبدالفتاح، الثانية ١٤٠٦؛ تحفة الأحوذي ٣: ١٩٣ و٥: ٢٩٨؛ مصنّف الصنعاني ٢: ٣٨٣؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٧٣٨؛ الحارث ابن أبي أُسامة في بغية الباحث: ١٩٠، تحقيق السعدني، ط دار الطلايع؛ المعجم الأوسط ٤: ١٨٢ و٣٢١؛ المعجم الكبير ١٨: ١٦٥ و١٧٠ و١٧٧ و١٨٥ و٢٢٩؛ الدارقطنيّ في سؤالات حمزة: ٧٦، ط مكتبة المعارف ـ الرياض، أُولى ١٤٠٤، تحقيق موفّق بن عبدالله؛ مسند شهاب ٢: ٥٥.

الدليل الخامس والثلاثون:

ذكر أحمد سقي صاحب «مناشير الصحابة» أنّ رسول الله ﷺ قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام(١). أي إنّ هذه الأوصاف اجتمعت على الوجه الأكمل في الأنبياء وهي مجتمعة جميعها في عليّ عليه السلام وحده، والحقيقة أنّ ما تفرّق في الأنبياء منها اجتمع في عليّ، فهو بناءاً على هذا أفضل من الأنبياء، وأبوبكر الذي أسلم عن شرك كيف يقال بأنّه أفضل من الأنبياء، والاتفاق حاصل من المخالفين أنّ أبابكر ليست له درجة أيّ واحد من الأنبياء.

وبناءاً على هذا الحديث يكون عليّ عليه السلام أفضل من الأنبياء، وكما أنّ موسى وعيسى وإبراهيم لهم التقدّم على رعاياهم في زمانهم ولا ينبغي لأحد من أتباعهم التقدّم عليهم فكذلك عليّ عليه السلام وهو أفضلهم لا يحقّ لأحد التقدّم عليه في الإمامة والعمران من رعيّته.

وأمّا تعطيل إمامته وعزله عن تولّي شئونات الولاية فهو نظير تعطيل هارون وانزوائه أيّام ظهور السامري وعبدة العجل، وكما كان هارن يفتقر إلى القوّة التي تعينه على الخروج فعليّ مثله تماماً، ولمّا نال القوّة في زمان معاوية أظهر نفسه وخرج إلى حقّه.

---

(١) ابن حجر في لسان الميزان ٦: ٢٤؛ الخوارزمي في المناقب: ٨٣ و٣١١، ط مؤسسة النشر الإسلاميّ، ط ثانية، تحقيق مالك المحمودي؛ الحلّي في كشف اليقين: ٥٢ وأحال على البغوي في الصحاح، وأحال على البيهقي في فضائل الصحابة؛ أيضاً الصافي في مجموعة الرسائل ٢: ٤٢.

الدليل السادس والثلاثون:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ خير البشر، من أبى فقد كفر(١). ومن حيث كونه خير البشر لا يجوز لأبي بكر التقدّم عليه، وإن كان تغلّب بالقوّة ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٢).

الدليل السابع والثلاثون:

وإنّما احتاجت الرعيّة إلى الإمام لسلب العصمة عنهم، فلو جاز اقتراف الذنب على الإمام وسلبت العصمة عنه أيضاً لاحتاج إلى إمام فوقه يرشده ويهديه وهكذا يحصل التسلسل. والخلفاء الذين سبقوا الإمام إلى الحكم ليسوا من أهل العصمة باتفاق المسلمين، والإمام عقلاً وشرعاً هو من امتنع عليه الخطأ والذنب، وحينئذٍ لابدّ من كونه عليّاً؛ لأنّ من قال بعصمة الإمام لم يعدُ عليّاً وأولاده فثبتت لهم العصمة.

الدليل الثامن والثلاثون:

قال الله تعالى بعد ذكره الأنبياء وأولادهم وذرّيّاتهم: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن

---

(١) خيثمة بن سليمان الاطرابلسي في حديث خيثمة: ٢٠١، تحقيق الدكتور عمر التدمري، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٠؛ ابن عدي في الكامل ٤: ١٠، ط دار الفكر ـ بيروت، الثالثة، تحقيق سهيل زكار؛ تاريخ بغداد ٧: ٤٣٣؛ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٣٧٢ بخمس طرق؛ ميزان الاعتدال ٢: ٤٠٤؛ سير أعلام النبلاء ٨: ٢٠٥؛ سبط ابن العجمي في الكشف الحثيث: ٩٤ واقتصر على الجزء الأوّل من الحديث، وفي ص٢٤٣ ذكر الحديث كلّه، تحقيق صبحي السامرائي، مكتبة النهضة العربيّة، مطبعة عالم الكتب، أُولى ١٤٠٧؛ لسان الميزان ٢: ٢٥٢ و٣: ٢٦٨؛ البداية والنهاية ٧: ٣٩٥؛ ينابيع المودّة ٢: ٧٨ و٢٧٣ و٢٧٤.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

بَعْضٍ﴾(١) فأعطاهم ربّهم الولاية والإمامة، فلو كان أبوبكر على حقّ لكانت الخلافة لأولاده، ويقال مثل ذلك في عمر، ولمنحهم الله ذرّيّة صالحة، ولكن لمّا كانت وصاياهم إلى الأجنبيّ لا إلى ذراريهم دلّ ذلك على نيلهم الحكم بالقهر والغلبة، وبالغصب لا بحكم الشريعة وإذن من صاحبها.

أمّا عليّ عليه السلام فكان من عترة النبيّ وأقربائه، والحسن والحسين إلى قائم آل محمّد من ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله ووارثيه؛ فالإمامة حقّهم بقول الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

الدليل التاسع والثلاثون:

روى المخالف والمؤالف عن مسروق، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: فاطمة بضعة منّي، يسوئني من سائها، ويسرّني من سرّها(٢).

وروى حذيفة قال: ذهبت إلى خدمة النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال لي: إنّ هذا ملك لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم عليّ ويبشّرني بأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة(٣).

---

(١) آل عمران: ٣٤.

(٢) هذا الحديث مستفيض مشهور متواتر، رواه جمع من الحفّاظ لا يعدّ ولا يحصى، ونحن نقتصر على الصحيحين في نقله لإمكان العثور عليه للقارئ الكريم في جُلّ كتب الحديث، ونحبّ أن نلفت الأذهان إلى أنّ محمّد بن إسماعيل البخاري تصرّف في الحديث كما هي عادته فحرّف منه ما علم فيه إدانة لإماميه، أمّا مسلم فقد روى الحديث بلفظ «يؤذيني». صحيح البخاري ٤: ٢١٠ و٢١٢ و٦: ١٥٨، وصحيح مسلم ٧: ١٤١ بطريقين، وفي الثاني: يؤذيني ما آذاها. وإنّما تجنّب البخاري كلمة «يؤذيني» فلأنّ مؤذي النبيّ كافر، والقوم آذوا ابنته فآذوه فأدّى ذلك إلى كفرهم.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٣٢٦؛ مجمع الزوائد ٩: ١٨٣ ولم يذكر في الحديث فاطمة عليها السلام؛ المعجم الأوسط ٦: ٢٣٨ واقتصر على ذكر الحسنين عليهما السلام، ومثله المعجم الكبير ٣: ٣٧ و٣٨ و٢٢: ٤٠٣ وفيه: وأُمّهما سيّدة نساء أهل الجنّة؛ كنز العمّال ١٢: ٩٦ رقم ٣٤١٥٨ و١٣: ٦٤٠ رقم ٣٧٦١٧ ←

وبناءاً على هذه الأحاديث فإنّ من آذى فاطمة فقد آذى أباها ومن آذاه فقد آذى الله، ومن آذاه لا يستحقّ خلافة رسول الله والنيابة عنه.

وكذلك عليّ هو من أهل الجنّة وصادق القول فإذا كانت فاطمة أُوذيت لأنّ أبابكر غصبها فدكاً وخالف كتاب الله وتمسّك بحديث مفترى فإنّه ردّ شهادة عليّ عليه السلام ولم يعتن بحديث «فاطمة بضعة منّي» ولا بآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾(١)، ولمّا ثبتت عصمتها فكيف يردّ المذنب المخطأ شهادة المعصوم، وهذا الفعل من أعظم الخطيئات، وهذا ممّا يقول به الخصم أيضاً، ومن كانت حاله على هذه الكيفيّة فلن يستحقّ الخلافة أبداً، ولمّا بطلت خلافة الأوّل بإيذائه فاطمة ثبتت إمامة عليّ عليه السلام لئلّا يخرج الحقّ من الأُمّة.

الدليل الأربعون:

اعلم بأنّه ما من نبيّ ينتقل من هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى إلّا ويظهر من بعده الظلمة ويدّعون مقامه وخلافته، ويستأصلون شأفة أهل بيته، والدليل على ذلك من وجوه:

الوجه الأوّل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كائن في أُمّتي ما في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّه بالقذّة(٢).

وص٦٦٥ رقم ٣٧٦٩٥ وليس فيه ذكر الزهراء عليها السلام؛ عليّ بن معصوم في الدرجات الرفيعة: ٢٨٥، ط مكتبة بصيرتي ـ قم، الثانية ١٣٩٧؛ ابن عدي في الكامل ٥: ٣٦٨؛ تاريخ دمشق ١٣: ٢٠٨؛ سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٧ وقال: سنده حسن، و٣: ٢٥٢؛ البداية والنهاية ٨: ٢٢٥؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ١٦١ و١٦٢.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) المستدرك ٤: ٤٦٩ بسياق يختلف عن سياق المؤلّف والمعنى واحد؛ مسند أبي داود الطيالسي:

ومعناه انّ ما يحدث في أُمّتي حدث مثله في بني إسرائيل، وقال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[1] يعني يغيّرون كلام الله كما فعل اليهود والنصارى فإنّ أتباع النبيّ يفعلون ذلك.

واتفق أهل السير والتاريخ بأنّ صفوراء زوج موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام بنت شعيب طغت وبغت وخرجت على يوشع بن نون وصيّ موسى كما فعلت عائشة بصحبة طلحة والزبير بخروجها على أميرالمؤمنين عليه السلام، وتغلّب يوشع وصيّ موسى عليها وقتل الطاغين وأسر صفوراء بنت شعيب.

الوجه الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[2] ويسمّى جماعة رهباناً وهم الذين يفصلون أنفسهم عن المجتمع ويضربون عرض الصحراء، وهذا يعتبر بدعة ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ بل هم الذين ابتدعوا هذه الحياة الخارجة على نظام الشرع[3].

الوجه الثالث: اتفق أهل القبلة على أنّ موسى وعيسى أخبرا أُمّتهم بمبعث النبيّ وشرح أحواله كما أخبروها بكلّ نبيّ يأتي بعدهما، ولكنّ الأُمّة لم تصخ سمعها إليهما وركبت رأسها وأصرّت على كفرها وضلالها سنين طوالاً، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: كائن في أُمّتي ما كان في بني إسرائيل، فينبغي أن يجري بعد النبيّ ما جرى بعد موسى

⬅ ١٥٣، نشر دار الحديث ـ بيروت؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٨: ٦٣٦؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٦؛ كنز العمّال ١١: ٢٣٠ رقم ٣٢٣٣٥؛ ينابيع المودّة ٣: ٢٨٣ بسياق يتفق مع المؤلّف ويزيد عليه.

(١) النساء: ٤٦.

(٢) الحديد: ٢٧.

(٣) لم يتيسّر لي ويا للأسف معرفة ارتباط هذا الوجه بما نحن فيه إلّا أن يقصد المؤلّف أنّ شورى الخلافة ما هي إلّا بدعة لم يأت بها شرع وشأنها شأن الرهبانيّة، وهذا توجيه لا أثق به.

وعيسى، وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(١) ولكن النصارى ردّوا وقوله وأصرّوا على كفرهم وزعموا أنّهم قائمون على مستحكم الدين.

الوجه الرابع: وقال الله تعالى في سورة الأعراف بعد ذكره الأنبياء: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ...﴾ الآية(٢)، وهذا الوضع بعينه حدث فيما بين الصحابة لأنّهم جميعاً يقرؤون الكتاب ويعلمون ويتركون العمل، والخلف هو الذي يزعم أنّه خليفة ونائب لأحد ولكنّه كاذب ومفتري وخائن ومدغل في الدين ويستحق الذمّ على ذلك.

الوجه الخامس: قال الله تعالى في سورة مريم بعد ذكره الأنبياء: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(٣) كما تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيّام في بيته لم يصلّوا عليه وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة ينازعون على السلطان، وكانوا يرون الصلاة عليه تفوّت الفرصة عليهم، وتذهب الإمامة إلى بني هاشم ﴿أَضَاعُوا الصَّلاَةَ﴾ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ استبدّوا بأُمور الخلافة.

الوجه السادس: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾(٤) لقد عرف الصحابة مناقب عليّ وفاطمة وأولادهما ورحمهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنّهم أنكروها.

---

(١) الصفّ: ٦.

(٢) الأعراف: ١٦٩.

(٣) مريم: ٥٩.

(٤) الصف: ٥.

الوجه السابع: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[(١)] وليس الغرض من بيان هـذا الأمر الحكاية بل العبرة والتذكير، والدليل عليه يقوله تعالى: ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[(٢)] وقال الله تعالى: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ﴾[(٣)]، وقـال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾[(٤)]؛ فما فعله الرسل في الزمن الغابر وفعلته أُممهم معهم تفعله هذه الأُمّة مع رسولها، وكما أصرّت تلك الطوائف عـلى كفرها آلاف السنين فقد يجري على هذه الأُمّة ما جرى على تلك ويحصل لها مـا حصل لأولئك الماضين من الإصرار على الكفر.

الوجه الثامن: قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ﴾[(٥)] تركوا الله ورائهم ظهريّاً كما اتّخذت تلك الطائفة رهبانهم آلهة من دون الله، وطائفة الإسلام المشمولة لهذه العبر اتخذوا مشايخهم وبعض الصحابة آلهة، والدليل عـلى ذلك سجودهم لمشايخهم وقبلاتهم لأعتابهم، واتخاذهم كفر القوم المحض طـاعة وعبادة، ويعدّون مـن تمسّك بأهـل بـيت النـبيّ ﷺ مـن الأشرار، وحـاشاهم، ويعيبونهم بذلك، والعجب من قوم ينسبون الفسـق إلى خـالقهم وكـذلك الشرّ، ويزنّون الأنبياء ويرمونهم بالمعاصي والإجرام، والمشركون الذيـن أسـلموا بـعد الشيخوخة يرونهم الخلفاء والقدوة لأهل العالم، ويعوّلون عـليهم في النـجاة مـن عذاب الله، ويأملون في الخلاص بهم، وحاشا للّه أن تكـون الحـال كـما يـرون، والأمر كما يظنّون ويتخيّلون.

---

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) يوسف: ١١١.

(٣) البقرة: ١١٨.

(٤) الأحقاف: ٩.

(٥) التوبة: ٣١.

ويروننا نحن الذين نعبد ربّاً عادلاً منزّهاً سبحانه وتعالى عمّا يقولون، ونثبت العصمة للأنبياء من المهد إلى اللحد، ونقتدي بالإمام المعصوم من أهل بيت النبوّة والإمامة، أقول: يروننا ضالّين، ويسمّوننا روافض، وعندنا هم الروافض والنواصب والخوارج واليزيديّون والمروانيّون والقدريّة والجبريّة كما مرّ ذلك سالفاً.

وهذه الوجوه بجملتها أفاضها الحقّ على قلبي ولم أقتبسها من كتاب مع كثير من الدلائل المذكورة في الكتاب وقد سلفت.

الفصل الأوّل

في مَن ظلم العترة وسبّهم

ذكر الحافظ إسماعيل الاصفهاني المحدّث في قصص الصحابة عن سعيد بن جبير أنّه قال: بلغ ابن عبّاس أنّ قوماً يقعون في عليّ عليه السلام فقال لابنه عليّ بن عبدالله: خذ بيدي فأذهب بي إليهم، فأخذ بيده حتّى أتى إليهم، فقال: أيّكم السابّ للّـه؟ فقالوا: سبحان الله، من يسبُّ الله فقد أشرك.

فقال: أيّكم السابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: من يسبّ رسول الله فقد كفر.

فقال: أيّكم السابّ عليّاً؟ قالوا: قد كان ذلك.

قال: فأشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أكبّه الله على وجهه في النار[1].

---

(١) تخريج الحديث: مسند أحمد ٦: ٣٢٣ واكتفى منه بالجزء الأوّل؛ المستدرك ٣: ١٢١ بطريقين وفي الثاني: ومن سبّني فقد سبّ الله؛ مجمع الزوائد ٩: ١٣٠ وقال: رجاله رجال الصحيح؛ السنن ←

وعن رسول الله ﷺ : حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي ، وقاتلهم والمعين لهم ، أولئك لا خلاق لهم ومالهم من نصيب(١).

وروى العلماء عن الأئمّة قولهم : الشكّ فينا كفر .

وروي عن الأئمّة عليهم السلام ، قولهم : نحن أهل بيت لا يقاس بالناس ، ما عادانا بيت إلّا خرب ، وما نبح علينا كلب إلّا جرب ، لعن الله الداخل فينا من غير نسب ، والخارج عنّا من غير سبب .

وقال رسول الله ﷺ : «المنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا»(٢) ، معنى ذلك أنّ من

⊃ الكبرى ٥ : ١٣٣ بطريقين : الأُولى عن بريدة ، والثانية عن أُمّ سلمة ؛ خصائص أمير المؤمنين له أيضاً : ٩٩ بطريقين ؛ جزء الحميري ، لعليّ بن محمّد الحميري : ٢٨ ، ط دار الطحاوي ـ الرياض ، أُولى ١٤١٢ ، تحقيق الزبير .. وفيه : فقد سبّني ومن سبّني سبّه الله .

نظم درر السمطين : ١٠٥ ؛ الجامع الصغير ٢ : ٦٠٨ ؛ كنز العمّال ١١ : ٥٧٣ وفيه : من سبّ الله عذّبه الله ، رقم ٣٢٧١٣ ، وص٦٠٢ رقم ٣٢٩٠٣ ؛ فيض القدير ٦ : ١٩٠ ؛ تاريخ دمشق لابن عساكر ١٤ : ١٣٢ و٣٠ : ١٧٩ ؛ و٤٢ : ٢٦٦ و٢٦٧ والحديث هنا موقوف على أُمّ سلمة ، وص٥٣٣ ؛ البداية والنهاية ٧ : ٣٩١ ؛ الموفّق الخوارزمي في المناقب : ١٣٧ وسياقه يتفق مع المؤلّف ، وص١٤٩ ؛ وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام : ٦٥ ، تحقيق المحمودي ، ط مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ، ثالثة ١٤١٤ ؛ ابن الدمشقيّ في جواهر المطالب ١ : ١٦٥ ، تحقيق المحمودي ، ط دانش ـ قم المقدّسة ١٤١٥ هـ ؛ سبل الهدى والرشاد ١١ : ٢٥٠ و٢٩٤ .

ينابيع المودّة ١ : ١٥٢ و٢ : ١٠٢ و١٥٦ بطريقين ، وص٢٧٤ و٢٧٨ وفيه رواية سعيد بن جبير وص٣٩٥ .

(١) تفسير القرطبي ١٦ : ٢٢ والحديث سياقه مختلف إلّا في الجزء الأوّل ؛ سبل الهدى والرشاد ١١ : ٩ ؛ ينابيع المودّة ٣ : ١٣٩ ؛ تنبيه الغافلين : ١٠٣ ، تحقيق السيّد تحسين آل شبيب ، أُولى ١٤٢٠ هـ ، ط مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة .

(٢) الشيخ الصدوق في كمال الدين : ١٤ ؛ الطبريّ الشيعيّ في نوادر المعجزات : ٥ ؛ المفيد في الاعتقادات : ١٠٤ ؛ عليّ بن يونس العامليّ في الصراط المستقيم ٢ : ٢٣٢ ؛ بحار الأنوار ٨ : ٣٦٦ و٢٧ : ٦١ و٢٩ : ٣١ ؛ حجازي خسروشاهي في درر الأخبار : ١٠٤ .

أنكر الإمام صاحب الزمان كان كمن أنكر رسول الله صلى الله عليه وآله.

واتفقت كتب أهل السنّة على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ يوم غدير خم[(١)]: اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، والعن من ظلمه.

وذكروا أيضاً أنّ عليّاً عليه السلام قال: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأُمّيّ إليّ أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق[(٢)].

والمعروف عن جابر أنّه كان يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مروا أولادكم بحبّ عليّ بن أبي طالب.

وقال الإمام زين العابدين:

ومن سرّنا نال منّا السرور　　ومن ساءنا ساء ميلاده

---

(١) الحديث متواتر وقد أخرجه جُلّ الحفّاظ من أهل السنّة فلا حاجة إلى تجشّم عناء البحث في الكتب.

(٢) تخريجه: الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي ٢: ٩٤٦، تحقيق المحدّث، ط بهمن؛ شرح الأخبار ١: ٤٣٦؛ كنز الفوائد للكراجكيّ: ٢٢٥، ط مكتبة مصطفوي، ط ثانية ١٤١٠؛ مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٩؛ ابن البطريق في العمدة: ٢١٨؛ ذخائر العقبى: ٩١ وقال: أخرجه مسلم؛ صحيح مسلم ١: ٦١، ط دار الفكر ـ بيروت؛ شرح النووي على صحيح مسلم ٢: ٦٤؛ فتح الباري لابن حجر ٧: ٥٨، ط دار المعرفة ـ بيروت، الثانية.

نظم درر السمطين: ١٠٢؛ النسائي في خصائص أميرالمؤمنين: ١٠٤؛ ينابيع المودّة ٢: ٣٩٢؛ محمّد بن عقيل في النصائح الكافية: ٩٣، ط دار الثقافة ـ قم المقدّسة، أُولى ١٤١٢؛ محمّد محمّديان في حياة أميرالمؤمنين عن لسانه ١: ٢٢٩، ط مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، أُولى ١٤١٧. والحديث له شواهد منها قول ابن عبّاس: كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم عليّاً، أو كما قال.

الفصل الثاني
في مناقب عليّ عليه السلام على سبيل الإجمال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلق الناس من شجر شتّى وخُلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة(١).

وقال أيضاً: خلقت أنا وعليّ من نور واحد(٢).

عليّ بن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو هاشميّ من جهة الأُم ـ والأب أيضاً (المترجم) ـ وأبو طالب ابن هاشم وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولأقرباء النبيّ الصلحاء من المناقب أعلاها، وهو صهر النبيّ على ابنة مثل فاطمة عليها السلام سيّدة نساء أهل الجنّة،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٨ وفي الحديث زيادة على ما ذكره المؤلّف؛ أيضاً الصدوق في الخصال: ٢١؛ الغارات ١: ٢١؛ الكوفي في مناقب أميرالمؤمنين ١: ٤٧٦ و٤٨٠؛ النعمانيّ في شرح الأخبار ٢: ٥٨٧؛ الاحتجاج ١: ٢٠٨؛ ابن طاووس في إقبال الأعمال ١: ٥٠٦؛ الصراط المستقيم ١: ٢٢٨؛ بحار الأنوار ٢١: ٢٨٠ و٢٢: ٢٧٨، وراجع الأجزاء التالية من البحار: ٣٥ و٣٦ و٣٧ و٤٠ و٩٩؛ المستدرك ٢: ٢٤١ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ مجمع الزوائد ٩: ١٠٠ وصحّفت كلمة «علي» إلى «ليع» خبثاً منهم وتعمية، ط دار الكتب العلميّة، ط ١٤٠٨ هـ. المعجم الوسيط ٤: ٢٦٣؛ نظم درر السمطين: ٧٩؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٨ رقم ٣٢٩٤٤؛ شواهد التنزيل ١: ٣٧٥ و٣٧٦ بطريقين، وص ٥٥٤؛ تفسير القرطبي ٩: ٢٨٣؛ الدرّ المنثور ٤: ٤٤؛ ضعفاء العقيلي ٢: ٢١٢، تحقيق الدكتور عبدالمعطي أمين القلعجي، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت، ثانية ١٤١٨ هـ؛ تاريخ دمشق ٤٢: ٦٤؛ ميزان الاعتدال ٢: ٣٠٦؛ عليّ بن محمّد العلوي في المجدي في أنساب الطالبيين: ٣٢٠ وفيه: «وابنا أبي طالب» مكان «علي»، تحقيق الدامغاني، ط سيّدالشهداء، أُولى ١٤٠٩ مكتبة المرعشي؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٩٦؛ الحسيني في تأويل الآيات ١: ٢٢٨، ط مطبعة أمير قم، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، أُولى ١٤٠٧؛ السيّد مرتضى الأبطحي في الشيعة في أحاديث الفريقين: ١٥٨.

(٢) علل الشرايع ١: ١٣٤؛ ينابيع المودّة ١: ٤٢٢ و٢: ٣٠٧ و٣٠٨؛ الشيعة في أحاديث الفريقين: ٢١٠.

وأب للحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وللإمام زين العابدين إلى محمّد المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليهم أجمعين، وأولاده سادات المشرق والمغرب، ونقبائهما، وهو وارث النبيّ صلى الله عليه وآله وخليفته، ومصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(١).

وكان رسول الله في بيت أبيه منذ عهد الطفولة حين فقد أبويه وبلغ الثامنة والثلاثين، وبذل أبواه للنبيّ من الودّ والرعاية والنصرة بالنفس والنفيس، وتعهّداه بالحبّ والخدمة حتّى وافاهما الأجل...(٢)، ونصره في أيّام الشعب أبوه وإخوانه وعمّاه، وكان أبوطالب عليه الصلاة والسلام رئيس ناصريه.

وعندما هاجر النبيّ فداه بنفسه حين نام في فراشه، وكان لأبيه موقف ممتاز في خطبه النبيّ سيّدتنا خديجة عليها السلام؛ فقد كان هو الخاطب والخطيب، وكان يمدّ رسول الله بالعون والنصرة، ويجلّي بفعله هذا كروبه وكروب من آمن به.

وكان عليّ عليه السلام نعم المجاهد مع النبيّ، لم يولّ الأعداء ظهره قطّ، ولم يؤذ النبيّ مرّة واحدة طيلة حياته.

وهرع الصحابة في آخر أيّام النبيّ إلى طلب السلطان وتركوا النبيّ جثّة على المغتسل، فلم يحضروا تجهيزه ولم يصلّوا عليه، وكان عليّ عليه السلام حاضراً حين فارقت النبيّ روحه الطاهرة ولم يفارقه، وقام بواجب الخدمة في تلك الساعات الحرجة، ثمّ شرع في جهازه فغسله وكفّنه ودفنه بعد أن صلّى عليه، وقام بالعزاء وحفظ الشريعة.

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) قال المؤلّف كلمة لم أجدها صالحة وهي قوله: «ربّياه» بل الله ربّاه وعلّمه لذلك لم أستعملها في الجمل التي ترجمت بها عبارته.

وكان عليّ مفزع أصحاب رسول الله في المعاضل والمشاكل لاسيّما الثلاثة الذين يبادرون إلى الإمام كلّما عظّتهم المشاكل المعقدة فيحلّها لهم على هدي الإسلام ونور الشريعة حتّى أثر عن عمر بأنّه قال سبعين مرّة: «لولا عليّ لهلك عمر»[1]. ولولا حضوره لما قدروا على حلّ قضيّة واحدة.

وكان أعبد الصحابة كلّهم، وعصمه الله من الصغائر والكبائر، ولم يطلب الدنيا، ولا ركبه الغرور مع ما له من السوابق النادرة، ولم يزل مظلوماً بعد رسول الله، مغصوباً حقّه، معتدىٰ عليه، وكان في زمن النبيّ محسوداً، ولكنّه كثير البِشْر، مشرق الوجه والنفس، وأصبح ضريحه قبلة العالم وملجأ لذوي الحاجات.

---

(١) مسند زيد: ٣٣٥، ط دار الحياة ـ بيروت، تحقيق أحد علماء الزيديين؛ أحمد المرتضى في شرح الأزهار ٤: ٣٤٦، ط غمضان ـ صنعاء، ١٤٠٠؛ ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: ١٥٢، تحقيق الأسعردي، ط دار الكتب العلميّة ـ بيروت؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨ و١٤١، و١٢: ١٧٩ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٠٦؛ ينابيع المودّة ١: ٢١٦.

الباب السادس

في الآيات التي لم يعملوا بها

لمّا عكفت على تأليف هذا الكتاب في السنة التي حضرت فيها إلى سدّة سيّد العالم الشامخة بهاء الدين محمّد بن محمّد صاحب الديوان، كنت يوماً بين جماعة من العلماء فعرضت مسائل كثيرة دينيّة في العلم والعمل، وجميعها تخصّ مذهب الشيعة، ولمّا انفضّ المجلس عمّ الجدل الحاضرين لما عليه المذهب من الانتظام، وفي ذلك اليوم جمعت في خاطري مائة وأربعين آية من القرآن الكريم رفضها الصحابة ولم يعملوا بها، ولولا خوف الإطالة لذكرتها كلّها ولكنّي أعرض منها طلباً للاختصار وتسهيلاً على القرّاء أربعين آية وأترك الباقي.

الآية الأُولى: آية الخمس

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾(١).

فطعنوا في هذه الآية وسلبوا سادات المشرق والمغرب حقّهم في الخمس، ومنذ زمن رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة تركوا سادات أهل البيت بحاجة ماسّة إلى ما

---

(١) الأنفال: ٤١.

بأيدي الناس، وحرموهم من حقّهم، وفرضوا عليهم العجز والذلّة عداءاً لأميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وغرضهم من هذه المقاطعة المالية أن يبقى ذرّيّة النبيّ على طرف الحاجة لكي يعرضوهم للمسألة فيبدون في أعين الناس وكأنّهم أهل طمع يتزلّفون إلى أصحاب الجاه والثروة، وبهذا تنخفض درجاتهم في أنفس الناس، ولم يجعل الله من يستحقّ هذا النصيب والمساهمة سوى أميرالمؤمنين وأولاده مع الله ورسوله، ولكن الحاجة المفروضة عليهم غيّرت قلوب الناس عليهم.

الآية الثانية:

﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1].

فلم يعملوا بهذه الآية، واختاروا عداوتهم على مودّتهم، وآثروا الحرام على الواجب من ولائهم، ومنعوهم حقوقهم الدينيّة كالإمامة، والدنيويّة كالخمس، والله تعالى لم يجعل مودّة أحد من العالم واجبة إلّا مودّة عليّ وأولاده عليهم السلام، وهذه منقبة عظيمة من مناقبهم.

الآية الثالثة:

عزل الله أبابكر ورسوله عن أداء الآيات الأُولى من سورة براءة لأهل الموسم، ونصب أميرالمؤمنين مكانه بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

الآية الرابعة:

عزل أبوبكر وعمر ونُحيا عن حمل الراية يوم خيبر وأُقيم عليّ مقامهما، ثمّ إنّ هزيمتهما دليل على أنّهما لم يعملا بهذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً

---

(١) الشورى: ٢٣.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[١].

الآية الخامسة:

لم يعمل بها عثمان وهي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٢].

الآية السادسة:

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٣].

ومن الثابت القطعيّ أنّهم كانوا يفتون بقرائحهم، ولكن أمير المؤمنين يبادر فيصحّح أخطائهم ويتلافى زلّاتهم، وهذا عين ما نهت عنه الآية، لأنّهم اقتفوا ما ليس لهم به علم.

الآية السابعة:

لم يعمل أبوبكر بآية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[٤].

هذا إذا كانا عزبين فإنّ حكمهما الجلد، وقد درأ أبوبكر الحدّ عن خالد بن الوليد حين زنى بزوج مالك بن نويرة بعد قتله.

الآية الثامنة:

لم يعملوا بالآية: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[٥] فدرئوا الحدّ عن «شيبة»[٦] حين

---

(١) الصفّ: ٤.

(٢) الأنعام: ٥٢.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) النور: ٢.

(٥) النور: ٤.

(٦) بل هو الوليد بن عقبة لعنه الله، وأعتقد أنّ الخطأ ليس من المؤلّف.

حسا الخمرة ووقع ثملاً في المحراب وتقيّأ فيه، ومثله عبدالله بن عامر حين اصطبح وصلّى بالناس صلاة الصبح سكراناً أربع ركعات، وكان والياً من قبل عثمان لعنه الله.

الآية التاسعة:

لم يعملوا بها: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) وحديث: أقضاكم عليّ وأعلمكم عليّ، ومع نزارة علمهم وضحالة فهمهم وقلّة إدراكهم تقدّموا على عليّ وهو أعلمهم.

الآية العاشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (٢).

توفّي رسول الله ﷺ وعليّ ذو رحمه، فنحّوه عن مقامه وظلموه وغصبوه حقّه.

الآية الحادية عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ (٣).

فحرموا الزهراء من إرثها، ومثلها الآية: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (٤) وآية: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (٥) فوهب الله له يحيى.

فأبطلوا عدداً من الآيات بحديث مفترىً «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة» حاشا ثمّ حاشا أن يكون هذا من رسول الله ﷺ (٦).

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) النساء: ١١.

(٤) النمل: ١٦.

(٥) مريم: ٥ و٦.

(٦) لو صحّ هذا الحديث ـ وهو موضوع بالضرورة ـ لكان أفحش ظلم يدخل على أهل البيت، لأنّ
⇐

الآية الثانية عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾(١).

فدخلوا بيوت النبيّ بعد وفاته ورقدوا فيها من غير إذنه، واليوم مرّ على دفنهم فيها سبعمائة عام ـ زمن تأليف الكتاب (المترجم) ـ.

الآية الثالثة عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾(٢).

ولكنّهم دخلوا بيت فاطمة بدون إذنها فقادوا بعلها عليّاً عليه السلام مكتوفاً ليبايعهم، وكذلك دخلوا بيت النبيّ من دون إذنه أو إذن ابنته فاطمة عليها السلام.

➲ الله تعالى حرّم عليهم الصدقة ثمّ هو يجعل إرثهم صدقة، فمن أين يأكلون ليت شعري؟ وهل ظلم أحد في التاريخ بمثل هذا الظلم؟ كلّا وحاشا الله أن يظلم عباده لاسيّما أهل بيت حبيبه، ولكن الخبيث الأوّل لعنه الله لمّا لم يجد مفرّاً من حجج الزهراء لجأ إلى الوضع على رسول الله فتبوّأ مقعده من النار بل شارك الوضّاع آثامهم ونيرانهم لأنّه سنّ هذه السنّة السيّئة فعليه إثمها وإثم من عمل بها.

وإنّي عثرت على بعض العلماء من الشيعة يحاولون توجيه هذا الكذب فيجعلون «ما» الموصولة موضع المفعول لـ«نورث» فكأنّه قال: الذي تركناه صدقة لا نورثه، من هؤلاء العلماء الشيخ المفيد في بعض كتبه، والشيخ البياضي في الصراط المستقيم، والشهيد الصدر في فدك. وأقول لهم: إنّكم تحاولون بحسن نيّة نصرة هذا الخبيث لعنه الله على سيّدة النساء فاتركوا هذا التمحّل وارجعوا إلى الحقّ فإنّه كبياض الصبح، وإنّي على يقين أنّ من المتأخّرين من يحاول توجيه هذه الموضوعة فإنّه يعين أبابكر عدوّ الصدّيقة ويتحمّل قسطاً من إثمه وعذابه فالحذر ثمّ الحذر. (المترجم)

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) النور: ٢٧.

الآية الرابعة عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[(١)].

عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك[(٢)].

فأبطلوا حكم هذه الآية التي أجرى حكمها رسول الله ﷺ وغصبوا فدكاً من فاطمة.

الآية الخامسة عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(٣)].

وكان النبيّ ﷺ يحبّ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فتظاهر القوم بعداوتهم وبرهان ذلك دفع آية الخمس وغصب فدك منهم.

الآية السادسة عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾[(٤)].

ومعنى الآية ـ والله العالم ـ قبولهم حكم النبيّ طائعين مختارين راضين.

وقع بين عثمان ويهوديّ نزاع على درع، فقال اليهوديّ: نختصم عند محمّد، وقال عثمان: بل عند حبركم؛ لأنّ عثمان على علم بأنّ النبيّ لا يقضي إلّا بالحقّ، ولا يرتشي، وأنّ الحقّ مع اليهوديّ وليس مع عثمان حتّى نزلت الآية وفضحت عثمان

---

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) مجمع الزوائد ٧: ٤٩، قال: رواه الطبرانيّ... الخ.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) النساء: ٦٥.

وأعطى النبيّ ﷺ الدرع إلى اليهودي.

الآية السابعة عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (١) ولم يعملوا بالآية: ﴿لاَتَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٢).

أعاد عثمان مروان وأباه الحكم بعد أن طردهما النبيّ، وفوّض أمر وزارته إلى مروان مع عدائهما للّه ورسوله، ونفي النبيّ لهما وطرده إيّاهما من المدينة بأمر الله من الله.

الآية الثامنة عشرة:

لم يعمل بها عثمان: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ (٣).

أخذ مروان وهو رأس المنافقين فلم يقتله وإنّما أمّره على المسلمين، وهذه الآية طبّقت على معاوية أيضاً.

الآية التاسعة عشرة:

التي لم يعملوا بها: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (٤).

فكان عثمان سامعاً مطيعاً لمروان المنافق لعنه الله، طريد رسول الله ﷺ.

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) الممتحنة: ١٣.

(٣) الأحزاب: ٦١.

(٤) الأحزاب: ١ و٤٨.

الآية العشرون:

التي لم يعملوا بها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾(١).

فآذوا بني هاشم بإخراج الخلافة والإمامة منهم، وآذوا فاطمة وعليّاً بدفعهم آية الخمس عنهما وحرمانهما وآلهما منه، وغصبوا فدك، ونفوا أباذر جندب رضي الله عنه إلى الربذة، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّكم لله ولرسوله(٢).

ولو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً لآلمه إيذائهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾(٣)، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾(٤).

الآية الواحدة والعشرون:

لم يعمل بها أبوبكر لعنه الله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾(٥).

لأنّ أبا قحافة والده كان حيّاً أبّان خلافته وكان له الحكم عليه.

---

(١) الأحزاب: ٥٨.

(٢) ذخائر العقبى: ٩ و١٩٣ و١٩٤؛ فضائل الصحابة للنسائي: ٢٢؛ مسند أحمد ١: ٢٠٧ و٢٠٨، و٤: ١٦٥؛ سنن الترمذي ٥: ٣١٨؛ مستدرك الحاكم ٣: ٣٣٣ و٤: ٧٥؛ مصنّف ابن أبي شيبة الكوفي ٧: ٥١٨؛ السنن الكبرى ٥: ٥١؛ المعجم الكبير ٢٠: ٢٨٥؛ كنز العمّال ١١: ٧٠٠ رقم ٣٣٣٩٥، و١٢: ١٠٤ رقم ٣٤٢٠٢، و١٣: ٦٤٢ رقم ٣٧٦٢٣؛ تفسير ابن كثير ٤: ١٢٢؛ الدرّ المنثور ٦: ٧؛ تاريخ دمشق ٢٦: ٣٠٠ و٣٠١؛ أُسد الغابة ٣: ١١٠ و٣٣١؛ سير أعلام النبلاء ٤: ٨٨ و١٢: ١٥٦؛ الإصابة ٤: ٣١٧، هذا وقد أعرضنا عن الأكثر من هذه الكتب.

(٣) الأحزاب: ٥٧.

(٤) الجنّ: ٢٣.

(٥) الإسراء: ٢٣.

الآية الثانية والعشرون:

التي لم يعملوا بها آية التمتّع: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾[(١)].

وهذا الفرض من الله على عباده أبطلوه.

الآية الثالثة والعشرون:

التي لم يعملوا بها آية المتعة: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[(٢)].

وإنّما منعوا العمل بها ليميل الناس شطر الزنا، والدليل على ذلك قول أميرالمؤمنين: لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنا إلّا شقي[(٣)].

وقال عمر أيضاً: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ حلالين أنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحجّ[(٤)]، ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى

---

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) النساء: ٢٤.

(٣) ابن رشد في بداية المجتهد ٢: ٤٧، تحقيق خالد العطّار، دار الفكر ـ بيروت، ط ١٤١٥ وعزى القول إلى ابن عبّاس؛ مصنّف الصنعاني ٧: ٤٩٧ و ٥٠٠؛ ابن سلمة في شرح معاني الآثار ٣: ٢٦، تحقيق محمّد زهري النجّار، ط دار الكتب العلميّة، الثالثة ١٤١٦ هـ؛ ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين: ٣٦٥، تحقيق سمير بن أمين الزهري، ط أُولى ١٤٠٨، ط مكتبة المنار الزرقاء. شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٣ و ٢٠: ٢٥؛ كنز العمّال ١٦: ٥٢٣ رقم ٤٥٧٢٨؛ جامع البيان للطبري ٥: ١٩، ضبط صدقي جميل العطّار، ط دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٥؛ تفسير القرطبي ٥: ١٣٠؛ عبدالرحمان البكري في عمر بن الخطّاب: ١٠٩.

(٤) أحمد المرتضى في شرح الا.هار ٢: ١٣٩؛ السرخسي في المبسوط ٤: ٢٧، ط دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٠٦، تحقيق جمع من الأفاضل؛ المغني لابن قدامة ٧: ٥٧٢، ط دار الكتاب العربي، تحقيق جماعة من العلماء؛ عبدالرحمان بن قدامة في الشرح الكبير ٧: ٥٣٧، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت؛ ابن حزم في المحلّى ٧: ١٠٧، تحقيق أحمد محمّد شاكر، ط دار الفكر ـ بيروت؛ مسند أحمد ٣: ٣٢٥ عن جابر بسياق آخر؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٢ و ١٢: ٢٥١

الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾(١). وإنّ من بدّل حكم الله بعد ما سمعه لأعظم جرماً ممّن بـدّله ولم يسمعه، ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

الآية الرابعة والعشرون:

لم يعمل بها عمر: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾(٣).

فقال عمر: لا تغالوا في مهور نسائكم، وقال: من أصدق امرأة أكثر من أربعمائة درهم أوجعته ضرباً وأخذت المال ووضعته في بيت المال، فـقامت امـرأة طـوال وصاحت بأعلى صوتها، وقالت: قال الله تعالى: ﴿آتَـيْتُمْ إِحْـدَاهُـنَّ قِـنطَاراً﴾ وأنت تحرّمه؟! أنأخذ بقولك أم بقول الله تعالى؟! وتلت الآية، فـاستحيا عـمر وقـال: كلّكم أفقه من عمر حتّى العجائز. وروي: حتّى المخدّرات في البيوت(٤).

و٢٥٢ و٢٥٤ وفيها يعتذر عن عمر بعد ذكر قوله، و١٦: ٢٦٥؛ كنز العمّال ١٦: ٥٢١.

أحكام القرآن للجصّاص ١: ٣٥٢، ط دار الكتب العلميّة، أولى ١٤١٥، و٢: ١٩١؛ تفسير القرطبي ٢: ٣٩٢؛ الجصّاص في الأُصول ٣: ٢٠٥، تحقيق الدكتور النمشي، ط أُولى ١٤٠٥؛ أصول السرخسي ٢: ٦، تحقيق أبوالوفاء الأفغاني ٢: ٦، ط لجنة إحياء المعارف النعمانيّة ـ الهند، أُولى ١٤١٤؛ علل الدارقطني ٢: ١٥٦، تحقيق محفوظ الرحمان السلفي، ط دار طيبة ـ الرياض، أُولى ١٤٠٥ هـ؛ تاريخ بغداد ١٤: ٢٠٢؛ تاريخ دمشق ٦٤: ٧١؛ تهذيب الكمال ٣١: ٢١٤، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، ط أُولى ١٤١٣، ط مؤسسة الرسالة؛ تذكرة الحفّاظ ١: ٣٦٦؛ الإمام جعفر الصادق للجندي: ٢٦٤، ط ١٣٩٧.

(١) البقرة: ١٨١.

(٢) المائدة: ٤٧.

(٣) النساء: ٢٠.

(٤) المجموع لمحيي الدين النووي ١٦: ٣٢٧، ط دار الفكر ـ بيروت؛ المبسوط للسرخسي ١٠: ١٥٣؛ ابن حجر في سبل السلام ٣: ١٤٩، ط البابي الحلبي ـ مصر، الرابعة ١٣٧٩؛ فقه السنّة ٢:

الآية الخامسة والعشرون:

لم يعمل بها عثمان، وهي: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾(١).

ولمّا اضطربت أوضاع المدينة في عهد عثمان وشكى الناس من تسلّط مروان على مقدّرات الأُمّة ونهضوا لتأديب مروان أو قتله، فعمل الخبيث الحيلة حتّى سرّب رسالة إلى مصر تأمر الوالي بقتل محمّد بن أبي بكر، ولمّا فاتحوا عثمان بأمر الرسالة وأنكرها ولكنّه أعلن حمايته غير المحدودة لمروان لئلّا يقتل، حتّى جرّ الأمر إلى مقتله هو.

الآية السادسة والعشرون:

التي لم يعملوا بها: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٢).

زعم الخصم أنّ النبيّ مات بلا وصيّة، نعوذ بالله من هذا القول، وغرضهم من هذا القول إنكار حقّ عليّ عليه السلام ومخالفة أمر النبيّ صلى الله عليه وآله، ومع نسبتهم هذا الفعل إلى النبيّ فقد خالفه أبوبكر وأوصى بها إلى ابن الخطّاب وصيّرها عمر شورى ليفضي الأمر فيها إلى عثمان، وقتل عثمان ولم يوص، فتبيّن من هذا أنّ أحداً منهم لم يتّبع رسول الله صلى الله عليه وآله، فبعدوا عن محبّة الله لهم.

⮌ ١٥٨؛ السنن الكبرى ٧: ٢٣٣؛ مجمع الزوائد ٤: ٢٨٤؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٢، و١٢: ١٥ و٢٠٨، و١٧: ١٧١؛ كنز العمّال ١٦: ٥٣٧ رقم ٤٥٧٩٦، وص٥٣٨ رقم ٤٥٧٩٨؛ فيض القدير ٢: ٨؛ العجلوني في كشف الخفاء ١: ٢٦٩ و٢: ١١٧ و١١٨؛ الألباني في إرواء الغليل ٦: ٣٤٨ وهضم الحقّ حين استمات في الدفاع عن الباطل؛ تفسير ابن كثير ١: ٤٧٨، وكتب أُخرى.

(١) النساء: ١٠٥.

(٢) آل عمران: ٣١.

الآية السابعة والعشرون:

لم يعمل أئمّتهم بها: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[١].

ذلك أنّ أحكامهم بجملتهم وضعت على خلاف القرآن، واختلفوا فيما بينهم؛ فنقض واحد ما أثبته الآخر، وأبطل الأوّل حكم الثاني، والثاني حكم الأوّل، وهكذا الثالث والرابع، وكان لكلّ واحد منهم مذهب بعينه كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل، ولو أنّ ما قالوه وافق كتاب الله لما وقع خلاف أصلاً، شأن أئمّة الشيعة الذين ليس بينهم خلاف على الإطلاق، لأنّهم ساروا على سنّة النبيّ بأجمعهم؛ ابتداء من الأوّل إلى الثاني عشر عليهم السلام جميعاً.

الآية الثامنة والعشرون:

لم يعمل بها أبوبكر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٢].

وقد خالف أبوبكر رسول الله وتقدّم عليه في صلاة الصبح وأمّ المسلمين ـ كما يزعمون ـ ولمّا كان إماماً كان عليه إسماع المؤمومين وقد منعه الله من التقدّم والإسماع.

واتفق علماء الإسلام على أنّ عائشة هي التي قدّمت أباها، ولمّا سمع النبيّ صوته نهض متّكئاً بإحدى يديه على عليّ عليه السلام وبالأُخرى على الفضل بن العبّاس وذهب إلى المسجد ولم يبن على صلاة أبي بكر بل أخّره وصلّى بالمسلمين مستأنفاً. وقد ذكر ابن الأعثم السنّيّ الكوفيّ صاحب الفتوح نظير هذه الرواية في كتابه، وهذا هو

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) الحجرات: ١.

مذهب الشيعة(١).

الآية التاسعة والعشرون:

لم يعمل بها أبوبكر: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾(٢).

فقد رفع صوته على النبيّ في الصلاة المزعومة فوق صوت النبيّ، وكانت هذه آخر صلاة يصلّيها النبيّ فيكون بناءاً على هذا مات مأموماً لابن أبي قحافة كما يزعم الخصم ومقتدٍ به، وخلع نفسه من الإمامة، وحاشاه من ذلك.

الآية الثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٣).

فحسدوا عليّاً عليه السلام حتّى قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس لي، وهذا المعنى جاء في تفسير السلماني وجاء مثله في مصابيحه.

الآية الواحدة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾(٤).

وكان منهم ما كان يوم أُحد وحنين من الهزيمة حتّى أدخلوا الوهن على الإسلام، ولم يعد عثمان من هزيمته إلّا بعد مضي ثلاثة أيّام.

---

(١) لقد أعطى الشيخ العظيم آية الله محمّد رضا المظفّر الموضوع حقّه في كتابه النفيس السقيفة ولا بأس بمراجعته فإنّه يعطيك القول الفصل في صلاة أبي فصيل لعنه الله. (المترجم)

(٢) الحجرات: ٢.

(٣) النساء: ٥٤.

(٤) الحجّ: ٧٨.

الآية الثانية والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: أكثر العلماء على أنّهم هم الذين أرسلوا إلى عبدالله بن أبي سلول يوم أُحد لمّا سمعوا الصيحة «قتل محمّد» ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان حتّى يعودوا إلى مكّة فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(١).

وقد عاهدوا الله عهداً على أن لا يفرّوا، فما وفوا بعهده الذي عاهدوا عليه: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً﴾(٢).

الآية الثالثة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً﴾(٣).

الآية الثالثة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾(٤).

وجاء في السنّة: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.

وهم تسمّوا بالخلافة كذباً وسمّوا أنفسهم خليفة رسول الله وأميرالمؤمنين مع أنّهم يروون أنّ رسول الله مضى ولم يستخلف، وهذا هو الكذب على الله ورسوله.

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الأحزاب: ١٥.

(٣) الأحزاب: ١٥.

(٤) الأنعام: ٢١.

الآية الرابعة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية(١).

أعطى الله تعالى الإمارة والولاية إلى عليّ عليه السلام بهذه الآية الصريحة الواضحة باتفاق المفسّرين ولكنّهم ولّوا أنفسهم عليه وحكموا الناس.

الآية الخامسة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾(٢).

وبحكم هذه الآية نصب رسول الله عليّاً يوم غدير خم للإمامة فمنعوه من ذلك وقدّموا أنفسهم عليه.

الآية السادسة والثلاثون:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾(٣).

نزلت هذه الآية بحقّ عليّ عليه السلام حين أوجب الله محبّته على العالمين، ولكن القوم نصبوا له العداء فهم خارجون من تحت ظلّ هذه الآية.

الآية السابعة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾(٤).

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) مريم: ٩٦.

(٤) المجادلة: ١٢.

الآية الثامنة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(١).

وكانوا على وفاق تامّ مع المنافقين كمروان ومعاوية وأبي سفيان وعمرو بن العاص، ويتودّدون إليهم. وهذا الحديث دلّ على المنافقين: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلاة، والبغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام(٢)، ولم يمل عليّ إليهم واستقام على صراط الله.

ومنه قول رسول الله: لا تسبّوا عليّاً فإنّه خشن في ذات الله(٣)، ولهذا السبب حرم من حقه وحظي الآخرون به.

---

(١) التوبة: ٧٣.

(٢) قرب الإسناد: ٢٦ غير سياق المؤلّف؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٢ مثله؛ محمّد بن سليمان الكوفي، مناقب أمير المؤمنين ٢: ٤٧٠؛ القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار ١: ١٥٣ و٤٤٦ مثله، و٢: ٣٥١ أوقفه على بعض الصحابة؛ الكراجكي في التعجّب: ٣٥؛ ابن حمزة الطوسي في الثاقب: ١٢٢؛ ابن شهرآشوب ٣: ١٠؛ العمدة: ٢١٦ و٢٦٤؛ ابن طاوس في الطرائف: ٧٧؛ ذخائر العقبى: ٩١؛ الصراط المستقيم ٢: ٥٠؛ محمّد طاهر القمّي الشيرازي في كتاب الأربعين: ١٩٨ و٤٥٧ و٤٦١ و٤٦٥؛ بحار الأنوار ٣٦: ٣٢ و٣٩: ٢٦٣ و٢٩٥ و٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٣.
الماحوزي في كتاب الأربعين: ٢٤٤؛ الشيرواني في مناقب أهل البيت: ١٠١؛ المستدرك ٣: ١٢٩ وسيأتي ما يقرب من المؤلّف؛ جزء الحميري: ٣٤؛ فوائف الصواف: ٨٤؛ المعجم الأوسط ٢: ٣٢٨؛ شرح ابن أبي الحديد ٤: ٨٣ و٩: ١٣٥ و١٣: ٢٥١؛ كنز العمّال ١٣: ١٠٦ رقم ٣٦٣٤٦ بسياق المؤلّف إلّا كلمة؛ شواهد التنزيل ٢: ٤٧٠؛ تفسير القرطبي ١: ٢٦٧؛ الدرّ المنثور ٦: ٦٦؛ الطوسيّ في اختيار معرفة الرجال ١: ٢١٠؛ تهذيب المقال للأبطحي ٣: ١٧٩ وسياقه سياق المؤلّف: ماكنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ تاريخ دمشق ٤٢: ٢٨٥؛ أنساب الأشراف: ١١٣؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٩٠؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٦١.

(٣) الإرشاد ١: ١٧٣؛ بحار الأنوار ٢١: ٣٨٥؛ نظم درر السمطين: ١١٩ بصيغ متقاربة المعنى وإن اختلفت ألفاظها.

الآية التاسعة والثلاثون:

التي لم يعملوا بها: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١).

كان القوم بحاجة إلى عليّ عليه السلام إلى كثير من أحكام الدين وهو هاديهم ولكنّهم لم يتّبعوه، والدليل على ذلك:

أوّلاً: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٢).

ثانياً: الحديث الذي رواه المخالفون: وإن ولّيتموها عليّاً فهادٍ مهتدٍ يقيمكم على صراط مستقيم(٣).

الآية الأربعون:

التي لم يعملوا بها: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(٤).

وادّعوا أنّهم استخلفوا باختيار الصحابة وهم أهل الحلّ والعقد وقد بايعونا، ولم يلقوا نظرة إلى أنّ الاختيار مسلوب من المسلمين وهو بأمر الله تعالى.

وكذلك لم يعملوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) رعد: ٧.

(٣) المستدرك ٢: ١٤٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه؛ المعيار والموازنة: ٣٦ و ٣٢١؛ الحاكم النيسابوريّ في معرفة علوم الحديث: ٢٩، ط دار الآفاق الجديدة - بيروت، الرابعة ١٤٠٠، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي؛ كنز العمّال ١١: ٦٣١ رقم ٣٣٠٧٥ و ١٣: ٢٣٧ رقم ٣٦٧١٠؛ شواهد التنزيل ١: ٨٠ و ٨١؛ عبدالله بن عدي في الكامل ٥: ٣١٣؛ تاريخ بغداد ٤: ٧٠ و ١١: ٤٨؛ تاريخ دمشق ٤٢: ٤١٩ و ٤٢٠، و ٤٤: ٢٣٥؛ أنساب الأشراف: ١٠٢؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٥٠.

(٤) القصص: ٦٨.

عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[1] ولم يقولوا نحن لسنا من ذرّيّة محمّد بل نسبوا إليه عدم الذرّيّة، بينما هم يقرّون ويعترفون بأنّ النبيّ ﷺ قال: إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وقال: عليّ منّي وأنا من عليّ ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو عليّ.

ولم يعملوا بهذه الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[2].

ولولا خوف الملل لبالغنا في بسط هذا الكتاب، ولكن من كانت له أهليّة فباستطاعته أن يضبط من القرآن ربعه بل ثلثيه.. لم يعمل به القوم «والله يؤتي فضله من يشاء».

(١) آل عمران: ٣٣ـ٣٤.

(٢) البقرة: ٧٩.

الباب السابع

في بيان ما اجتمع بالقوم من الخصال الساقطة المنافية للإمامة

الأوّل: إنّ نكاح أُمّهاتهم كان في الجاهليّة، ونكاح الجاهليّة أكثره سفاح، ولكن عليّاً عليه السلام قال له رسول الله: يا علي، أنا وأنت من نكاح لا من سفاح، من لدن آدم إلى عبدالمطّلب عليه السلام[1]، ودلّ القرآن على هذا بقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[2].

الثاني: كانت حياتهم متقوّمة بالخمر ولحم الخنزير، وكانت حياة عليّ متقوّمة بخدمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثالث: عبدوا الأصنام بعد بلوغهم كاللات والعزّى، ونشأوا على المحرّمات.

الرابع: شاركوا الكفّار بإيذاء المؤمنين بالنفي والإحراق والخديعة، وكانوا

---

(١) الخصال: ٥٥١؛ الاحتجاج ١: ١٧٠؛ حلية الأبرار ٢: ٣٠٩؛ مدينة المعاجز ٣: ٢٧؛ بحار الأنوار ٢٩: ١١؛ حياة أمير المؤمنين عن لسانه ٢: ١٨٨ و ٢٣٠.

وأمّا كتب السنّة فقد خصّت النبيّ بها ولم تشرك معه الإمام ولكنّه مشارك له إلى عبدالمطّلب بالضرورة واقرأ الكتب التالية: المجموع للنووي البحر الرائق لابن نجيم المصري ج٣ وج٤؛ الدرّ المختار للحصفكي ج٣؛ حاشية ردّ المختار لابن عابدين، ج٢؛ المغني لابن قدامة، ج٧؛ الشرح الكبير لعبدالرحمان بن قدامة وكلاهما ج٧ وغيرها.

(٢) الشعراء: ٢١٩.

يحيون آمين لأنّهم يعيشون في عالم النفاق حتّى ماتوا.

الخامس: لم تكن أسمائهم في الصحيفة.

السادس: لم يدخلوا الشعب أيّام المقاطعة.

السابع: لم يكونوا من المهاجرين مع الرسول إنّما كانوا قد هاجروا لغايات في أنفسهم(١).

الثامن: لم يهربوا من مكّة إلى أيّ مكان آخر لا إلى الطائف ولا إلى غيره لأنّهم كانوا مع المشركين بقلوبهم وأرواحهم ولكنّهم صحبوا المؤمنين طمعاً في حطام الدنيا كما قال صاحب الأمر: إنّهم سمعوا من أهل الكتاب أنّ محمّداً سوف يكون صاحب دولة وسوف ينالون منها جزاء سعيهم وصحبتهم إيّاه، وما لهم في الآخرة من خلاق.

التاسع: لم يكونوا من أهل الكساء ساعة نزول آية التطهير في بيت أُمّ سلمة.

العاشر: سدّت الأبواب في المسجد عليهم.

الحادي عشر: لم يؤاخهم النبيّ ﷺ.

الثاني عشر: لم يحضروا المباهلة.

الثالث عشر: لم يعملوا بآية المناجاة والصدقة.

الرابع عشر: كانوا ممّن ولوّا الدبر يوم أُحد وحنين وخيبر.

الخامس عشر: لم يدفعوا مكيدة عن النبيّ ولا عن الإسلام.

السادس عشر: أمر سول الله ﷺ بقتل مروان فعصوه.

السابع عشر: عزل أبوبكر من أداء سورة برائة.

---

(١) ذكر المؤلّف هذه الغاية وهي التزويج من فاطمة، وتحاشيت ذكرها ما لم أُعلّق عليها، والعجب من المؤلّف كيف استباح ذكرها وهم أقلّ وأذلّ من أن يدور بخلدهم هذا لعنهم الله.

الثامن عشر: أراد من رسول الله رمّاناً فأبى أن يعطيه لأنّه طعام أهل الجنّة، ولا يحلّ إلّا لوصيّ أو سبط نبيّ في الدنيا، ثمّ أعطى النبيّ نصف رمّانة لعليّ عليه السلام وأولاده وخصّ نفسه بالنصف الآخر: لا يأكل هذا إلّا نبيّ أو وصيّ أو سبطاه.

التاسع عشر: حرم من مشاركة النبيّ بالطائر لأنّه صلى الله عليه وآله دعا فقال: آتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي من هذا الطائر، فجاء عليّ فأكل معه.

العشرون: حرّم عليهم الخمس.

الواحد العشرون: لم يؤمّرهم رسول الله صلى الله عليه وآله على سريّةٍ.

الثاني والعشرون: لم يرسلهم جباة للصدقة قطّ.

الثالث والعشرون: أمّر عليهم عليّاً ولم يؤمّرهم عليه.

الرابع والعشرون: أمّر عمراً بن العاص على أبي بكر وعمر.

الخامس والعشرون: قبض النبيّ وهم رعايا تحت راية أُسامة بن زيد.

السادس والعشرون: لم يساعدوا في تجهيز جيش أبداً.

السابع والعشرون: لم يستخلفهم النبيّ على المدينة أو غيرها.

الثامن والعشرون: لم يكن بينهم وبين النبيّ رحم.

التاسع والعشرون: لم يختموا القرآن قطّ.

الثلاثون: لم يجمع أبوبكر وعمر القرآن للأُمّة.

الواحد والثلاثون: لم يكونا صهري رسول الله.

الثاني والثلاثون: لم يكونوا عند النبيّ آخر عهده بالدنيا.

الثالث والثلاثون: لم ينجزوا مواعيد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الرابع والثلاثون: لم يحضروا تجهيز رسول الله فلم يشاركوا في غسله وكفنه ودفنه بل ذهبوا إلى السقيفة يلاطمون على السلطان لئلّا تفوتهم الفرصة الدنيويّة.

الخامس والثلاثون: لم يكن معهم سلاح رسول الله ورايته وعمامته وخاتمه.

السادس والثلاثون: أبعد النبيّ أبابكر من المحراب وطرده من الصلاة عند وفاته.

السابع والثلاثون: لم تتّفق الأُمّة على إيمانهم وإسلامهم.

الثامن والثلاثون: لم يبايعهم بنو هاشم ولا سعد بن عبادة وخاصّته.

التاسع والثلاثون: سلّ الزبير السيف عليهم وأبى أن يبايعهم.

الأربعون: وكذلك ردّ بيعتهم أبوذر وعمّار وسلمان والمقداد رضي الله عنهم.

الواحد والأربعون: ردّ بنو حنيفة بيعة أبي بكر وامتنعوا من دفع زكاتهم له فقاتلهم ونكّل بهم وسمّاهم أهل الردّة.

الثاني والأربعون: أرسل إلى حربهم خالد بن الوليد فقاتلهم فقتل المقاتلة وسبّى النساء والذرّيّة، وفي ليلة واحدة قتل زعيمهم مالك بن نويرة وزنا بزوجته وأغار على أموالهم واقتسمها بينه وبين أصحابه.

الثالث والثلاثون: لم تكن خلافتهم بنصّ من الله ورسوله.

الرابع والأربعون: أنزل الحسن بن عليّ أبابكر من المنبر في اليوم الأوّل من حكمه.

الخامس والأربعون: لم يبايعهم بلال وترك الأذان والإقامة.

السادس والأربعون: تأمّر على أبيه وكان حيّاً يوم ذاك خلافاً لأمر الله ورسوله.

السابع والأربعون: قال أبوبكر: إنّ لي شيطاناً يعتريني(١).

---

(١) مصنّف عبدالرزّاق الصنعاني ١١: ٣٣٦؛ شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٠ و١٧: ١٥٦ و١٥٧ ـ ١٦١؛ كنز العمّال ٥: ٥٩٠ رقم ١٤٠٥؛ ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٢١٢، ط دار صادر ـ بيروت؛ تاريخ دمشق ٣٠: ٣٠٣ و٣٠٤؛ تاريخ الطبري ٢: ٤٦٠ ط مؤسسة الأعلمي؛ البداية والنهاية ٦: ٣٣٤؛ ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٢٢ و٣٤، تحقيق الزيني، أُولى ١٤١٢، ط الحلبي وشركاه ـ القاهرة؛ سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣١٥.

الثامن والأربعون: وقال أيضاً: أقيلوني لست بخيركم وعليّ فيكم[1]، ونظير هذه الجملة التي تدلّ على بطلان خلافته وإمامته.

التاسع والأربعون: كشف بيت فاطمة ودخله بدون إذنها وأمر بإخراج من فيه.

الخمسون: أمر بضرب فاطمة عليها السلام.

الواحد والخمسون: قتل المحسن وهو جنين في بطنها.

الثاني والخمسون: أخذ ميراث الزهراء من أبيها وغصب فدك وهي نحلة لها ولأولادها منها ومن بنيها.

الثالث والخمسون: غصب الأنفال والخمس من أهل البيت.

الرابع والخمسون: ماتت فاطمة عليها السلام غاضبة عليهم.

الخامس والخمسون: لم يحضروا جنازتها.

السادس والخمسون: أمر خالد بن الوليد بقتل عليّ عليه السلام.

السابع والخمسون: وضعه الحديث على النبيّ بقوله: إنّا لا نورّث، خلافاً لنصوص القرآن.

الثامن والخمسون: نقصان الأذان فصلين.

التاسع والخمسون: بدعة المسح على الخفّين.

الستّون: التكفير بوضع اليد على الصدر احياءاً لسنن اليهود.

الواحد والستّون: رفع القنوت ورفع اليدين في الصلاة عند التكبير.

الثاني والستّون: إشراك الجدّ في الإرث مع الأب.

الثالث والستّون: ائتمان المغيرة على تأليف القرآن وأكثر الروايات على أنّ هذا الفعل يعود لعثمان.

---

(١) الشيباني في السير الكبير ١: ٣٦؛ شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٥٥.

الرابع والستّون: طلب الشهود العشر على كلّ آية.

الخامس والستّون: فتح الباب الذي أغلقه النبيّ عليهم.

السادس والستّون: قيل إنّهم تزوّجوا مطلّقتين للنبيّ.

السابع والستّون: حرمان نساء النبيّ من ميراثهنّ.

الثامن والستّون: «نجاه»[1] لم يبايع أبابكر وقال: إن قلت هذا الأمر بقرابة الرسول فأهله أحقّ به منك، وإن قلت هذا الأمر بالشرف فأنا أشرف منك، لهذا أمر بإحراقه.

التاسع والستّون: إطلاق سراح الأشعث بن قيس وكان يستحقّ القتل، والقضيّة كما يلي: لمّا ارتدّ الأشعث أسر وأرسلوا به إلى أبي بكر فعرض عليه الإسلام فأباه وبقي على ارتداده فأطلقه[2].

السبعون: زوّجه أُخته.

الواحد والسبعون: قتل بني حنيفة بأجمعهم لأنّهم أبوا خلافته ولم يسلّموا باختياره.

الثاني والسبعون: لمّا قال له «خضر» (كذا) يا خليفة الناس، أمر بطرده.

الثالث والسبعون: عهد إلى عمر عند موته وكان الناس يكرهونه لفظاظته.

الرابع والسبعون: أمر بدفنه مع النبيّ في حجرته بدون إذن من رسول الله ﷺ أو من ورّاثه.

الخامس والسبعون: لمّا هلك كان في ذمّته لبيت مال المسلمين عشرون ألف دينار.

---

(١) هكذا ورد في النسخة المترجمة ولم أتعرّف عليه ويمكن أن يكون مصحّفاً ولعلّه «الفجائة» الذي أحرقه أبوبكر في البقيع.

(٢) بل زوّجه أُخته أُمّ فروة جزاءاً على ردّته، وقاتل الناس على عقال.

السادس والسبعون: لم يرد عن رسول الله رواية واحدة وما رواه لم يكن إلّا للإضرار بعليّ عليه السلام وهو من مفترياته[١].

السابع والسبعون: درء الحد عن خالد بن الوليد ودفع القود منه.

الثامن والسبعون: كان مشمولاً للآية ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾[٢] يعني كان من أهل اللهو واللعب الذين تركوا النبيّ في صلاة الجمعة فنزلت فيهم الآية.

التاسع والسبعون: سمّى نفسه خليفة رسول الله وأمر بمتابعته.

الثمانون: كان أوّل من غصب أهل بيت النبيّ حقّهم واعتدى عليهم، وأوّل من ابتزّ رسول الله مقامه، وكان الصحابة شركائه في هذه الخصال من بين فاعل وناصر وراضٍ إلّا عباد الله المخلصين، وقليل من عبادي الشكور.

خصال عمر التي تفرّد بها

أمّا ما اختصّ بعمر من الخصال وما تفرّد بها فهي:

الأوّل: تمزيق الصكّ الذي كتبه صاحبه للزهراء عليها السلام.

الثاني: ضرب الصدّيقة الطاهرة بكفّه حتّى بقي أثره على جسمها الشريف[٣].

الثالث: ضربها على بطنها[٤].

الرابع: تحريمه متعة النساء وقد قال ابن عبّاس: ما كانت المتعة إلّا رحمة رحم الله بها أُمّة محمّد لولا عمر نهى عنها ما احتاج إلى الزنا إلّا شقيّ والنفر القليل من

(١) نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، إلى آخر الموضوعة.

(٢) الجمعة: ١١.

(٣) اللهمّ العنه لعناً وبيلاً وعذّبه عذاباً أليماً وخُذ للزهراء بحقّها منه وممّن شايعه وتابعه.

(٤) الشهرستانيّ في الملل والنحل ١: ١٥٧؛ الوافي بالوفيات ٦: ٣٠ نقلاً عن النظام.

الناس، وهذا الحديث أورده جار الله في مترجم الأخبار[١].

الخامس: أسقط متعة الحجّ كما قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالين وأنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحجّ[٢].

السادس: أوّل من وضع الضمان على الناس أو العرفاء[٣].

السابع: أوّل من وضع الديوان في الإسلام.

الثامن: أوّل من ردّ شهادة المملوك.

التاسع: أوّل من وضع الخراج في الإسلام.

العاشر: أوّل من قسم الأرض إلى عامر وغابر.

الحادي عشر: أحدث تغييراً كبيراً في أحكام الزكاة.

الثاني عشر: وضع بدعة صلاة التراويح.

الثالث عشر: فضل العرب على العجم والموالي في العطاء.

الرابع عشر: ردّ كثيراً من مسائل الإرث وقبلها عن المشهور، وأقام البدع في هذا السبيل من قبيل مسائل «العول» ونظائرها.

الخامس عشر: منع وصول المراكب إلى شواطئ الجزيرة بالبرّ القادم من مصر لكي تنقله البدو بأباعرها ويكون أجر الحمل لهم.

السادس عشر: غير موضع الحجر الأسود من المكان الذي وضعه النبيّ فيه إلى ما كان عليه في العهد الجاهلي.

السابع عشر: لمّا امتنع الإمام من مصاهرته عمد إلى أشياء في الدين فغيّرها انتقاماً.

---

(١) مرّ تخريجه بالعشرات منسوباً إليه وإلى الإمام عليه السلام.

(٢) من أنت يا كلب يا لكع حتّى تحرّم ما أحلّ الله!

(٣) الترجمة ليست دقيقة.

الثامن عشر: لجأ إلى الشورى حين وافاه الهلاك وهي من سنن الجاهليّة.

التاسع عشر: تأوّه عند الموت كثيراً، فلمّا سأله ابنه عبدالله، قال: على بني هاشم أن لا أُصيب من يذمّهم بعدي.

العشرون: فضّل عائشة وابنته حفصة على باقي نساء النبيّ عداءاً لفاطمة وعليّ عليهما السلام لأنّ هاتين المرأتين لعنة الله عليهما يبغضان الإمام والصدّيقة الطاهرة عليهما السلام ولم تكن سائر أُمّهات المؤمنين على هذه الصفة.

الواحد والعشرون: حمل صاحبه على التحريض على بيعته.

الثاني والعشرون: أمر بصوم السفر خلافاً لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1].

الثالث والعشرون: أمر بصلاة التراويح ونوافل رمضان أن تصلّىٰ جماعة، وهي بدعة.

الرابع والعشرون: وضع البدعة القائلة: لا نكاح إلّا بولي وشاهدين. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأيّم أملك بنفسها من وليّها.

الخامس والعشرون: أجاز طلاق الثلاث في مجلس واحد.

السادس والعشرون: وضع عداوة عليّ وأهل بيته بين الناس. وقال أبوذر الغفاري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو صلّيتم حتّى تكونوا كالحناير، ما ينفعكم حتّى تحبّوا آل رسول الله.

والحناير جمع الحنيرة وهي قوس بلا وتر، وقيل للعقد المضروب[2].

---

(1) البقرة: ١٨٤.

(2) نهاية ابن الأثير ١: ٤٣٣؛ تاج العروس ٣: ١٥٩ وذكر الحديث وختم بقوله: أي لو تعبّدتم حتّى تنحني ظهوركم، وذكر الزمخشريّ الحديث في الفائق ١: ٢٨٢ وقال: الحنايا، وفي لسان العرب ←

که دشمنان علی را نماز نیست درست اگــرچــه سینه اشــترکــنند پــیشانی

عــدوّ عــليّ لا صــلاة له ولو بجبهته صدر البـعير وكـلكله

بيّنة: كان الصحابة يقولون: مات الرسول وما خلّف بيضاء ولا صفراء حتّى يوصّي، عداوةً لعليّ عليه السلام لئلّا يقول الناس وصيّ رسول الله وهو الأولى بمقامه منهم ردّاً على الله في كتابه، وعلى النبيّ في سنّته، قال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[1] الآية، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾[2]، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[3]، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: من مات بغير وصيّة مات ميتة جاهليّة[4].

⬅ ٤: ٢١٦، مجمع البحرين ١: ٥٨٧، والعجيب أنّي عثرت على الحديث في كتب اللغة لا كتب الحديث.

(١) البقرة: ١٣٢.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) أحمد المرتضى في شرح الأزهار ٤: ٤٧٠؛ البكري الدمياطيّ في إعانة الطالبين ٣: ٢٣٤، ط دار الفكر ـ لبنان، أُولى ١٤١٨ السياق مختلف والمعنى واحد؛ السيّد البجنوردي ٦: ٢٢٢؛ الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين: ٤٨٢، ط الرضي ـ قم، تحقيق الخرسان؛ الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ١٩: ٢٥٩، ط مؤسسة آل البيت، مطبعة مهر ـ قم، الثانية ١٤١٤ هـ، و١٣: ٣٥٢، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تحقيق محمّد الرازي؛ الطبرسيّ في مكارم الأخلاق: ٣٦٢، ط الرضي، السادسة ١٣٩٢ هـ.

مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٢٤٦؛ كشف المحجّة لابن طاووس: ٣٧، ط الحيدريّة ـ النجف، ١٣٧٠ هـ؛ الطرائف له أيضاً: ٣٨٢، ط الخيّام ـ قم، أُولى ١٣٧١؛ مشكاة الأنوار لأبي الفضل عليّ الطبرسيّ: ٥٨٥، ط الحيدريّة ـ النجف، تقديم صالح الجعفري، الثانية ١٣٨٥؛ الفصول المهمّة للحرّ العاملي ٢: ٣١٣، تحقيق القايني، ط نگين ـ قم، أُولى ١٤١٨ هـ، مؤسسة معارف اسلامي امام رضا عليه السلام؛ مجمع البيان ١: ٤٩٤؛ ابن جبر في نهج الإيمان: ٢٠٨، تحقيق أحمد الحسيني، مطبعة ستاره ـ قم، مجتمع إمام هادي مشهد.

وعن سلمان: قلت: من وصيّك يا رسول الله؟ فقال: هل تدري من كان وصيّ موسى؟ قلت: يوشع بن نون. قال: وهل تدري لم كان كان أوصاه؟ إنّما كان أوصاه لأنّه أعلم أُمّته بعده، ووصيّي وأعلم أُمّتي بعدي عليّ بن أبي طالب(١).

ونظائر هذه الأخبار التي لا تعدّ ولا تحصى الدالّة على وجوب الوصيّة. هذا والاتفاق حاصل بأنّ أولئك الشيوخ لم يكونوا أوصياء رسول الله، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(٢) وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾(٣).

واتفقت الأُمّة على أنّ رسول الله ﷺ قال: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلّف عنها غرق(٤).

وكذلك قال: من أطاع عليّاً فقد أطاعني(٥).

وقال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها(٦).

وفي الحديث الأوّل أبان عن موضع النجاة، وفي الثاني عن موضع الطاعة، وفي الثالث عن موضع العلم.

---

(١) الأمالي للصدوق: ٦٣؛ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفيّ ١: ٢٤٠؛ الطبري الشيعي في المسترشد: ٢٦٢؛ شرح الأخبار ١: ٤١٤؛ العمدة: ٧٦؛ الطرائف: ٢٢ وكتب أُخرى.

(٢) الإسراء: ٧١.

(٣) يس: ١٢.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) مولانا الأميني في الغدير ٧: ١٧٧ نقلاً عن مستدرك الحاكم ٣: ١٢١ و١٢٨؛ الأحمدي في مكاتيب الرسول ١: ٥٦٥ نقلاً عن المستدرك، أيضاً قال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح؛ الأحمدي في مواقف الشيعة ٣: ١١٢ نقلاً عن كنز العمّال ح٣٣١٢١؛ تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٧٠ وفيها كلّها تتمّة الحديث: ومن عصى عليّاً فقد عصاني، ولم يورده المؤلّف.

(٦) سبق تخريجه.

واختلفوا في الإمامة وينبغي الالتزام بإمامة من اتفق على إمامته وترك من عداه، وآكد منه قوله تعالى: ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾(١).

ذكر الشيخ المفيد في كتاب «البساط في الإمامة»(٢): توفّي النبيّ والإجماع منعقد على عليّ ولم ينعقد لغيره بل كان الخلاف قائماً فيه، ولا خلاف في صلاح بني هاشم للخلافة، وكان عليّ من بينهم مختصّاً بهذه اللياقة، ولو تركوه لأجمعت الأُمّة عليه، وفي غيره لم يحصل الإجماع.

وكذلك أجمعوا على أنّ النبيّ أوصى عليّاً عليه السلام في أداء ديونه، ولكنّ الشيعة تقول بأنّه أوصاه بالإمامة أيضاً وليس من المعقول أن يخالف النبيّ كتاب الله، حيث يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾(٥)، وقال صلى الله عليه وآله: كائن في أُمّتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة(٦).

وليس من اللايق بالنبيّ أن يوصي بشيء من الخير ويتركه بلا حجّة أو سبب، وعلى هذا فينبغي الاقتداء بالمجمع عليه لا المختلف فيه، وهما الشيخان.

وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٧) وقد نصح في الدين والدنيا،

---

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) لم أعثر للشيخ على كتاب بهذا الاسم وأقرب الاحتمالات أنّ تصحيفاً ورد في الكلمة.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) النساء: ١١.

(٥) البقرة: ١٣٢.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) الأحزاب: ٦.

كما أوصى في سريّة مؤتة، فقال: إن أُصيب جعفر بن أبي طالب فأميرهم زيد، وإن أُصيب زيد فأميرهم عبدالله بن رواحة، ولم يقل أمرهم شورى كما فعل عمر بن الخطّاب، أو على ما يزعمه هو أنّه لم يوص لأحد بعد موته، واختار الأصحاب رفيقه يوم السقيفة أو أنّه فعل ما فعله عثمان من إرجاء الأمر حتّى كبت به بطنته، ويا للعجب حين لم يترك النبيّ أمر سريّة واحدة عطلاً ثمّ هو يترك الناس فوضى! وينتقل إلى الرفيق الأعلى، ويموت بلا وصيّة، والضرورة قاضية بأنّ الناس من بعده أحوج إلى الإمام منهم في حياته، فإذا ثبتت الوصيّة ثبتت إمامة عليّ عليه السلام، وكان الشيوخ الثلاثة ليسوا أوصياء بالإجماع ولا هم خلفاء من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله(١).

(١) كان على شيخنا الجليل أن يفرد الوصيّة بباب خاصّ ثمّ يشبعه بحثاً وتمحيصاً ولا يبحثه عرضاً لأنّه موضوع جوهريّ في بحث الإمامة بل عليها ابتنت نظريّة الشيعة وعلى عدمها نظريّة خصومهم.

الباب الثامن

في المناقب والأخبار التي افتروها زخرفة لأباطيلهم

الحديث الأوّل:

اقتدوا باللَّذَين من بعدي أبي بكر وعمر.

رواية هذا الحديث المفترى تارة بالنصب وأُخرى بالرفع، وعلى كلا الحالتين فالمأمور بالاقتداء هما، وكأنّه قال: اقتدوا أيّها الناس من بعدي بكتاب الله وعترتي، أبوبكر وعمر[1].

---

(١) ونحن نورد أوّلاً الكتب التي أخرجته من أولياء هذين الرجلين ثمّ نجيب عنه بما أجاب عنه الأوّلون:

عون المعبود ١٢: ٢٣٥؛ مجمع الزوائد ٩: ٥٣؛ تحفة الأحوذي ٧: ٣٦٨ و١٠: ١٠٢ و٢٠٩؛ المعجم الأوسط ٤: ١٤٠ و٥: ٣٤٥؛ مسند الشاميّين ٢: ٥٨؛ معرفة علوم الحديث: ٢٥٢؛ شرح مسند أبي حنيفة: ٤٩٨؛ كشف الخفاء للعجلوني ١: ١٦٠؛ الفصول في الأُصول للجصّاص ٣: ٣٣٤؛ اللمع في أُصول الفقه للشيرازي: ٢٧١؛ أُصول السرخسي ٢: ١٠٦؛ المنخول للغزالي: ٥٨٥؛ المحصول للرازي ٤: ١٧٥ و٦: ١٣٠ و١٨٥؛ الأحكام للآمدي ١: ٢٣٤ و٢٤١؛ الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٤؛ الثقات ٧: ٥٧٣؛ الكامل لابن عدي ٧: ١٩٦؛ تاريخ بغداد ١٢: ٢١؛ التعديل والتجريح لسليمان الباجي ١: ١٧؛ تاريخ دمشق ٤١: ٤٢٢ و٤٤: ٢٢٧؛ تهذيب الكمال للمزي ←

....

٣٠: ٣٥٦؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ١١: ٧٧؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٤٥.

وربّما كان جواب المأمون للعلماء من خيرة الأجوبة وقد ذكره الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢: ٢٠٠) وقال بعد مُسائلتهم وتفضيلهم الاثنين بالكلام الموضوع: اقتدوا باللذين من بعدي.. الخ، قال المأمون:

الروايات كثيرة ولابدّ أن تكون كلّها حقّاً أو كلّها باطلاً، أو بعضها حقّاً أو بعضها باطلاً. فلو كانت كلّها حقّاً كانت كلّها باطلاً مِن قِبل أنّ بعضها ينقض بعضاً، ولو كانت كلّها باطلاً كان في بطلانها بطلان الدين ودروس الشريعة، فلمّا بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار وهو بعضها حقّ وبعضها باطل. فإذا كان كذلك فلابدّ من دليل على ما يحقّ منها لتعتقد وينفى خلافه، فإذا كان دليل الخبر في نفسه حقّاً كان أولى ما اعتقده وأخذ به، وروايتك هذه من الأخبار التي أدلّتها باطلة في نفسها، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أحكم الحكماء وأولى الخلق بالصدق وأبعد الناس من الأمر بالمحال، وحمل الناس على التديّن بالخلاف.

وذلك أنّ هذين الرجلين لا يخلو من أن يكونا متفقين من كلّ جهة أو مختلفين؛ فإن كانا متفقين من كلّ جهة كانا واحداً في العدد والصفة والصورة والجسم وهذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كلّ جهة، وإن كانا مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما، وهذا تكليف ما لا يطاق؛ لأنّك إذا اقتديت بواحد خالفت الآخر.

والدليل على اختلافهما أنّ أبابكر سبى أهل الردّة وردّهم عمر أحراراً، وأشار إلى أبي بكر بعزل خالد وبقتله بمالك بن نويرة فأبى أبوبكر عليه، وحرّم عمر المتعتين ولم يفعل ذلك أبوبكر، ووضع عمر ديوان العطيّة ولم يفعله أبوبكر، واستخلف أبوبكر ولم يفعل ذلك عمر، ولهذا نظائر كثيرة.

قال مصنّف هذا الكتاب (الصدوق) رحمه الله: في هذا فصل ولم يذكر المأمون لخصمه وهو أنّهم لم يرووا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وإنّما رووا أبوبكر وعمر، ومنهم من روى أبابكر وعمر، فلو كانت الرواية صحيحة لكان معنى قوله بالنصب: اقتدوا باللذين من بعدي كتاب الله وعترتي يا أبابكر وعمر، ومعنى قوله بالرفع: اقتدوا أيّها الناس وأبوبكر وعمر باللذين من بعدي كتاب الله والعترة.. انتهى موضع الحاجة منه.

أقول: هذا توجيه ركيك جدّاً لا ينطق به سيّد الفصحاء والبلغاء، ولو صحّ التوجيه الأوّل لقال:

والدليل على هذا المعنى ما اتفق على روايته المؤالف والمخالف أنّ النبيّ ﷺ قال: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. وفي رواية أُخرى: خلّفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً.

وحديث: اقتدوا باللّذَين من بعدي.. الخ مجرّد دعوى ادّعاها مدّعٍ، وحديث الثقلين رواها الشيعة وصدّقهم جمهور أهل السنّة[١] فدلّ على أنّ الحديث المزعوم ليس فيه دلالة على إمامتهما.

والجواب عن هذه المفترات: نصب عمر أبوبكر للإمامة، وعمر لجأ إلى الشورى، وقتل عثمان ولم يسمّ أحداً للخلافة وترك المكان شاغراً، ولمّا بان الاختلاف بينهم كان الاقتداء بأحدهم يناقض الاقتداء بالآخر، وأشار عمر على أبي بكر بإجراء الحدّ على خالد بن الوليد لزناه بزوج مالك بن نويرة فأبى أبوبكر وقال: خالد سيف من سيوف الله.

وكان أبوبكر يرى إباحة المتعتين وعمر منعهما.

وأبوبكر أمضى صكّ فدك وأعطاه فاطمة، وعمر فتحه وبصق به ومحاه ثمّ خرقه ـ لذلك خرق الله جوفه ـ.

أبوبكر أمر بصلاة التراويح فرادى وعمر أمر بها جماعة.

⬅ اقتديا، ولا معنى لإفرادهما بالذكر في التوجيه الثاني عن الناس بعد شمول الخطاب لهما، وهذا ما أُجلّ عنه سيّدي الصدوق وأُحذّر الشيعة منه فإنّهم يعمدون إلى المفتريات على النبيّ من القوم فيلتمسون لها الوجوه والتأويلات ليكون لها نسب في الحقّ، وحاشا لرسول الله أن يأمرنا بالاقتداء بأبناء الزواني، ولو صحّ هذا القول لكان الضراط على منبر رسول الله من أوكد المستحبّات لأنّ عمر كان يفعله!!

(١) الذين رووها من أهل السنّة أكثر ممّن رواها من الشيعة.

وأبوبكر وعمر لم يردا مروان والحكم طريدي رسول الله وقرّبا أباذر، وعثمان خالفهما فنفى أباذر وردّ مروان وأباه.

وأمثال هذه المتناقضات كثيرة، فيكون والحال هذه الاقتداء بكلّ واحد مخالفاً للاقتداء بالآخر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾(١)، وكما أنّ القرآن ليس فيه اختلاف فإنّ كلام من عمل به ليس فيه اختلاف أيضاً كأئمّة الشيعة عليهم السلام الاثني عشر، فقد قال آخرهم بما قال به أوّلهم، وليس كأئمّة القوم لكلّ واحد منهم مذهب يتمذهب به ويضلّون به عباد الله.

جواب آخر: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾(٢) وقال: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٣) وقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٤)، وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(٥).

الحديث الثاني:

من المفتريات: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبابكر خليلاً(٦).

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) الممتحنة: ٦.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) النساء: ٨٠.

(٥) النساء: ٥٩.

(٦) المحلّى لابن حزم ١: ٣٥ و٩: ٢٨٧؛ مسند أحمد ١: ٤٣٤ و٤٣٩ و٤٥٥ و٤٦٣ و٤: ٤ و٥؛ صحيح البخاري ٤: ١٩١؛ صحيح مسلم ٧: ١٠٩؛ سنن الكبرى للبيهقي ٦: ٢٤٦؛ مجمع الزوائد ٩: ٤٤ و٤٥؛ الديباج على مسلم للسيوطي ٢: ٣٤٤؛ مسند الطيالسي: ٣٩ و٤٢؛ المصنّف لعبدالرزّاق ٥: ٤٣٠ و١٠: ٢٦٣؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٣٥٠؛ مسند ابن راهويه ١: ٤١ و٢: ٢٢؛ كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٦٣، ولو ذهبنا نستقصي الكتب التي أخرجت هذه الفرية لطال بنا التجوال.

جواب: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[١]. قال المخالف: المراد بـ«من أحببت» أبوطالب، ومن هنا يظهر وضع هذا الحديث المفترى.

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٢] يظهر من حديث الخصم بأنّ أبابكر لم يكن مؤمناً، لأنّه لو كان مؤمناً لاتّخذه الرسول وليّاً ولأحبّه، وقال الله تعالى: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وهذا خلاف ما عليه الحال بين المؤمنين، وما زعمه الخصم يظهر أنّ النبيّ لم يحبّ أبابكر، والناس جميعاً إمّا أن يكونوا أحبّاء النبيّ أو أعدائه، فإذا انتفت المحبّة ثبت نقيضها.

أمّا عن عليّ عليه السلام فقد روى المخالف بلا خلاف عندهم: من أراد أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب فإنّي أُحبّه»[٤].

وهذا نصّ صريح وبيان صحيح أنّ النبيّ اتخذ عليّاً حبيباً، وحياة الرسول ومماته على حبّ عليّ.

وجاء في سائر الأخبار أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام في خيبر بعد أن رجع أبوبكر وعمر منهزمين: «والله لأُعطينّ الراية ... الخ» وكانت أعناق الصحابة قد تطاولت إليها، وكان عليّ عليه السلام أرمد العين، فأرسل الرسول ورائه من يدعوه إليه وسقاه من ريقه فشفاه وأعطاه الراية، وكان فتح خيبر على يديه.

وجاء في المصابيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال للحسن بن عليّ عليهما السلام: «اللهمّ إنّي أُحبّه

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) آل عمران: ٢٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٠؛ كنز العمّال ١٢: ١٠٣ رقم ٣٤١٩٨؛ تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٤٠ و٢٤٢؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٨٩.

وأُحبّ من يحبّه»(١).

ولمّا كانت المؤاخاة بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبدالرحمان وعثمان موجبة للصداقة والخلّة كانت مؤاخاة النبيّ لعليّ كذلك، قال الله تعالى: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(٢) حكمت هذه الآية على الأُمّة بحبّ عليّ وأهل بيته وصيّرته من الفروض الواجبة، وهذا الحكم شامل لرسول الله أيضاً لأنّه من غير المعقول أن يدعو الأُمّة إلى أمر ثمّ يعزل نفسه منها: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾(٣)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾(٤).

ويقول الله تعالى كذلك: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾(٥) وهذه الآية تدلّ على أنّ العلاقة بين المتقين هي الخلّة، ولو كان أبوبكر من أهل التقوى لخالله رسول الله ﷺ.

الجواث الثاني: ذكر أبوالفتوح العجلي الاصفهاني وغيرهم من علمائهم أنّه سُئل من عائشة: أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة. قيل:

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني ٦: ١٤٠؛ ذخائر العقبى: ١٢١ و١٢٢؛ فضائل الصحابة للنسائي: ١٩ و٢٠؛ مسند أحمد ٢: ٢٤٩ و٣٣١ و٥٣٢ و٤: ٢٩٢؛ صحيح البخاري ٤: ٢١٧ و٧: ٥٥؛ صحيح مسلم ٧: ١٢٩ و١٣٠؛ سنن ابن ماجة ١: ٥١؛ سنن الترمذي ٥: ٣٢٧؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٩٦ و١٧٧ و١٧٨؛ سنن البيهقي ١٠: ٢٣٣؛ مجمع الزوائد ٩: ١٧٦؛ مسند الحميدي ٢: ٤٥١؛ مسند ابن الجعد: ٢٩٥؛ الأدب المفرد: ٣٠ و٢٥٢، وكتب أُخرى كثيرة.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) الصفّ: ٢ و٣.

(٥) الزخرف: ٦٧.

من الرجال؟ قالت: زوجها(١).

عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ: أيّ بنيك أحبّ إليك؟ قال: الحسن والحسين.

وجاء في المصابيح: قال أُسامة: كنت جالساً عند رسول الله إذ جائه عليّ والعبّاس يستأذنان، فقال: أتدري ما جاء بهما؟ قلت: لا. قال: لكنّي أدري، ائذن لهما، فدخلا، فقالا: يا رسول الله، جئناك نسألك أيّ أهلك أحبّ إليك؟ قال: فاطمة بنت محمّد. قال: ما جئناك نسألك عن نساء أهلك، قال: أحبّ أهلي إليّ من أنعم الله عليه وأنعمت عليه، فقال أُسامة. قال: ثمّ من؟ قال: عليّ بن أبي طالب. فقال العبّاس: جعلت عمّك آخرهم! قال: إنّ عليّاً يسبقك بالهجرة(٢).

بيّنة: في سنة (٦٧٣) لمّا حملت مناقب الطاهرين معي إلى اصفهان وأردت تقديمه إلى حضرة سيّد العالم بهاء الدين محمّد صاحب الديوان، وكان في مقدّمة الكتاب شيء من التوحيد، فشاور داعي الدولة ربّه قائلاً: أرى من الصلاح

---

(١) محمّد بيومي، السيّدة فاطمة الزهراء: ١٧ عن ابن عبدالبرّ.

(٢) سننالترمذي ٥: ٣٤٢؛ مسند أبي داود الطيالسي: ٨٨ واقتصر على ذكر فاطمة؛ كنز العمّال ١٣: ٢٧٣ رقم ٣٦٨٠٢؛ ضعيف سنن الترمذي للألباني: ٥١٤ وضعّفه عن المشكاة والجامع الصغير ونقل قول الترمذي: هذا حديث حسن، وكان شعبة يضعّف عمر بن أبي سلمة .. الخ.

وتملكني العجب من المؤلّف أن ينقل مثل هذا الحديث الذي يجعل زيد بن حارثة أحبّ إلى رسول الله من عليّ وهو وإن لم يصرّح؛ بذلك إلّا أنّ قول النبيّ: من أنعم الله عليه وأنعمت يدلّ على ذلك، وقد صرّح به الترمذي فقال: زيد بن حارثة، وهذا يأباه كلّ ذي لُبّ ،وزيد بن حارثة على فضله لا يبلغ من قلب رسول الله ما بلغه ابن عمّه ووصيّة، وكيف يكون أحبّ إليه من عليّ وعندنا مئات الأحاديث تدلّ على عكس ذلك، وقد تسالم الفريقان على نقلها، وإنّي أتّهم فيه أُسامة بن زيد، ولولا قول الإمام الصادق فيه: لا تقولوا إلّا خيراً، لأوضحت للقاري من يكون أُسامة هذا إلّا أنّي أمسك عنه مرغماً امتثالاً لأمر الإمام الصادق عليه السلام وفي القلب ما فيه على هذا الرجل.

عرض الكتاب على فلان العالم، وكان من المقرّبين عنده وإن خالفه في المذهب، فاستخرنا الله فخرجت هذه الآية: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾(١) إلى أن أمكنت الفرصة فحضر عند العرض علماء الدولة في تلك الديار فلم يمكنهم إلّا السكوت ولم يقبل صاحب الديوان من الرسول اتخاذ ذلك العالم من جملة المحبّين.

الحديث الثالث:

ورووا عن عليّ أنّه قال على المنبر: خير هذه الأُمّة بعد نبيّها أبوبكر وعمر(٢).

الجواب: لو صحّ هذا القول لم يؤمّر رسول الله عليهم عمراً بن العاص في حرب خيبر(٣)، وحرب ذات السلاسل، ولم يؤمّر عليهم أُسامة بن زيد بل لم يؤمّر عليهم عليّاً في سرايا كثيرة، ولو كان الأمر كما يقولون لما ردّ الله أبابكر في سورة برائة

---

(١) النحل: ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) مسند أحمد ١: ١٠٦ بطرق كثيرة؛ مسند أبي يحيى الكوفي: ٤٨ و١٥٤؛ مصنّف الصنعاني ٣: ٤٤٨. وأخرجت هذا القول كتب كثيرة نشير إليها بالاسم فقط: مسند الجعد، مصنّف ابن أبي شيبة، سؤالات الآجري لأبي داود، كتاب السنّة لابن أبي عاصم، المعجم الأوسط ج١ و٣ و٤ و٥ و٧ و٨، والمعجم الكبير ج١، كنز العمّال ج١١ و١٢، نظم المتناثر للكتاني: ١٩٠، الثقات ج٧ و٨، كامل لابن عدي ج١ و٧ و٧، طبقات المحدّثين باصبهان ج٢ و٣، علل الدارقطني ج٣ و٤ و٦، تاريخ بغداد ج١ و٤ و٩ و١١ و١٢ و١٤، وتاريخ دمشق ج٢٣، وهكذا.

وحملني هذا القول على التسائل: ما الذي يفضّل المرء على غيره في الإسلام؟ وأجبت نفسي بأنّه العلم والشجاعة والدين والإقدام والجهاد والسبق إلى الإسلام وهكذا، ثمّ تسائلت مرّة ثانية من نفسي: أيّة واحدة من هذه القيم موجودة في الرجلين حتّى يفضلا على بلال أو على خباب بن الأرت أو على صهيب الرومي أو على عمّار بن ياسر لا على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولم أملك بعد ذلك إلّا لعن من افترى هذه الفرية على أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) مرّ فيما سلف أنّ عمرو بن العاص لم يشهد خيبر.

وأرسل بها عليّاً؛ فظهر من هذا أنّ قولهم كذب وافتراء على أميرالمؤمنين عليه السلام.

وكيف يكون خير الأُمّة من كان يسجد للات والعزّى، وإن كان كذا فلابدّ أن يكون العبّاس أولى بهذه الرتبة لأنّه عمّ رسول الله وهو أرشدهم وأكبرهم سنّاً، ومن قريش وهاشميّ كذلك، ولم يكن أبوبكر قرشيّاً.

وقال أبوبكر: إنّ لي شيطاناً، وقال عمر: أنا شاكٌّ في الإسلام كما جاء في كتاب «البياض والسواد» من كتب النواصب في الجزء الأوّل منه، وسأل حذيفة مرّتين: هل أنا منافق أو لا؟ وإنّ طائفة هذه أوصافهم كيف يكونون خير الأُمّة بعد نبيّها.

وقال عليّ عليه السلام: أنا أولى بمجلس رسول الله ولكنّي أشفقت أن يرجع الناس كفّاراً[1].

وقال أيضاً: لولا قرب الناس بالكفر لجاهدتهم[2].

وقال عليه السلام: كيف يكونان خير الأُمّة وقد عبدتُ الله قبلهما، وعبدته بعدهما[3].

والدليل على كذب هذا الحديث قول أبي بكر أيضاً: «لست بخيركم وعليّ فيكم» واتفقت الأُمّة أنّ عليّاً عليه السلام لم يذكرهما بخير طرفة عين ولم يذكرهما إلّا في معرض الشكوى منهما بأنّهما خاناه وظلماه، ولو كانا خير الأُمّة لم يظلما أهل بيت العصمة والطهارة.

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٠١؛ بحار الأنوار ٤٩: ١٩٢؛ مواقف الشيعة ١: ٢٩٦.

(٢) الفصول المختارة للشيخ المفيد: ٢٥١؛ مسألتان في النصّ على عليّ ٢: ٢٨ للمفيد أيضاً؛ الصراط المستقيم للعاملي ٣: ١٥٨.

(٣) الإيضاح للفضل بن شاذان: ٥١٩؛ المسترشد للطبري الشيعي: ٢٢٧؛ الفصول المختارة: ١٦٨ و٢٦١ و٢٧٩؛ كنز الفوائد للكراجكي: ١٢٢؛ كتاب الأربعين للشيرازي: ٣٢٨؛ بحار الأنوار ٣٨: ٢٦٩ و٢٨٥؛ مناقب أهل البيت للشيرواني: ٤٤؛ مواقف الشيعة ٢: ٢٦٨؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥ و٢٦٢؛ الدرجات الرفيعة: ٢٢؛ المجدي للعلوي: ١٠؛ حياة الإمام الرضا عليه السلام للقرشي ٢: ٢٥٥.

وروى المخالف في حقّ عليّ عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال ـ كما ذكر ذلك أحمد البيهقي في كتاب مشاهير الصحابة ـ: من أراد أن ينظر إلى آدم ... الحديث، هذه الصفات التي تفرّقت في أُولي العزم اجتمعت في عليّ عليه السلام، ومع وجود رجل كهذا كيف يكون مشرك أسلم بعد أن أشرك أكثر عمره خير هذه الأُمّة ؟! «سبحانك هذا بهتان عظيم».

الحديث الرابع:

قالوا: إنّ أبابكر رجع إلى نفسه وقال: هل من مقيل فأستقيله(١)، فقال عليّ عليه السلام: قدّمك رسول الله صلى الله عليه وآله فمن ذا يؤخّرك ؟!

الجواب: لو كان الأمر كما يقولون لسارع عليّ إلى بيعته قبل الصحابة، ولم يحتج إلى الحضور في سقيفة بني ساعدة، أمّا ضرورة مذهبنا فقاضية بأنّ عليّاً عليه السلام مظلوم ومغصوب حقّه، ويعترف المخالفون بأنّه لم يبايع حتّى ماتت فاطمة عليها السلام، وقال قوم: بايع بعد ستّة أشهر، وقال قوم: بعد أربعين يوماً، وفي مذهبنا أنّه لم يبايع قطّ، ولو كان يعلم عليّ بتقدّمه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما تأخّر عن بيعته.

وأيضاً لو كان أبوبكر يعلم من نفسه أنّ رسول الله قدّمه لما طلب الاستقالة؛ لأنّ كلّ ما يقوله الرسول ويفعله فبوحي من الله تعالى، وحينئذٍ تكون استقالته من أعظم آثامه وذنوبه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾(٢) لاسيّما وقد رضي بتقديمه في حياة رسول الله، ثمّ هاهو يتأخّر عنها بعد وفاته، فهو من المجرمين بفحوى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

---

(١) هكذا تكون العبارة صحيحة مستقيمة، أمّا عبارة المؤلّف فهي كما يلي: هل من مستقيل فأقله.. وهي خطأ حتماً.

(٢) الجنّ: ٢٣.

﴿وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾(١) ومع كلّ هذا يقول أنصاره المخالفون لنا: إنّ رسول الله مات ولم يستخلف، وهذه الحكاية تكذّب الحديث الأوّل.

ثمّ إنّ الخصم يزعم أنّ إمامة أبي بكر صحّت باختيار الصحابة وإجماع أهل الحلّ والعقد، فلو كان رسول الله قدّمه لما طلب الإقالة منها.

وأيضاً من الأدلّة الرادّة لهذه المزعمة أنّ الرجل لو قدّمه رسول الله في حياته لما قال: رضيت لكم أحد هذين الرجلين: أبا عبيدة وعمر، ولو كان رسول الله قدّمه لم يتخلّف عن بيعته بنو هاشم وزهّاد الصحابة وسعد بن عبادة مع الخزرج، ولا زال قول أميرالمؤمنين يتموّج في الدنيا حين قال بعد رسول الله ﷺ أكثر من مرّة: ما زلت مظلوماً، وهذه الخطبة الشقشقيّة تشهد بما جرى.

الحديث الخامس:

ورووا عن عمرو بن العاص أنّه قال للنبيّ: يا رسول الله، من أحبّ الناس إليك؟ فقال: عائشة. فقال: من الرجال؟ فقال: أبوها(٢).

الجواب: هذا الحديث باطل بحديث الطائر الذي رواه المخالفون عن أنس الذي قال: أُهدي إلى رسول الله طائر مشوي، فقال: اللهمّ آتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير.. وهذا الحديث يكذّب ذاك، إذ لو كان صادقاً لحضر أبوبكر هناك، وهو معارض بالحديث الوارد من طرق المخالفين وقد بسطناه في الحديث الثاني، وهو أنّه سُئلت عائشة: من أحبّ الخلق إلى رسول الله؟ فقالت: فاطمة. قيل: من

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) المستدرك ٤: ١٢؛ سنن البيهقي ٧: ٢٩٩ و١٠: ٢٣٣؛ لسان الميزان ٣: ٢١٦، وفيه زيادة: فقالت فاطمة: لم أرك قلت في عليّ شيئاً؟ قال: إنّ عليّاً نفسي، هل رأيت أحداً يقول في نفسه شيئاً. قال ابن حجر: فهذه الزيادة موضوعة والآفة من ظفر أو من شيخه الزهراني... الخ.

الرجال؟ قالت: زوجها. وليس لأبي بكر ذكر في باقي الأحاديث.

مع أنّه لا يمكن أن يعمد رجل يتحلّى بقسط من الأنفة والغيرة، يطري زوجته أمام رجل فاسق فاجر كعمرو بن العاص ويصرّح بحبّها ثمّ لا تدركه الغيرة عليها، فكيف يفعل رسول الله ما يأنف البشر العاديون من فعله.

أضف إلى هذا أنّ النبيّ ﷺ طالما شكى من عائشة وحفصة ومن إيذائهما له حتّى عاتب الله نبيّه بسببهما في سورة التحريم، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾(١) الآية، ونهاه أن يبتغي مرضاتهما، فقال: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾(٢) واعتزلهنّ رسول الله شهراً بكامله، وتشهد بذلك سورة نوح حيث بلغ النبيّ من قول المنافقين بسبب عائشة ما آلمه وآذاه، ومن قرأ تفسير القرآن للفرق كافّة فسوف يطّلع على مبلغ الألم الذي عاناه رسول الله من عائشة وحفصة، ولكنّه صبر، وإن لم تصدّقني فارجع إلى مصابيح الأخبار من كتب المخالفين واقرأ بإمعان باب العترة وأهل البيت والأزواج لتعرف صدق ما أقول لك.

جواب آخر: إنّ الذي أوجب حبّه على الأُمّة إنّما هو عليّ وأهل بيته بحكم الآية: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(٣).

ثانياً: إنّ المؤالف والمخالف قالوا بأنّ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً﴾(٤) نزلت في عليّ عليه السلام، ومثلها قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٥).

---

(١) التحريم: ١.

(٢) الآية نفسها.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) مريم: ٩٦.

(٥) المائدة: ٥٤.

وذكروا في مصابيح المخالفين أنّ النبيّ قال ـ وعليّ غائب عن البيت ـ: اللهمّ لا تمتني حتّى تريني عليّاً.

جواب آخر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾(١) لعلّكم لم تقرأوا القرآن، ولو كنتم قرأتموه لما فهمتموه أنّ الله تعالى حذّر من النساء «وقد قيل: حبّك الشيء يعمي ويصمّ»، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اتّقوا شرار النساء»(٢) وكونوا من خيارهنّ على حذر، وقال رسول الله في مرضه لعائشة عندما قدّمت أباها بدون إذنه للصلاة: «إنّكنّ لصويحبات يوسف»(٣)، وهنّ اللواتي قال الله بحقّهنّ: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾(٤) وكذلك: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾(٥).

وفي مذهب الشيعة الأكثر على أنّ النبيّ أوكل طلاق نسائه إلى عليّ إن عصينه، وطلّق عليّ عائشة في حرب الجمل(٦)، وإن لم تصدّقني فارجع إلى كتاب الفتوح لابن الأعثم(٧) وهو من علمائهم الكبار الذي رمز إلى ذلك في باب الطلاق عند ذكر

---

(١) التغابن: ١٤.

(٢) الكافي ٨: ٥١٧؛ وسائل الشيعة ٢٠: ١٧٩ و١٤: ١٢٨؛ عيون الحكم والمواعظ للواسطي: ٩٠؛ بحار الأنوار ٨٨: ٢٥٥ و١٠٠: ٢٢٤؛ درر الأخبار: ٦٢٤؛ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للحلواني: ٥٣؛ كشف الخفاء للعجلوني ١: ٤٤.

(٣) الفصول المختارة: ١٢٤؛ التعجّب: ٢٢؛ الصراط المستقيم ٣: ١٣٤؛ كتاب الأربعين: ٦٢٠؛ بحار الأنوار ٢٨: ١٦٠؛ مناقب أهل البيت: ٣٩٩؛ أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة للعسكري ١: ٧٩؛ شرح نهج البلاغة ٩: ١٩٧؛ الدرجات الرفيعة لابن معصوم: ٥٩٠.

(٤) يوسف: ٢٨.

(٥) يوسف: ٢٩.

(٦) أقول: لا موضوعيّة للطلاق بعد مرور ثلاثين سنة على وفاة رسول الله إلّا أن يقال بأنّه حكم خاصّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله.

(٧) طبع هذا الكتاب أخيراً في بيروت ولكن لعبت به الأيدي وغيّرت أُسلوبه ومحتواه فتجد فيه ←

عائشة، وإن لم يجد الشجاعة الكافية لنقل الخبر برمّته «الحرّ تكفيه الإشارة».

وهل كان رسول الله يحبّ عائشة لأنّها غازية ومجاهدة في سبيل الله في حرب الجمل ويحبّ أباها لأنّه ظلم آل رسول الله ونام ألف سنة(١) في بيت رسول الله بدون إذنه خلافاً لقول الله: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾(٢) ؟!

الحديث السادس:

ورووا عن عليّ عليه السلام بأنّه قال: من فضّلني على أبي بكر وعمر أجلده جلدة المفتري.

وروى المخالف عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر.

الحديث الأوّل روايه المدّعي وأنكره الخصم، والحديث الثاني رواية المخالف وصدّقه الخصم وهو يعارضه؛ فالثاني صادق والأوّل كذب موضوع.

وروى المخالف أيضاً أنّ رسول الله قال: أعلمكم عليّ وأفضلكم وأقضاكم عليّ(٣)، وحديث الطير، وحديث الراية، وآية المباهلة، وآية ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾(٤)، وآية التطهير، وآية الخمس وآية ذوي القربى،

⬅ مثل كلمة «مليون» المولدة التي دخلت اللغة العربيّة في القرن العشرين، ثمّ حذف منه الكثير والكثير، ولحدّ الآن لم نطّلع على الجهة التي فعلت هذا الفعل.

(١) تمّ تأليف هذا الكتاب سنة (٦٧٥) فكيف يكون مرّ على دفن أبي بكر ألف سنة!

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٣٠٦؛ مستدرك الوسائل للنوري ١٧: ٣٩٠؛ النكت الاعتقاديّة للشيخ المفيد: ٤١؛ الاحتجاج ٢: ١٠٣ و١٦٣؛ مناقب أهل البيت: ١٩٢ و١٩٩؛ طرق أحاديث الأئمّة الاثني عشر لكاظم آل نوح: ٩٢؛ مقام الإمام عليّ لنجم الدين العسكري: ٢٨؛ كشف اليقين للحلّي: ٤٥؛ الكنى والألقاب للشيخ عبّاس القمّي ١: ٢٠٣.

(٤) النساء: ٩٥.

وحديث: لضربة عليّ يوم الخندق خير من عبادة الثقلين، هذه جميعاً رواها المخالف أيضاً، وهي تكذّب الحديث المفترى.

ثمّ إنّ ما يوجب حدّ الجلد معلوم، ولا يدخل فيه التفضيل، أعني من فضّل أحداً على أحد، وليس من المعقول أن يجلد الإمام على الكذب، ولما ذكرهم عليّ فقال: زرعوا الفجور، وسقوا الغرور، وحصدوا الثبور[١].

ولما ذكر أبابكر، قال: «وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء» ولو كان هو الأفضل، فما معنى الهجوم عليه ومقاتلته ونسبة زرع الفجور وسقي الغرور وحصد الثبور إليه؟

والاتفاق حاصل أيضاً بأنّ أبابكر قال: «لست بخيركم وعليٌّ فيكم» فإن كان صادقاً فما هو بأفضل من أحد من الصحابة، وإن كان كاذباً فما هو للإمامة بأهل.

ولست أدري ما هو وجه تفضيله ولا يذكر له المخالف إلّا الغار، وكان شريكه عبدالله بن يقطر، وكان عليّ صاحب فراش رسول الله ﷺ، وهذه المرتبة أفضل من تلك، وإن قيل: إنّه ختن رسول الله ﷺ، فللنبيّ ثمانية عشر ختناً وهو أحدهم، ومثله صاحبه، ولم يعط النبيّ من ابنتيهما أولاداً وإلّا لكانتا قد ادّعتا الربوبيّة، وإذا كان هو ختن رسول الله فعليّ مثاله ختنه من جهة أُمّ هاني[٢] وصهره وابن عمّه شقيق والده.

---

(١) نهج البلاغة، الخطب ١: ٣٠؛ كتاب الأربعين: ١٩٩ و٤٣٧؛ بحار الأنوار ٢٣: ١١٧؛ النجمي في أضواء على الصحيحين: ٣٢٣؛ ميزان الحكمة ٣: ٢٢٣؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٨؛ ينابيع المودّة: ٤٤٩.

(٢) لم يتزوّج النبيّ بأُمّ هاني، إنّما خطبها فاعتذرت بأنّها ميتّم ولا تستطيع أن تقوم بواجب رسول الله ﷺ، وكانت تخشى أن يشغلها أولادها عنه.

الحديث السابع :

ورووا عن النبيّ أنّه قال : أبوبكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة .

الاتفاق حاصل بين المسلمين أنّ الجنّة ليس فيها شيوخ ولا كهول ، وذات يوم قال النبيّ لامرأة عجوز كانت حاضرة عنده ـ «أسجعيّة» (كذا) ـ على سبيل الدعابة والخلق الحسن : «لا تدخل الجنّة عجوز» فأجهشت العجوز باكية ، فقال لها النبيّ ﷺ : قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾[1] ومعناه ـ والله العالم ـ أنّهنّ يتحوّلن في الجنّة إلى أبكار عذارى ، ومن هنا قال ﷺ : إنّي لأمزح ولا أقول إلّا حقّاً .

وغرضهم من هذه المفتراة مناقضة الحديث المشهور الذي اتفق عليه أهل القبلة لصدقه عن النبيّ ﷺ : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين ، وأبوهما خير منهما[2] .

---

(١) الواقعة : ٣٥ و٣٦ .

(٢) مسند زيد : ٤٦١ ؛ الأحكام ليحيى ١ : ٤٠ ؛ المبسوط للسرخسي ١٦ : ١٢٢ ؛ سبل السلام ٤ : ١٢٥ ؛ فقه السنّة لسيّد سابق : ٤١٧ ؛ ذخائر العقبى : ١٢٩ ؛ فضائل الصحابة للنسائي : ٢٠ و٥٨ ؛ المسند لابن حنبل ٣ : ٣ و٦٢ و٦٤ و٨٢ ، و٥ : ٣٩١ و٣٩٢ ؛ سنن ابن ماجة ١ : ٤٤ ؛ سنن الترمذي ٥ : ٣٢١ و٣٢٦ ؛ مستدرك الحاكم ٣ : ١٦٧ و ٣٨١ ؛ شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ : ٤١ ؛ مجمع الزوائد ٩ : ١٦٥ وفيه : «وأبوهما والذي بعثني بالحقّ خير منهما» ، وص١٨٢ و١٨٣ و١٨٤ و٢٠١ ؛ المعيار والموازنة : ١٥١ و٢٠٦ و٣٢٣ ؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥١٢ ؛ بغية الباحث لابن أبي أُسامة ؛ سنن النسائي الكبير ٥ : ٥٠ و٨١ و١٤٥ ـ ١٥٠ ؛ الخصائص له أيضاً : ١١٧ و١١٨ و١٢٣ و١٢٤ ؛ مسند أبي يعلى ٢ : ٢٩٥ ؛ صحيح ابن حبّان ١٥ : ٤١١ ـ ٤١٣ .

المعجم الأوسط ٢ : ٣٤٧ و٤ : ٣٢٥ و٥ : ٢٤٣ و٦ : ١٠ و٣٢٧ ؛ المعجم الكبير ٣ : ٣٥ ـ ٤٠ و٥٧ ، و١٩ : ٢٩٢ و٢٢ : ٤٠٣ ؛ سؤالات حمزة للدارقطني : ٢١٦ ؛ شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٠ و١٦ : ١٤ ؛

....

➲ درر السمط في خبر السبط لابن الآبار: ٧٨؛ نظم درر السمطين: ٢١٤ و٢٢٧؛ موارد الظمئان للهيثمي: ٥٥١؛ الجامع الصغير ١: ٢٠ و٥٨٩، وفي الحديث المرقّم ٣٨٢١ «وأبوهما خير منهما»؛ كنز العمّال ٧: ٢٦ رقم ١٧٧٩٥ و١١: ٥٧٣ رقم ٣٢٧١٣ و١٢: ٩٦ رقم ٣٤١٥٨ بطرق عدّة، و١٣: ٦٤٠ بطرق عدّة.

نور العين للاسفراييني: ٣٥ و٦٥ و٦٦؛ فيض القدير ٣: ٥٥٠؛ كشف الخفاء للعجلوني ١: ٣٤ وفيه: «وأبوهما خير منهما»، وص٣٥٨؛ نظم المتناثر للكتاني: ١٩٦؛ إغام المبتدع الغبي للسقّاف: ٣٤؛ تناقضات الألباني ٢: ٢٥٦؛ دفع الارتياب عن حديث الباب للعلوي: ٤٧؛ شواهد التنزيل ١: ١٩٩؛ الدرّ المنثور للسيوطي ٤: ٢٦٢؛ الكامل لابن عدي ٢: ٢٢٠ و٢٢١ و٣٥٧ و٤١٣، و٣: ٤٣٥ و٥: ٣٢٣ و٣٦٨، وفيه: قال عطاء: حدّثونا أنّه قال: «وأبوهما خير منهما»، و٦: ٣٧٣ وفيه: «وأبوهما خير منهما»، و٧: ٢٨٤؛ علل الدارقطني ٣: ١٦٦ و١١: ١٩١ وفيه: «فمن أحبّهما فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني»؛ تاريخ بغداد ١: ١٥٠ وفيه: «وأبوهما خير منهما»، و٢: ١٨١ و٤: ٤٢٩ و٦: ٣٦٩ و٩: ٢٣٠ و٢٣١، و١٠: ٢٣٠ و١١: ٩١ و١٣: ٤؛ تاريخ دمشق ٥: ٣٧٤ و١٢: ٢٦٩ و١٣: ٢٠٧ ـ ٢١٢ و٤٠٢، و١٤: ١٣٠ ـ ١٣٧، و٢٧: ٣٩٩ و٣٠: ١٧٩ وفيه: «ولا تسبّوا عليّاً فإنّه من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ عذّبه الله»، و٣٤: ٤٤٧ وفيه: «وأبوهما خير منهما»، و٤٢: ١٣٠ وفيه: «وأبوهما والذي بعثني بالحقّ خير منهما»، و٦٤: ٣٥، و٧٠: ١١٣.

أُسد الغابة ١: ٣١١ و٢: ١١ و٥: ٥٧٤؛ تهذيب الكمال للمزّي ٦: ٢٢٩ قال: زاد بعضهم: «وأبوهما خير منهما»، وص٤٠١، و٧: ١١٠ و١٢: ٢٥٤ و٢٦: ٣٩١ و٣٢: ٢٤٣؛ ميزان الاعتدال ١: ٥٨٥ و٢: ٢٥٠ و٤: ٣٣ و١٤٩ وفيه: «وأبوهما خير منهما»؛ سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٧ و٣: ٢٥١ و٢٥٢ و٢٥٥ و٢٨٢، و٥: ٦٣ و١١: ٤١٦؛ تهذيب التهذيب ٢: ٢٥٨ و٣: ٣٠٩ و٤: ٢٤١؛ لسان الميزان ٢: ١٥٧ و٣٤٣؛ الإصابة ١: ٦٢٤ و٢: ٦٣ و٦: ٢٥٢ وفيه: «وأبوهما خير منهما»؛ الأنساب للسمعاني ٣: ٤٧٧ وسمّاه متواتراً؛ تاريخ جرجان: ٣٩٥؛ ذكر أخبار اصفهان ٢: ٣٤٣؛ البداية والنهاية ٢: ٦١ و٨: ٣٩ و١٩٣ و٢٢٤ و٢٢٥.

رأس الحسين لابن تيميّة: ٢٠١؛ قصص الأنبياء لابن كثير ٢: ٣٥٧؛ جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ١٩٩؛ سبل الهدى والرشاد ١٠: ٤٧ و١١: ٤٦ و٥٧ و٦٠ و٦١ و١٦٢ و٢٥٠.

➲

وفي رواية أُخرى: إنّ أهل الجنّة شباب كلّهم وإنّه لا يدخلها العجز.

وبناءاً على هذا لو قدّر لهما الدخول إلى الجنّة لدخلوها شابّين ويكون الحسنان أفضل منهما، وقال رسول الله ﷺ: إنّ الدنيا سجن المؤمن والقبر بيته والجنّة مأواه، والدنيا جنّة الكافر والقبر محبسه والنار مأواه، إلّا أن يكون النبيّ أراد جنّة الدنيا لأنّ الجنّة ليس فيها كهول، وإن كان الغرض كهولتهم بالقياس إلى أعمار الدنيا فإنّ الأنبياء نوح ولقمان وإبراهيم، ومن الصحابة سلمان منّا أهل البيت أولى بهذه المرتبة.

الحديث الثامن:

ورووا أيضاً: لو لم أُبعث فيكم لبُعث عمر.

وكذلك رووا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ما أبطأ عنّي جبرئيل إلّا ظننت أنّه بعث إلى عمر.

وفي رواية أُخرى: ما احتبس عنّي الوحي إلّا ظننته قد نزل على عمر(١).

الجواب: جاء في كتبهم أنّ عمر قال: هل أنا منافق أو لا؟ وسأل حذيفة عن

⬅ هذه الكتب التي أخرجت الحديث كلّها لأبناء العامّة، وأنا بدوري أتحدّى كلّ من ينتمي إلى أهل السنّة أن يأتيني بكتاب شيعيّ واحد أخرج شيئاً من مفترياتهم.

وأمّا كهول الجنّة فقد أخرجه منهم:

مجمع الزوائد ٩: ٥٣ وأكمل الحديث بقول البزّار: لا نعلم، وبعبدالرحمان بن مالك قال: قلت: هو متروك؛ تاريخ دمشق ٣٠: ١٧٠ و١٧٦ و٤٤: ١٦٨ و١٦٩؛ تهذيب الكمال ١٢: ٣٨٧؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٥٠؛ لسان العرب ١١: ٦٠٠.

(١) نحن نذكر بعض كتبهم التي أخرجته وما قبله:

مجمع الزوائد ٩: ٦٨؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٨؛ كنز العمّال ١١: ٥٨١ رقم ٣٢٧٦١؛ تذكرة الموضوعات للفتني: ٩٤؛ كشف الخفاء ٢: ١٥٤ و١٦٤ وقال الصفائي عن حديث نظيره: موضوع؛ الكامل لابن عدي ٣: ١٥٥ و٢١٦؛ الموضوعات ١: ٣٢٠ وقال ابن الجوزي: لا يصحّان.

ذلك مرّتين، وكان عليّ عليه السلام يقول: «حذيفة كان عرّافاً بالمنافقين». فمن كان شاكّاً في دينه كيف يصحّ نزول الوحي عليه؟! ويكون شريك محمّد في رسالته وهو خاتم الأنبياء؟!

وإذا صحّ الحديث يكون النبيّ صلى الله عليه وآله أعدى عدوّ لعمر لأنّه فوّت عليه هذه الفرصة الثمينة وهي النبوّة التي لا يعادلها شيء، ولا يسمو إلى رتبتها مقام، ويكون عمر أعدى عدوّ للنبيّ لأنّه إذا انقطع عنه الوحي استبدّ به الهاجس أنّه انصرف إلى عمر فيمتلأ حقداً عليه، نزولاً عند الفطرة وموضعاًلجبلة البشريّة التي يعادي الإنسان بها كلّ من ينافسه على شيء ثمين، ويكون في موضع قلق وعذاب من وجود عمر، وربّما زاد في عذابه ما يقتضي له رؤية عمر كلّ يوم مرّات، من الهمّ والألم.

والعجيب في الأمر أنّ حصول عمر على هذاالمقام المنيع والوسام الرفيع من أيّة جهة؟ ولأيّ خصلة فيه وصفة له؟ وهو قد شاخ في خدمة اللات والعزّى حتّى أخرجه الإسلام منها، هذا وإن جوّز شيعته الصغائر على الأنبياء والأئمّة.

وأيضاً يرى شيعة عمر وأتباعه وقوع الشيء خلاف علم الله محالاً.. وتكون المسألة على النحو التالي: إنّ الله علم برسالة عمر منذ الأزل ولكنّه لم يبعث وهذا خلاف ما علم الله وإن لم يكن قد علم بها فلا تقع أصلاً، ويكون رسول الله في أمان من وقوعها لأنّها لم تكن في علم الله، وما لم يكن حالاً في علم الله فوقوعه محال مِن ثَمّ هو على يقين بأنّ هذه الرسالة المدعاة لعمر لن تقع أصلاً.

ثمّ إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾(١) الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ

---

(١) الأحزاب: ٧.

مِن بَعْدِهِ﴾[١] فكيف لم يأخذ الله الميثاق من عمر ؟

الحديث التاسع :

ورووا عن النبيّ أنّه نظر إلى عمر يوم عرفة فتبسّم وقال: إنّ الله باهى بعباده عامّة وباهى بعمر خاصّة[٢].

الجواب : وهذا محال أن يترك الله سيّد أنبيائه ويباهي بعمر ويفاخر به وقد كان في الجاهليّة عاكفاً على الذنوب والكبائر وكان على الشرك، وفي الإسلام شاكّاً في إيمانه لا يدري أهو منافق أو مسلم، ونال محمّد العزّة قاب قوسين، وبلغ من الأمكنة القدسيّة ما لم يبلغه مخلوق ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣] وأقسم بموطئ أقدامه ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾[٤] وختم الله به مأة ألف وأربعاً وعشرين ألفاً من الأنبياء، أترى الله يعرض عن إنسان كهذا ويفاخر بعمر ابن صهّاك وهو من أدنى الناس وعامّتهم، ينبغي أن يستحي من الله من يقول هذا أو يعتقده «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

ثمّ إنّ الله تعالى أخذ من عباده الميثاق حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٥] ولم يكن أبوبكر وعمر هناك لأنّهما أنكرا التوحيد حقبة طويلة من عمريهما، وكانا يسجدان لربّهما

---

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) كتاب السنّة لعمرو بن أبي عاصم: ٥٧٢؛ كنز العمّال ١٢: ٥٩٤ رقم ٣٥٨٥ وتمامه: وإن لم يبعث نبيّاً، و١٣: ٣ رقم ٣٦٠٨٧ وسياقه مختلف؛ تاريخ دمشق ٤٤: ١١٧ و١١٨ و٥٦: ٩٢؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٦٧.

(٣) الحجر: ٧٢.

(٤) البلد: ١ و٢.

(٥) الأعراف: ١٧٢.

اللات، فهذا والله من العجب.

ولكن لا عجب من القوم الذين يزعمون أنّ النبيّ لمّا عرج بـه إلى السماء وبـلغ الجنّة سمع خفق نعال بلال لأنّه سبقه إلى الجنّة لأنّه غلام أبي بكر، فيكون أفضل من رسول الله فليس عجيباً أن يكون عمر أفضل «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

الحديث العاشر:

ورووا عن النبيّ ﷺ أنّه قال: لو نزل العذاب ما نجى منه إلّا عمر[1].

الجـواب: وبناءاً عـلى هـذه الفـرية فـإنّ أبـابكر وعـثمان يهـلكان أيـضاً إلّا ابن الخطّاب وعلى مذهب القوم يهلك حتّى رسول الله ﷺ. وحاشا للّهِ أن يـعتقد بهذا مسلم.

ثمّ إنّ الله تعالى بشّر المؤمنين بشارة عامّة فقال: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[2] فجعل حياة النبيّ أمان الناس فإذا انتقل إلى الرفيق الأعلى كان الاستغفار أماناً لهم، فهل كان أبوبكر وعثمان على غير استغفار؟ ولا ينبغي للنبي أن يقول عن عمر ما نسبوا إليه بعد نزول هذه الآية.

ولمّا دخل عمر في السياق وعرف أنّه صائر إلى الهلاك كان يستغيث من أعماله الشنيعة فيقول: واويلاه، واثبوراه، يا ليتني كنت تراباً، يا ليت أُمّي لم تلدني، وكان يردّد دائماً: ليتني كنت شعرة في صدر أبي بكر.. فيكون أبوبكر بهذه الدرجة أولى من عمر.

---

(١) المبسوط للسرخسي ١٠: ١٣٩. قال المأمون: هـذا خـلاف الكـتاب أيـضاً لأنّ الله تـعال يـقول لنبيّه ﷺ: «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم» (الأنفال: ٣٣) فجعلتم عمر مثل الرسـول. (عـيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٣)

(٢) الأنفال: ٣٣.

وأوكل النبيّ النجاة إلى أهل بيته في حديثه المتواتر المشهور بين الأُمّة: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح» الحديث[١]، وقال أيضاً: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض»[٢] وأمثال هذه الأخبار المروية عن طريق المؤالف والمخالف، ونتيجة لما تقدّم: إنّ رسول الله قال: هؤلاء في الجنّة.

الحديث الحادي عشر:

قالوا: إنّ رسول الله قال: أبوبكر في الجنّة وعمر في الجنّة وعثمان في الجنّة وعليّ في الجنّة وطلحة في الجنّة والزبير في الجنّة وعبدالرحمان بن عوف في الجنّة وسعد ابن أبي وقّاص في الجنّة وسعيد بن زيد في الجنّة وعبيدة بن الجرّاح في الجنّة.

الجواب: قد قال عمر لحذيفة يوماً: نشدتك بالله أمن المنافقين أنا؟ فلو أنّه صدّق رسول الله ببشارته لما كان سأل حذيفة عن وضعه الديني، ولم يقع في شكّ من أمره، ولا يصحّ في مذهب الخصم تكذيب الرسول، ويسأل حذيفة في حالة الشكّ عن حقيقة أمره، وهذا يدلّ على كذب حديث العشرة، وأنّه افتراء على رسول الله ﷺ.

وقال أبوبكر: «إنّ شيطاناً يعتريني» وبهذا يكون مصاحباً للشيطان فكيف يبشّر بالجنّة.

ولا يصحّ في مذهب الخصم الحديث إلّا بحقّ عليّ عليه السلام، ويبقى الباقون في العراء.

والدليل على كذب هذا الحديث ما رواه صاحب الفتوح ابن أعثم الكوفي عن عمر أنّه قال في سكرات الموت لابنه عبدالله: لو رأيت أباك يقاد إلى النار أتفدينّه؟

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المستدرك ٣: ١٤٩؛ كنز العمّال ١٠٢/٢؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٧؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٤٣؛ النصائح الكافية لمحمّد بن عقيل: ٤٥ وعزاه في هامش الينابيع إلى الصواعق.

ومثله حديث المصابيح: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني، والاتفاق حاصل على أنّهم غصبوا منها فدكاً وآذوها وتأذّى النبيّ لأذيّتها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية[1].

وكان النبيّ قد دعاهم إلى قتل رجل من الخوارج فلم يطيعوا رسول الله أو يقبلوا قوله، وقالوا: لا نقتله لعلّه يقرأ القرآن.

وذكر أبوبكر الشيرازي أنّ النبيّ ﷺ أرسل عمر يوم الحديبيّة إلى أهل مكّة فأبى قبول ذلك، وقال: لا أذهب، فأرسل عثمان فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾[2] فلو كان مؤمناً لأطاع رسول الله ﷺ.

واشتهر بين الخاص العام بأنّ عمر قال: ما شككت منذ أسلمت إلّا يوم قاضى فيه رسول الله على أهل مكّة فإنّي جئت إليه وقلت: يا رسول الله، ألست بنبي؟ فقال: بلى، فقلت: ألسنا بالمؤمنين؟ قال: بلى، فقلت له: فلم تعطي الدنيّة من نفسك؟ فقال: إنّها ليست بدنيّة ولكنّها خير لك. فقلت له: أوليس وعدتنا أن تدخل مكّة؟ قال: بلى. قلت: فما لنا أن لا ندخلها؟ قال: وعدتك أن ندخلها العام؟ قلت: لا، قال: فسندخلها إن شاء الله تعالى.

وجاء في تفسير السلماني: يا علي، أنت في الجنّة وشيعتك في الجنّة[3].

---

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) الأنفال: ٢٤.

(٣) مقام الإمام علي وكنز العمّال وفيض القدير وتاريخ دمشق وذيل تاريخ بغداد، واقتصر هؤلاء على طرف الحديث: يا علي أنت في الجنّة.. وراجع للحديث كلّه مسند زيد: ٤٥٦؛ مجمع الزوائد ٩: ١٧٣؛ المعجم الأوسط ٦: ٣٥٥ و٧: ٣٤٣؛ كنز العمّال ١: ٢٢٣ رقم ١١٢٧ و١١: ٣٢٣ رقم ٣١٦٣١؛ شواهد التنزيل ١: ٤١٤؛ الكامل لابن عدي ٣: ٨٣ و٧: ٢١٣؛ تاريخ بغداد ١٢: ٢٨٤ و٣٥٣؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٣٢ و٣٣٤ و٣٣٥؛ الموضوعات ١: ٣٩٧؛ ميزان الاعتدال ١:

جرت العادة أنّ في الدعاوي إقرار المدّعي يكون فتحاً عظيماً، وإنّ طلحة والزبير لمّا خرجا على الإمام فهما مرتدّان كما نسب ذلك إلى القوم الذين قتلهم أبوبكر حين خرجوا عليه بمنع الزكاة «هذا كيلاً بكيل ردّة بردة» دعنا من هذا ولكن الردّة على عليّ أولى وأجلى بوجوه:

الأوّل: لعصمة عليّ.

الثاني: بآية المباهلة عليّ نفس رسول الله ﷺ.

الثالث: اتفق المسلمون على أنّ النبيّ ﷺ قال: «حربك حربي وسلمك سلمي»[1] ومحارب رسول الله كافر فيكون محارب عليّ مثله.

الرابع: استخلف أبوبكر باختيار الناس واستخف عليّ عليه السلام باختيار الله ورسوله.

وذكر أبو سعيد ابن علي السمّان الحافظ الزاهد المحدّث السنّي في كتابه «المثالب» أنّ راوي الحديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، رواه في مسجد رسول الله ﷺ والمغيرة بن شعبة حاضر ومع ناس كثيرون، فلم يشهد أحد بسماعه من رسول الله غير سعيد، ثمّ إنّه أدخل نفسه مع المبشّرين بالجنّة، وهذا مدعاة لردّ الحديث بناءاً على مذهب العلماء في السنّة ولولا ذلك لأمكن النظر في الحديث من حيث القبول أو الرد، أمّا والحال هذه فيعتبر مكذوباً به على رسول الله ﷺ.

الحديث الثاني عشر:

ورووا أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الشيطان يفرّ من ظلّ عمر.. الخ[2].

⟵ ٤٢١ قال الذهبي: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.. الخ وليس بحجّة راجع للردّ عليه اللئالي المصنوعة للسيوطي، و٢: ١٨ و٤: ٣٧١؛ ينابيع المودّة ١: ٤٢٥.

(١) ينابيع المودّة ١: ١٧٢؛ مناقب الخوارزمي: ١٢٩.

(٢) صحيح ابن حبّان ١٥: ٣١٥؛ كنز العمّال ١١: ٥٧٥ رقم ٣٢٧٢٥؛ فيض القدير ٥: ٥٨٦؛ كشف ⟶

الجواب: يقال: إنّ الشيطان وسوس لآدم كما جاء في القرآ الكريم: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ الآية(١)، ووسوس لموسى حيث قال: ﴿هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾(٢)، وقال أيّوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(٣)، ويقولون: ما من رسول إلّا وقد وقع عرضة لهذه الوسوسة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾(٤)، وقالوا: كان النبيّ في المسجد الحرام يصلّي وكان المشركون مجتمعين هناك والنبيّ يقرأ سورة والنجم حتّى وصل إلى قوله: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾(٥) فألقى الشيطان في كلامه: «تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهنّ لترتجى» ففرح المشركون بهذا وقالوا: لقد عظّم محمّد أصنامنا وأثبت لهنّ الشفاعة، فحزن النبيّ جرّاء ذلك حزناً شديداً وتألّم منه فأنزل الله عليه هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية.

والعجب من القوم أنّهم يجيزون وسوسة الشيطان على الأنبياء والمرسلين مع أنّهم لم يعبدوا صنماً قط، وهذا عمر قضى أكثر عمره في عبادة الأصنام وكان مشركاً بالله، صار الشيطان يفرّ منه.

ولو نظرت بعين البصيرة إلى الحقيقة لكانت هذه الفرية مدعاة إلى القدح في عمر لأنّ الناس يقولون بلغ فلاناً حدّاً صار الشيطان يفرّ منه أي بلغ هذا الحدّ في الشيطنة.

⮌ الخفاء ٢: ٣٠٢؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٦٧: وليس فيها ذكر للظلّ وفي بعضها: ما في السماء ملك إلّا وهو يوقر عمر ولا في الأرض شيطان إلّا وهو يفرّ من عمر.. الخ.

(١) طه: ١٢٠.

(٢) القصص: ١٥.

(٣) ص: ٤١.

(٤) الحجّ: ٥٢.

(٥) النجم: ٢٠.

الحديث الثالث عشر:

ورووا عن الرسول أيضاً بأنّه قال: وضعت في كفّة الميزان ووضعت أُمّتي في أُخرى فرجحت، فوضع مكاني أبوبكر فرجح، ثمّ وضع عمر فرجح بهم، ثمّ رفع الميزان(١).

الجواب: ليس في الدنيا شيء أرخص من الكذب وأسهل منه، وقد أسلم عمر بعد شرك فكيف يرجح على رسول الله ثلاث مرّات، فإن كان الرجحان بالعلم فإنّه لم يعرف الأبّ حين سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾(٢) وقد أُحصر في سبعين قضيّة وقضى بها عليّ عليه السلام وهو القائل: «لولا عليّ لهلك عمر»(٣) وقال على المنبر: كلّكم أفقه من عمر حتّى العجائز. وهذا القول مثبت في كتب أنصاره وشيعته، وأراد أن يحفظ سورة البقرة فأنفق عمره على حفظها فلم يتسنّ له وعلم أنّ العلم في الكبر كالرقم على الماء.

وإن كان الرجحان بالزهد والورع وحسن الخلق أو بالجهاد فقد أمن عمر من هذه القيم وعاش معافىً منها وسليماً من عاهاتها !!! أو كان بالقرابة فإنّها جميعاً اجتمعت في عليّ عليه السلام، مع أنّ عمر كان قد تمنّى أن يكون شعره في صدر أبي بكر(٤).

---

(١) كنز العمّال ١٣: ٢٤١ رقم ٣٦٧٢٠ وفيه: ثمّ جيء بعثمان فوزنهم ثمّ استيقظت ورفعت..؛ تاريخ دمشق ٣٩: ١١٦.

(٢) عبس: ٣١.

(٣) مناقب الخوارزمي: ٨١؛ نظم درر السمطين: ١٣٠؛ أحمد بن الصدّيق الغماري: ٧١؛ دفع الارتياب عن حديث الباب لعلي بن محمّد العلوي: ١٦؛ ينابيع المودّة ٣: ١٤٧؛ عمر بن الخطّاب للبكري: ١٥١ وأحال على الاستيعاب ٣: ١١٠٣، وص١٨٩ و٣٦٩؛ الهاشميّات العلويّات: ١٥٤؛ مسند زيد: ٣٣٥.

(٤) كنز العمّال ١٢: ٤٩٢ رقم ٣٥٦٢٦.

وكان أبوبكر يقول: ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن(١).

والعجب منه أنّه سرعان ما ارتفع نجمه ورجحت كفّة ميزانه إلى هذه الدرجة.

ثمّ إنّ الأعمال هي أعراض فكيف بالإمكان وزن العرض والخصم لا يستطيع أن يثبت له عملاً ليس مثله لأدنىٰ الصحابة ؟! وإن كان غرضهم من الوزن هيكل عمر وحجمه المسبطر فإنّ من اليقين أنّ عمر لم يكن بهذا الثقل بحيث يرجح على العالمين بالوزن ثلاث مرّات ،وقيمة الجسم عائدة إلى قيمة الروح.

الحديث الرابع عشر:

ورووا أنّ رسول الله ﷺ نزل عليه جبرئيل وقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: اقرأ منّي على أبي بكر السلام وقل له: إنّي عنك راضٍ فهل أنت عنّي راضٍ ؟!

الجواب: ألا يعلم المفتري أنّ الله تعالى عالم بالجزئيّات، فإذاكان أبوبكر راضياً عن الله تعالى فإنّ الله يعلم ذلك حتماً ولو أنّه قدّر رضاه لوقع حتماً وإلّا فوقوعه ممتنع ولا يسأل الله تعالى عن المحال.

ثمّ إنّ هذاالقول لا يقع موقعاً حسناً من مذهب القوم إذ ليس من المستحيل أن يسلبه الله الرضا عند الموت، ويحلّ محلّه الغضب والبغض وهو من الله حسن كما سبق تقريره، لأنّ الخصم لا يقول بالحسن والقبح العقليين.

ثمّ إنّ الله تعالى يقول لنبيّه: ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً﴾(٢) وعبّر عن ذلك بلفظ «عسى»، ولو صحّ هذا الحديث فإنّ أبابكر لا يكون مؤمناً لأنّ الله تعالى يقول عن عباده المؤمنين في مواضع عدّة: ﴿رَضِيَ اللَّهُ

---

(١) فيض القدير ٤: ٤١٨.

(٢) الإسراء: ٧٩.

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (١).

ويحضرني الآن أنّ هذه الافتراءات إنّما يفتريها الدهريّون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ (٢) وعاش أبوبكر في الشرك إلى شيخوخته وقد أسمن ترائبه ونحره وعروقه وأمعائه بشرب الخمر وأكل ما ذبح على النصب، وفي إسلامه أدخل الظلم على أهل البيت وكان البادئ بذلك وفتح باب الشرّ عليهم، كما يعلم ذلك كلّ الناس، فكيف يعطى هذه المكافئة على تلكم الأعمال.

وبلغ كذبهم إلى درجة أن رووا أنّه كان النبيّ ذات يوم راكباً وأبوبكر إلى جانبه يسير على رجليه فهبط عليه الأمين جبرئيل وقال: ألا تستحي أنت راكب وأبوبكر راجل، وعليك أن تمشي ليركب أبوبكر.. وقد قال الله تعالى: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٤) وقال: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ (٥) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ (٦).

وبناءاً على هذا فإنّ الله تعالى أمر بالتواضع بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، وأمر بالتمرّغ في تراب نعليه، وأمر بالخضوع والخشوع عند مخاطبته فكيف يؤنّب رسوله على ركوبه بين يدي أبي بكر ولقد أجمعت الفرق الثلاث والسبعون عن عليّ عليه السلام على أنّ

---

(١) البيّنة: ٨.

(٢) الجاثية: ٢٤.

(٣) الحجرات: ٢.

(٤) الحجرات: ٣.

(٥) النور: ٦٣.

(٦) الأنفال: ٢٤.

مجلس رسول الله ﷺ كان مجلس حلم وحياء، فكيف ينسب إليه المزاح ومع هذا فقد خاطبه الله بقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) فلو صحّ ما قاله الخصم فإنّا نقول له: أليس أبوبكر من المؤمنين؟ أو أنّه لم يكن تابعاً للنبيّ ﷺ؟ ثمّ إنّ الله تعالى يحكي للمسلمين حاله معهم فيقول: ﴿وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾(٢) فوصفه الله بالحياء ووصفه الخصم بقلّة الحياء، والله أولى بالصدق من العدوّ المخالف.

الحديث الخامس عشر:

ورووا عن بريدة أنّه قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فلمّا انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إنّي كنت نذرت إن ردّك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدفّ. قال: إن كنت نذرت فاضربي وإلّا فلا، فجعلت تضرب فدخل أبوبكر وهي تضرب، ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخل عثمان وهي تضرب، ثمّ دخل عمر فألقت الدفّ تحت أستها (ثمّ) قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنّي كنت جالساً وهي تضرب فدخل أبوبكر وهي تضرب، ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخل عثمان وهي تضرب، (فلمّا دخلت أنت ألقت الدف ـ المؤلّف) ثمّ دخلت أنت ياعمر فألقت الدف(٣).

الجواب: هل كان ضرب المرأة بالدفّ طاعة أو معصية؟ فإن كان طاعة فلا سبيل إلى تركه لحضور أحد، وإن كان معصية فلا سبيل إلى فعله بين يدي النبي

---

(١) الشعراء: ٢١٥.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) أُسد الغابة ٤: ٦٤؛ فتح الباري ١١: ٥١٠ وقال: أخرجه أبو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، وأخرجه أحمد والترمذي من حديث بريدة، الخ.

وأصحابه وهم قادرون على دفعها ومنعها.

وأمّا خوف الشيطان من عمر فإنّه لم يخف من الله تعالى ولا من أنبيائه، وكما يزعم شيعة عمر لم يبق نبيّ لم يوسوس له الشيطان كرّة بعد كرّة لأنّه يجيزون على الأنبياء فعل المعصية فمن أين جاءت لعمر هذه الدرجة الرفيعة والرتبه القصوى؟ ثمّ كيف ينشغل النبيّ وأصحابه باللهو واللعب والله تعالى يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾(١)، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً﴾ الآية(٢) وهم بمدحهم عمر ينتقصون جانب أخويه أبي بكر وعثمان.

الحديث السادس عشر:

عن سعد بن أبي وقّاص: استأذن عمر بن الخطّاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده نسوة من قريش عالية أصواتهنّ، فلمّا استأذن عمر قُمْنَ فبادرن الحجاب، فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وآله يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنّك يا رسول الله. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي فلمّا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. فقال عمر: يا عدوّات أنفسهنّ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله؟ فقلن: نعم، أنت أفظّ وأغلظ. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قطّ إلّا سلك فجّاً غير فجّك(٣).

الجواب: إنّ هذا الحديث ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله المعصية بالعمل على خلاف

---

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) الأعراف: ٥١.

(٣) مسند أحمد ١: ١٧١ و١٨٢ و١٨٧؛ صحيح البخاري ٤: ٩٦ و١٩٩؛ صحيح مسلم ٧: ١١٥؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١٢٢ و١٢٣؛ سنن النسائي ٦: ٦٠؛ مسند أبي يعلى ٢: ١٣٣؛ صحيح ابن حبّان ١٥: ٣١٦؛ ابن أبي الحديد ٢: ١٧٨؛ الطبقات ٨: ١٨١ وكتب أخرى.

أوامر الله ، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾(١) وهل قصّر رسول الله على مذهب الخصوم في التبليغ فلم يتل هذه الآية على النساء لكي لا يرفعن أصواتهنّ على صوت النبيّ ؟ حاشا من ذلك .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُنَّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾(٣) .

هذه الآيات وأمثالها أُنزلن على رسول الله ﷺ حتّى حمل الأصحاب على خفض الصوت في حضرته ، فهل من المعقول أن لا يكون بلغها النساء ليعرفن أنّ رفع الصور محضور بين يديه .

ثمّ لو تغاضينا عن هذا كلّه فأنّى لنا بالسكوت عن اتهام النبيّ بالانشغال مع النساء بالحديث خلافاً لمقتضى آيات القرآن ، وبناءاً على ما افتروه ينبغي على النبيّ ﷺ أن يكل الأمر في الشريعة إلى عمر ليسوّي ميلها ويقيم معوجّها لأنّ رسول الله كما يزعمه الخصم لا يبلغ الشريعة كما ينبغي له ، والله تعالى يقول : ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٤) .

أضف إلى ذلك أنّ رفع الصوت إن كان طاعة فقد تسبّب عمر في رفعها ، وإن كان معصية فالرسول أولى منه بمنعها .

وأمّا قول عمر : «أتهبنني» فإنّ الله تعالى لم يقل : خافوا من عمر ولا خافوا من رسول الله بل قال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٥) ، وقال أيضاً : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

---

(١) النور : ٣١.

(٢) الحجرات : ٣.

(٣) الحجرات : ٢.

(٤) الشعراء : ٣.

(٥) التغابن : ١٦.

وَأَطِيعُونِ﴾(١) ووقع هذا القول موقعه.

وأمّا قولهنّ لعمر: «أنت أفظّ وأغلظ» فهذا يدلّ على نقصان حال عمر لأنّ الغلظة والفظاظة صفة المنافقين والكافرين لا المؤمنين، وهذا يدلّ على سلب الإيمان من عمر، لأنّ النبيّ قال: «المؤمن إلف مألوف»(٢).

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾(٣) وقال النبيّ ﷺ: المؤمنون هيّنون ليّنون(٤)، كما قال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(٥)، وقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٦).

الحديث السابع عشر:

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشيّة ترقص والصبيان حولها، فقال: يا عائشة، تعالي وانظري، فجئت فوضعت يدي على منكب رسول الله فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: أما شبعت أما شبعت، فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر فارفض الناس عنها، فقال رسول الله: إنّي لأنظر إلى

---

(١) آل عمران: ٥٠.

(٢) فقه السنّة ٢: ٥٩٩ وتمامه: ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف؛ مسند الشهاب لابن سلامة ١٠٨/١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٩/١٠؛ فيض القدير ٣٢٩/٦؛ كشف الخفاء ٢٩٥/٢؛ كتاب المجروحين لابن حبّان ٧٩/٢؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٠٤/٨؛ ميزان الاعتدال ٢٤٨/٣. ورواه الشيعة أيضاً راجع: مستدرك الوسائل ٤٥٠/٨؛ بحار الأنوار ٦٤/٦٤.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) مسند الشهاب ١١٤/١؛ الفائق ٥٦/١؛ الجامع الصغير ٦٦٣/٢؛ كنز العمّال ١٤٣/١؛ فيض القدير ٣٣٥/٦؛ كشف الخفاء ٢٩١/٢؛ نهاية ابن الأثير ٧٦/١ وله تتمّة.

(٥) الفتح: ٢٩.

(٦) المائدة: ٥٤.

شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر(١).

الجواب: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله يحبّ السهل الطلق، وقال أيضاً: وأوّل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن. وامتنّ الله على نبيّه بالخلق الحسن حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢)، وقال رسول الله: إنّ الله يبغض العفريتة النفريتة.

فتبيّن من هذا أنّ عباد الله هم ذووا الخلق الحسن، أمّا الفظاظة والغلظة فهي من الصفات الذميمة لأهل النار.

والدليل على كذب هذا الحديث قول رسول الله ﷺ: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم(٣)، وعمر لم يكن من الملائكة بالضرورة، ولم يكن من الجنّ أو الشياطين، فعلى هذا ليس للشياطن أن يفرّ منه لاسيّما على مذهب أهل السنّة والجماعة الذي يجوّزون على الأنبياء وسوسة الشياطين، وحاشا للّه أن يقدّر هذا على أنبيائه الكرام ورسله العظام.

ويقول المخالف عن النبيّ أنّه قال: إنّ الله يغار للمؤمن فليغر(٤).

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٢٨٤ ومكان ترقص، تزفن؛ فتح الباري ٢: ٣٧٠؛ سنن النسائي ٥: ٣٠٩؛ فيض القدير للمناوي شرح الجامع الصغير ٣: ١٧؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٤: ٨٢؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ١٧٤ بسياق مختلف.

(٢) القلم: ٤.

(٣) محيي الدين النووي في المجموع ٦: ٥٢٩؛ مواهب الجليل للخطاب الرعيني ٧: ٤٩٩ تحقيق زكريّا عميرات، ط دار الكتب العلميّة ـ لبنان، أُولى ١٤١٦؛ المبسوط ١١: ٣٧؛ كشف القناع للبهوتي ١: ٥٧٢، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، أُولى ١٤١٨؛ نيل الأوطار ٦: ٣٦٨؛ فقه السنّة لسيّد سابق ١: ٤٦٤، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت؛ شرح نهج البلاغة ٢: ١٣٩؛ مسند أحمد ٣: ١٥٦ و٢٨٥ و٣٠٩؛ صحيح البخاري ٢: ٢٥٨؛ صحيح مسلم ٧: ٨، وكتب أُخرى.

(٤) عثرت عليه في وسائل الشيعة (الإسلاميّة) ١٤: ١٧٦ و (آل البيت) ٢٠: ٢٣٨. وتمامه: ومن لا يغار فإنّه منكوس القلب.

وقال أيضاً: الربّ غيور.

وقال ﷺ أيضاً: إنّ سعداً لغيور، أنا أغير منه(١)، والله أغير منّا، ومن غيرته حرّم الفواحش.

فأيّ عاقل يدعو زوجته لمشاهدة الرجال الأجانب كيف يرقصون ويلعبون ولمعصية الله، وأُقسم بالله العظيم لو أنّ هذه الحكاية نسبت إلى فاسق فاجر جلف جافٍ مستهتر لشانته فما بالك برسول الله ﷺ!

الحديث الثامن عشر:

عن ابن عمر: إنّ رسول الله ﷺ خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبوبكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، فقال: هكذا نبعث يوم القيامة(٢).

---

(١) هذا شعر جاء في طرائف السيّد ابن طاووس: ٢٢٣ وأوّله:

إنّ سعداً لغيور ... وأنا أغير منه
وإله العرش أوفى ... غيرة بالنقل عنه
فإذا ما بانت الغيرة ... من رأس فبنه
مستحل... تحصى ... الخوف عنه إن تخنه
خلق السيف لرأس ... خلت النخوة منه

وأخرجها في مجمع الزوائد هكذا: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: عمر غيور وأنا أغير منه (٤: ٣٢٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه المقدام بن داود وهو ضعيف، وفي حديث آخر في نفس الصفحة: والله أغير منّي ومن غيرته حرّم الفواحش، و٩: ٧٤ مثله.

المصنّف للصنعاني ١٠: ٤٠٩؛ المعجم الأوسط ٩: ٢٠ وأسد الغابة ٢: ٢٨٤، وفيه: إنّ سعداً لغيور وأنا أغير منه، الحديث. وما تقدّم كلّه لعمر.

(٢) وإليك الكتب التي أخرجته: سنن الترمذي ٥: ٢٧٤؛ مستدرك الحاكم ٣: ٦٨ و٤: ٢٨٠؛ مجمع الزوائد ٩: ٥٣؛ كتاب السنّة لعمرو بن أبي عاصم: ٦٠٢؛ المعجم الأوسط ٨: ١٥٧؛ ابن مندة

الجواب: هذا الحديث مخالف لكتاب الله القائل: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾(١) وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: إذا ورد منّي عليكم حديث فأعرضوه على كتاب الله؛ إن وافق فاقبلوه وإلّا فردّوه على الحائط(٣).

فلمّا خالف كتاب الله وجب ردّه، وعندي أنّ هذا النشور لا يلائم مقام النبوّة لأنّه سوف تحيا بناته معه وهنّ بالقرب من رسول الله وعلى هذا فينبغي أن يستبعد عن مقامه الشريف الأجنبي البعيد من قبل هذين الاثنين وبناءاً على هذا ينبغي أن نقول بثقة واطمئنان أنّ هذا الحديث كذب صراح(٤).

وروى الخاصّ والعام عن أبي ذر الغفاري بأنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ: أنت أوّل من يصافحني يوم القيامة وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق

⮌ الاصفهاني: ٤١، تحقيق مسعد عبدالحميد، دار الصحابة للتراث ـ طنطا، أُولى ١٤١٢؛ كنز العمّال ١٣: ١٧ رقم ٣٦١٣٠؛ ضعيف سنن الترمذي للألباني: ٤٩١، تحقيق زهير الشاويش، ط مكتبة الإسلامي ـ الرياض، أُولى ١٤١١؛ المجروحين لابن حبّان ١: ٣٢١، تحقيق محمود إبراهيم زايد؛ الكامل لابن عدي ٣: ٢٧٩؛ طبقات المحدّثين باصبهان لعبدالله بن حبّان ٤: ٢٣٩؛ تاريخ بغداد ٥: ١٢٨ و١٢: ١٣٦؛ تاريخ دمشق ٢١: ٢٩٦ و٢٩٧ و٤٤: ١٨٧ و١٨٨؛ ميزان الاعتدال ٢: ١٥٨؛ لسان الميزان ٢: ١٥٤.

(١) مريم: ٩٥.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) عون المعبود ١٢: ٢٣٢؛ أبو رية في أضواء على السنّة المحمّديّة: ٩٩، ط دار الكتاب الإسلامي؛ أحكام القرآن للجصّاص ١: ٦٢٩ و٣: ٣٨٠؛ تفسير القرطبي ١: ٣٨؛ أُصول السرخسي ١: ٣٦٥ و٢: ٦٨ و٧٦؛ تاريخ ابن معين ١: ٣٢٦؛ الأحكام للترمذي ٢: ٣٢٣.

(٤) أقول لشيخنا المؤلّف مع احترامي غير المحدود لسيادتك: فإنّ هذا دليل يتماشى مع ما عليه الأوضاع في الدنيا أمّا في عالم الآخرة لاسيّما يوم المحشر فإنّ له وضعاً آخر لا يقاس به وضع الدنيا على أنّ قوله هذا رشيق جدّاً ويأخذ بمجامع القلوب إلّا أنّ عليه أخذ ذلك الاعتبار بنظره.

الأعظم تفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكفّار(١).

الحديث التاسع عشر:

وقالوا: إنّ رسول الله ﷺ قال: ما من نبيّ إلّا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأمّا وزيراي من أهل السماء فجبرئيل وميكائيل، وأمّا وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر(٢).

الجواب: وهذا يصادم الحديث الذي رووه عن النبيّ ﷺ: إنّ أخي ووزيري وخير من أترك من بعدي، يقضي ديني وينجز وعدي عليّ بن أبي طالب.

قال أبوبكر الشيرازي: قال ابن عبّاس: عن أسماء بنت عميس، سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهمّ إنّي أقول كما قال موسى بن عمران: اللهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي عليّ بن أبي طالب.

وأمّا من طريقنا أيّها الشيعة فقد وردت روايات جمّة في هذا المعنى ولكن الحديثين المذكورين ثبتا برواية رواتهم.

الحديث العشرون:

قال المخالف: قال رسول الله ﷺ: اللهمّ أعزّ الإسلام بأبي جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطّاب(٣).

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي: ١٢١؛ الروضة في المعجزات والفضائل: ١٤٢؛ طريق الأئمّة لآل نوح: ٣٢؛ جامع الرواة ٢: ٣٨٧.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٢٧٨؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١١٤؛ قصيدة عبدالله بن الأشعث: ٤٣؛ كنز العمّال ١١: ٥٦٠ رقم ٣٢٦٤٧، وص٥٦٦ رقم ٣٢٦٤٨، و١٣: ١٥ رقم ٣٦١٢١؛ الكامل لابن عدي ٢: ٨٧ و٣: ٤٥٤؛ تاريخ دمشق ٣٠: ١١٩ و١٢٠، وكتب أُخرى كثيرة.

(٣) مسند أحمد ٢: ٩٥؛ سنن الترمذي ٥: ٢٧٩ و٢٨٠؛ فتح الباري ٧: ٣٩؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١١٥؛ ←

الجواب: لا فخر لعمر في مقارنته بأبي جهل، وأورد أبوبكر الشيرازي في تفسير سورة الحجّ، أنّ النبيّ ﷺ أمر أبابكر قائلاً: خذ السيف واقتل فلاناً داخل المسجد الآن لأنّه صاحب فتنة وبدعة، فلمّا جائه وجده راكعاً، فرجع وقال: يا رسول الله رأيته ساجداً، فأمر عمر بقتله، فرجع كما رجع صاحبه، وقال: يا رسول الله، رأيته ساجداً، ثمّ أعطى السيف في الثالثة إلى عليّ عليه السلام وقال: أنت صاحبه فإن وجدته فاقتله وإلّا فعد إلينا، فلمّا دخل عليّ المسجد وجد الرجل قد لاذ بالفرار.

قال أبوبكر الشيرازي: وهذا قتله عليّ عليه السلام في صفّين[1].

أيّها القارئ الكريم، هذا هو إعزاز الدين عندهم، يقول لهما رسول الله ﷺ: اقتلا صاحب البدعة مفجر الفتنة في العالم، فلم يقتلاه وتركا أمر رسول الله ورائهما ظهريّاً.

قال الكسائيّ في قصّة: مكتوب على العرش: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله،

⊃ كنز العمّال ١١: ٥٨٢ و٥٨٣ و١٢: ٥٩٥؛ فيض القدير ٥: ٣٨١؛ كشف الخفاء ١: ١٨٣ و١٨٤؛ ضعيف سنن الترمذي للألباني: ٤٩٣؛ تفسير القرطبي ١١: ١٦٤؛ الدرّ المنثور ٣: ٤٣؛ فتح القدير ٢: ١٦٠؛ تهذيب الكمال ١: ٢٤١؛ الإصابة ٢: ٣٩٨؛ البداية والنهاية ٣: ١٠١.

(١) الرواية مذكورة في كتبهم بسياقات مختلفة وأخرجها الكثير من الحفّاظ وأذكر الآن ما جاء في نيل الأوطار ٧: ٣٥٠ للشوكاني، فقد قال: أخرج أحمد بسند جيّد عن أبي سعيد قال: جاء أبوبكر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي مررت بواد كذا فإذا رجل حسن الهيئة متخشّع يصلّي فيه، فقال: اذهب إليه فاقتله. قال: فذهب أبوبكر فلمّا رآه يصلّي كره أن يقتله، فرجع، فقال النبيّ ﷺ لعمر: اذهب فاقتله، فرآه يصلّي على تلك الحالة فرجع، فقال: يا علي، اذهب إليه فاقتله، فذهب عليّ عليه السلام فلم يره، فقال النبيّ ﷺ: إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (فلا) يعودون فيه فاقتلوهم هم شرّ البريّة. قال الحافظ بعد أن قال: إنّ إسناده جيّد: له شاهد من حديث جابر أخرجه أبو يعلى ورجاله ثقات.

أيّدته بعليّ ونصرته به»(١).

قال أبوبكر الشيرازي: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) يعني بعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال أيضاً: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾(٣) في سيف عليّ ذي الفقار الذي أهداه الله تعالى إلى آدم من الجنّة وكان قد صنعه من ورقة من آس الجنّة، وكتب عليه: لا يزال الأنبياء يحاربون به، نبيّ بعد نبيّ، وصدّيق بعد صدّيق، حتّى يرثه أميرالمؤمنين.

ثمّ قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ هذه هي النصرة، والناصر عليّ، وكانت عزّة الإسلام بذي الفقار وبنصر عليّ عليه السلام وجهاده، وليس لعمر في النصرة والجهاد اسم يُذكر ولا خبر يُؤثر، من أنّه فعل شيئاً قبل الهجرة أو بعدها.

ثمّ إنّنا قد نصدّق بما قاله النبيّ عن عمر ليس للخوف منه لأنّه ليس ملكاً ولا رئيساً ولا شجاعاً لكي يحذروه أو يفرقوا منه ولكنّه كان ذا فتنة حتّى وهو مشرك ومن أهل المكر والحيلة والاستبداد والشطارة، فما كان المسلمون يأمنون شرّه ولا كيده فيهم من ثمّ دعا النبيّ عليه لكي يحمي الله المسلمين من شرّه، ويدفع عنهم ضرره بإظهاره الإسلام.

---

(١) ذخائر العقبى: ٦٩؛ مجمع الزوائد ٩: ١٢١؛ المعجم الكبير ٢٢: ٢٠٠؛ نظم درر السمطين: ١٢٠؛ كنز العمّال ١١: ٦٢٤ رقم ٣٣٠٤٠؛ شواهد التنزيل ١: ٢٩٣؛ الدرّ المنثور ٣: ١٩٩ و٤: ١٥٣؛ تاريخ بغداد ١١: ١٧٣؛ تاريخ مدينة دمشق ٦: ٤٥٦ و٤٢: ٣٣٦ و٤٧: ٣٤٤؛ تهذيب الكمال للمزّي ٣٣: ٢٦٠؛ ميزان الاعتدال ١: ٢٦٩ و٥٣٠ و٢: ٧٦ و٣٨٢ و٣: ٥٤٩؛ سبط العجمي في الكشف الحثيث: ٩٦ و١٤٨؛ لسان الميزان ١: ٤٥٧ و٢: ٢٦٨ و٤٨٤ و٣: ٢٣٨ و٥: ١٦٧؛ الشفا للقاضي عياض ١: ١٧٤؛ ينابيع المودّة ١: ٦٩ و٧٠ و٢٨٢ و٤١٣ و٢: ١٦٠ و٢٤٧ و٣٠٩، هذا ولم نستند إلى كتاب واحد من كتب الشيعة على كثرتها لتكون حجّتنا على الخصوم أبلغ.

(٢) الأنفال: ٦٢.

(٣) الحديد: ٢٥.

الحديث الواحد والعشرون:

وقالوا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر(١).

الجواب: عنوان الخيريّة يتحقّق إمّا بالحسب أو النسب، وهاتان الخصلتان موجودتان في عليّ لا في عمر.

وإمّا بالعبادة، وزعم الخصم أنّ قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾(٢) نزلت في عليّ عليه السلام الذي عبد الله قبل عمر وعبده بعده، وكان عليه السلام متقدّماً عليهم جميعاً بالسخاء والعطاء والجهاد، وكلّما تفرضه من فعل الخير.

وإمّا بالعلم، وهو باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله، ويقول المخالف كما جاء في نكت فصول أبي الفتوح الاصفهاني نقلاً عن الصحيح، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أوحى الله تعالى في عليّ ثلاثاً: سيّد المسلمين، وإماما المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، والذي يكون بهذه الصفة لا يمكن أن يكون إلّا حاكماً على عمر، وخيراً منه(٣).

لا يختلف المخالفون عن أبي بريرة بأنّ فاطمة عليها السلام قالت: يا رسول الله، تزوّجني من عليّ بن أبي طالب وهو فقير ولا مال له، فقال: أما ترضين أنّ الله تعالى اطّلع على أهل الدنيا فاختار رجلين: أحدهما أبوك والآخر بعلك.

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٢٨١؛ المستدرك ٣: ٩٠؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١١٨؛ كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٧٣؛ الجامع الصغير ٢: ٤٩٩؛ كنز العمّال ١١: ٥٧٧ و١٣: ٥ رقم ٣٦٠٨٩؛ فيض القدير ٥: ٥٧٩ رقم ٧٩٣٧؛ ضعيف سنن الترمذي: ٤٩٣؛ ضعفاء العقيلي ٣: ٤؛ تاريخ دمشق ٤٤: ١٩٣ و١٩٤؛ ميزان الاعتدال ٢: ٦٠٣؛ لسان الميزان ٣: ٤٤٨.

(٢) آل عمران: ١٧.

(٣) روضة الواعظين: ١٠٨؛ مناقب آل أبي طالب ٢: ٦٣ و٢٦٣؛ العمدة: ٢٦٩؛ كتاب الأربعين لمحمّد طاهر القمي الشيرازي: ٤١؛ الجواهر السنيّة للحرّ العاملي: ٢٢٧ و٢٣١؛ كشف اليقين للعلّامة الحلّي: ٣٠٣؛ تنبيه الغافلين لابن كرامة: ٤٩، تحقيق آل شبيب، طب أُولى ١٤٢٠، ط مركز الغدير للدراسات.

وروي: إنّ الله تعالى قد اطّلع على أهل الدنيا فاختار منهم أباك، فاتخذه نبيّاً ثمّ اطّلع ثانياً فاختار منهم بعلك(١).

ولو كان الحديث صحيحاً فهل بمستطاع الخصم أن يفضل عمر على رسول الله ﷺ، وهذا محال، والذي يؤدّي إلى المحال محال أيضاً.

الحديث الثاني والعشرون:

وقالوا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: وضع الحقّ على لسان عمر وقلبه(٢).

الجواب: يقول جار الله: شاور رسول الله ﷺ أبابكر وعمر في شأن العبّاس وعقيل، فقال أبوبكر: يطلق سراحه، وقال عمر: يقتل، فقبل رسول الله قول أبي بكر وردّ قول عمر، فلو وضع الحقّ على قلبه ولسانه لما ردّ رسول الله قوله.

ثمّ إنّ الله تعالى أوجب طاعة رسوله والأخذ بقوله بحكم: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ﴾(٣)، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾(٤) فقال لأبي بكر وعمر اقتلا ذلك المبتدع في المسجد وأعطاهما السيف، فلم يطيعا أمر رسول الله ﷺ.

ولو وضع الحقّ على لسان عمر وقلبه لما سأل حذيفة: هل أنا منافق أو لا؟ ولم يشكّ في الإسلام طرفة عين.

[حديثٌ آخر]

وبهذا يبطل قول المخالفين من أنّ رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت الناس

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ١: ٢٢٠؛ المراجعات: ٣٠٤ وقال: أخرجه الخطيب في المتفق بسنده المعتبر؛ المستدرك للحاكم ٣: ١٢٩.

(٢) منتخب مسند عبدالحميد: ٢٤٥ تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، ط النهضة العربيّة، أُولى ١٤٠٨؛ علل الدارقطني ٦: ٢٥٨؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٤: ٩٧ و١٠٣ و٤٨: ٧٣.

(٣) الأنفال: ٢٤.

(٤) الحشر: ٧.

يعرضون عليّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك، وعرض عليّ عمر ابن الخطّاب، وعليه قميص يجرّه، قالوا: فما أوّلت يا رسول الله؟ قال: الدين[(١)].

الجواب: وهذا باطل أيضاً لأنّه لو كان من أهل الدين لما شكّ في الإسلام ولم يشكّ في آية ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾[(٢)] ولم يشكّ بقول الرسول وقد اعترف بذلك حين قال: ما شككت منذ أسلمت إلّا يوم قاضى فيه رسول الله أهل مكّة[(٣)]، ومرّ بيان هذا الحديث في الحادي عشر.

الحديث الثالث والعشرون:

وقالوا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: بينا أنا نائم أُتيت بقدح لبن حتّى لأرى الري يخرج من أظافري، ثمّ أعطيت فضلي عمر بن الخطّاب. قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العلم[(٤)].

الجواب: اتفق المخالفون على أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال في أوّل خطبة على منبر رسول الله ﷺ بعد مقتل عثمان: سلوني عمّا دون العرش، سلوني عن طرق السماء فإنّي أعلم بها من طرق الأرض[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٠١ و٨: ٧٥؛ صحيح مسلم ٧: ١٢؛ سنن النسائي ٨: ١١٣؛ أُسد الغابة ٤: ٦٢.

(٢) الفتح: ٢٧.

(٣) المسترشد للطبري الشيعي: ٥٣٥؛ الفصول المختارة: ٢٧؛ بحار الأنوار ٢٩: ٢١؛ عين العبرة لابن طاووس: ٢٢؛ الدرّ المنثور للسيوطي ٦: ٧٧؛ سبل الهدى والرشاد ٥: ٥٣ وسمّاه البخاري أمراً عظيماً، ٤: ٢٦ و١٢٥؛ وأخرجه مسلم ٣: ١٤١٢؛ والطبراني في الكبير ٦: ١٠٩؛ وابن سعد ١: ٢٠؛ وانظر المجمع ٣: ٣١٢ و٥: ٦٧ عن هامش سبل الهدى والرشاد ٥: ٥٣ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، ط أولى ١٤١٤ دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

(٤) صحيح البخاري ١: ٢٩ و٨: ٧٤ و٧٩ و٨١.

(٥) نهج البلاغة ٢: ١٣٠ خطب الإمام بتغيير يسير؛ كامل الزيارات: ١٥٥.

ثمّ قال: لو وضعت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم(١)، والله ما من آية نزلت في بحر ولا برّ ولا سهل ولا جبل ولا سماء ولا أرض إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أيّ شيء نزلت.

وقال أبوبكر الشيرازي: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢) وأهل الذكر عليّ عليه السلام، وكان عنده علم الصحابة.

ويقرّ المخالف بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وقال: أقضاكم عليّ، والقضاء محتاج إلى علوم عدّة تتقدّمه، ومن لا يدري هل هو مسلم أو لا، أين يقع من العلم، ولو كان يعلم لعلم معنى ﴿وَفَاكِهَةٍ وَأَبّاً﴾(٣).

الحديث الرابع والعشرون:

وقالوا: دعا رسول الله في مرض موته عائشة وقال: ادعي لي أبابكر، وأخاك حتّى أكتب كتاباً فإنّي أخاف أن يتمنّى متمنٍّ ويقول قائل: أنا ولا غيري، ويأبى الله والمؤمنون إلّا أبابكر(٤).

وكذلك قالوا: أتت امرأة النبيّ فكلّمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا

---

(١) عوالي اللئالي ٤: ١٢٨؛ نهج السعادة ٧: ١٤٧؛ غوالي اللئالي ٤: ١٢٨.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) عبس: ٣١.

(٤) صحيح مسلم ٧: ١١٠؛ السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٥٣؛ فتح الباري ١: ١٨٦ و١٣: ١٧٧؛ كتاب الوفاة للنسائي: ٢٦؛ السنن الكبرى ٤: ٢٥٣؛ الطبراني في الأوسط ٥: ٢٣ و٦: ٣٤٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٣ وقال: غير صحيح؛ كنز العمّال ١١: ٥٤٦ رقم ٣٢٥٦٢؛ الطبقات الكبرى ٣: ١٨٠؛ تاريخ دمشق ٣٠: ٢٦٧؛ سبل الهدى والرشاد ١٢: ٢٤٧.

رسول الله، إن جئت ولم أجدك، كأنّها تريد الموت، قال: فإن لم تجديني فأتي أبابكر(١).

الجواب: أجمع المخالفون على أنّ النبيّ رحل عن الدنيا ولم يوص في أمر الخلافة بشيء، فإن كان الإجماع صحيحاً كان حديث عائشة باطلاً وكذباً.

وأمّا قوله: «ويأبى الله والمؤمنون إلّا أبابكر» فهذا نصّ على خلافته والخصم يدّعي الاختيار، فإن صحّ هذا فالاختيار باطل.

ثمّ إنّ قوله «والمؤمنون» يشمل بني هاشم ومواليهم وشيعتهم وأكابر الصحابة مثل أبي ذر وسلمان والمقداد وعمّار ومحمّداً بن أبي بكر(٢) وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن مسعود(٣) وسعد بن عبادة الخزرجي وجماعته وبني حنيفة أجمع هؤلاء كلّهم «المؤمنون» وقد أنكرو خلافة الأوّل وأبوها ومنهم من حاربه، وأضف إليهم أتباعهم أيضاً.

ولقد أجمع علماء الخلاف على صحّة حديث: «إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حديث مجمع عليه ولا يمكن تسويته بما هو مفتعل موضوع، وأمّا ما لفّقوه عن المرأة وأمر النبيّ إيّاها بإتيان أبي بكر هو باطل ومعارض بحديث المصابيح حيث ورد عن ابن عبّاس: قال سألت رسول الله: إذا كان ما نعوذ بالله منه، فإلى من؟ فأشار إلى عليّ عليه‌السلام فقال: هذا، فإنّه مع الحقّ والحقّ معه، ثمّ يكون من بعده أحد عشر إماماً مفترضة طاعتهم كطاعته(٤).

(١) صحيح البخاري ٤: ١٩١ و٨: ١٢٧؛ فتح الباري ٧: ١٦.

(٢) محمّد رضي‌الله‌عنه لم يولد بعد.

(٣) هذا الرجل من أخبث القوم وأنصبهم لعليّ عليه‌السلام.

(٤) الصراط المستقيم ٢: ١٢١؛ بحار الأنوار ٣٦: ٣٠٠؛ إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسيّ ٢: ١٦٤

وكذلك رووا عن عمرو بن العاص بأنّه قال: إنّ النبيّ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته، فقلت: أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها(١).

رددنا على هذه الفرية فيما تقدّم وهنا نقول: إنّه معارض بحديث عائشة وهو مشهور في كتب المخالفين، فقد سألوها: أيّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟ قالت: فاطمة، فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها(٢).

ورووا كذلك أنّ النبيّ ﷺ قال: أوّل من ينشقّ عنه الأرض أنا ثمّ أبوبكر ثمّ عمر.

رددنا عليه بحديث أبي بكر القائل: إنّ الرسول قال: عليّ أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة(٣).

هذا هو عليّ عليه السلام الذي أمر النبيّ بسدّ الأبواب من المسجد إلّا بابه، ومنع

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم، ط أُولى، ربيع الأوّل ١٤١٧ هـ ـ مطبعة ستارة؛ كشف الغمّة ٣: ٣٠٩ ط دار الأضواء ـ الثانية ١٤٠٥ ـ بيروت لبنان.

(١) صحيح البخاري ٥: ١١٣؛ صحيح مسلم ٧: ١٠٩؛ مستدرك الحاكم ٤: ١٢؛ مسند ابن راهعويه ٢: ١٥ ط مكتبة الإيمان ـ المدينة المنوّرة، أُولى ١٤١٢ تحقيق بردالبلوسي.

(٢) ذخائر العقبى: ٣٥ و٦٢؛ المستدرك للحاكم ٣: ١٥٧.

(٣) مسند زيد: ٤٥٢؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٥؛ الأمالي للصدوق: ٢٧٤؛ معاني الأخبار: ٤٠٢؛ مجمع الزوائد ٩: ١٠٢؛ معجم الكبير للطبراني ٦: ٢٦٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٨؛ نظم درر السمطين: ٨٢؛ كنز العمّال ١١: ٦١٦ رقم ٣٢٩٩٠؛ فيض القدير ٤: ٤٧٢؛ ضعفاء العقيلي ٢: ٤٧؛ الكامل لابن عدي ٤: ٢٢٩؛ تاريخ بغداد ٩: ٤٦٠؛ تاريخ دمشق ٤٢: ٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٥٠؛ أُسد الغابة ٥: ٢٨٧؛ ميزان الاعتدال ١: ١٨٨ و٢: ٣ و٤١٧؛ سير أعلام النبلاء ٢٣: ٧٩؛ لسان الميزان ١: ٤٥٧ و٢: ٤١٤ و٣: ٢٨٣؛ الإصابة ٧: ٢٩٤؛ البلاذري في أنساب الأشراف: ١١٨؛ المقريزي في النزاع والتخاصم: ١٢٩؛ ينابيع المودّة ١: ١٩٥ و٢٤٤ و٣٨٧.

الصحابة من سلوك المسجد إلّا عليّاً، فقد كان كرسول الله يخرج ويدخل من الباب الذي ظلّ مفتوحاً.

جاء في المصابيح عن رسول الله ﷺ لعليّ: لا يحلّ لأحد يجنب في المسجد غيري وغيرك(١).

قال حمّاد بن صرد: معناه: لا يحلّ لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك.

وفي رواية: في هذا المسجد غيري وغيرك، فإذا كان النبيّ في حياته سدّ في وجههم الباب وفتحه لعليّ فكيف يجوز فتحه في وجوههم يوم القيامة وقد حرّم عليهم في الدنيا مع أنّهم لم يشهدوا جنازة رسول الله ﷺ ورقدوا في بيت رسول الله بدون إذن فاطمة عليها السلام هذه السنين.

وجاء جواب آخر في نكت الفصول للعجلي: بأنّ النبيّ ﷺ بشّر فاطمة بأنّها أوّل أهله لحوقاً به، فتوفّيت بعد رسول الله، فإذا كانت فاطمة عنده كما يقول بذلك الخصم أيضاً فكيف يحضرهما رجل أجنبيّ، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٢)، فإذا كانت فاطمة مع أبيها، فما من أحد يستطيع

---

(١) روضة الطالبين ٥: ٣٥٢. قال الترمذي: حديث حسن لا نعرفه إلّا من هذا الوجه؛ حواشي الشرواني ١: ٢٧١ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت؛ البحر الرائق لابن نجيم المصري ١: ٣٤٠؛ فتح الباري ٧: ١٣؛ تحفة الأحوذي ٩: ١٤٠ و١٠: ١١٣؛ الأسعردي في فضائل سنن الترمذي: ٤٠؛ القول المسدّد لابن حجر: ١٩ ط مكتبة ابن تيميّة ـ القاهرة، أُولى ١٤٠١؛ كنز العمّال ١١: ٦٢٦ رقم ٣٣٠٥١ و٣٣٠٥٢؛ تذكرة الموضوعات للفتني: ٩٥؛ كشف الخفاء ٢: ٣٨٣؛ فتح الملك العلي: ٤٦؛ تفسير ابن كثير ١: ٥١٣؛ تاريخ دمشق ٤٢: ١٤٠؛ تهذيب الكمال ٢٦: ٢٥٢؛ ذيل تذكرة الحفّاظ: ٢١٤؛ سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٧٣؛ من له رواية في الكتب الستّة ١: ١٠٧؛ تهذيب التهذيب ٩: ٣٤٤؛ البداية والنهاية ٧: ٣٧٩ و١١: ٧٧؛ نهج الإيمان لابن جبر: ٤٤٤؛ سبل الهدى والرشاد ١٠: ٤٢٣؛ ينابيع المودّة ٢: ١٧٠ و٣٩٤.

(٢) الطور: ٢١.

خرق حجاب النور المضروب عليها، واجتمعت كلمة المنافقين أنّ فاطمة إذا دخلت عرصة القيامة نادى منادٍ: يا أهل الموقف، غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد ﷺ(١).

وإذا ما قال المخالف: يفرق في القيامة بينها وبين أبيها، فإنّنا نقول: نعوذ بالله ممّن يفرق بينها وبين أبيها لأنّه حينئذٍ يسلك به إلى جهنّم في طريق مستقيم.

ولو قال مخالفنا بأنّ نشر الزهراء بعيد عن نشر أبيها يوم القيامة، فإنّنا نقول: وهذا القول يضرّ مخالفنا ولا ينفعه وينقض عليه قوله.

الحديث الخامس والعشرون:

وقالوا: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبرئيل فأخذ بيدي، فأتى باب الجنّة الذي يدخل أُمّتي، فقال أبوبكر: يا رسول الله، وددت أنّي كنت معك حتّى أنظر إليك، فقال رسول الله ﷺ: أما إنّك يا أبابكر، أوّل من يدخل الجنّة من أُمّتي(٢).

الجواب: الحديث منقوض بما رواه السلماني والزمخشري من علماء أهل السنّة في تفاسيرهم، عن عليّ عليه السلام قال: شكوت إلى رسول الله حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرّيّتنا خلف أزواجنا، وشيعتنا من ورائنا(٣).

هذا الحديث يكذّب الحديث الأوّل ويصدّق الشيعة، والحديث الأوّل رواية

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٣: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وص ١٦١؛ لسان الميزان ٢: ٤١٥ و٣: ٢٣٧ و٣٩٥.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٤٠٢؛ عون المعبود ١٢: ٢٦٥؛ المعجم الأوسط ٢: ٩٣؛ كنز العمّال ١١: ٥٤٤ رقم ٣٢٥٥١، وص٥٧٥ رقم ٣٢٦٢٤؛ تاريخ دمشق ٣٠: ١٠٥ و١٠٦؛ تهذيب الكمال ٣٣: ٢٧٨؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٥٦.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث.

سفيان وتكذيب الشيعة لهذا الحديث يستند إلى القرآن، قال الله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾(١) وليس دخول الجنّة بالطمع وحده بل: ﴿إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(٢).

الحديث السادس والعشرون:

وقالوا أيضاً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: لا ينبغي لقوم فيهم أبوبكر أن يؤمّهم غيره.

الجواب: هذا الحديث باطل برواية الخصم الذي قال: صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر(٣). فإذا كان رسول الله ﷺ أذن بالصلاة وراء كلّ برّ وفاجر فلا بدع أن يكون أبوبكر فاجراً.

وقال رسول الله أيضاً ـ كما يزعمون ـ: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم، ولم يفضل أحداً على أحد وإنّما ساوى بالاقتداء بينهم جميعاً، فيكون التخصيص بأبي بكر من ضمن المفتريات على النبيّ ﷺ.

وهذا الحديث مطلق ينسحب على زمن النبي في حياته وبعد وفاته فينبغي أن يكون رسول الله ائتمّ بأبي بكر لئلّا يكون من مصاديق الآية: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾(٤) وليس من اللائق بجنابه أن يأمر أُمّته بأمر ثمّ لا يجريه مع الإمكان، ولا يقول بائتمامه بأبي بكر مسلم.

---

(١) المعارج: ٣٨.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) شرح الأزهار لأحمد المرتضى ١: ٢٨٢؛ فتح العزيز لعبدالكريم الرافعي ٤: ٣٣١، ط دار الفكر؛ شرح النووي ٥: ٢٦٨ ط دار الفكر؛ تلخيص الحبير لابن حجر ٤: ٣٣١؛ مغني المحتاج ٣: ٧٥، ط دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧؛ المبسوط للسرخسي ١: ٤٠؛ تحفة الفقهاء للسمرقندي ١: ٢٢٩؛ بدايع الصنايع للكاشاني ١: ١٥٦؛ الجوهر النقي للمارديني ٤: ١٩؛ البحر الرائق ١: ٦١٠ و٨: ٣٣٤؛ نيل الأوطار ١: ٤٢٩؛ سنن البيهقي ٤: ١٩.

(٤) البقرة: ٤٤.

الحديث السابع والعشرون:

ورووا أيضاً عن الصحابة بأنّهم قالوا: كنّا في زمن النبي لا نعدل بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثمّ عثمان، ثمّ نترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم.

وروي: كنّا نقول ورسول الله حيّ: أفضل أُمّة النبيّ ﷺ بعده أبوبكر، ثمّ عمر ثمّ عثمان(١).

الجواب: هذا الحديث باطل بناءاً على ما رواه المخالف الذي روى حديث النبيّ في فضل عليّ عليه السلام أنّه قال: أعلمكم وأفضلكم عليّ.

وجاء في كتاب النكت عن عائشة أنّها قالت: كنت عند النبيّ إذ أقبل عليّ، فقال: هذا سيّد العرب. فقلت: بأبي أنت وأُمّي، ألست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد العالمين وهو سيّد العرب(٢).

وذكر السلماني والزمخشري في تفسيريهما عن النبيّ ﷺ أنّه قال: سبّاق الأُمم

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٠٣؛ سنن أبي داود ٢: ٣٩٧؛ فتح الباري ٧: ١٤؛ كتاب السنّة لعمرو بن عاصم: ٥٥٣؛ سير أعلام النبلاء ١٠: ٤٦٣؛ الإصابة ١: ٢٤؛ البداية والنهاية ٧: ٢٣٠.

(٢) ابن عابدين، حاشية ردّ المختار ٣: ٦٩٠؛ ذخائر العقبى: ٧٠؛ المستدرك ٣: ١٢٤؛ مجمع الزوائد ٩: ١١٦ و١٣١؛ المعجم الأوسط ٢: ١٢٧؛ المعجم الكبير ٣: ٨٨؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٠ و١١: ٦٦؛ كنز العمّال ١١: ٦١٨ رقم ٣٣٠٠٧ ورقم ٣٣٠٠٨، و١٣: ١٤٣ رقم ٣٦٤٤٨، وص ١٤٥ رقم ٣٣٦٤٥٦؛ فيض القدير ٣: ٦٠؛ كشف الخفاء ١: ٤٦٢ و٢: ٧١؛ إرغام المبتدع الغبي للسقاف: ٥٨؛ الردّ على الألباني المبتدع، لعبدالله بن الصدّيق: ٥ و٦؛ تاريخ بغداد ١١: ٩٠ و٩١؛ تاريخ دمشق ٤٢: ٣٠٤ و٣٠٥ و٣٠٦؛ ذيل تاريخ بغداد ٥: ٦٠؛ ميزان الاعتدال ٣: ١٨٥ وهو وإن زعم أنّ متنه باطل إلّا أنّه متّهم على ما يحكم به على الأحاديث في أهل البيت، و٤: ١١٥؛ الكشف الحثيث: ١٩٤، وفيه يقول الذهبي: ويعمل بالظنّ؛ لسان الميزان ٤: ٢٩٠ و٦: ٣٩؛ ذكر أخبار اصفهان ١: ٣٠٨؛ جواهر المطالب ١: ١٠٥؛ ينابيع المودّة ١: ٢٦٥ و٢٦٦ و٢٧٧، و٢: ٧٤ و١٦١ و٢٨١.

ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون، وهم الصدّيقون وعليّ أفضلهم.

وما قاله قائلهم: ثمّ نترك أصحاب رسول الله لا نفاضل بينهم، فهذا خلاف لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١)، ومن الطبيعي أن لا يكونوا جميعاً سواء في التقوى وإلّا لكان هذا الكلام لغواً وكان وجود المنافقين كالعدم.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) و ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (٣)، وقال: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٤)، و: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ (٥)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ (٦)، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ (٧).

وهذه الدرجة الأوليّة في القرآن الكريم، وأجمع أهل القبلة على أنّ النبيّ كان يقرّب أهل بدر أكثر من غيرهم، ويدني مجلسهم من مجلسه في المسجد.

وأمّا باقي الصحابة فقد قال في حقّ سلمان: «سلمان منّا أهل البيت».

وقال لعمّار: خالط الإيمان لحمه ودمه، يدور مع الحقّ حيث ما دار، وكذلك أبو ذر.

وأمّا عليّ فقد كان تقديمه أظهر من الشمس كما كشفنا مضمره فيما سلف.

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) الأنعام: ٥٠، الرعد: ١٦.

(٤) المجادلة: ١١.

(٥) الحديد: ١٠.

(٦) الأنفال: ٧٢.

(٧) التوبة: ١٠٠.

فتبيّن من هذا أنّ القرآن والإجماع يدلّان على كذب هذا الحديث والإجماع حاصل على أنّ عثمان لم يكن بدريّاً.

الحديث الثامن والعشرون:

وقالوا عن النبيّ بأنّه قال لأبي بكر: أنت صاحبي في الغار، وصاحبي في الحوض(١).

الجواب: لمّا كان أبوبكر صاحبه في الغار فينبغي أن يكون صاحبه في موضع آخر بناء على قائل هذا الدليل، بينما أمر النبي عليّاً أن ينام في فراشه حتّى نزلت بحقّه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾(٢) وبالطبع رتبة صاحب الفراش أرفع من رتبة صاحب الغار، لأنّ هذه الخدمة ممكنة لكلّ أحد، أمّا تلك الخدمة فليست إلّا لنبيّ أو وصيّ نبيّ.

والدليل على ذلك أنّ عبدالله الأرقط كان من الصحابة الذين حضروا في الغار مع النبي(٣) وليست الصحبة في الغار ذات مستوًى رفيع ليتباهوا بها فقد كانت السباع والوحوش والأبالسة مع نوح في السفينة شهوراً متعدّدة، ومثله يقال في أهل الكهف وصاحبهم الكلب. وسيأتي مزيد كلام حول هذا المعنى إن شاء الله.

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ٥٠؛ فتح الباري ٨: ٢٣٩؛ حديث خيثمة: ١٣٧، تحقيق التدمري، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٠؛ صحيح ابن حبان ١٥: ١٧؛ المعجم الكبير ١١: ٣١٦؛ ابن عمرو النقّاش في فوائد العراقيين: ٢٣، تحقيق مجدي السيّد إبراهيم، ط مكتبة القرآن ـ القاهرة؛ تفسير الطبري ١٠: ٨٤؛ شواهد التنزيل ١: ٣١٥ و٣١٦؛ زاد المسير ٣: ٢٦٦؛ الدرّ المنثور ٣: ٢٤١؛ الكامل لابن عدي ٣: ٢٥٦؛ تاريخ دمشق ٣: ٨٩الخ.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) لم يشر المؤلّف إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة لنتابعه، والآية تردّ ذلك لأنّ الله تعالى يقول: «ثاني اثنينى» فلو كان معهما ثالث لقال: ثالث ثلاثة أو أكثر.

ثمّ إنّ بني هاشم بصفة عامّة وعليّ بصفة خاصّة هاشميّ وقرشيّ وابن عمّ وصهر وناصر وابن ناصر الرسول ﷺ وأخ كما قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة[١]، كما جاء في مصابيحهم.

وكان نجيّ رسول الله ﷺ ، جاء في المصابيح: أنّ رسول الله ﷺ دعا عليّاً يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه، فقال رسول الله ﷺ: ما انتجيته ولكنّ الله انتجاه[٢]. وللحديث دلالة واضحة تشبّه عليّاً بموسى بن عمران، فكلاهما ناجاه الله تعالى.

وقال سلمان: قال رسول الله ﷺ: أوّلكم وروداً عليّ الحوض، وأوّلكم إسلاماً عليّ بن أبي طالب[٣].

---

(١) ذخائر العقبى: ٦٦؛ سنن الترمذي ٥: ٣٠٠؛ المستدرك ٣: ١٤؛ شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٧؛ نظم درر السمطين: ٩٤ و١١٩؛ الجامع الصغير ٢: ١٧٦؛ كنز العمّال ١١: ٥٩٨ رقم ٣٢٨٧٩؛ تذكرة الموضوعات: ٩٧؛ فيض القدير ٤: ٤٦٨؛ ردّ اعتبار الجامع الصغير: ١٦؛ الكامل ابن عدي ٢: ١٦٦ و٢١٩؛ تاريخ دمشق ٤٢: ٥١ و٥٢ و٩٦؛ أُسد الغابة ٤: ١٦ و٢٩؛ تهذيب الكمال ٥: ١٢٦ و٢٠: ٤٨٤؛ ميزان الاعتدال ١: ٤٢١؛ البداية والنهاية ٧: ٣٧١؛ عيون الأثر لابن سيّد الناس ١: ٢٦٤؛ سبل الهدى والرشاد ٣: ٣٦٣ و٣٦٤، و١١: ٢٩٧؛ ينابيع المودّة ١: ١٥٩ و١٧٨ و٢٤٢، و٢: ٧٧ و٩٦ و٢٨٩ و٣٩٢.

(٢) ذخائر العقبى: ٨٥؛ سنن الترمذي ٥: ٣٠٣؛ كتاب السنّة: ٥٨٤؛ مسند أبي يعلى ٤: ١١٩؛ المعجم الكبير ٢: ١٨٦؛ شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٤ و٩: ١٧٣؛ كنز العمّال ١١: ٦٢٥ رقم ٣٣٠٤٩ و١٢: ١٣٩؛ ضعيف سنن الترمذي: ٥٠٢؛ شواهد التنزيل ٢: ٣٢٥ و٣٢٦ و٣٢٧ و٣٢٨ و٤٢٤؛ الكامل لابن عدي ١: ٤٢٨ و٦: ٢٤٧؛ تاريخ بغداد ٧: ٤١٤؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣١٥ و٣١٦ و٣١٧؛ أُسد الغابة ٤: ٢٧؛ ذكر أخبار اصبهان ١: ١٤١؛ البداية والنهاية ٧: ٣٩٣؛ ينابيع المودّة ١: ١٨٣ و١٨٤ و٢: ٤٩٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٩٩؛ مسند زيد: ٤٥٥؛ المستدرك ٢: ١٣٦؛ تاريخ بغداد ٢: ٧٩؛ النصائح الكافية: ٢٣٧.

عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ: يا عليّ، معك يوم القيامة عصًى من عصي الجنّة تطرد بها المنافقين عن حوضي(١).

ويقول أميرالمؤمنين للحارث الهمداني:

أسقيك من باردٍ على ظمإٍ تخاله في الحلاوة العسلا

أمّا الأحاديث الواردة عن طريق الشيعة، فعن الصادق عليه السلام أنّه قال: يا علي، أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم، وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع الناس ولا تفزعون، وتحزن الناس ولا تحزنون، فيكم نزلت الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾(٢).(٣)

وسُئل رسول الله عن الحوض، فقال: إنّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى إيله، وإنّ فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، عليه أميرالمؤمنين، يسقي منه أوليائه، ويبعد عنه أعدائه بالعصى التي معه، وهي عصًى من عوسج يسمّى نفعه.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام:

لنحن على الحوض روّاده نــذود ونسقي ورّاده

وما فاز من فاز إلّا بنا وما خاب من حبّنا زاده

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٣٥؛ المعجم الصغير ٢: ٨٩؛ ميزان الاعتدال ٢: ١٧٨؛ تهذيب التهذيب ٤: ٢٤٩؛ جواهر المطالب لابن الدمشقي ١: ٢٣٣؛ ينابيع المودّة ١: ٣٩٦ و٢: ٣٧٥ و٤٦٢.

(٢) الأنبياء: ١٠١.

(٣) الأمالي للصدوق: ٦٥٧؛ شرح الأخبار ٢: ٣٩٧ و٣: ٤٤٤؛ فضائل الشيعة للصدوق: ١٦؛ بحار الأنوار ٧: ١٧٩ و٨: ٢٨ و٣٩: ٣٠٧ و٦٥: ٤٦؛ تفسير فرات الكوفي: ٢٦٨؛ تفسير الصافي ٣: ٣٥٦؛ الأصفى ٢: ٧٩٢؛ تفسير نور الثقلين للحويزي ٣: ٤٦٠؛ تفسير الميزان ١٤: ٣٣٦؛ بشارة المصطفى: ٢٧٨؛ تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني: ٣٣١؛ الشيعة في أحاديث الفريقين لمرتضى الأبطحي: ٦٦.

ومن سرّنا نال منّا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان غاصبنا حقّنا فيوم القيامة ميعاده[(١)]

الحديث التاسع والعشرون:

عن حفصة بنت عمر، قالت: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وقد وضع ثوبه على ركبته، فجاء أبوبكر فاستأذن له والرسول على هيئته، ثمّ جاء عمر وكان على هيئته، ثمّ جاء عليّ وكان على هيئته، ثمّ ناس من أصحابه وكان على هيئته، ثمّ جاء عثمان يستأذنه فأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فتحلّله، قالت: فتحدّثوا فخرجوا، فقلت: يا رسول الله، جاء أبوبكر وعمر وعليّ والناس من أصحابك وأنت على هيئتك، فلمّا جاء عثمان تحلّلت بثوبك! فقال ﷺ: أما نستحي ممّن يستحي الملائكة (كذا)..[(٢)].

وفي رواية أُخرى للمصابيح أنّه قال: إنّ عثمان رجل حيي وخفت أن أئذن له وأنا على هذه الهيئة فلا يفضي بحاجته حياءاً.

الجواب: أين كان حياءه يوم ولّى منهزماً في حرب أُحد[(٣)] ولمّا قتل حمزة دخل

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٢٩٥؛ بحار الأنوار ٦: ١٨١، ذكر الأبيات وفيها تغيير يسير ولم ينسبها للإمام السجّاد عليه السلام، و٤٦: ٩١ ذكر نسبتها، وص ٢٧١ نسبها للباقر عليه السلام؛ مستدرك سفينة البحار ٥: ٤٧٢؛ نهج السعادة للمحمودي، نسبها في الهامش إلى الباقر عليه السلام؛ بشارة المصطفى: ١٧٩؛ كشف الغمّة ٢: ٣٥٤ نسبها للباقر عليه السلام؛ ينابيع المودّة ١: ٨٠ نسبها للباقر عليه السلام، و٣: ١٣٦.

(٢) الغدير ٩: ٢٩٠ وقال مولانا الأميني: ذكره ابن كثير في تاريخه ٧: ٢٠٣، فقال: هذا حديث غريب، وفي سنده ضعف؛ المعجم الكبير ١٢: ٢٥٢؛ كتاب المجروحين ١: ١١٠؛ البداية والنهاية ٧: ٢٢٨ تحقيق علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، أُولى.

(٣) لا ملازمة بين الحياء والشجاعة، وقد قيل إنّ الحيي لا يكون شجاعاً، ولذا تمدح فيمن جمع الخصلتين:

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلّم إلّا حين يبتسم

الوهن على مقاتلة المسلمين وكان عثمان أوّل من هرب منهم وهو سبب هذا الوهن، ولم يعد إلّا بعد مضيّ ثلاثة أيّام، واختبأ في غار هناك.

وأين كان حيائه يوم حنين لمّا هرب كالغزال في الهزيمة.

ولمّا تلاحيا هو ويهودي، قاضاه إلى حكم يهوديّ وقاضاه اليهودي إلى النبيّ ﷺ فلم يرض ذلك عثمان لعنه الله حتّى نزلت هذه الآية: ﴿لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾(١)، فأين طار حيائه يومئذٍ؟!

ولمّا آوى طريد رسول الله مروان وصيّره وزيراً مقرّباً، ونفى أباذر إلى الربذة أين كان حيائه؟ وأين كان حيائه وهو يقصف بيت المال قصفاً؟

ولست أدري في أيّ بقعة من بدنه كان حيائه يوم ولّى على بلاد المسلمين حماراً يعاقرها صرفاً غير مشمولة ويصلّي بالمسلمين صلاة الصبح أربع ركعات، وكان عثمان يعلم به ولا يمنعه؟

وأين كان حيائه أيضاً حين سلّط بني أُميّة على أشعار المسلمين وأبشارهم؟

في كتاب الفتوح لابن الأعثم الكوفي: إنّ عثمان كان يأمر للرجل الواحد بمائة ألف درهم. قال: ثمّ قدم عليه عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أُميّة فوصله بثلاثمائة ألف..(٢).

ثمّ بعث إلى الحكم بن أبي العاص فردّه إلى المدينة وهو طريد رسول الله ﷺ ثمّ

⬅ ولكن عثمان لا يدلّ هربه على صلفه بل كان من الشجرة الملعونة التي ذكرها السيّد حيدر فقال:

صلابة أعلاك الذي بلل الحيا ... به جفّ أم من لين أسفلك الندي

(١) النساء: ٦٥.

(٢) ذكر المؤلّف أنّها ثلاثمائة ألف من بيت المال.

وصله بمأة ألف درهم من بيت مال المسلمين (وجعل له خمس أفريقيا)[١].

وبينما كان عثمان يبدّد بيت المال هنا وهناك، كان أبناء المهاجرين والأنصار ومعهم بنو هاشم وهم آل رسول الله وأقربائه، يتضوّرون جوعاً، فأين كان حيائه وهو يخالف سنّة المصطفى؟

قال: فكبر ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وكرهوا ذلك من فعله ـ لمّا رأوا من جوره وإتلافه أموال المسلمين، وما عليه أبناء المهاجرين والأنصار من الضعة والهوان، وما يرفل فيه بنو أُميّة من الملك والرفاهيّة... المؤلّف ـ ثمّ إنّهم كتبوا كتاباً وذكروا كلّ حدث أحدثه عثمان منذ يوم ولي الخلافة إلى ذلك اليوم، ثمّ إنّهم خوّفوه في الكتاب وأعلموه أنّه إن لم ينزع عمّا هو عليه خلعوه واستبدلوا به غيره.

قال: فكتبوا هذا الكتاب، ثمّ قالوا: ننطلق به جميعاً حتّى نضعه في يده فإنّنا إن ذهبنا نكلّمه وليس معنا كتاب لم يحضرنا من الكلام ما نريد، ثمّ أقبلوا على عمّار بن ياسر وقالوا له: يا أبا اليقظان، هل لك أن تكفينا هذا الأمر وتنطلق بالكتاب إلى عثمان؟ فقال عمّار: أفعله، ثمّ أخذ الكتاب وانطلق إلى عثمان... فأمر عثمان غلمانه فضربوه ضرباً شديداً حتّى وقع لجنبه ثمّ تقدّم إليه عثمان فوطئ بطنه ومذاكيره حتّى غشي عليه وأصابه الفتق، فسقط لما به لا يعقل من أمره شيئاً....

ثمّ انطلقوا ـ بنو مخزوم ـ بعمّار إلى منزله مغشيّاً عليه، فلم يصلّ ظهراً ولا عصراً ولا مغرباً ولا عشاءاً حتّى ذهب بعض الليل، ثمّ أفاق بعد ذلك من غشيته فقام فقضى ما فاته من صلاته كلّها[٢].

فقام أصحاب رسول الله من أجل هذا التصرّف الأهوج وقتلوه، وصاحب

---

(١) الفتوح ٢: ٣٦٩ و ٣٧٠ ط دار الكتبا لعلميّة، ١٤٠٦ ـ أُولى.

(٢) الفتوح ٢: ٣٧٠ و ٣٧٢، والمؤلّف حذف فقرات من الرواية وذكر ما يتمّ به الشاهد فحسب.

الفتوح لا يتّهم على ما ينقل عن نعثل لأنّه من كبار أهل السنّة والجماعة.

ونتسائل الآن بعد ما ذكر عن حيائه وهو يضرب صحابيّاً كبيراً من طراز عمّار ابن ياسر مع أنّ النبيّ قال ـ على ما يزعم الخصم ـ: اشتاقت الجنّة إلى ثلاث: عليّ وعثمان وعمّار، وهذا الحديث مذكور في كتاب «النكت العجلىٰ».

قال صاحب الفتوح: فبلغ ذلك أباذر وكان مقيماً بالشام، فجعل يظهر عيب عثمان هناك ويذكر منه خصالاً قبيحة، فكتب معاوية بن أبي سفيان بذلك إلى عثمان... فكتب إليه عثمان لعنه الله: فابعث به إليّ واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها، وابعث معه دليلاً يسير به الليل مع النهار حتّى يغلبه النوم فينسيه ذكري وذكرك. قال: فقدم بأبي ذر المدينة وقد سقط لحم فخذيه... قال: ثمّ أمر مروان بن الحكم أن يخرج أباذر من المدينة على بعير بغير وطاء[1] ـ إلى الربذة ـ وتبعه جماعة من الناس يشيّعونه ويحزنون لحزنه، منهم عليّ والحسن والحسين رضي الله عنهم وعمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود وعبينة بن عبّاس (كذا)[2] وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يعزّي أباذر عمّا نزل به وينصحه ويوصيه بالصبر والشكر، والمؤمنون يبكون لأبي ذر، وودّعه أميرالمؤمنين عليه السلام والحزن غالب عليه، ولمّا رجع من وداعه، استقبله مروان فقال: أليس قد أمر أميرالمؤمنين أن لا يخرج أحد مع هذا الشيخ ولا يشيّعه أحد من الصحابة؟ قال: فرفع عليّ عليه السلام (رضي الله عنه) قضيباً كان في يده فضرب به بين أذني بعير مروان ثمّ قال: إليك عنّا يابن الزرقاء، أمثلك يعترض علينا في الذي نصنع؟

قال: فرجع مروان إلى عثمان فأخبره بذلك، (فاستدعى عثمان أميرالمؤمنين

(١) الفتوح ٢: ٣٧٣ و٣٧٥ مع حذف بعض الفقرات من المؤلّف.

(٢) نفسه ٢: ٣٧٥ وذكر المؤلّف أنّه عبدالله بن عبّاس وهو الصواب.

وعاتبه بكلام شديد.. المؤلّف) فقال عليّ عليه السلام: ليس كلّ ما تأمر به يجب أن نقبل، وإن كان غير صواب.

فقال عثمان: هذا مروان يذكر أنّك ضربت بين أُذني بعيره وشتمته، فأرضه من حقّه!

فقال عليّ عليه السلام: هذا بعيري فليضرب بين أُذنيه كما ضربت بين أُذني بعيره وأمّا الشتيمة[1] فوالله لئن شتمني مروان لأشتمنّك لأنّ مروان ليس لي بكفوٍ فأُشاتمه[2].

قال: ولم يزل أبوذر مقيماً بالربذة يغشاه الصادر والوارد من الحاج وغيرهم، فيعرضون عليه الحوائج فلا يقبل من أحد شيئاً إلى أن حضرته الوفاة[3]....

قال: وبلغ ذلك عثمان فقال: رحم الله أباذر، فقال عمّار بن ياسر: رحم الله أباذر من كلّ قلوبنا.

قال: فغضب عثمان ثمّ قال: يا كذا وكذا، أتظنّ أنّي ندمت على تسييره إلى الربذة؟ فقال عمّار: لا والله ما أرى ذلك، فقال عثمان: ادفعوا في قفاه وأنت فالحق بالمكان الذي كان فيه أبوذر ولا تبرحه أبداً ما بقيت وأنا حيّ. فقال عمّار: والله إنّ جوار السباع لأحبّ من جوارك.

ثمّ قام عمّار فخرج من عنده، قال: وعزم عثمان على نفي عمّار. وأقبلت بنو مخزوم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: إنّه يا أبا الحسن، قد علمت بأنّا أخوال أبيك أبي طالب وهذا عثمان بن عفّان قد أمر بتسيير عمّار بن ياسر وقد أحببنا أن نلقاه فنكلّمه في ذلك ونسأله أن يكفّ عنه ولا يؤذينا فيه....

---

(١) عند المؤلّف: وأمّا الشتيمة فما شاتمته لأنّه ليس لي بكفوٍ فأُشاتمه.

(٢) الفتوح ٢: ٣٧٥.

(٣) هذه هي عبارة صاحب الفتوح، والمؤلّف أخذ منه ولكنّه غيّر العبارة إلى قوله: يغشاه الصادر والوارد ويعطونه القوت إلى أن وافته المنيّة. (راجع الفتوح نفس الجزء والصفحة)

إلى أن يقول صاحب الفتوح: فقال عثمان: لأنت أحقّ بالمسير منه، فوالله ما أفسد عليّ عمّاراً وغيره سواك! فقال عليّ عليه السلام: والله يا عثمان! ما أنت بقادر على ذلك ولا إليه بواصل، فرم ذلك إن شئت.. ثمّ قول صاحب الفتوح[1].

أيّها العزيز! انظر الواقع بعين العبرة تعرف معنى حياء عثمان، نعم هذا هو الحياء الذي حمله على السلوك الخشن مع الأبرار من الصحابة مثل أبي ذر وعمّار، وعلى الكلام غير اللائق مع عليّ عليه السلام الذي سمعته، سبحان الله من هذا الكذب الذي ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأمّا قوله عن النبيّ من أنّه أبرز ركبتيه فإنّهما في مذهب أهل السنّة والجماعة من العورة ويجب سترهما فكيف يجوز نسبة إبدائهما مع كونهما كما ذكرنا بين الحاضرين ولقد أجمع المسلمون على أنّ مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله مجلس حلم وحياء، وهذا يرشدنا إلى كذب الحديث، إنّ نسبة هذا إلى النبيّ يحتاج إلى وقاحة زائدة لكي يقولوا عثمان أكثر تمسّكاً بالأخلاق منه، وأجدر بالحياة الفاضلة، وليس في الناس أشدّ حياءاً من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث وصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[2] ولم ينزل في حياء عثمان شيء من كتاب الله تعالى، وصدق الله حيث قال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ﴾[3].

الحديث الثلاثون:

وتحدّثوا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلّا وجدت مكتوباً: محمّد رسول الله، وأبوبكر زوجه ابنته وحمله إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً

---

(١) فيه زيادة على ما نقله المؤلّف يسيرة (انظر ج٢ منه ص٢٧٦ و٢٧٧).

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) التوبة: ٣١.

من ماله، وما نفعني في الإسلام مال كمال أبي بكر، ورحم الله عثمان؛ تسبيحه كتسبيح الملائكة، وجهّز جيش العسرة، وزاد في مسجدنا حتّى وسعنا[١].

الجواب: أجمع المحقّقون وعلماء الإسلام أنّه مكتوب على ساق العرش: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، أيّدته بعليّ ونصرته..»[٢].

واشتهر عند علماء الإماميّة أنّ النبيّ لمّا عاد من المعراج قال: جائتني الملائكة وأنا في المعراج أفواجاً أفواجاً يسلّمون عليّ ويسألوني عن عليّ عليه السلام بهذه العبارة: كيف ابن عمّك عليّ بن أبي طالب.

ولمّا نزلت من المعراج قالوا بأجمعهم: اقرأ على ابن عمّك منّا السلام، فقال أميرالمؤمنين: أو كنت معروفاً هناك؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنت معروف في السماء ومشهور في الأرض.

وقال أبوبكر الشيرازي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا بلغت العرش رأيت عليّاً يسبّح الله ويقدّسه تحت العرش، فقلت لجبرئيل عليه السلام: سبقني عليّ بن أبي طالب؟! فقال جبرئيل: لا يا محمّد ولكنّي أُخبرك، اعلم يا محمّد أنّ الله عزّ وجلّ يكثر من الصلاة والثناء على عليّ بن أبي طالب فوق عرشه فاشتاق العرش إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فخلق الله عزّ وجلّ هذا الملك على صورة عليّ بن أبي طالب تحت عرشه

---

(١) الظاهر أنّ هذا ليس حديثاً واحدة بل هي جملة أحاديث جمعها المؤلّف في سياق واحد وليس بنا من حاجة إلى تخريج هذه الموضوعات!!

(٢) نظم درر السمطين: ١٢٠؛ تاريخ بغداد ١١: ١٧٣؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٧: ٣٤٤؛ سبط ابن العجمي في الكشف الحثيث: ٩٦؛ لسان الميزان ٣: ٢٣٨ و٥: ١٦٧، وهذا غير الكتب الشيعيّة التي أخرجت الحديث وهي كثيرة مثل كفاية الأثر، روضة الواعظين، مناقب أميرالمؤمنين، الروضة في المعجزات، المحتضر، الجواهر السنيّة، مدينة المعاجز وغيرها إلّا أنّ السياق ليس واحداً فقد يتفق مع سياق المؤلّف وقد يزيد عليه، ولكن المؤدّى واحد.

لينظر إليه العرش فيسكن شوقه، وجعل تسبيح هذا الملك وتحميده ثواباً لشيعته وشيعة أهل بيتك يا محمّد.

ثمّ قال: يا محمّد، أحبّ عليّ بن أبي طالب فإنّ الله يحبّه ويحبّ من يحبّه، إنّه لا يحبّه إلّا مؤمن تقي، ولا يبغه إلّا منافق ردي، يا محمّد، إنّ حملة العرش والكرسي والصافّين حول العرش والكرّوبيّين والروحانيّين أشدّ معرفة لعليّ بن أبي طالب من أهل الأرض له.

يا محمّد، من أحبّ أن ينظر إلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى المسيح في صومه، وإلى سليمان في سخائه، وإلى موسى الكليم في غلظته، وإلى داود في خلقه وبكائه، فلينظر إلى وجه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ويقول المخالف: إنّ عمر وضع في الميزان فرجح على النبيّ وأبي بكر والعلم كلّه ثلاث مرّات، فكتب اسمه في السماوات أولى من أبي بكر، وأحسب أنّ واضع هذا الكذب والافتراء فاته أنّ عمر أيضاً زوّجه ابنته فيكون عمر بناءاً على ما يدّعيه الخصم أفضل من أبي بكر لرجحانه في الميزان.

وكان للنبيّ صلى الله عليه وآله ثمانية عشر امرأة أكبرهنّ خديجة، ثمّ أُمّ سلمة، وعائشة هي تلك المرأة التي اعتلت غارب الجمل وقادت العسكر، وبرزت امام الناس، وكتّبت الكتائب من الميمنة إلى الميسرة كما ذكر المؤرّخون، وأهل الجمل ملعونون عند الله تعالى وهم عند الشيعة مرتدّون وكفّارٌ، فإذا ما فخر الخصم بعائشة وأضافوها إلى حسنات أبيها المزعومة فإنّ فاطمة هي الأولى بإجماع المفسّرين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وحكاية هذا الحديث كما أجمع عليه المفسّرون ما روته أُمّ سلمة

(١) الأحزاب: ٣٣.

رضي الله عنها والاتفاق حاصل على معناه ولكن الاختلاف في ألفاظه .. قالت :

كان رسول الله ﷺ عندي وطبخت له طعاماً وهو قائل في البيت إذ أقبل الحسنان وجلسا عند جدّهما ، وجائت فاطمة عليها السلام وجلست إلى جانب أبيها ثمّ جاء عليّ بعدها ، فلمّا استيقظ النبيّ ﷺ رأيته والبشر طافح على وجهه الشريف ، فرأى برداً خيبريّاً موضوعاً هناك فأخذه وجلّلهم به ، وقال : اللّهمّ إنّ لكلّ نبيّ أهل بيت وهؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، فهبط جبرئيل بهذه الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ﴾ ، الآية ، فقالت أُمّ سلمة : يا رسول الله ، ألست من أهل بيتك ؟ فقال النبيّ ﷺ : إنّك إلى خير وإنّما أهل بيتي هؤلاء[١].

وذكر الأبيات التالية أبو عبدالله الدامغاني وهو من أهل الحديث ، في كتابه سوق العروس ، في شرح هذه الآية :

إنّ يوم الطهور يوم عظيم	*فاز بالفضل فيه أهل الكساء*
قام فيه النبيّ مبتهلاً ضا	*رعاً إلى ربّه بحسن الرجاء*
قال يا ربّ إنّهم أهل بيتي	*فاستجب فيهم إلهي دعائي*
أذهب الرجس عنهم وعن الأبنا	*ء منهم وعن بني الأبناء*
رحمة الله والسلام عليكم	*وصلاة الأبرار والأتقياء*[٢]

(١) تذكرة الفقهاء للحلّي ٢ : ٤٧٧ ؛ كشف الغطاء لجعفر كاشف الغطاء ١ : ٨ ؛ الشرح الكبير لابن قدامة ٦ : ٢٣٠ ؛ ذخائر العقبى : ٢٣ ؛ الجمل لضامر بن شدقم : ١٥٠ ، تحقيق تحسين الموسوي ، ط أُولى ، مطبعة (محمّد) ؛ الأربعين للماحوزي : ٤١ ؛ خصائص النسائي : ٤٩ و ٨١ ؛ المعجم الأوسط ٤ : ٢٣٦ ؛ نظم درر السمطين : ١٣٣ ؛ التبيان ٨ : ٣٣٩ ؛ تنبيه الغافلين لابن كرامة : ٤٢ و ١٣٦ و ١٣٨ ؛ صحيفة الإمام الحسن للقيّومي : ١٧٨ ، ط دفتر انتشارات اسلامي ؛ السيّدة فاطمة الزهراء للبيومي : ٢٤ و ٢٥ .

(٢) ذكرها في ذيل كشف الظنون ونسبها إلى الدامغاني : ٥٥ ، وفي البيت الثاني زحاف . وذكرها في ←

وكان زواج الزهراء في السماء أو في الجنّة باختلاف الروايات التي رواها المخالف والمؤالف، وقد شرحت هذا المجلس في كتاب مناقب الطاهرين وإنّما ذكرناه هنا بأخصر عبارة لتعمّ به الفائدة.

قال أبوبكر الشيرازي: قال جابر بن عبدالله الأنصاري: كنت يوماً بين يدي النبي في المسجد، فأقبل أبوبكر على النبي وقال: يا رسول الله، إنّك تعرف صحبتي لك وتركي قومي في الهجرة لأجلك وإنفاقي مالي عليك، وأعتقت بلالاً من أجلك وجئتك اليوم لتزوّجني ابنتك فاطمة. فقال النبيّ ﷺ: حتّى ينزل الوحي بهذا، فخرج من عنده فاستقبله عمر بن الخطّاب فسأله عن أمره، فقال: كنت عند رسول الله، وقصّ عليه القصّة، فأقبل عمر حتّى دخل على النبيّ المسجد وحكى له ما كانت عليه حاله من الإسلام والهجرة والمحبّة والجهاد في الإسلام، وطلب منه يد سيّدتنا فاطمة، فقال النبي: إنّما أمري وأمرها إلى الله فما لم يأذن بذلك لا أفعله.

فقال عمر: فخرجت من عنده فتلاقيت وعليّاً في الطريق، فقال لي: من أين أقبلت يا أبا حفص؟ فقلت: حضرت عند النبيّ وخطبت فاطمة فأوكل أمرها إلى الوحي.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: فذهبت إلى رسول الله ﷺ وجلست إلى جانبه وقلت: يا رسول الله، إنّك تعرف حقّي وحقّ أبي طالب عليك وتعرف قرابتي منك وجهادي الكفّار، فتبسّم رسول الله ﷺ في وجهي وقال: يا علي، هل من حاجة؟ فأجبته: جئتك خاطباً ابنتك فاطمة، فقال النبيّ: وهل معك شيء من المال؟ فقلت: يا رسول الله، ناضحي ودرعي. فقال: لا غنى لك عن ناضحك، فبع الدرع وجئني

⬅ الذريعة منسوبة إليه من كتابه سوق العروس ١٢: ٢٥٦ الذريعة وص٢٥٧، وفي الذريعة: يوم التطهير، وهو أنسب.

بثمنه، فقال عليه السلام: فبعته في السوق بأربعمائة وثمانين درهماً وأقبلت بها فصببتها في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان جماعة من أصحابه عنده.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: فأمرني رسول الله أن أخطب لنفسي فـفعلت، وأشهـد النبيّ على نفسه أصحابه وقال في الختام: معاشر أصحابي، اعـلموا أنّي أنكـحت فاطمة من عليّ عليه السلام بأمر من الله تعالى ولقد هبط عليّ جبرئيل وقال: إنّ الله يقرئك السلام ويأمرك أن تزوّج عليّاً من فاطمة وإنّي زوّجتها منه قبل خـلق السماوات بألفي عام، وكان الخطيب جبرئيل والملائكة حملة العـرش شهـود، وأوحـى إلى شجرة طوبى أنّي إنّما خلقتك لهذا اليوم فاحملي ما قدرت عليه من الجواهر والدرر وانثريه كرامة لفاطمة، وزيّن الحور العين باليواقيت والحلل وأنواع الزينة وأمرهنّ بالحضور تحت شجرة طوبى، فلمّا حضر الجمع أوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما حملتيه على الحور العين وأمرهنّ بالتقاطه ورُحْنَ يتهادينه ويقلن: «هـذا نـثار فاطمة بنت محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله قبضة من ثمن الدرع ودفعها إلى سلمان وقال: اذهب إلى السوق واشتر ما تحتاجه من الثياب وأثاث البيت، وأعطى قبضة ثانية إلى المقداد ليشتري لها طيباً، وقال أبوذر: أعط ذلك إلى أُمّ هانئ أُخت الإمام لتضعها بمفرق فاطمة عليها السلام، ولمّا فرغ من الجهاز قال لعليّ عليه السلام: اذهب إلى بيت فاطمة عليها السلام «وإيّاك أن تمسّها حتّى آتيكم».

فما مضت ساعة من الوقت حتّى وقف رسول الله عـلى بـابها وطـرق البـاب، فقالت أُمّ هاني: من؟ فقال النبيّ: أخي عليّ هنا؟ فقالت: يا رسـول الله، أخـوك وتزوّجه ابنتك؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله أوقع الأُخوّة بيني وبينه كما أوقع الأُخـوة بين موسى وهارون، عند ذلك أقبل النبيّ على الفراش، فقال النبيّ: يا علي، هـذا جبرئيل قد حضر ومعه سبعون ألفاً من الملائكة وهم يزفّون فاطمة إليك.

ثمّ قال النبيّ لأُمّ هاني: ناوليني قدحاً فيه ماء، فتناوله من يدها ورشّ منه على صدر فاطمة صلّى الله عليها وقال: اللهمّ إنّي أُعيذها وذرّيّتها من الشيطان الرجيم، ثمّ تناول كفّاً أُخرى من الماء ورشّها بين كتفي الإمام عليه السلام وقال: اللهمّ إنّي أُعيذ أخي عليّاً بن أبي طالب وذرّيّته من الشيطان الرجيم، ثمّ قال: بارك الله فيكما وبارك لكما وبارك عليكما.

وأمّا ما قالوه من أنّ أبابكر حمله إلى دار الهجرة، فإنّ أبابكر لم يكن له مأوًى في المدينة إنّما حلّ ضيفاً على الأنصار، والذي نذهب إليه أنّ النبيّ لم يصطحبه معه والذي يدلّ على كذب الحديث قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾[1] ولم يقل «لحامله»، وعبدالله بن الأرقط أولى بهذه الصفة من أبي بكر، لأنّه كان دليل النبيّ في هجرته، وقال تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] بضمير الواحد ولم يأت بالتثنية «هما» فينبغي أن يكون الكفّار أخرجوا النبي، وكان أبوبكر من نافلة القول.

وإذا لزم الخصم جانب العناد فلنا أن نخصمه بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[3]، فلو كان مع النبيّ أو كان لهجرته فضل لمدحه الله عليه وكما مدح الناصرين مدح الحاملين أيضاً، فلمّا سكت الله عن ذلك فإنّنا نسكت عنه أيضاً بحكم الأثر: «فاسكتوا عمّا سكت الله عنه».

وأمّا ما قالوه من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: احفظوني في أصحابي، آووا ونصروا فإنّهم خيار أُمّتي، وقال: من أحبّ جميع أصحابي وتولّاهم واستغفر لهم جعله الله يوم القيامة معهم في الجنّة، وقال: مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) الأنفال: ٣٠.

اهتدى، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾(١)، وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(٢) وأمثال هذه الآيات والأخبار المذكورة في مناقب المهاجرين والأنصار، وكلّها تدلّ على أنّ المسلم لا ينبغي له أن يقول فيهم إلّا الخير، آمنّا وصدّقنا، أنّ الاستغفار لنفر خاصّ من الصحابة واجب كوجوب الصلاة والصيام، وأمّا الذين برء منهم طائفة الشيعة فهم جماعة من الصحابة عرّفوهم بأسمائهم وأنسابهم وهم الذين ظلموا أهل بيت العصمة والطهارة ظلماً صريحاً وجوراً قبيحاً، والله تعالى يقول: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٣).

والشيعة قول واحد أنّه لا يجوز سبّ أحد منهم إلّا إذا ثبت بالبرهان القاطع حاله، وأنّ سبّه ما لم يقم الدليل عليه، وعداوته من أعظم الخطيئات والمعاصي، وقد نزل ربع القرآن في المنافقين وهم الذين خانوا رسول الله ﷺ وأراد النبيّ بيان حالهم وكشف أمرهم ولكنّ الله لم يأذن له، وقال له: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿لَئِن لَمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾(٥) وقال: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾(٦).

إذاً: الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، وفي الآية الثانية ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ

(١) التوبة: ١٠٠.
(٢) الفتح: ١٨.
(٣) هود: ١٨.
(٤) الأحزاب: ٤٨.
(٥) الأحزاب: ٦٠.
(٦) المعارج: ٣٦ ـ ٣٨.

مِنْهُمْ﴾ لا يعني به الكفّار لأنّ الكافر لا طمع له بدخول الجنّة، ولم يكن ا لكافرون حول النبيّ ليصدق بحقّهم عن اليمين وعن الشمال عزين؛ فتبيّن من هذا بأنّهم قوم لزموا رسول الله ولكنّهم لم يعملوا عملاً حسناً يستحقّون به دخول الجنّة وإن طمعوا في دخولها.

وجاء في مصابيحهم أنّ النبيّ قال في حجّة الوداع: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض(١).

وقال فيه: أنا فرطكم على الحوض من مرّ بي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليرون (كذا) قوم أعرفهم ويعرفونني ثمّ يحال بيني وبينهم، فأقول: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثو بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي(٢) وقال

(١) سبل السلام لابن حجر ٢: ٢١٤؛ نيل الأوطار للشوكاني ١: ٣٧٧ و٣: ٣٧٩ و٣٨١ و٥: ١٥٦؛ مسند أحمد ٥: ٣٩ و٤٤ و٤٥ و٤٩ و٦٨ و٧٣؛ سنن الدارمي ٢: ٦٩؛ صحيح البخاري ٢: ١٩١ و١٩٢ و٧: ١١٢ و٨: ١٦ و٣٦ و٩١؛ مجمع الزوائد ١: ١٥٦؛ الديباج على مسلم ١: ٨٦؛ شرح سنن النسائي ٧: ١٢٦؛ تحفة الأحوذي ٦: ٣٦١؛ عون المعبود ١٢: ٢٨٨ و١٣: ١٦٧؛ مسند الطيالسي: ٩٢؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٦٠٢ و٦٠٣ و٨: ٦١٦؛ خلق أفعال العباد للبخاري: ٧٩؛ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٣؛ بغية الباحث لابن أبي أُسامة: ١٢٨ و٢٤٥؛ الآحاد والمثاني للضحّاك ٣: ٢٠٩ و٢١٠ و٣٠٢؛ سنن النسائي الكبرى ٢: ٣١٦ و٤٤٣ و٣: ٤٤٦؛ مسند أبي يعلى الموصلي ٣: ٣٩ و٧: ٣٧ و٩: ٢٢٣ و٤٣٥ و٤٤٢ و١٢: ٢١٧؛ المنتقى من السنن المسندة لابن جارود النيسابوري: ٢١٢، تحقيق عبدالله البارودي، ط مؤسسة الكتاب الثقافيّة ـ بيروت، أُولى ١٤٠٨؛ صحيح ا بن حبّان ١: ٤١٦ و١٣ ٢٦٨ و٢٨٩، وكتب أُخرى يصعب استقصائها لاسيّما كتب الشيعة منها.

(٢) المسند ١: ٢٥٧ و٣٨٤ و٤٠٢ و٤٠٦ و٤٠٧ و٤٢٥ و٤٣٩ و٤٥٣ و٤٥٥ و٢: ٤٠٨ و٥: ٣٣٣ وسياقه أقرب إلى المؤلّف، وص٣٣٩ مثله؛ صحيح البخاري ٧: ٢٠٦ و٢٠٧ و٨: ٨٧؛ صحيح مسلم ٧: ٦٦ و٦٨؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٤٣٩ و١٤٤٠؛ المستدرك ٤: ٧٤؛ مجمع الزوائد ٢: ٨٥ و٦: ٢٥٤

تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾(١).

وأمثال هذا كثير في القرآن وهي مبنيّ على ارتداد أُمّة النبيّ من بعده وإن كان بزعم الخصم أنّه مدح جماعة من الصحابة فهذا صحيح إلّا أنّ صيغته للعموم ولا يصحّ حملها على قوم بخصوصهم بل لا تتناول إلّا من توفّرت فيه شروط خاصّة وهو من يتيقّن صلاحه أو مجهول الحال مع أنّ الرواية وردت عن طريق الخصم هكذا: احفظوني في عترتي فإنّهم خيار عشيرتي(٢).

[حديث آخر]

وقولهم عن النبيّ ﷺ أنّه قال: إنّ لكلّ نبيّ رفيقاً وإنّ رفيقي في الجنّة عثمان(٣).

الجواب: هذا الحديث مخالف للقرآن بالتخصيص لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

← و١٠: ٣٦٤؛ مصنّف عبدالرزّاق ١١: ٦٠؛ مسند الحميدي ٢: ٣٤٢ و٣٤٣؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤١٢ و٨: ٦٠٢ و٦٠٣؛ كتاب السنّة لعمرو بن أبي عاصم: ٣٣١ و٣٤١ و٣٤٥؛ المعجم الأوسط ٣: ١٨٦؛ المعجم الكبير ٦: ١٣٧ و١٤٣ و١٥٦ و١٧١ و٦: ٢٠٠ و١١: ٢٨ وغير هذه الكتب كتب أُخرى، أمّا حديث أنا فرطكم على الحوض فهو من المتواترات ولم يبق حافظ لم يخرجه.

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) ورد الحديث من طريق الشيعة هكذا: احفظوني في عترتي وذرّيّتي، فمن حفظني فيهم حفظه الله، الحديث. الأمالي للطوسي: ٧٠٣؛ بحار الأنوار ٣٠: ٥١؛ كلمات الإمام الحسين للشيخ الشريفي: ١١٨؛ كشف الغمّة ٢: ٤٢. وجائت تتمّته في المصادر الشيعيّة: ألا لعنة الله على من آذاني فيهم، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم ـ ثلاثاً ـ. وجاء من طريق الخصم على النحو التالي: احفظوني في أصحابي فإنّهم خيار أُمّتي، واحفظوني في أهل بيتي.. مسند الشهاب لابن سلامة ١: ٤١٩، تحقيق حمدي السلفي، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت، أُولى ١٤٠٥.

(٣) تهذيب الكمال ٢: ٤٥٧؛ تهذيب التهذيب ٤: ٢٩٢؛ الإصابة ٤: ٣٨٧؛ البداية والنهاية ٧: ٢٣٧. قال الترمذي: هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي وإسناده منقطع.

﴿وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(١) والمعنى ـ والله العالم ـ أنّ أهل الطاعة مع الأنبياء في الجنّة، ورفقاء الأنبياء فيها هم الصدّيقون والشهداء والصلحاء، وسوف يضرب بين الرجال والنساء بحجاب، ودليلنا على ذلك وجوه:

الأوّل: حديث فاطمة عليها السلام حيث أجمعت كلمة علماء أهل القبلة بأنّ فاطمة حين تجتاز يوم المحشر إلى موقفها ينادي منادٍ من بطنان العرش: غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

ثانياً: قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾(٢) فإذا كان الأمر كذلك فلا يكون رفيق رسول الله إلّا ذرّيّته لوجود بنات رسول الله ونسائه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٣) مع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنا وكافل اليتيم في الجنّة، وأشار بالسبّابة والوسطى، وبالضرورة لا ينال شرف رتبة الرفاقة إلّا كافل اليتيم ولا تخلو محلّة من محالّ المسلمين من وجود واحد واثنين أو أكثر من كفلاء الأيتام وكلّ واحد درجته تربو على درجة عثمان.

فإذا ثبت حديث عثمان فهذا ثابت لا مرية فيه مع أنّ جماعة من المفسّرين قالوا عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾(٤) أنّ هذا العدوّ هو أبوبكر وعمر عثمان لأنّهم يكيدون النبيّ دائماً وأبداً، ويعيقون بكذبهم وافترائهم أعمال النبيّ ويؤخّرون تقدّم المسيرة الجهاديّة له. وكان ممّا كادوا فيه النبيّ استمرار الكذب عليه والافتراء ليختلط الحقّ بالباطل والخير بالشرّ، فتتقدّم مكائدهم.

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) الصافّات: ٤٨.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) الأنعام: ١١٢.

ثمّ إنّ ما رواه المخالف من قول النبيّ ﷺ: «أوّل من يدخل الجنّة أنا والحسن والحسين»(١) يكذّب هذا الحديث.

وفي كتاب «المنتهى» لعبدالله بن عبدالأعلى القطّان الاصفهاني ومناقب أبي بكر مردويه الاصفهاني وتفسير أبي بكر الشيرازي عن رسول الله أنّه قال لعمر يوماً: إنّ في الجنّة شجرة تغطّيها وأصلها نابت في جنّتي، ووصف الشجرة في اليوم الثالث وقال: أصلها في بيت عليّ عليه السلام. فقال له عمر: يا رسول الله، ألست قلت ذلك اليوم أنّ أصل الشجرة في جنّتك واليوم تقول في بيت عليّ؟! فقال النبيّ ﷺ: يا عمر، ألا تعلم أنّ بيتي وبيت عليّ واحد، وقصري وقصره واحد، وداري وداره واحدة.

[حديث آخر]

وأمّا الذي رووه عن محمّد بن الحنفيّة أنّه قال: قلت لأبي: أيّ الناس خير بعد النبي؟ قال: أبوبكر. قلت: ثمّ من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثمّ أنت؟ قال: ما أنا إلّا رجل من المسلمين(٢).

الجواب: لو صحّ هذا الزعم، لما جرّ الحسن أبابكر من على المنبر إلى الأرض، ولو صحّ هذا لما تقاعد أميرالمؤمنين عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر حتّى ماتت فاطمة ثمّ بايع، وهذا ما يزعمه الخصم، أمّا نحن أيّها الشيعة فنقول: إنّ عليّاً لم يبايع أبابكر

---

(١) المستدرك ٣: ١٥١: أوّل من يدخل الجنّة أنا وفاطمة والحسن والحسين. قلت: يا رسول الله، فمحبّونا؟ قال: من ورائكم، صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ كنز العمّال ١٢: ٩٨ رقم ٣٤١٦٦ و١٣: ٦٣٩ رقم ٣٧٦١٤؛ شواهد التنزيل ١: ١٨٥؛ تفسير القرطبي ١٦: ٢٢؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٩؛ ميزان الاعتدال ٣: ٦٣٥؛ مناقب الخوارزمي: ٦٢ و٣١٧ وفيه: أوّل من يدخل عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ١٨١ و١٨٢؛ جواهر المطالب لابن الدمشقي: ٢٢٩؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٧؛ ينابيع المودّة ٢: ٢٠٢ و٣٥٥ و٤٤٥ و٤٥١ و٣: ١٤٠، واستثنينا كتب الشيعة لأنّها ليست حجّة على الخصوم، وإن كانت أوثق من مصادرهم.

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٩٥؛ فتح الباري ٧: ٢٦ و٢٧؛ الإصابة ١: ٢٤.

قطّ .. وجائت الأخبار متواترة من طريق المخالف بأنّ عليّاً خير الخلق والدليل على هذا الحديث ما جاء في كتاب «الفصول العجلى» أنّ النبيّ لمّا أخبر عن ذي الثدية، قال: يقتله خير الخلق، وروي خير هذه الأُمّة[١]، وذوالثدية قتله عليّ عليه السلام.

وكنت قد حرّرت هذه المسألة في جوامع الدلائل والأُصول في إمامة آل الرسول ببسط تامّ.

وذكر إسماعيل الاصفهاني في الأربعين: عليّ خير البشر من أبى فقد كفر.

وإنّ كتب الفرق البالغة ثلاثاً وسبعين فرقة ناطقة كلّها بمناقب عليّ عليه السلام، ونزلت في حقّه وحده سورة هل أتى، وسبق في الهجرة، فنزلت آيات عدّة تشيّد بمواقف السابقين ومع هذه المناقب كيف يجوز على عليّ أن يقول: أمّا أنا فرجل من المسلمين ؟!

وإذا كان هذا الحديث صحيحاً فكيف اعتبره المخالفون الإمام الرابع ؟ ولماذا أعلن مراراً على المنبر عن ذمّ من تقدّمه منهم ؟ وإنّي لأحسب أنّ كلّ من وقف على هذه الأحاديث المفتراة ووقف على ردّها ونقضها فإنّه يصير صاحب ملكة فلا يسمع حديثاً مفترى وإن لم نتعرض لإبطاله فإنّه قادر على ردّه ودفع الشبهة المودعة فيه.

ولمّا فرغ أبوالفتوح الحسين بن عليّ بن محمّد الخزاعي من مناقب أبي بكر وعمر وعثمان التي استمعت إلى ردّها ونسفها بعون الله، فقد جعل خاتمة كلامه حديثاً في مناقب عليّ عليه السلام وهو كما يلي: روي عن ابن عبّاس أنّه قال: كنت في الموسم أُحدّث الناس فأقبل رجل يعتمّ عمامة سوداء ووقف يعظ الناس، فقال في ختام كلامه: من

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٣٩، وقال محقّق الكتاب: رواه القاضي عضد الدين الإيجي في المواقف ٢: ٦١٥.

عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا صاحب رسول الله جندب بن جنادة البدري الغفاري، أبوذر، ولقد رأيت رسول الله في هذا المكان بعيني وإلّا عميتا، وسمعته بأُذنيّ وإلّا صمّتا، يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) أمّا الذرّيّة فمن نوح، والآل من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية وذرّيّة الطاهرة من محمّد ﷺ، والصدّيق الأكبر عليّ بن أبي طالب، فأيّتها الأُمّة المتحيّرة بعد نبيّها لو قدّمتم من قدّمه الله، وأخّرتم من أخّره الله ورسوله لما عال وليّ الله وطاش سهم في سبيل الله، ولا اختلفت الأُمّة بعد نبيّها في شيء إلّا كان تأويله عند أهل البيت، فذوقوا بما كسبتم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٢).(٣)

عن ابن عبّاس قال: كنت في سنة من السنين في موسم الحجّ(٤) فرأيت رجلاً على هيئة الأعراب، عليه عمامة سوداء، فكلّما حدّثت بحديث حدّث به، ثمّ قال: معاشر الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُنبئهُ باسمي، أنا جندب بن جنادة البدري الغفاري، أنا صاحب رسول الله ﷺ، سمعته يقول في هذا المكان وإلّا صمّت أُذناي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٥) فأمّا الذرّيّة فمن نوح، والآل من إبراهيم،

---

(١) آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) يوجد شطر من هذا الحديث ضمن حديث طويل في كتاب سليم بن قيس: ١٥٦، والاحتجاج ١: ٢٣١، وبحار الأنوار ٢٧: ٣١٩ و ٢٨: ٢٤٧ و ٢٧٥.

(٤) نقلت هذا السياق من الماحوزي، كتاب الأربعين، ص٣٣٧ وجعلته ضمن المتن لعدم اختلافه مع سياق المؤلّف إلّا في مواضع يسيرة، ولأنّ سياق المؤلّف مترجم إلّا قول أبي ذر.

(٥) آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية وذرّيّة الطاهرة من محمّد ﷺ، والصدّيق الأكبر عليّ بن أبي طالب، فأيّتها الأُمّة المتحيّرة بعد نبيّها لو قدّمتم من قدّمه الله، وأخّرتم من أخّره الله ورسوله لما عال وليّ الله وطاش سهم في سبيل الله، ولا اختلفت الأُمّة بعد نبيّها إلّا كان تأويله عند أهل البيت، فذوقوا بما كسبتم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

[حديث آخر]

قال الأحنف بن قيس: ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبوبكرة، فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنّه كان حريصاً على قتل صاحبه(١).

الجواب: وهذا الراوي ظاهر الحال هو عدوّ أهل بيت رسول الله ﷺ وكان غرضه منع الناس من نصرة عليّ عليه السلام مع أنّ عمّار استشهد في حرب صفّين.

وجاء في صحيح البخاري محمّد بن إسماعيل عن أبي سعيد أنّه قال: كنّا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمّار لبنتين لبنتين، فمرّ به النبيّ ﷺ ومسح عن رأسه الغبار، فقال: ويح عمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار(٢). ويح عمّار تقتله الفئة

(١) تجده مروياً عن أبي بكرة من دون ذكر الأحنف في نيل الأوطار ٦: ٧٧ و٧: ١٩٨ وقال: متفق عليه. ورواه الصدوق في العلل ٢: ٤٦٢ وفيه: إذا التقى المسلمان بسيفيهما على غير سنّة... الحديث. وتهذيب الأحكام ٦: ١٧٤ والحديث مستفيض مشهور رواه جُلّ الفريقين. والرجل المبهم في سياق المؤلّف هو الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد أجاب عنه المؤلّف بما يشفي الصدور.

(٢) البخاري ١: ١١٥.

الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار[١].

وهذا الحديث الثاني يناقض الحديث الأوّل مع أنّ الحديث الثاني مجمع عليه ومتلقّ بالقبول، وفي صفّين استشهد عمّار وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وأبوالهيثم ابن التيّهان وعبدالله بن بديل الخزاعي وهاشم بن عتبة ابن أخي سعد بن أبي وقّاص، وصعصعة بن صوحان، وأويس القرني مع سبعين رجلاً قتلوا جميعاً في يوم واحد مع عليّ بسيف معاوية، وهذه الجماعة كلّها كما قال النبيّ من أهل الجنّة.

جواب آخر: بنصّ سورة هل أتى وآية التطهير وآية المباهلة إنّ الحسين عليه السلام من أهل الجنّة، وشهد النبيّ بحقّه من أنّه سيّد شباب أهل الجنّة، وقد رويت أحاديث في هذا المعنى من طرق المؤالف والمخالف، من غير تحديد، وكذلك عترته بدلالة حديث مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح .. الحديث.

وأجمعت الأُمّة على أنّ شهداء كربلاء من المؤمنين ومن أهل الجنّة مع الملائكة الذين يزورون الحسين وأصحابه وعترته، ومشهد قبلة الحاجات للعالمين، ولا تمرّ سنة على هذا الضريح إلّا وتظهر منه معاجز وكرامات مع أنّهم قتلوا بأيدي (من يسمّون)[٢] مسلمين.

جواب آخر: اجتمع المهاجرون والأنصار على قتل عثمان، وإذا ما صحّ الحديث كان القاتل والمقتول من الصحابة جميعاً في النار وينصّ القرآن شاهداً على كونهم من أهل الجنّة لاسيّما على مذهب الشيعة.

جواب آخر: وهذا طلحة والزبير وهما من العشرة المبشّرة بالجنّة بلا خلاف

---

(١) البخاري ٣: ٢٠٧ وراجع المستدرك ج٢ وج٣، ومجمع الزوائد ج٧ وج٩، وتحفة الأحوذي ج١٠، ومسند أبي داود الطيالسي، وصحيح ابن حبّان ج١٥، والمعجم الأوسط ج٨، والطبقات لابن سعد، والكامل لابن عدي، وتاريخ دمشق لابن عساكر وهكذا.

(٢) العبارة بين القوسين من المترجم.

عندهم وهما قتلا بأيدٍ مسلمة، وكذلك عليّ عليه السلام من العشره وقتل بسيف المسلمين.

جواب آخر: والحديث مخالف لكتاب الله تعالى حيث قال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾[1]. أجمع المفسّرون على سبب نزول هذه الآية عن عبدالله بن عبّاس[2] أنّ النبيّ ركب حماراً وأتى محفلاً من محافل الأنصار، فبال الحمار، فخمر عبدالله بن أبي سلول أنفه وقال: أبعد عنّا حمارك فقد آذتنا رائحة بوله، فقال عبدالله بن رواحة: حمار رسول الله أفضل منك وبوله أطيب ريحاً من طيبك، فغادر النبيّ المكان واشتبك الأوس والخزرج بالأيدي والنعال وجريد النخل، فكانت فتنة عظيمة حتّى جاء النبيّ صلى الله عليه وآله وأصلح بينهم[3].

[حديث آخر]

روى البخاري عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبيّ صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) لم أعثر على من أخرجها عن ابن عبّاس، إنّما هي مرويّة عند العامّة عن أنس بن مالك، راجع البخاري ٣: ١٦٦؛ مسند أحمد ٢: ١٥٧ و٣: ٢١٩؛ صحيح مسلم ٥: ١٨٣؛ السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٧٣ وكلّ هؤلاء حذو حذو البخاري في السياق إلّا من صرّح باسم عبدالله بن رواحة.

(٣) نقل القضيّة في صحيح البخاري هكذا: حدّثنا المعتمر قال: سمعت أبي أنّ أنساً رضي الله عنه قال: قيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: لو أتيت عبدالله بن أُبي، فانطلق إليه النبيّ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلمّا أتاه النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: إليك عنّي، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وآله أطيب ريحاً منك، فغضب لعبدالله رجل من قومه فشتما فغضب لكلّ واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والنعال والأيدي، فبلغنا أنّها أُنزلت «وإن طائفتان ...» الآية.

في هذا المال وإنّي والله لا أُغيّر شيئاً من صدقة رسول الله.

إلى أن قالت: فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبيّ ﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر، وصلّى عليها، وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا لا يأتنا أحد معك كراهيّة أن يحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك(١).

الجواب: لا تخفى عصمة الزهراء وصدق لهجتها وطهرها على أحد في العالم، بحيث روى عماد الدين «شفروه»(٢) وهو حنفيّ المذهب عن عائشة أنّها إذا ذكرت فاطمة بنت النبيّ ﷺ، قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة برسول الله ﷺ منها إلّا أن يكون هو الذي ولدها.

ثمّ قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها.

وقال: فاطمة بضعة منّي، يسرّني ما سرّها ويؤذيني ما آذاها.

وبناءاً على هذا لا يجوز الكذب على فاطمة وردّها مع طهارتها وعصمتها، وغضبها عليه إلى أن ماتت دليل على أنّه كان ظالماً لها وكانت هي مظلومة.

وقول أبي بكر: يابنة رسول الله، لبس الحقّ عليك وتصديقه على هذا القول إيذاء لفاطمة مع كونها مظلومة، نعوذ بالله من إيذائها.

---

(١) البخاري ٥: ٨٢.

(٢) كثير من الأعلام التي توجد في الكتاب مصحّفة وإنّي أعتذر إلى القارئ من عدم التتبّع لتصحيحها لعدم وجود الظرف المناسب والوقت الكافي، وترجم لشفروه أحمد الحسيني في تراجم الرجال ١: ٢٣٤ وغيره من أصحاب الفهارس.

وكذلك ذكر عماد الدين أنّ عائشة أقبلت تعود فاطمة في مرض موتها فلم تأذن لها، وأرسلت إلى أسماء بنت عميس أن لا تدعها تدخل.

وأورد مخلص الدين محمّد بن معمر في صدر مسند فاطمة عليها السلام أنّها من شدّة غضبها على عائشة أوصت بإخفاء قبرها لئلّا تقول عائشة أنّه بيتي وتدفن معها، ونهت ان يصلّي عليها أبوبكر، والعقلاء يعقلمون شدّة غضب الزهراء عليهم من فعلها هذا وعمق ما كانت تعانيه من الألم جرّاء ظلمهم لها من خلال وصيّتها.

وكلام البخاري يدلّ على أنّ فاطمة عليها السلام دفنت إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله.

والدليل على صحّة هذا الحديث ما كان يقوله أميرالمؤمنين عليه السلام لرسول الله في حال دفن فاطمة من حديث السرار، يقول في كلام طويل: ستنبّئُك ابنتك بتضافر أُمّتك على هضمها، فاحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر[1].

الجواب الآخر: كان عليّ عليه السلام من الخلفاء الراشدين فتخلّفه عن بيعة أبي بكر وتقاعسه عنها دليل على علمه بعدم أهليّته لها، لاسيّما والزهراء على قيد الحياة حيث كان يتقوّى بوجاهتها[2] ولمّا توفيت فاطمة خاف من الناس فبادر إلى البيعة. ويظهر من لفظ البخاري أنّ بين عليّ وبين عمر عداوة، وهو من ألدّ أعداء الإمام عليه السلام، ولو كانت خلافة الأوّل بالنصّ لما قعد عنها الإمام هذه المدّة، لأنّه جاء

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد: ٢٨٢؛ كتاب الأربعين لمحمّد طاهر القمّي الشيرازي: ١٨٩؛ حياة الإمام الحسن للقرشي ١: ٢٧٤؛ صحيفة الزهراء عليها السلام للقيّومي: ٣٠.

(٢) هذا كلام بالهراء أشبه، وكان على المؤلّف أن ينظر فيه هل يصدق بحقّ عليّ عليه السلام صاحب الحقّ المنصوص عليه والذي تواليه الأُمّة الإسلاميّة يومذاك كلّها إلّا خفتة من الناس يقودهم حزب المهاجرين فما حاجته إلى أن يتقوّى بأحد وإن كانوا ملائكة السماء وهو صاحب النصّ والإمام المنصوب على المسلمين.

في كتب أهل القبلة وعلماء الإسلام عن عليّ عليه السلام أنّه لم يتقاعس عن نصّ نصّه رسول الله بحال من الأحوال في يوم من الأيّام بل كان السابق على كلّ أحد في قبوله وتنفيذه، وهذه الرواية التي رواها المخالف تدلّ على ذلك: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ. فينبغي أخذ النتيجة من هذه المقدّمات وهي أنّ ما فعله عليّ هو الحقّ وخلافة أبي بكر باطلة.

ولو كانت الخلافة بالإجماع فإنّ بني هاشم ـ والحمد للّه والمنّة له ـ لم يكونوا مجهولين ولا مغمورين إلى الدرجة التي يجوز تجاهلهم بل كانت لهم الشهرة والتقدّم بحسبهم ونسبهم وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وعلوّ مناصبهم، وكانوا بجملتهم علماء عباداً، ولم يكونوا بمعزل عن الأحداث لكي يجوز نبذهم وتنحيتهم بل كانوا يطمعون بإسناد الحلّ والعقد إليهم وأنّهم كانوا من أكابر المهاجرين، ولمّا لم يحضروا الاجتماع فذاك دليل على عدم الإجماع، على أنّه لم يحضر الخزرجيّون بأجمعهم ذلك الاجتماع ولم يبايعوا الأوّل وهم عمدة الأنصار.

يقول البخاري في حديثه عن أبي هريرة: أما إنّي سمعت رسول الله يقول: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، وإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم نسكاً وزهداً وبرّاً فعليكم به.

وفي رواية أُخرى: من سرّه أن ينظر إلى شبيه عيسى بن مريم خلقاً وخلقاً فلينظر إلى أبي ذر(١).

وإذا كان أبوذر بهذه الصفة فإنّ عثمان أخرجه من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنّه لم يوجّه إليه تهمة في حضور المهاجرين والأنصار، وكانوا جميعاً على علم بدرجة

---

(١) كنى البخاري عن عبدالله بن عمر: ص٢٣؛ المستدرك عن أبي الدرداء ٣: ٣٤٢؛ المعجم الأوسط ٥: ٢٢٣؛ تفسير القرطبي ١: ٣٦.

زهده والاحترام الذي كان يحضى به من شخص النبيّ ﷺ وفي حقّه نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[1].[2]

روى البخاري عن رسول الله ﷺ قال: يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي فيحلئون عنه[3] فأقول: يا ربّ (إنّهم) أصحابي، فيقول ـ إنّك .. البخاري ـ لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري ..[4].

فلم يكذب ـ وحاشاه ـ رسول الله، فلابدّ من قتلهم عليّاً يوماً وإيذائهم سلمان، ونفيهم أباذر.

وكذلك يروون عن النبيّ ﷺ بأنّه قال: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم[5].

ولمّا كان الصحابة قد ظلموا أهل البيت وآذوا صلحاء الأصحاب، اختصّ حديث «أصحابي النجوم» بهؤلاء[6] كما اختصّ الحديث الأوّل بالمؤذين والظالمين من هذه الطائفة.

---

(١) الأنعام: ٥٢.

(٢) لم أجد من قصّر نزولها على أبي ذر بل لم يسمّه أحد من المفسّرين في الضعفاء الذين نزلت الآية فيهم.

(٣) فينهون عنّي ـ المؤلّف.

(٤) صحيح البخاري ٧: ٢٠٨.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٨؛ لسان الميزان ٢: ١١٨ و١٣٧: من اقتدى بشيء منها اهتدى، وقال: أخرجه الدارقطني من غرائب مالك والخطيب في الرواة عن مالك ـ إلى أن قال: ـ ورواته مجهولون.

(٦) على تقدير صحّته ولكنّه موضوع، وهذه من مصائبنا حيث نأتي إلى كذب القوم فنوجد له الوجوه والتأويلات.

حدّث أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل(١) قال: عن ابن عبّاس: لمّا اشتدّ بالنبيّ ﷺ الوجع، قال: ايتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجه وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال رسول الله ﷺ: قوموا عنّي ولا ينبغي عندي تنازع، فخرج ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة ما حال بين رسول الله وبين كتابه. وفي رواية أُخرى، فقالوا: ما شأنه أهجر واستفهموه(٢).

وقالوا عن النبيّ ﷺ أنّه قال: إنّ في الأُمم لمحدّثين لمروّعين كملهمين، وإنّ عمر منهم(٣).

وروي أنّ الحقّ لينطق على لسان عمر(٤).

والجواب مشهور وهو أنّ عمر قال: إنّ الرجل ليهجر، وروي: يهذي، والعقلاء يدركون أنّ طلب النبي الدواة والكتف ليكتب كتاباً لن يضلّوا بعده ليس هذياناً

---

(١) لا ينبغي أن يذكر هذا الخبيث بكلمة إطراء وإن كانت بالكنية واللقب.

(٢) هذا الحديث يثبت كفر عمر لعنه الله، وقد تواتر وروده عن النبيّ فلا سبيل إلى إنكاره أو تضعيفه، مِن ثَمّ ترى القوم وقعوا على باقعة منه لذلك راحوا يرقصون الكلمة التي قالها عمر: النبيّ يهجر، ويحوّلونها إلى مختلف الصيغ فما تأتى لهم، وثبت كفر ابن الزانية لعنه الله الذي صار السبب الأكبر في تفرّق المسلمين أمس واليوم.

وراجع للحديث الكتب التالية: البخاري ١: ٣٧ و٥: ١٣٨ و٨: ١٦١؛ مسند أحمد ١: ٣٢٥؛ مقدّمة فتح الباري: ٣٠٧ وقال: القائل عمر (لعنه الله)؛ الطبقات ٢: ٣٤٤؛ البداية والنهاية ٥: ٢٤٧؛ الشفاء لعياض ٢: ١٩٢؛ السيرة النبويّة لابن كثير ٤: ٤٥١؛ وأخرجه مسلم صاحب الصحيح أيضاً.

(٣) المستصفى للغزالي: ١٧٠، وراجع خلاصة عقبات الأنوار ٣: ١١٨ فلقد أفاد وأجاد وبلغ أقصى المراد.

(٤) نيل الأوطار ٨: ٢٣٣؛ مسند أحمد ١: ١٠٦: السكينة تنطق، و٢: ٥٣ و٥: ١٤٥ و١٦٥ و١٧٧؛ سنن ابن ماجة ١: ٤٠؛ سنن أبي داود ٢: ٢٠؛ المستدرك ٣: ٨٧؛ السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٢٩٥؛ مجمع الزوائد ٩: ٦٦ و٦٧؛ فتح الباري ٧: ٤١؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١١٦؛ عون المعبود ٨: ١٢٦ وكتب أُخرى كثيرة.

ولو كان الحقّ ينطق على لسان عمر لما تفوّه بهذه الكلمة، هذا أوّلاً.

وأمّا ثانياً: فإنّه خالف النبيّ وردّ عليه بقوله: حسبنا كتاب ربّنا، وهذا من طراز قول الخوارج: لا حكم إلّا للّه، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: كلمة حقّ يراد بها باطل.

وقال الله تعالى: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (١) ويقولون: إنّه يهجر ويهذي.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ (٣).

إنّ الاستماع لهذه الآيات والعمل بهنّ واجب، ولو كان عمر ينطق بالحقّ فكيف ردّ على رسول الله حتّى أغضبه وكثر اللغط عنده وهو مسجّى، وأخرجهم من عنده بقوله: قوموا عنّي ؟!

وقال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) وقال: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٥) فلو كان عمر وأصحابه مؤمنين لما طردهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعمل عمر وأصحابه بخلاف قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (٦) فقد تجرّؤوا على مقام النبوّة، واستعملوا قلّة الأدب، ومنافاة اللياقة، وشغلوا النبيّ وهو في ساعة حرجة حتّى طردهم عنه بقوله: قوموا عنّي، وكثر الكلام واللغط في مجلس النبيّ.

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) الأنفال: ٢٤.

(٤) الشعراء: ٢١٥.

(٥) الأنعام: ٥٢.

(٦) الحجرات: ٢.

وذكر مخلص الدين محمّد بن معمر الاصفهاني والترمذي والقزويني وأمثالهم أنّ النبيّ ﷺ قال: لا ألقينّ أحدكم متّكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري[1] ممّا أمرت به أو ممّا نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه..[2].

وهذا الحديث مكذّب قول عمر، فتبيّن أنّ الحقّ لم ينطق على لسانه. ثمّ إنّ كتاب الله ليس غنيّاً عن البيان ففيه الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمجمل، والعام والخاص وأمثال ذلك، فكان على النبيّ بيانه، فكيف يقولون: لا نريد قول رسول الله ويردّونه وينكرونه ؟!

جواب آخر: وقع نزاع بين القوم، وكان حكم الله غالباً عليهم وحكم رسول الله ﷺ ولكن عمر لمّا رمى رسول الله بالهجر فكيف يتّفق مع حكم الله القائل: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[3].

---

(١) ممّا أمرت به ـ المؤلّف.

(٢) الشافعي في الأم ٧: ١٦ ط دار الفكر ـ بيروت، أُولى ١٤٠٠، وص٣٠٣؛ الرسالة، له: ص٨٩ و٢٢٦ و٤٠٣؛ المسند له أيضاً: ص ١٥١ و ٢٣٤؛ مسند أحمد ٢: ٣٦٧ وسياقه مختلف، وص٤٨٣ و٤: ١٣١ و١٣٢ و٦: ٨؛ سنن الدارمي ١: ١٤٤؛ سنن ابن ماجة ١: ٦ و٧ و ١٠؛ سنن أبي داود ٢: ٤٥ و٣٩٢؛ سنن الترمذي ٤: ١٤٤؛ المستدرك ١: ١٠٨ و ١٠٩؛ سنن البيهقي ٧: ٧٦ و٩: ٣٠٤ و ٣٣١ و٣٣٢؛ مجمع الزوائد ١: ١٥٤ و ١٥٥؛ تحفة الأحوذي ٧: ٣٥٤ و ٣٥٥؛ عون المعبود ١٢: ٣٣٢ و٣٣٣؛ جزء الأشيب للأشيب البغدادي: ٧٣، ط دار علوم الحديث ـ الأمارات ـ دبي، أُولى ١٤١٠ هـ؛ مسند الحميدي ١: ٢٥٢؛ الآحاد والمثاني ٣: ٤٥.
مسند أبي يعلى ٣: ٣٤٧؛ شرح معاني الآثار لابن سلمة ٤: ٢٠٩؛ صحيح ابن حبّان ١: ١٨٩؛ المعجم الأوسط ٧: ١٨٥ و٨: ٢٩٢ و ٣٥١؛ المعجم الكبير ١: ٣١٦ و٣٢٧ و٤: ١١١ و١٨: ٢٥٨ و٢٠: ٢٧٥ و٢٨٣؛ مسند الشاميين ١: ٤٠١ و٢: ١٣٧ و٣: ١٠٣ و١٣٨، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت، تحقيق السلفي، الثانية ١٤١٧؛ سؤالات حمزة الدارقطني: ٥؛ سنن الدارقطني ٤: ١٩٠ و١٩١؛ كفاية الخطيب: ٢٣، وما أعرضنا عنه من الكتب أكثر.

(٣) النساء: ٦٥.

[حديث آخر]

حدّث البخاري فقال: جاء رجل من أهل مصر حجّ البيت فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر. قال: يابن عمر، إنّي سائلك عن شيء فحدّثني عنه، هل تعلم أنّ عثمان فرّ يوم أُحد؟ قال: نعم. قال: تعلم إنّه تغيّب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنّه تغيّب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أُبيّن لك؛ أمّا فراره يوم أُحد فأشهد أنّ الله عفى عنه وغفر له، وأمّا تغيّبه عن بدر فإنّه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: لك أجر رجل ممّن شهد بدراً وسهمه، وأمّا تغيّبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكّة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكّة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان، فقال له ابن عمر: اذهب (به) الآن (معك)(١).

الجواب: أورد عماد الدين شفروه الاصفهاني اعتراضاً على هذا القول:

الأوّل: إنّ ابن عمر لم يؤيّد قوله في جوابه للمصري بحجّة من القرآن أو الأخبار ولم يشهد له شاهد عدل ولا غير عدل، فكلامه المجرّد من ذلك لا حجّة فيه على أمر من أُمور الدين.

والثاني: إنّ عثمان مختار أبيه ومرضيه لسرير الخلافة فكان عليه تعديله في كلّ حين أمام المهاجرين والأنصار لتصويب رأي أبيه فيه وهذا الأمر من جملة لوازم

---

(١) البخاري ٤: ٢٠٣ و٥: ٣٤.

النبوّة حيث لا يمكنه الرضا بتلويث ساحة أبيه باختيار رجل له هذه المساوي وهذه جبلّة بشريّة وطبيعة إنسانيّة، ولمّا وقع أبوه موقع التهمة فما عليه إلّا ردّها بتزكية عثمان.

يقول عماد: سألت الشيخ رشيد الدين عبدالله بن محمّد بن عبدالواحد بن أبي سعد المدني: كيف جرى على عثمان ما جرى مع حضور المهاجرين والأنصار فلم ينكروا ذلك لا باللسان ولا باليد، ولم يمدّه منهم أحد إلى الحدّ الذي سمعتك ذات يوم أنت الخواجه رشيد الدين عبدالله تقول: كان عليّ حاضراً في المسجد يفتي الناس فسمع ضجّة مرتفعة فسأل: ما الذي جرى؟ قالوا: قتل عثمان، فقال عليّ: قُتل، ومضى في كلامه من غير اكتراث منه ولا اعتراض له عليه، ولم يلتفت إليه.

فقال الشيخ عبدالله: لقد غالطت كثيراً يا عماد، لكن ألا تعلم بأنّ أهل الكوفة كتبوا كتاباً يوم خروج عائشة إلى عليّ عليه السلام وأرادوا منه ايضاح السبب عمّا ألمّ بعثمان وسألوا عن حال قتلته.

فقال عماد: قلت له: بلى أعرف ذلك وقد كتب إليهم أميرالمؤمنين كتاباً كما يلي:

أمّا بعد، فإنّي أُخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه، إنّ الناس طعنوا عليه وكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقلّ عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فلتة غضب فأُتيح له قوم قتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيّرين، واعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها، وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فأسرعوا إلى أميركم وبادروا جهاد عدوّكم[1].

فقال الشيخ رشيد الدين المدني: يجب عليّ رعاية لحقّ الصحبة وأداءً لحقّ

---

(١) بحار الأنوار ٣٢: ٨٤.

الخدمة أن أُزيل هذه الشبهة عن ذهنك، اعلم أنّ الشيخ مخلص الدين محمّد بن معمر ذكر في جامع العلوم أنّ عثمان صدرت منه أمور وجبت قتله، بهذه العبارة: نعم كانت لها أسباب وإنّ ممّا نقموا على عثمان حركات عشراً منكرات:

الأُولى: ضرب عبدالله بن مسعود.

الثانية: ضرب عمّار ضرباً مبرحاً حتّى أُغمي عليه.

الثالثة: إعطائه مروان خمسمائة ألف درهم.

الرابعة: نفي أبي ذر إلى الربذة.

الخامسة: إقطاع السنّة.

السادسة: إعطاء الحكم بن العاص مأة ألف درهم مرّة واحدة.

السابعة: تولية الوليد أخيه من أُمّه على الكوفة.

الثامنة: جمعه المصاحف من أطراف المدينة وأكنافها وحرقها.

التاسعة: كان الوليد مدمناً على الشراب إلى الحدّ الذي صلّى بهم صلاة الصبح أربع ركعات، ولمّا سلّم أقبل على المصلّين وقال: أزيدكم؟ وقالوا: لمّا افتتح الصلاة وشرع بقرائة الحمد لم يدر ما يقول ثملاً، فقال:

عشق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

فلمّا سلّم قال: لأزيدنّكم فإنّي طرب، وهذا الوليد هو الذي نزل في حقّه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ [(١)] والآية: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾ [(٢)].

العاشرة: وكان من ذنوب عثمان إرجاعه مروان وأباه الحكم طريدي رسول الله وأبي بكر وعمر، وقد أبعدهما الرجلان عشرين فرسخاً أُخرى إضافة على مكان

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) السجدة: ١٨.

نفيهما اقتداءاً برسول الله ﷺ ومروان ابن عمّ عثمان فردّهما وفوّض إليهما شئون الإسلام والمسلمين وولّاهما على المهاجرين والأنصار، وأعطى وزارته إلى مروان، وكان يستصوب رأيه ويعمل به، فكان مروان يقدّم من أخّره رسول الله ويؤخّر من قدّمه، ويهين صلحاء الصحابة ويذلّهم، ويعظّم الفسّاق ويوقّرهم، ويستهزئ بالدين والشريعة.

وكان السبب في ضرب عمّار أنّ عثمان قال ذات يوم: إنّ الرسول كان يؤثر قريشاً على سائر الناس إشعاراً بأنّ بني أُميّة منهم، فردّ عليه عمّار وقال: ليس الأمر كما تقول، فضربه على هذا ضرباً مبرحاً وركله برجله حتّى ظنّوه قد مات.

وأمّا كيفيّة قتله فقد كان ابن أبي سرح والياً من قبل عثمان على مصر وكان أخا عثمان من الرضاعة، فأظهر الظلم بين الناس وعمل بالجور فيهم، فجاء رجل إلى عثمان يتظلّم، فأرسل إليه عثمان توبيخاً شديد اللهجة، فلم يحدّ من سلوكه السيّئ حتّى قتل أحد المتظلّمين، وضرب آخرين تأديباً لهم.

فخرج من مصر سبعمائة شخص وقصدوا المدينة وعليهم عبدالرحمان بن عديس البلوي وعمرو بن الحمق الخزاعي وكنانة بن بشر الكندي وسوار بن حمران المرادي، فبلغوا المدينة والصلاة قائمة، وتظلّموا كثيراً وشنّعوا على واليهم ابن أبي سرح وتوسّلوا بأميرالمؤمنين عليه السلام وعائشة، فقبل عثمان شفاعتهم وقال لعليّ عليه السلام: قل لهم يختاروا لولايتهم من أحبّوا لكي أُولّيه، فاختار المصريّون محمّداً ابن أبي بكر، فولّاه عثمان على مصر وتوابعها، وأمر جماعة من المهاجرين والأنصار بالذهاب مع محمّد إلى مصر ليقفوا على جلية الحال وصحّة ما يقال، من شكواهم من ابن أبي سرح، فخرج المصريّون من المدينة مع محمّد بن أبي بكر، فلمّا ساروا ثلاثة أيّام بلياليها شاهدوا راكباً مضطرباً على هيئة الهارب وكأنّه يطلب شيئاً ضيّعه، فسألوه عمّن أرسله، فكان يقول: أرسلني عثمان، وأحياناً يقول مروان،

فعرفوا أنّ في الأمر سرّاً، فقالوا له: إلى أيـن أنت ذاهب؟ فـقال: أذهب إلى والي مصر. فقالوا: تركت الوالي بالمدينة؟ قال: أنا ذاهب إلى الوالي القاطع لا إلى الوالي الجديد. فقالوا: هل معك كتاب؟ قال: كلّا، ففتّشوه فعثروا معه على رسـالة قـد خبأها في شنّ بالية، والرسالة على النحو التالي:

من عثمان إلى ابن أبي سرح، إذا أتاك محمّد بن أبي بكر فاحتل بقتله وأبطل كتابه وقُرّ على عملك واحبس المتظلّمين حتّى يأتيك.

ولمّا قـرأ المـصريّون الكـتاب عـادوا إلى المـدينة فـوراً ودفـعوا الكـتاب إلى أميرالمؤمنين، فبعث بالكتاب إلى عثمان، فقال: الختم ختمي، والله مـا كـتبت ولا أمليت ولا أمرت ولا ختمت.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ النـاس أرسـلوني إليك، وقـد اسـتفسروني بـينك وبينهم، فوالله ما أدري ما أقول لك؟ ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلّك على أمـر لا تعرفه، إنّك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خـلونا بـشيء فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمـعنا، وصـحبت رسـول الله صلى الله عليه وآله كـما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب أولى بعمل الحقّ منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله (الله) في نفسك، فإنّك والله ما تبصر من عمًى ولا تعلم من جهل، وإنّ الطرق لواضحة، وإنّ أعلام الدين لقائمة، فاعلم أنّ أفضل الناس عند الله إمام عادل هدي وهدىٰ، فأقام سنّة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإنّ السنن لنيّرة لها أعلام، وإنّ البدع لظاهرة لها أعلام، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به، فأمات سـنّة مأخـوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإنّي سمـعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنّم (فـ) يدور فيها كما يدور الرحى،

ثمّ يهبط(١) في قعرها، وإنّي أُنشدك الله أن لا تكون إمام هذه الأُمّة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الأُمّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أُمورها عليها، ويبثّ الفتن عليها(٢) فلا يبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً فلا تكوننّ لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وتقضّي العمر(٣).

ولمّا فشا أمر الكتاب بين الناس أقبل مالك الأشتر ومعه مئتان من أهل الكوفة ومثله فعل حكيم بن جبلة، وحاصروا منزل عثمان ومنعوه من حضور الصلاة، فاستناب عنه في الصلاة أبا هريرة، وتارة يخلفه ابن عبّاس، وأُخرى أبو أيّوب، ومنعوه من الماء العذب(٤) فإذا أُرسلت إليه قربة ماء تدافع الناس لمنعها، من ثمّ يصاب بالجروح جماعة ممّن هم على الباب لاسيّما الأمويّون والهاشميّون.

ولمّا اشتدّ عليه الحصار استدعى الإمام أميرالمؤمنين الحسنين عليهما السلام وقال: اذهبا بسيفكما حتّى تقوما على باب عثمان لامعان (كذا) الناس عنه(٥)، وأرسل طلحة

---

(١) يرتبط ـ النهج.

(٢) فيها ـ المؤلّف.

(٣) نهج البلاغة، باب الخطب، ص٦٨.

(٤) أقول: هذه كذبة أمويّة إذ أنّ وضع المدينة ليس كوضع المدن المبنيّة على الأنهار، إنّما تشرب المدينة من مياه الآبار، وكان يومئذٍ أكثر بيوتها تحتوي على آبار داخلها تشرب منها وتقضي بها حاجاتها الأُخرى، وبيت عثمان وهو بيت الخليفة وفيه من السكّان ما لا يوجد في البيوت الأُخرى وهو من البيوت الكبرى يومئذٍ فلو خلت البيوت جميعها من الآبار فليس من المعقول أن يخلو بيت عثمان منها، وأيضاً لو صحّت هذه الفرية لعطش معه كلّ من يضمّه الحصار ولكنّنا لا نسمع إلّا بعطش عثمان ممّا يدلّ على أنّها فرية يراد منها جلب عطف الناس عليه، وأكثر الناس ومنهم المؤلّف غابت عنهم هذه الحقيقة.

(٥) جرى للكلمة تصحيف وأحسبها «لمنع الناس» وجاءت الجملة هكذا: فلا تدعا أحداً يصل ←

والزبير جماعة من الأصحاب مدداً لعثمان[1] ولكن أصحاب الحصار منعوهم من الوصول إليه، وأحدثوا ثقباً في جدار بيته وكسروا بابه وقتلوه، وقتلوا عبدالله بن عامر بن كريز خال عثمان والي البصرة الأهواز وخوزستان، وكان من أشدّ الظالمين عتوّاً، وأوشك على تدمير البلاد.

وأمّا شأن أبي ذر فقد كان في الشام في خلافة عثمان، فبنى معاوية الخضراء في دمشق، وجاء بأبي ذر إليها، فلمّا دخلها قال له معاوية: يا أباذر، كيف ترى ما هاهنا؟ فقال أبوذر: إن بنيتها من مال الله فأنت من الخائنين، وإن كنت بنيتها من مال نفسك فأنت من المسرفين، فلم يرض قوله معاوية فشكاه إلى عثمان، فبعث إليه عثمان أن أرسله إليّ، ولمّا قدم المدينة ورأى ما عليه مروان من الجرأة والتحكّم والاستبداد في أُمور الدين والشريعة، شرع بنصيحته وملامته وأكثر من ذلك، فشكاه إلى عثمان، فأمر عثمان بنفيه إلى الربذة، ولمّا أخرجوه خرج عليّ لوداعه وقال:

يا أباذر، إنّك غضبت للّه فارجُ من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عمّا منعوك، وستعلم من الرابح غداً والأكثر حسداً، فلو أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبدٍ ثمّ اتقى الله سبحانه لجعل الله له منها مخرجاً، لا يؤنسنّك إلّا الحقّ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل، فلو

➲ إليه.. أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة ١: ١١٧ مرتضى العسكري، وهذه كذبة أُخرى فليس من المعقول أن يحول سيفان بين عثمان وبين مئات السيوف المسلولة عليه.

(١) كيف يعقل هذا وهما اللذان أجلبا عليه وهيّجا هذه الفتنة ومنعا من دفنه، والمعروف تاريخيّاً أنّ مروان قتل طلحة ثاراً بعثمان.

قبلت دنياهم لأحبّوك، ولو قرضت منها لأمنوك(١).(٢)

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في أبي ذر أقوالاً كثيرة، منها قوله: أبوذر وعاء علم أوكأ فلم يخرج منه شيء حتّى قبض.

روى عماد الدين شفروه بأسانيد صحيحة عن ابن عبّاس أنّه كان حاضراً في مجلس معاوية فأقبل مروان وقال: اقض حوائجي يا أميرالمؤمنين، فوالله إنّ مؤونتي لعظيمة، إنّي أصبحت أبا عشرة وأخا عشرة وعمّ عشرة، فلمّا خرج مروان من عنده قال معاوية: يابن عبّاس، أما تعلم أنّ رسول الله قال: فإذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا أموال الله بينهم دولاً وعباده خولاً وكتابه دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من الثمرة؟ قال ابن عبّاس: اللهمّ نعم(٣).

ثمّ قال معاوية: أُنشدك الله يابن عبّاس، إنّ رسول الله ذكر هذا ـ يعني مروان ـ

---

(١) لقتلوك ـ المؤلّف.

(٢) نهج البلاغة، الخطب، ص١٣، والخطأ من الناسخ إذ لا معنى لقوله: قتلوك، ولكن المؤلّف ترجمها إلى هذا المعنى.

(٣) الحديث أخرجه أكثر الحفّاظ من الفريقين ولكنّ صيغه مختلفة، ففي الاحتجاج: إذا بلغوا ثلاثمائة وعشراً حقّت اللعنة عليهم ولهم، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وخمسين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة (١: ٤١٠)؛ العمدة لابن البطريق: ٤٧٢؛ البحار ١٨: ١٢٦ وهو أقرب إلى سياق المؤلّف؛ مجمع الزوائد ٥: ٢٤٣؛ المعجم الكبير ١٢: ١٨٣: أسرع من الثمرة.. الخ؛ المعجم الكبير ١٩: ٣٨٢؛ كنز العمّال ١١: ١٦٥ رقم ٣١٠٥٦: لوك تمرة... ١١: ٣٦١: أسرع من لوك التمرة، وفي لفظ: لوك تمرة؛ تفسير نور الثقلين ٥: ٦٢٣؛ تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ١٢٦: كان هلاكهم أسرع من التمرة، ٥٧: ٢٥٢؛ كتاب الفتن للمروزي: ٧٣؛ البداية والنهاية ٦: ٢٧٢: لوك ثمرة، ٨: ٢٨٤: لوك تمرة، ١٠: ٥٢: لوك تمرة؛ الطبرسي في إعلام الورى ١: ٩٨؛ سبل الهدى والرشاد ١٠: ٩٠؛ صحيفة الإمام الحسن: ٢٥٦.

فقال: أبو الجبابرة الأربعة(١)؟ قال عبدالله بن عبّاس: اللهمّ نعم.

وأُسر مروان يوم الجمل فتشفّع فيه الحسنان عليهما السلام فقبل شفاعتهما وأطلق سراحه، فقال الحسنان عليهما السلام: يا أميرالمؤمنين، يريد أن يبايعك! فقال: أولم يبايعني بعد قتل عثمان فإنّه كان بايعه مع طلحة والزبير، لا حاجة لي في بيعته، إنّها يد يهوديّة، ولو بايع بيده لغدر، أما إنّه له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأُمّة منه موتاً أحمر، ولكنّي لا أُحبّ أن تلي هذه الأُمّة سفهائها وفجّارها فيتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً، والصالحين حرباً(٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت بني مروان يتعاورون على منبري فسائني ذلك(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت في النوم بني الحكم أو بني العاص ينزون على منبري كما ينزو القردة والخنازير. قال: فأصبح كالمتغيّض، فما رؤي رسول الله مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتّى مات. وهذا الحديث من رواية المخالفين(٤).

---

(١) مجمع الزوائد ٥: ٢٤٣؛ المعجم الكبير ١٢: ١٨٣ و١٩: ٣٨٣؛ كنز العمّال ١١: ٣٦١ رقم ٣١٧٤٥؛ النزاع والتخاصم: ٨٤ مضافاً إلى الكتب السالفة.

(٢) العجيب من المؤلّف أنّه ترجم قول الإمام عليه السلام: «له إمرة» فقال: «آگاه باش كه مرا او را زنى است» فظنّه يقول امرأة، ولم يدرك أنّ ذكر المرأة هنا لا معنى له وإنّما يريد الإمام إمارته التي لم تتجاوز الستّة أشهر فهي كلعقة الكلب.

(٣) مجمع الزوائد ٥: ٢٤٤؛ فتح الباري ٨: ٣٠٢ بدون حرف جرّ؛ المعجم الكبير ٢: ٩٦ يتعاورون منبري وفيه تتمّة موضوعة لحساب بني العبّاس؛ تفسير الميزان ١٣: ١٤٩؛ الدرّ المنثور ٤: ١٩١؛ تاريخ مدينة دمشق ٥٧: ٣٤٠: يتعاورون على منبري؛ سبل الهدى والرشاد ٣: ٦٨ و١٠: ٩٠ وفيه التتمّة الموضوعة، ومعنى يتعاورون: أي يختلفون ويتناوبون، كلّما مضى واحد خلفه آخر، راجع نهاية ابن الأثير ولسان العرب.

(٤) مسند أبي يعلى ١١: ٣٤٨؛ كنز العمّال ١١: ١١٧ رقم ٣٠٨٤٥، وص١٦٥ و١٦٧ و٣٥٨؛ تاريخ ←

حكاية: روى البخاري عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ مات وأبوبكر بالسنح يعني بالعالية، قال عمر: يقولون مات رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله ما مات رسول الله ﷺ، وقال عمر: ما كان يقع في نفسي إلّا ذاك، وليبعثنّه الله فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبوبكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبّله فقال: بأبي أنت وأُمّي طبت حيّاً وميّتاً، والذي نفسك بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثمّ خرج وقال: أيّها الحالف، على رسلك، فلمّا تكلّم أبوبكر جلس عمر فحمد الله أبوبكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لم يمت، وقال: إنّك ميّت وإنّهم ميّتون، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[1].[2]

فنشج الناس يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبوبكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وعبيدة بن الجرّاح، فذهب عمر يتكلّم فأسكته أبوبكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلّا أنّي قد هيّأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبوبكر، إلى أن قال أبوبكر: نحن الأُمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر:

دمشق ٥٧: ٢٦٥ و٢٦٦؛ سير أعلام النبلاء ٢: ١٠٨؛ البداية والنهاية ٦: ٢٧٢ و٨: ٢٨٤؛ النزاع والتخاصم: ٨٢؛ سبل الهدى والرشاد ٧: ٢٦٥ و١٠: ٩٠.

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٩٣. وأسأل أصحاب الضمائر النقيّة: إذا كان أبوبكر بالسنح وهو يبعد عن المدينة بما يقرب من أربعة أميال أو أكثر فكيف صلّى في المسلمين في مرض النبيّ وزعم أبوبكر ابن مجاهد للرشيد أنّه صلّى ثمانية أيّام، هذا من جانب، ومن جانب آخر: أترى أنّ عمر لم يصدق بموت النبيّ؟ كلّا والله فكيف صدّق بموته يوم أُحد وهرب لا يلوي على شيء، بل أراد أن يوقع الناس في بلبلة حتّى يأتي صاحبه، ولا يحيق المكر السيّئ إلّا بأهله، إنّها مؤامرة دنيئة على أهل بيت النبيّ، لعن الله أطرافها بلعنة الأبد.

لا والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير. فقال أبوبكر: لا ولكنّا الأُمراء وأنتم الوزراء، هم المهاجرون والله أوسط العرب داراً وأقربهم أحساباً، فبياعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيّدنا وأحبّنا إلى رسول الله، فأخذه عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة(١).

الجواب: أقسم عمر أنّ رسول الله لم يمت مع علمه بموته، ولم يظهر على الناس اضطراب أو خلل ولا بد منهم مخاصم استحقّ اليمين من عمر لدرء الخطر فكان يمينه عبثاً لأنّه من دون ذريعة ولا سبب، حتّى قال له صاحبه: على رسلك أيّها الحالف، ثمّ كان الأمر يقتضيهم تأجيل الخلافة حتّى يجهّزوا النبيّ ويدفنونه ويحضرون تلك المشاهد المروعة مع الناس فإنّه أدعى إلى الاحترام وأكثر صوناً لشرف الإسلام والنبوّة.

وإذا كانت الخلافة هي حاجة الأُمّة ويخشى من تأخيرها وقوع الأُمّة في حيص بيص فكان النبيّ أولى منهم بذلك، وأحقّ بالقيام به رعاية للأُمّة لأنّها إرادة الله ورسوله.

والخصم يزعم أنّ النبيّ ما قام بنصب الإمام وبهذا يظهر أنّ الحاجة إليه مفقودة أو أنّ النبيّ أوكل الأمر إلى إجماع الصحابة. وإذا صحّ ذلك كان عليهم تأخير البتّ في أمر الخلافة حتى يحضر جماعة بني هاشم وباقي الخزرج إلى مسرح الاختيار ويتشاوروا فيما بينهم بحكم قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(٢) لأنّه عمل عظيم وحركة كبرى وما كان اتصال أثره ونفعه بالناس جميعاً وهو مؤسّس لصلاح العباد فينبغي أن تتكاتف الأيدي عليه ويجتمع الناس عليه خصوصاً من ذكرناهم.

---

(١) البخاري ٤: ١٩٣.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

ولمّا سارع القوم إلى ا هتبال الفرصة ولم يستشيروا أحداً في أمر الحكم ولم يستعينوا بأحد من بني هاشم أو الأخيار من صحابة الرسول، علمنا أنّهم بادروا إلى الفرصة ليغتنموها لأنّهم لو تمهّلوا فإنّها سوف تذهب من أيديهم وتضيع الخلافة منهم، وهذا هو الرأي الصحيح الذي عليه مذهب أهل البيت.

وخاف القوم من بني هاشم بعد فراغهم من تجهيز الرسول أن يظهروا في الساحة فلا تنتج خُطّتهم، من هنا اندلعت الفتنة فكانت منّا أمير ومنكم أمير، وقال أبوبكر: بايعوا سعداً، وقيل: قتل الله سعداً، وقيل «بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها»[(١)]، وقال أبوبكر: «أقيلوني ولسيت بخيركم».

إنّ هذا العمل المرتجل من غير أن يستشار فيه جماعة العقلاء أدّى إلى هذه الإفرازات السيّئة، وأنتج هذه الثمرة الخبيثة، ولمّا بلغ خبر السقيفة أميرالمؤمنين وهو منشغل بتجهيز رسول الله ﷺ وبلغته مقالة الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فقال: هلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول الله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم و«ماذا في هذه الحجّة عليهم»[(٢)] قال: لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصيّة بهم، أي لو كان يلون الخلافة والإمارة والوصاية ما أوصى بهم النبيّ لأنّ الشخص لا يكون وصيّاً من جهة ويوصى به من جهة أُخرى.

ثمّ قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة.

---

(١) القاضي المغربي، دعائم الإسلام ١: ٨٥؛ الاقتصاد للطوسي: ٢٠٨؛ صحيح البخاري ٨: ٢٦؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٦١٥؛ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١ و١٣: ٢٢٤ و١٧: ١٦٤ و٢٠: ٢١؛ الثقات لابن حبّان ٢: ١٥٦؛ اليعقوبي ٢: ١٥٨؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ١٢٧ و١٢: ٣١١؛ العدد القويّة لعلي بن يوسف الحلّيّ: ٢٨٦.

(٢) الظاهر أنّ هذه الجملة سؤال موجّه إلى أميرالمؤمنين ولكن المؤلّف أدخله ضمن قوله.. وفي خصائص الأئمّة للشريف الرضي: ٨٦، قالوا: وما في هذا من حجّة عليهم..؟ الخ.

ومذ تمسّك القوم بالصحبة، قال عليه السلام: أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة ؟!

وقال أيضاً لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونهم، وإن يكن لغيره فالأنصار على دعواهم[1]. ولأميرالمؤمنين في هذا الباب:

فإن كنت بالشورى ملكت أُمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غُيّب

وإن كنت بالقربى حججت خصومهم ... فغيرك أولى بالنبيّ وأقرب[2]

ولمّا بايع الناس أبابكر انحاز العبّاس وأبو سفيان[3] والزبير بن العوام إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقالوا: نبايعك والله أنت أولى بهذا الأمر، فقال عليّ عليه السلام: ما حال السقيفة ؟ قال: بويع أبوبكر، فقال عليه السلام: «اطّلع نجوم الفتى ..» أيّها الناس، شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة «وعرّجوا عن طريق المنافرة» وضعوا تيجان المفاخرة ـ ونكّبوا عن طريق المنافرة.. اليقين ـ أفلح من نهج بجناح أو استسلم فأراح (هذا) ماء آجن ولقمة يغصّ بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت أيناعها كالزارع بغير أرضه، فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت! هيهات بعد اللتيا واللتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمّه (لكن) بل اندمجت على مكنون علم لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطب، ص٣٣.

(٢) نفسه: ٤٢.

(٣) لم يكن أبوبكر معهم وجاء بآخره يستنهض الإمام للمطالبة فردّه لعلمه بسوء دخيلته وإنّه يبغي الغائلة وليس هدفه الحق.

(٤) اليقين للعلّامة الحلّي: ١٨٠.

وقال أبو سفيان: ما هذا إلّا خوفاً، والله لأملأنّها خيلاً ورجلاً، فقال عليّ عليه السلام: والله لقد علمتم أنّي أحقّ بها من غيري ووالله لأسلمنّ أُمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة ولا يعاب المرء بتأخّر حقّه وإنّما يعاب من أخذ ما ليس له.

ثمّ استقبل قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: بأبي أنت وأُمّي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوّة والأنباء وأخبار السماء، خصصت حتّى صرت مسلياً عمّن سواك، وعممت حتّى صار الناس فيك سواء، ولولا أنّك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشئون، ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً وقلالك، لكنّه ما لا يملك ردّه ولا يستطاع دفعه، بأبي أنت وأُمّي اذكرنا عند ربّك واجعلنا من بالك[(١)].

ثمّ بكى بكاءاً شديداً وقال: إنّ الصبر لجميل إلّا عنك، وإنّه قبلك وبعدك لجلل، ثمّ خرج العبّاس من عنده، فأقبلت قريش عليه وراحوا يسألونه، فقال:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ... عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن[(٢)]
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم ... وأعلم الناس بالآداب والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبيّ ومن ... جبريل عوناً له بالغسل والكفن
من فيه ما في جميع الناس كلّهم ... وليس في الناس ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّه عنكم لنعرفه ... ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٢٨.

(٢) نسبها في الإرشاد ١: ٣٢ لخزيمة بن ثابت الأنصاري. وفي النصّ والاجتهاد لعتبة بن أبي لهب: ٢٣، وفي طرق حديث الأئمّة لربيعة بن الحرث: ٤٤، وفي أُسد الغابة ٤: ٤٠ نسبها إلى الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب، ونسبها السيّد الجزائري رحمه الله في قصص الأنبياء إلى حسان.

حديث:

عن البخاري، عن عائشة: لمّا مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة، فأذّن، فقال: مروا أبابكر فليصلّ بالناس، فقيل له: إنّ أبابكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلّي بالناس، وأعاد، فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: إنّكنّ صويحبات يوسف، مروا أبابكر فليصلّ بالناس، فخرج أبوبكر فصلّى، فوجد النبيّ ﷺ من نفسه خفّة فخرج يهادي بين رجلين كأنّي أنظر رجليه يخطّان الأرض من الوجع، فأراد أبوبكر أن يتأخّر فأومأ إليه النبيّ ﷺ أن مكانك، ثمّ أتى به حتّى جلس إلى جنبه.

فقيل للأعمش: وكان النبيّ يصلّي وأبوبكر يصلّي بصلاته والناس يصلّون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم. (رواه أبو داود عن شعبة عن الأعمش بعضه وزاد ابو معاوية: جلس عن يسار أبي بكر فكان أبوبكر يصلّي قائماً)[1].

وفي رواية عبدالله عن عائشة: فخرج بين رجلين يخطّ رجلاه الأرض فكان بين العبّاس ورجل آخر، فسُئل عن عبدالله: من الرجل؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وعن البخاري عن مصعب بن سعد عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس نبيّ بعدي[2].[3]

الجواب: اعلم بأنّ هذا باطل من عدّة وجوه:

الأوّل: إنّ لعائشة عداوة ظاهرة مع عليّ عليه السلام والدليل على ذلك بأنّها أخفت اسمه

(١) البخاري ١: ١٦٢، نفسه ١: ٥٧ و١٦٢.

(٢) لا نبيّ بعدي ـ المؤلّف.

(٣) صحيح البخاري ٥: ١٢٩.

فلم تصرّح به كما صرّحت باسم ابن عبّاس، لبغضها إيّاه (لعنة الله عليها وعلى أبيها ـ المترجم) وعبّرت عنه برجل.

الثاني: لو لم تعاده لما ارتحلت الجمل وتخطّت المسافات من بلد إلى بلد ومن ولاية إلى أُخرى لحربه.

الثالث: كان بينها وبين فاطمة عليها السلام عداوة والدليل عليها أنّها صُدّت بواسطة أسماء لمّا جائت لعيادة فاطمة عليها السلام، ولم تأذن لها بالدخول فعادت أدراجها من حيث أتت، كما روى ذلك البخاري(١).

الرابع: كانت عائشة تؤذي النبيّ دائماً من أجل خديجة عليها السلام كلّما ذكرها النبيّ بخير كما ذكر ذلك في مصابيحهم(٢).

الخامس: ظلم أبوبكر فاطمة وغصب منها فدكاً وقدّم نفسه على عليّ عليه السلام

(١) أنقل لك ما عثرت عليه عند مولانا الأميني في الغدير ٧: ٢٢٨: فجائت تدخل فمنعتها أسماء، فقالت: لا تدخلي، فشكت إلى أبي بكر وقالت: هذه الخثعميّة تحول بيننا وبين بنت رسول الله، فوقف أبوبكر على الباب وقال: يا أسماء، ما حملك على أن منعت أزواج النبيّ أن يدخلن على بنت رسول الله وقد صنعت لها هودج العروس ـ أُنظر إلى هذا النذل يستكثر على ابنة رسول الله النعش والقصد منه صيانة جسمها الشريف أن لا يبدو للناظر، ألا لعنة الله عليه.. المترجم ـ قالت هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأمرتني أن أصنع لها ذلك. قال مولانا الأميني: راجع الاستيعاب ٢: ٧٧٢؛ ذخائر العقبى: ٥٣؛ أسد الغابة ٥: ٥٢٤؛ تاريخ الخميس ١: ٣١٣؛ كنز العمّال ٧: ١١٤؛ شرح صحيح مسلم للسنوي ٦: ٢٨١؛ شرح الآبي لمسلم ٦: ١٢٨٢؛ أعلام النساء ٣: ١٢٢١.

(٢) عن عائشة: إنّ رسول الله ذكر خديجة، فقلت: لقد أعقبك الله عزّ وجلّ من امرأة، قال عفان: من عجوزة من عجائز قريش من نساء قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر. قالت: فتمعّر وجهه تمعّراً ما كنت أراه إلّا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة حتّى ينظر أرحمة أم عذاب؟ ـ مسند أحمد ٦: ١٥٠؛ صحيح البخاري ٤: ٣٣١؛ صحيح مسلم ٧: ١٣٤؛ المستدرك ٤: ٢٨٦؛ سنن البيهقي ٧: ٣٠٧.

وعزله، وهذا بالضرورة يقضي على عائشة أن تجد لأبيها مخرجاً من هـذا المأزق بمثل هذه الأعذار، وربّما كانت تجرّ النار إلى قرصها فيما ترويه لأبيها وعنه كما قال ابوها في حقّ عليّ حين ردّ شهادته للزهراء بأنّه يجرّ النـار إلى قـرصه، وفي هـذه الصورة تكون دعوى النفع ألصق بعائشة لأنّها تدور بين النبوّة والأُبوّة وهي ثابتة لا تتغيّر بخلاف ما عليه الحال بين الزوج وزوجته، فإنّ العلاقة بينهما غـير ثـابتة فليس من البعيد أن تؤول إلى الفراق وبسهولة ويسر أيضاً(١).

ثمّ إنّ البخاري يقول: عن الزهري قال: قال الوليد بن عبدالملك أبلغك أنّ عليّاً كان فيمن قذف عائشة؟ قلت: لا ولكن أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبدالرحمان وأبوبكر بن عبدالرحمان بن الحارث أنّ عائشة قالت لهما: كـان عـليّ مسيئاً في شأنها وقولها في هذا الحديث(٢).

ونرجع إلى مسألة الصلاة، فقولها عن أبيها جلس عن يسار النبي دليل على أنّه لم يكن إماماً بل كان مأموماً، وهذا المعنى مذكور ضمن الحديث.

ثمّ إنّ قيام رسول الله مع ضعفه المتناهي بحيث لم يقدر على المشي وحده حـتّى اتّكأ على رجلين دليل آخر على أنّه غير راض بإمامته.

---

(١) أقول: لا ينبغي أن يقال مثل هذا الكلام هنا لأنّه ينتظم العلاقة بين سيّدة النساء والإمام بالعلاقة الزوجيّة العامّة وهذا وأجل المؤلّف منه غير سديد.

(٢) البخاري ٥: ٦٠. أقول: إنّ القوم يحكمون بكفر من قذف عائشة وإن تاب ورجع وأبـوها كـان فيمن قذفها فما باله لم يكفّر بل صار صدّيقاً، وأنا أنقل لك موضع الشاهد من الرواية: فبينا نحن كذلك إذ جاء أبوبكر فدخل عليّ، فقال: يا رسول الله، ما تنتظر بهذه التي خانتك وفـضحتني. (المعجم الكبير ٢٣: ١١٧؛ مجمع الزوائد ٩: ٢٢٩؛ المعجم الأوسط ٦: ٢٧١؛ تاريخ المدينة لابن شبّة النميري ١: ٣٢٤) وكلّها يروي العبارة نفسها «خانتك وفضحتني»، فهو يرمي عائشة بالخيانة الزوجيّة ولست أدري ما معنى القذف إن لم يكن هكذا، واليوم لو قذف إنسـان امـرأة بـالخيانة الزوجيّة عند القاضي ثمّ لم يأت بأربعة شهود ألا يستحقّ الحدّ يجري عليه!!!

أضف إلى هذا كلّه أنّ النبيّ مشرّع فكيف يأمر إنساناً بأمر ثمّ يعمد إلى نسخه قبل الشروع فيه، وذلك الإنسان ممتثل للأمر مقبل عليه، وإن صحّ هذا فهناك أمر آخر وذلك حين أمره النبي بقرائة تسع آيات من سورة البقرة ثمّ عزله وأرسل بها عليّاً مكانه بعد أن طوى شطراً من الطريق ليعلم الناس بأنّه لا يليق للإمامة ولا تليق به، ولم يكن راوي هذا الحديث غير عائشة.

وأمّا رواة الحديث الدالّ على خلافته وهو حديث المنزلة والذي تكشف الآية عن معناه وتفصح عمّا أراد النبيّ به فقد قال الحكيم في كتابه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾(١) فهم عن طريق ابن مردويه، سعد بن أبي وقاص، ومصعب بن سعد، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن المسيّب، وسعيد بن زيد، وعقيل ابن أبي طالب، وأبو سعيد الخدري، وعبدالله بن عبّاس، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبو هريرة، وحبشي بن جنادة السكوني، وأنس بن مالك، وجابر بن سلمة، ومالك بن الحرب، وأبو أيّوب الأنصاري، وزيد بن أبي أوفى، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وعبدالله بن عمر، وبريدة بن الخطيب الأسلمي، وخالد ابن عرفط، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وأبو الطفيل، وأُمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت الحمزة بن عبدالمطّلب عليها السلام.

وروى عماد الدين شفروه عن الإمام برهان الدين المطرزي صاحب المغرب والإيضاح في شرح المقامات، عن مشايخه عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يوم دعا الناس إلى غدير خم، أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك، فقم به بذلك يوم الخميس ثمّ دعا الناس إلى عليّ، فأخذ بضبعه فرفعها حتّى نظر الناس إلى بياض إبطه ثمّ لم يتفرّقا حتّى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

(١) الأعراف: ١٤٢.

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ (١)، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتي والولاية لعليّ. ثمّ قال: اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله، ائذن لي أن أقول أبياتاً؟ قال: قل ببركة الله. قال حسان: يا مشيخة قريش، اسمعوا شهادة رسول الله، وأنشأ يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ واسمع بالرسول مناديا
وقال: فمن مولاكم ووليّكم؟ ... فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولا تجدن منّا لأمرك عاصيا
فقال له قم يا عليّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهمّ وال وليّه ... وكن للذي عادى عليّاً معاديا (٢)

وروى ابن مردويه في تفسير الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ عن أبي هريرة: من صام يوم ثمانيه عشر من ذي الحجّة كانت له صيام ستّين سنة وهو يوم غدير خم لمّا أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ، قال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال له عمر بن الخطاب: بخ بخ يابن

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) رسائل المرتضى ٤: ١٣١ وذكر منها أربعة أبيات؛ الاقتصاد للطوسي: ٣٢١؛ الأمالي للصدوق، وزاد فيها بيتين:

فقام عليّ أرمد العين يبتغي ... لعينيه ممّا يشتكيه مداويا
فداواه خير الناس منه بريقه ... فبورك مرقيّاً وبورك راقيا

خصائص الأئمّة: ٤٢؛ روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ١٠٣؛ شرح أُصول الكافي ٦: ١٣٠؛ نظم درر السطمين: ١١٢؛ شواهد التنزيل ١: ٢٠٢ و٢٥٧؛ نهج الإيمان لابن جبر: ١١٦.

أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم ومسلمة[١]، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فقال: من صام سبعاً وعشرين من رجب كانت له صيام سبعين سنة وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل بالرسالة أوّل يوم هبط فيه.

ورواة حديث الغدير هم: البراء بن عازب، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة بن عبيدالله، والعبّاس، وابنه عبدالله، والحسن بن عليّ عليهما السلام، وابن مسعود، وعمّار بن ياسر، وأبوذر، وأبو أيّوب، وابن عمر، وعمران بن حصين، وبريدة بن الخضيب، وأبو هريرة، وجابر بن عبدالله، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع مولى النبي واسمه أسلم، وحبشي بن جنادة، وأبو بردة الأسلمي، وجرير بن عبدالله البجلي، وأنس، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وزيد بن أرقم، وأبو الحمراء خادم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعبدالرحمان بن يعمر الديلمي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ويزيد بن شراحيل، وناحية بن عمر، وجابر بن سمرة، ومالك بن الحارث، وأبو ذؤيب شاعر، وعبدالله بن ربيعة، وعبدالله بن أبي أوفى، وعامر بن عمير الفهري العامري، وعامر بن واثلة، وأبوالطفيل، وسعد بن عبادة[٢].

وذكر الحافظ أبو موسى في كتاب تتمّة المعرفة عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد عليّ عليه السلام في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ ما قال إلّا قام، ولا يقوم إلّا من سمعه من الرسول صلى الله عليه وآله، فقام بضعة عشر رجلاً. قال الأصبغ بن نباتة: كأنّي أنظر إلى أحدهم عليه إزار إلى أنصاف ساقيه فيهم، وأسماء هؤلاء مذكورة: أبو أيّوب الأنصاري، وأبو عمرة بن محصن، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت،

---

(١) المناقب للخوارزمي: ١٥٦؛ روضة الواعظين: ٣٥١.

(٢) أحصاهم مولانا الأميني في الجزء الأوّل من كتابه المبارك «الغدير» فبلغوا العشرات فارجع إلى هناك.

وعبدالله بن عازم الأنصاري والنعمان بن عجلان الأنصاري وعبدالرحمان بن عبدالربّ، وثابت، ويزيد بن وديعة الأنصاري وأبو فضالة الأنصاري.

قالوا: نشهد أنّا سمعنا لرسول الله، وأخذ بيدك يوم غدير خم فرفعها حتّى رأى بياض أباطها، فقال: ألستم تشهدون أنّي بلّغت الرسالة والنصيحة؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ وليّي وأنا وليّ المؤمنين، ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه وأعِنْ من أعانه، فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك من رسول الله، وكتم قوم فما خرجوا من الدنيا حتّى عموا وأصابتهم آفة منهم من هؤلاء جماعة مذكورة أسمائهم كعبدالله بن فدلج[1] ويزيد بن وديعة، وفي رواية ابن مردويه: وعمرو بن الحمق[2] ويزيد بن شراحيل وعامر بن أبي ليلى، والذين أصابتهم آفة العمى عشرة أشخاص كما روى الرواة ذلك.

وذكر عماد الدين عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ معه لن يزالا حتّى يردا عليّ الحوض.. وراوي الحديث عائشة وأُمّ سلمة وابو موسى وأبو سعيد الخدري وسهل بن شهيب (كذا) النهمي وأبي رافع وحذيفة وعمّار وزيد بن صوحان. وذكر عماد الدين شفروه هذا الحديث وقال في آخره: ولذا لزم البيت وترك البيعة ولم يكن لأحد أن يطالبه بها.

ويقول عماد الدين: لمّا امتنع بنو حنيفة عن أداء الزكاة خرج عليّ بنفسه إلى حربهم[3].

---

(١) يكثر التصحيف في أسماء الأعلام عند المؤلّف ويصعب عليّ ضبطها لعدم ذكره المصادر والتي يذكرها مفقودة مع مزيد الأسف.

(٢) لا شكّ بأنّه غير خزاعي الذي قتل عثمان لعنه الله وقتله معاوية لعنه الله.

(٣) لعن الله الكاذب، فهذه كتب التاريخ التي ذكرت حروب الردّة لم تذكر مشهداً واحداً لعليّ يعين ⊂

ولمّا فتحهم قال في أثناء حكاية بنوع من الشكاية : إنّ الله بـعث محـمّداً نـذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين ، فلمّا مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلق في روعي ولا يخطر ببالي (على بالي) أنّ العرب تزعج هذا الأمر مـن بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته وأنّهم منعوه عنّي من بعده ، فما راعني إلّا انثيال الناس علي فلان ـ نهج البلاغة ـ على أبي بكر .. المؤلّف ـ يبايعونه ، فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام (وأهله يـدعون إلى محـق ديـن محـمّد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله)(١) أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كـما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق واطمأنّ الدين وتنهنه(٢) .

الجواب : كان عليّ عليه السلام دائماً يطالب بحقّه ، يقرّع تلك الفتنة ، وإنّه في مذهب أهل البيت لم يشارك بأيّ حرب من حروبهم ، سواءاً ما شنّوها على العرب باسم الردّة

به القوم ، اللهمّ إلّا كذبه افترتها عائشة وجهازها وهي أنّ أبابكر لمّا همّ بالخروج للحرب احتضنه الإمام وقال : أمتعنا بنفسك يا خليفة رسول الله ، وهي كذبة أوضح من الشمس الطالعة ، فما كان علي ينسى جرأتهم على بيته بهذه السرعة ولم يمض على وفاة النبيّ عشرة أيّام فقد حدثت هذه الحروب بعد أيّام عشر من وفاته صلى الله عليه وآله .

(١) هذه الفقرة محذوفة من الكتاب .

(٢) نهج البلاغة ٣: ١١٩ وهو كتاب بعثه إلى أهل مصر مع مالك لمّا ولّاه إمارتها ، فأيـن هـو مـن حروب بني حنيفة ، ولعلّ في قول الإمام عليه السلام : «فنهضت في تلك الأحداث» ما يدخل اللبس على الأذهان من أنّه شارك في حروب ما يسمّى بالردّة ، وهذا بعيد جدّاً لأنّ الأحداث التي عناها الإمام هي أحداث الخلافة وما يتبعها من الأُمور التي جهل القيام بها أولئك ولم يدركوها فكانوا يفتون الناس من عند أنفسهم كيفما يحلو لهم ، فاستدرك الإمـام ذلك عـليهم وشـاركهم فـي الفـتوى وإيضاح ما أبهم عليهم وبيان ما عجزوا عن بيانه .

أو ما شنّوها خارج الجزيرة للغزو والتوسّع(١) والذي تولّى كبر قتال بني حنيفة هو خالد بن الوليد (الدموي الشهواني ـ المترجم) وليس بين المؤرّخين خلاف حول المسألة.

أمّا حجّتنا على ذلك في مطالبته بحقّه وإبطال دعوى القوم فما رواه عماد الدين قال: قال عمر لعليّ في ملأ من المهاجرين والأنصار: إنّك على هذا الأمر يابن أبي طالب لحريص، فقال: بل أنتم والله أحرص وأبعد وأنا أخصّ وأقرب، وإنّما طلبت حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فوالله ما زلت مدفوعاً عن أمري، مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّة حتّى يومنا هذا(٢).

روى البخاري عن الزهري عن حميد بن عبدالرحمان أخبره أنّ المسوّر بن مخرمة أخبره أنّ الرهط الذين ولّاهم عمر (لعنه الله ـ المترجم)(٣) اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبدالرحمان: لست بالذي أُنافسكم على هذا الأمر ولكنّكم إن شئت اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمان، فلمّا ولّوا عبدالرحمان أمرهم فمال الناس على عبدالرحمان حتّى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه ومال الناس على عبدالرحمان يشاورونه تلك الليالي (حتّى إذا كانت تلك الليلة أصبحنا فبايعنا عثمان).

قال المسوّر: طرقني عبدالرحمان بعد هجع من الليل (ربع من الليل) فضرب

---

(١) في هذه الفقرة زيادة معنى على ما ذكره المؤلّف رأى المترجم زيادتها لازمة.

(٢) ابن أبي الحديد ٩: ٣٥، وتمام الكلام: فلمّا قرعته بالحجّة في الملأ الحاضرين هبّ كأنّه بهت لا يدر ما يجيبني به، الخ. وأنا أقول للإمام: بأبي أنت وأُمّي «فبهت الذي كفر» لك الله يا مولاي على طول معاناتك من أولاد الزواني والعواهر.

(٣) إنّي أرى ضرورة إعادة لعنهم كما كان يفعل أسلافنا لأنّنا تركنا ذلك حتّى صارت لهم مكانة في النفوس.

الباب حتّى استيقظت، فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة (الثلث) بكبير نوم، انطلق فادعوا الزبير وسعداً، فدعوتهما له فشاورهما ثمّ دعاني، فقال: ادع لي عليّاً، فدعوته فناجاه حتّى ابهارّ الليل ثمّ قام عليّ من عنده وهو على طمع وقد كان عبدالرحمان يخشى من عليّ شيئاً(١)، ثمّ قال: ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتّى فرّق المؤذّن بينهما بالصبح، فلمّا صلّى الناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أُمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجّة مع عمر، فلمّا اجتمعوا تشهّد عبدالرحمان ثمّ قال: أمّا بعد، يا علي، إنّي قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان أحداً فلا تجعلنّ على نفسك سبيلاً، فقال: أُبايعك على سنّة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبدالرحمان وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأُمراء الأجناد والمسلمون(٢).

ويروى أنّه لمّا اجتمع أهل الشورى قبل أن ينعقد أمر عثمان ويتكلّم عبدالرحمان، قال طلحة والزبير: نبايعك على أنّا شريكان في هذا الأمر، فقال: لا ولكنّكما شريكان في القوّة والاستعانة وعونان على العجز والأود(٣).

وتكلّم عبدالرحمان ومال إلى عثمان لمصاهرته، وأبى عليّ عليه السلام وتكلّم كما روى أبو عبدالله المدني عن مشايخه عن عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى وعليّ عليه السلام في البيت، فسمعته يقول: استخلف ابوبكر وأنا في نفسي أحقّ

---

(١) وهذا الذي يخشاه هو هجومه لعنه الله وأخزاه على بيت فاطمة بعد وفاة أبيها مع عمر وخالد بن الوليد لعنهما الله.

(٢) راجع قول الرجلين وجواب الإمام لهما في نهج البلاغة ٤: ٤٦.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٢٣ وهنا يتجلّى لي أنّ سنّة الخليفتين صارت تعدل سنّة الله ورسوله فهما ركن من أركان الإسلام وعدم اتّباعهما يساوي عدم اتّباع القرآن والنبيّ، وهذا من مصائب الدهر.

بها منه، فسمعت وأطعت، واستخلف عمر وأنا في نفسي أحقّ بها منه، فسمعت وأطعت، وأنتم تريدون أن تستخلفوا عثمان إذن لا أسمع ولا أطيع، وإنّ عمر جعلني في خمسة أنا سادسهم لا يعرف لي عليهم فضل، نحن سواء، أما والله لأُحاجّهم بما لا تستطيع عربهم ولا عجمهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك أن ينكر منها فضيلة.

قال: أنشدكم بالله أيّها الخمسة، أفيكم أحد أخو رسول الله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أمنكم واحد له عمّ مثل عمّي الحمزة بن عبدالمطّلب أسد الله ورسوله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أمنكم أحد له ابن عمّ مثل ابن عمّي رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له أخ مثل أخي المزيّن بجناحين يطير مع الملائكة في الجنّة؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد له زوجة مثل زوجي فاطمة بنت رسول الله سيّدة نساء هذه الأُمّة غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد ردّت عليه الشمس بعد غروبها حتّى صلّى العصر غيري؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم أحد سكن المسجد يمرّ فيه جنباً غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أمنكم أحد قال رسول الله ﷺ حين قرّب إليه الطير فأعجبه وقال: اللهمّ آتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجئت أنا لا أعلم ما كان وممّن قوله فدخلت، فقال: وإليّ يا ربّ، وإليّ يا ربّ؟ قالوا: لا.

وكذا روى المدني عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت عليّاً يقول: بايع الناس أبابكر وأنا والله أولى بهذا الأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً، ثمّ أنتم

تريدون أن تبايعوا عثمان، إذن لا أسمع ولا أطيع، إنّ عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضل عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كما نحن فيه سواء، وأيم الله لو شئت أن أتكلّم بما لا يستطيع عربهم ولا عجمهم ولا المعاهد ولا المشرك ردّ خصلة منها.

ثمّ قال: أُنشدكم بالله أيّها النافر جميعاً أفيكم أحد أخو رسول الله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أُنشدكم بالله أيّها النفر أفيكم أحد صلّى القبلتين قبلي؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أُنشدكم بالله أيّها النفر أفيكم أحد من له عمّ مثل حمزة أسد الله ورسوله وسيّدالشهداء غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أخ مثل أخي جعفر ذي الجناحين المزيّنتين بالجواهر يطير بهما في الجنّة حيث شاء؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد له ابنان مثل الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد كان أقتل للمشركين عند كلّ شدّة تنزل على رسول الله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد كان أعظم غناءاً عن رسول الله اضطجع على فراشه فوقاه بنفسه وبذل مهجته ودمه غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد كان يأخذ الخمس غيري وغير فاطمة؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد يظهر كتاب الله ويعرف تنزيله وتفسيره وتأويله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد فتح النبيّ بابه في المسجد حين سدّ أبواب المهاجرين

والأنصار، حتّى قام إليه عمّاه حمزة والعبّاس فقالا: يا رسول الله، سددت أبوابنا وفتحت باب عليّ، فقال النبيّ ﷺ: ما أنا فتحت بابه ولا سددت أبوابكم بل الله فتح بابه وسدّ أبوابكم؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد تمّم الله نوره حين قال: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (١)؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد ناجى رسول الله ستّة عشر مرّة غيري حين نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ (٢)؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد تولّى غمض رسول الله غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: أفيكم أحد عهد رسول الله حتّى وضعه في حفرته غيري؟ قالوا: اللهمّ لا (٣).

الجواب: اختار عمر للشورى هؤلاء الستّة وهم عليّ وطلحة والزبير وعبدالرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وعثمان بن عفّان وأوصى إليهم عمر وقال: هؤلاء النفر الستّة يليقون للخلافة فاختاروا أحدهم والاختيار باطل.

جواب آخر: لمّا أدركت أبابكر الوفاة وعرف في مرضه أنّه مفارق الحياة استخلف عمر بن الخطّاب وبايعه فكان عمر خليفة الخليفة، فلماذا صيّر الأمر شورى وخالف ابابكر ورسول الله ﷺ (لأنّ رسول الله مضى ولم يستخلف وأبوبكر مضى واستخلف وعمر مضى وأولى أمره في الشورى، فظهر من خلافه للنبيّ وأبي بكر الدليل على بطلان عمله.

جواب آخر: بناءاً على مذهب أهل السنّة أنّ عمر رجح ميزانه على النبيّ والعالم

---

(١) الروم: ٣٨.

(٢) المجادلة: ١٢.

(٣) لا شكّ أنّ هذه المناشدة لم تأت على وجهها الصحيح فقد ذكر فيها ما لا فضل فيه كالعمّ والأخ وغيرهما وإذا كان طيب العمّ يزين فإنّ سوء العمّ يشين أيضاً، ورسول الله وعليّ عمّهما أبولهب. ثمّ ما بال المناشدة خلت من ذكر الغدير فهل حذف ذلك منها؟ أنا لا أشكّ في ذلك.

مرّتين، وكان في مذهبهم أعلم العلماء، فهو حينئذٍ أعلم بأحوال الناس من أنفسهم ومن غيرهم، فلماذا لم يختر من يخلفه مع علمه هذا وأوكل الأمر إلى الشورى؟

جواب آخر: الأفضليّة شرط في الخلافة وينبغي أن يكون هؤلاء الستّة متساوين في الفضل فلا سبق لأحد على أحد منهم وكان يذهب إذا اختير اثنين معاً إلى قتلهما وعلى هذا لا يجوز اختيار أحدهم أصلاً.

جواب آخر: ولمّا دخلوا على عمر وهو مطعون أخذ يصف لهم أنفسهم، فقال لعثمان: أمّا عثمان فكلف بأقاربه، وأمّا عليّ فرجل فيه دعابة، أمّا الزبير فوعق لقس، أي إنّ أخلاقه سيّئة، وأمّا طلحة فرجل فيه بأو، أي يحبّ الجماع[1]، وأمّا سعد فذو مقنب من مقانبكم[2]. أمّا عبدالرحمان فرجل صالح لا يخلو من نوع قصور في الاستبداد بهذا الأمر، فإذا كانت هذه صفات القوم وكلّها مذمومة، وليس فيهم من صفة رافعة إلّا كونهم من أهل بدر فلماذا اختارهم إذن؟ أليس هذا الفعل عين الخيانة للرعيّة والأُمّة؟

روى رشيد الدين بأسانيده عن الحسن أنّه قال: نابت أصحاب محمّد نائبة، فجمعهم عمر، فقال لعليّ: تكلّم فأنت خيرهم[3].

جواب آخر: كان عمر على علم تامّ بأنّ عليّاً يستحقّ الخلافة والتصدّي لشؤونها كما روى أبو عبدالله المدني: أنّ عمر بن الخطّاب قال: من يستخلفون بعدي؟ فقال رجل من القوم نستخلف عليّاً. قال: إنّكم لعمري لا تستخلفونه

---

(١) الظاهر أنّ المؤلّف لم يحسن قراءة الكلمة من ثمّ أخطأ في معناها لأنّ البأو العجب والتكبّر، انظر الفائق للزمخشري ٣: ١٦٨.

(٢) المقنب: جماعة الخيل، ليست بالقليلة ولا الكثيرة؛ رسائل المرتضى ٤: ١١٣.

(٣) الطرائف: ٢٥٥؛ نهج الإيمان لابن جبر: ٥٥٨ وتمامه: وأعلمهم، راجع كنز العمّال ٥: ٧٣٦ رقم ١٤٢٥٨.

والذي نفسي بيده لو استخلفتموه لأقامكم على الحقّ وإن كرهتم.

وبناءاً على هذا لئن كان يعلم من عليّ هذه الصفة وأنّه يقيم الناس على الحق فلماذا قرنه مع من هو دونه، وصار سبباً في إضلال الناس والحقيقة الناصعة بأنّه لو اختار علياً لما تردّد عن بيعته أحد لاستحقاقه الخلافة وثقة الناس به، وعلى هذا فإنّه عجز ـ أو تعمّد ـ عن اختيار الخليفة اللائق المستحق وهو خليفة فكيف يطمع بالرعيّة أن تختاره، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾(١).

جواب آخر: روى المدني عن ابن مردويه عن ابن عبّاس قال: دخلت على عمر فتنفّس نفساً شديداً، فقلت: ما أخرج هذا إلّا همّ شديد. قال: لهذا الأمر الذي لا أدري من له بعدي. قال: ثمّ أقبل عليّ فقال: لعلّك ترضى صاحبك لهذا ـ يعني عليّاً ـ. فقلت: وما يمنعه من ذلك، أليس بمكان ذلك في قرابته من رسول الله وسوابقه في الخير ومناقبه في الإسلام؟! فقال: إنّه كذلك، فذكرت له جماعة، ثمّ أقبل عليّ، فقال: إنّ أحرى من وليها وحملهم على كتاب الله وسنّة نبيّه صاحبك.

وفي رواية: إنّ الأجلح من أحقّ القوم أن يحملهم على المحجّة البيضاء ـ يعني بالأجلح عليّاً ـ.

وبهذا الطريق أيضاً عن عبدالله بن عبّاس قال: أقبلت يوماً إلى عمر بن الخطّاب فألفيته في جماعة من بطانته وخالص جلسائه وحواشيه، فإذا هو وهم في ذكر شعراء أهل الجاهليّة، وساق الحديث إلى أن قال: قال عمر: وما أحد أحقّ بهذا الفخر من بني هاشم لقيام رسول الله منهم. فقلت: وفّقك الله وسدّد منطقك. قال: فكأنّه استقلّه، فقال: أتدري ما منع قومكم (منكم) [أن تعروا] (كذا) يعني الخلافة

---

(١) البقرة: ٤٤.

مع سلطان محمّد فيكم؟ قال ابن عبّاس: فكرهت أن استخرج عقوقه[1]، فقلت: إن كنت لا أدري فأميرالمؤمنين يدري. فقال: إنّهم كرهوا أن يجمعوا لكم مع النبوّة الملك والخلافة، فبتحجوا بذلك على قومكم بحجاً بحجاً فاختارت قريش لأنفسها فأصابت في اختيارها، ومع ذلك فمالنا أن نتقدّمكم ونحن بخدمتكم لها كافياً (كذا).

قلت: سبحان الله! للعجب العجاب، أليس من بني هاشم المختصّ بعد النبيّ في الدين بمعظمه، ومن السبق بأقدمه، ومن العلم بغايته، ومن الحكم بأرجحه، ومن الرأي بأسدّه، ومن الجهاد بأشدّه؟ قال: عليّ؟! قال: للّه إنّه عليّ أخو النبيّ في المشاكلة، ونفسه في المباهلة، ووزيره الخاصّ من أهله، وشريكه في أمره إلّا النبوّة، فإنّ الله ختمها بمحمّد ﷺ، أولم يخبرنا بأميرالمؤمنين عليّاً بعد ما بدا أنّ رسول الله خلفه عام تبوك في أهله، وقال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون

---

(١) وقع في هذا الخبر حذف وتصحيف وأنا أنقل لك ما في الإيضاح وأذكر لك المصادر لتكون على بصيرة منه: عن سعيد بن المسيّب قال: كان عمر جالساً مع قوم يتذاكرون أشعار العرب إذ أقبل ابن عبّاس (فساق القصّة إلى غير ذلك من الموارد التي تفضي الإشارة إليها إلى طول:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا، جنّ إذا فزعوا ... موزّعون بهاليل إذا جهدوا
محسّدون على ما كان من نعم ... لا ينزل الله منهم ماله حُسدوا

فقال عمر: أحسن وما أحد أولى بهذا الشعر من هذا الحيّ من بني هاشم، لفضل رسول الله ﷺ وقرابتهم منه، فقال له ابن عبّاس: وفّقت يا أميرالمؤمنين، ولم تزل موفّقاً. فقال ابن عبّاس: أتدري ما منع قومكم منكم... الخ.

الإيضاح لفضل بن شاذان: ١٦٩؛ المسترشد لمحمّد بن جرير الطبري الشيعي: ٦٨٦؛ الطرائف: ٤٣٣؛ بحار الأنوار ٢٨: ٤٠٨؛ المراجعات: ٣٩٤؛ سبيل النجاة لشيخ حسين الراضي: ٣٨١؛ السقيفة للمظفّر: ٨٩؛ فدك في التاريخ للصدر: ٦٦؛ ابن سبأ للعسكري ١: ١١٢ و ١٤١؛ الدرجات الرفيعة لابن معصوم: ١٠٥؛ تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩؛ عمر بن الخطّاب للبكري: ٢١١.

من موسى ولا نبيّ بعدي ؟ قال: بلى. قال: أولم تخبرني أنّ رسول الله قلّده الراية يوم خيبر وقد يولي الناس بها ثانية بعد أُولى ففتح الله تعالى على يده ؟ قال: نعم. قال: فما أحببت الإمارة بعد اليوم (إلّا يومئذٍ).

قال ابن عبّاس: أخذ عمر بيدي وأنا أُريد أن أقصّ مناقب أبي الحسن، قال: خفّض عليك يابن عبّاس، فإنّ عليّاً شرك أصحاب محمّد في فضائلهم وبان عنهم بفضائل ومناقب كريمة لا يعدله بها أو بمثلها أحد(١).

جواب آخر: وإذا كان عمر عالماً بعدم اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد فلماذا صيّر عليّاً واحداً من رجال الشورى ؟

جواب آخر: وإن صحّ ما قاله عمر من أنّ الخلافة والنبوّة لا يجتمعان في بيتٍ واحدٍ فكيف بايع المهاجرون والأنصار طوعاً ورغبة وإيثاراً منهم عليّاً واعترفوا بإمامته وبمقتضى الحديث «لا تجتمع أُمّتي على ضلالة» لا يمكن أن تجتمع خلافاً للرواية على الضلالة، ويكون عمر وحده المهتدي والمحقّ والصادق.

فتبيّن ممّا تقدّم أنّ خلافة عليّ حقّ ولعلّ عمر لم يكن جادّاً بما قال، فقد اجتمعت الخلافة والإمامة وكان الحقّ في إجماع المهاجرين والأنصار ولكن بين عمر وعليّ عداوة كانت ظاهرة وقد أخبر الله تعالى في كتابه المجيد عن اجتماع الخلافة والنبوّة بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً﴾(٢).

جواب آخر: وحين جعلها شورى بين الستّة وساوى بين الجميع في

---

(١) ستجد في هذه الرواية تصحيفاً كثيراً أحال المعنى وغيّره ولم يشر المصنّف إلى النصّ الذي رجع إليها ولم أعثر أنا على المصدر بعد طول التتبّع.

(٢) النساء: ٥٤.

الاستحقاق، عاد وخصّ عبدالرحمان بمزيد عناية وجعل القبول والردّ بيديه، وقال: هؤلاء الخمسة تبع له فمن اختاره وجب عليهم اختياره، وهذه الحال مهزلة تدعو إلى الهزء والسخرية، وكأنّه هزأ بهؤلاء الخمسة، ويبقى الأمر على ما قاله الشيعة من أنّ عمر كان يعلم بشديد عداوة عبدالرحمان لعليّ عليه السلام[1]، ومثله الشديد لعثمان لمصاهرتهما، وهذا الملحق إنّما ألحقه عمر لئلّا يلام أمام الرأي العام أو العامّة وهو قد شفى غيظه من عليّ بإبعاده عن الخلافة فقد أسّس هذا الخبث الغريب على هذه الحبكة العجيبة، وكما قال العقلاء عن المفسدين أنّهم أربعة أحدهم عمر بن الخطّاب لعنه الله، وكان عبدالرحمان لا يجهل مناقب عليّ عليه السلام ولكنّه باع الدين بالدنيا (لعنه الله من ذي صفقة خاسرة).

فقد روى ابن مردويه عن مصعب بن عبدالله بن عبدالرحمان بن عوف، قال: لمّا فتح رسول الله مكّة، انصرف على الطائف يحاصرهم سبع عشرة أو ثمان عشرة يوماً، فلم يفتحها، ثمّ أوغل غدوة أو روحة ثمّ يهجّر، فقال: أيّها الناس، إنّي لكم فرط وأُوصيكم بعترتي خيراً، وإنّ موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده لتقيمنّ الصلاة ولتأتُنَّ الزكاة أو لأبعثنّ عليكم رجلاً منّي أو كنفسي ليضربنّ أعناق مقاتليكم أو ليسبينّ ذراريكم.

قال: فرأى الناس أنّه أبوبكر وعمر، قال: فأخذ بيد عليّ، فقال: هو هذا.

قال: فقلت: ما حمل عبدالرحمان على ما فعل؟ قال: من ذاك أعجب[2]، أنّهم

---

(١) كان أحد الذين هجموا على دار فاطمة عليها السلام وأحرقوها وهو الذي هدّد عليّاً عليه السلام بالقتل، وكان فوق هذا وذاك صهراً لعثمان لعنهما الله.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٠٤؛ بحار الأنوار ٢١: ١٥٢ و٤٠: ٣٠؛ المستدرك ٢: ١٢٠؛ مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٨ و٨: ٥٤٣؛ تفسير الميزان ٩: ١٨١؛ الدرّ المنثور ٣: ٢١٣.

علموا ولكنّهم عملوا عمل السامري وقومه حين عرفوا منزلة هارون وتجاهلوها، وفعل إخوان يوسف بعد أن عرفوه وكان منهم ما كان، ومثل قوم موسى الذين قصّ الله سبحانه قصّتهم، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (١) وصار ترك العمل بعد العلم علّة لوقوع العذاب فيهم.

وكان عمر يعرف فضيلة عليّ كما ينبغي أن تُعرف، فقد قال يوماً: «لولاك لافتضحنا» وقال في أكثر من سبعين واقعة: لولا عليّ لهلك عمر، وهو القائل: العلم ستّة أسداس، فلعليّ خمسة أسداس وللناس سدس واحد ولقد شاركنا في سدسنا حتّى هو أعلم به منّا.

جواب آخر: ولمّا كان عبدالرحمان أمين الخليفة فقد كان عليه أن يرعى الأمانة حقّ رعايتها ولا يخون أو يداهن، وكان عليه أن يعرف فضل عليّ بالحديث المذكور، ويختاره بناءاً عليه، ويراعي جانب الصدق، ولا يخطب مستحقّ الخلافة بقوله: يا علي، نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان أحداً فلا تجعل على نفسك سبيلاً. وكان عليه أن يتخلّص من هذا الطوق الثقيل ويرميه عن عنقه ويقول للناس: أيّها الناس، الخلافة حقّ عليّ وإنّي انتزعتها من عنقي ووضعتها في يده. فويلٌ لهم من يوم تجتمع فيه الخصوم يوم القيامة فماذا يجيبون رسول الله عمّا جنوه على آله الكرام؟!

جواب آخر: أمّا ما قاله عمر عن عليّ عليه السلام بأنّه رجل فيه دعابة «أمّا عليّ فرجل

⬅ ولا عجيب في الأمر وقد كشف الإمام عليه السلام زيفهم حين قال لعبدالرحمان بن عوف لعنه الله: والله ما رجوت منه إلّا ما رجى صاحبك من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم.. ومنشم امرأه كانت تبيع العطر في الجاهليّة فإذا أراد العرب الحرب تطيّبوا من طيبها فصارت مثالاً على الشؤم، واستجيب لأمير المؤمنين في اللعينين فمات عبدالرحمان مقاطعاً لعثمان.

(١) الصفّ: ٥.

فيه دعابة» أي إنّه مزّاح، وهذا لا يقدح في خلافته فقد كان رسول الله ﷺ يمزح كثيراً، ولقد قال: «إنّي لأمزح ولا أقول إلّا حقّاً».

قال يوماً لأنس: يا ذا الأُذنين.

وقال آخر: سألت رسول الله ونحن في الطريق: احملني على جمل يا رسول الله، فقال: أحملك على ابن الناقة.

وقوله لغلام: (عصفور) (كذا) (له عصفور) يا أبا عمير ما فعل النغير[1].

وقوله كثيراً للحسن والحسين عليهما السلام: ترق عين بقّة.

وقوله لسلمان عند وجع بطنه: «الغيب دوداً»[2].

وهذا مثل قول عمرو بن العاص فقد قيل إنّه قال: إنّ عليّاً فيه دعابة[3]، فبلغ ذلك عليّاً فكأنّه قد تأذّى من قوله وقال: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة وإنّي امرء تلعابة، أُعافس وأُمارس، لقد قال باطلاً ونطق كاذباً، وشرّ القول الكذب، إنّه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيلحف، ويسأل فيبخل، ويخون العهد وقطع الإلّ، فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو، ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبّته، أما والله إنّي ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة[4].

فبطل حديث عمر بقول عليّ عليه السلام.

---

(١) تذكرة الفقهاء ١: ٣٤٣؛ جامع المقاصد ٣: ٢٧٧: كان يقول لصبيّ أفلت طائره: يا أبا عمير .. الخ؛ البحر الرائق ٣: ٧٢؛ مسند أحمد ٣: ١١٥؛ صحيح البخاري ٧: ١٠٢ والنغير تصغير نغر وهي طير كالعصافير حمر المناقير، الصحاح ٢: ٨٣٣.

(٢) لم يتّضح لي معناها ولم أجدها في كتاب فرجاني من القاري تصحيحها إن وجدها.

(٣) تلقّاها من أُستاذه الأكبر في النصب عمر بن الخطّاب لعنة الله عليهما.

(٤) نهج البلاغة، الخطب، ص١٤٧.

جواب آخر: تواتر عن عليّ عليه السلام أو هو شبيه بالمتواتر أنّه كان يتظلّم منهم ويطالب بحقّه ويعارض بلسان فصيح، ويردّ على أبي بكر، ولقد قعد عن بيعته ستّة أشهر كما زعم الخصم، وكذلك في عهد عثمان كان يطالب بحقّه ويشكو منه، فإمّا أن يكون ذلك بحقّ أو بباطل؛ فإن كان الثاني فلماذا سكت الصحابة ولم يبدوا احتجاجاً عليه، ولم يقارعوه بالبراهين والأدلّة حتّى يسكتوه ويظهر أنّه لا حقّ له، وينعقد الإجماع، لأنّ مثل عليّ عليه السلام في عصمته وطهارته لا يطلب شيئاً ليس له.

وإذا كان بحقّ فلماذا قعد الصحابة أهل الانساع وأصحاب الشرع عن حقّه ولم يعينوه عليه ليستحقّوا المدح في الآخرة والثواب في الدنيا ؟!

في جامع العلوم وهو من تصانيف قدوة الحفّاظ أبي عبدالله محمّد بن معمر بن الفاخر القرشي، في الحديث الخامس والثلاثين من مسند البراء، عن البخاري، عن زهير، عن علاء بن المسيّب، عن أبيه قال: قلت للبراء بن عازب: طوبى لك أنت ممّن رضي الله عنه وبايع تحت الشجرة. قال: يابن أخي، إنّك لا تدري ما أحدثناه بعده، ولا تكون شهادة أعدل من هذه الشهادة، ولن تكون أبداً.

وفي ولاية دامغان سنة ستّ وخمسين وستّمائة انبرى أحد علمائها المعاصرين فقال على سبيل العتب والتقريع بعد أن عرف مؤلّف هذا الكتاب الحسن بن علي المازندراني وعرف اعتقاده: ما بال قوم ذهبوا منذ مئات السنين ولم يؤذوا أحداً منكم لا في نفسه ولا في أهله لماذا تظهروا الغيظ منهم والحقد عليهم ؟

فأجابه الداعي قائلاً: ما بال الشيوخ أبناء السبعين يفعلون أفعالاً تبقى عالقة في الأُمّة حيث يتألّم منها الشباب أبناء الثلاثين بعد خمس وخمسين وستّمائة من السنين ؟! فأُلقم المقرع حجراً بعد أن سمع ما أوردناه عليه، والدليل على هذا الكلام حديث البراء بن عازب السالف من رواية البخاري وابن معمر القرشي.

حديث:

عن البخاري كما ورد في جامع العلوم عن عبدالله بن عمر قال: كنّا نتحدّث على عهد رسول الله ﷺ أنّ خير هذه الأُمّة بعد نبيّنا أبوبكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ..(١).

الجواب: روى الحافظ أبو عبدالله محمّد بن معمر القرشي من علماء اصفهان صاحب جامع العلوم عن ابن مردويه عن مشايخه عن ابن وائلة عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر(٢).

وعن ابن مردويه وساق السند إلى سلمان قال: رآني رسول الله ﷺ فناداني، فقلت: لبّيك، فقال: أُشهدك اليوم أنّ عليّاً بن أبي طالب خيرهم وأفضلهم.

وبهذا الإسناد عن عقبة بن عامر قال: أتيت النبيّ ظهيرة، فقال لي: ما جاء بك يا جهنيّ في هذا الوقت؟ قال: قلت: أمر عرض لي. قال رسول الله ﷺ: وما ذاك يا جهني؟ قال: قلت: يا رسول الله، ما تقول في هؤلاء القوم الذين يقاتلون معك منهم من يقول: أبوبكر خير هذه الأُمّة من بعدك، ومنهم من يقول: عمر خير هذه الأُمّة من بعدك فإن حدث بك اتّبعناه.

فقال ﷺ: اتّبعوا من اختاره الله من بعدي، ومن اشتقّ له اسماً من أسمائه، ومن زوّجه الله ابنتي من عنده، ومن وكّل به ملائكة يقاتلون مع عدوّه.

قلت: ومن هو يا رسول الله؟ قال: عليّ بن أبي طالب(٣).

---

(١) مسند أحمد ١: ١٢٥ و١٢٧ ولم يذكر عثمان؛ عمرو بن عاصم في كتاب السنّة: ٥٥٤ و٥٥٥؛ المعجم الأوسط ٧: ٢٣٩؛ المعجم الكبير للطبراني ١: ١٠٧؛ صحيح البخاري ٤: ٢٠٣.

(٢) ألقاب الرسول وعترته من قدماء المحدّثين: ٣٦؛ الشهيد نور الله التستري في الصوارم المهرقة: ٣٣٧؛ مقام الإمام عليّ لنجم الدين العسكري: ٤٨.

(٣) العاملي، الصراط المستقيم ٢: ٦٩ بسياق مختلف والمعنى واحد؛ محمّد طاهر القمّي الشيرازي في كتاب الأربعين: ٧٤ سياق المؤلّف نفسه عن ابن مردويه، وص٤٥٧.

عن أبي بكر بن مردويه إلى إسحاق عن الحارث قال: قال عليّ: نحن أهل البيت لا نقاس بالناس. فقام رجل فأتى عبدالله بن عبّاس فأخبره بذلك، فقال: صدق عليّ، أوليس كان النبيّ ﷺ لا يقاس بالناس؟! ثمّ قال ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1].

ذكر عماد الدين شفرويه في بعض تصانيفه عن الشيخ المدني القرشي صاحب جامع العلوم، عن ابن مردويه، عن الباقر عليه السلام عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن رسول الله قال: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم سلك ذلك النور في الأصلاب، فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب آخر حتّى أقرّه صلب عبدالمطّلب ثمّ أخرجه من صلب عبدالمطّلب ويقسمه قسمين، فصيّر قسماً في صلب عبدالله وقسماً في صلب أبي طالب؛ فعليّ منّي وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي، فمن أحبّه أحبّني، ومن يبغضه يبغضني وأبغضه[2].

ومثله مذكور في البخاري وقد تكرّر لمزيد الفائدة.

ذكر عماد الدين في كتاب «تناقضات أخبار البخاري» في الحديث الثاني عشر، ومثله في المصابيح، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة. فقال كلمة، فقلت لأبي: ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: قال: كلّهم من قريش.

---

(١) البيّنة: ٧.

(٢) كشف الغطاء ١: ١٠ طبعة حجريّة ـ مهدوي اصفهان؛ الخصال للصدوق: ٦٤٠: فمن أحبّه فبحبّي أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه، وعبارة الكتاب مصحّفة عن هذه العبارة؛ المحتضر لحسن بن سليمان الحلّي: ٩٧؛ مقام الإمام علي لنجم الدين العسكري: ٥٩ وقال: أخرجه ابن مردويه في المناقب، والخوارزمي، وشهاب الدين أحمد، والمطرزي، والعاصمي، والأحاديث كثيرة جدّاً في هذا الباب.

وكان عماد الدين من المخالفين لأنّه ذكر معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبدالعزيز من الاثني عشر ولم يذكر الحسن والحسين منهم، وقال: ليسا من الخلفاء. ولمّا تعرّض لذكر أئمّة الشيعة في الحديث، قال: وأمّا تعيين الشيعة للأئمّة الاثني عشر فإنّه تحكّم محض لم يخرج من آل ولم ينفض من غبار غلّ لإخراجهم من الخلافة الخلفاء الثلاثة .. وإنّما ذكرنا قوله ليعلم أنّه حنفيّ المذهب كسائر معتزلة خوارزم فيكون كلامه حجّة.

وإنّه روى في هذا الحديث عن أبي سلمى الراعي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: سمعت رسول الله يقول: ليلة أُسري بي إلى السماء قال الجليل جلّ جلاله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ﴾[1]، فقلت: والمؤمنون؟ قال: صدقت يا محمّد، من خلّفت في أُمّتك؟ قلت: خيرها. قال: عليّ بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ.

قال: يا محمّد، إنّي اطّلعت على الأرض اطّلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أُذكر في موقع إلّا ذُكرت معي، فإنّي المحمود وأنت محمّد، ثمّ اطّلعت الثانية فاخترت منها عليّاً، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو عليّ.

يا محمّد، إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من سنخ نوري[2]، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض؛ فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جهلها كان عندي من الكافرين.

يا محمّد، لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني ثمّ ينقطع حتّى يصير كالشنّ البالي، أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم.

يا محمّد، أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ، فقال: التفت عن يمين العرش،

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) من سنخ نور من نوري ـ المؤلّف.

فالتفتُّ فإذا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ ومحمّد بن الحسن المهدي في ضحضاح من نور قائمون يصلّون وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنّه كوكب درّيّ، فقال: يا محمّد، هؤلاء الحجج وهو الباهر من عترتك والمنتقم من أعدائي(١).

وروى عقب هذا الحديث رواية عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان المحمّدي قال: دخلت على النبيّ وإذا الحسين بن عليّ على فخذه وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه ويقول: أنت السيّد ابن السيّد أبو السادة، أنت إمام ابن إمام أبو الأئمّة، أنت حجّة ابن حجّة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم(٢).

وروى أيضاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا، كذبوا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستبغى الهدي، ويستجلى العمى، إنّ الأئمّة من قريش غرسوا في

---

(١) الأربعون لمنتجب الدين بن بابويه: ٤، ويوجد هذا الحديث في كشف الغطاء ١: ٧؛ كتاب الأربعين لمحمّد طاهر: ٣٥٣؛ الجواهر القدسيّة للحرّ العاملي: ٣١٢؛ مدينة المعاجز ٢: ٣١٢؛ بحار الأنوار ٢٧: ٢٠٠؛ كتاب الأربعين للماحوزي: ٢١٢.

(٢) الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ١١٠؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٦؛ الخصال: ٤٧٥؛ كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٢٦٢؛ كفاية الأثر للخزّاز القمّي: ٤٦؛ كتاب سليم بن قيس: ٤٦٠؛ مقتضب الأثر للجوهريّ: ١١؛ مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٢٢٦؛ الطرائف لابن طاووس: ١٧٤؛ كتاب الأربعين لمحمّد طاهر القمّي الشيرازي: ٣٥٥؛ بحار الأنوار ٣٦: ٢٤١ و٤٣: ٢٩٥؛ كتاب الأربعين للماحوزي: ٢١٤؛ العوالم للبحراني: ٣٨ و٧٣؛ المراجعات: ٢٧٨؛ رسالة في إمامة الأئمّة الاثني عشر للتبريزي: ٤؛ معجم رجال الحديث للخوئي ٩: ٢٤٣؛ إعلام الورى بأعلام الهدى ٢: ١٨٠؛ حياة الإمام الحسين للقرشي ١: ٩٥.

هذا البطن من هاشم، لا تصلح الإمامة على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم(١).

وهذه الأخبار تدلّ على أنّ خير الخلق بعد رسول الله عَلَيْوَاللهُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

روىٰ أبو العلماء الحافظ الهمداني عن ابن عبّاس، قال رجل: يابن عبّاس، ما أكثر مناقب عليّ وفضائله، إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف. فقال ابن عبّاس: أولا تقول إنّها إلى ثلاثين ألفاً أقرب(٢).

وروى الحافظ المدني عن أحمد بن حنبل أنّه قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعليّ عليه السلام(٣).

ونقل في الصحاح عن ابن مسعود: كنّا جلوساً عند النبيّ عَلَيْوَاللهُ فقال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة فدخل عليّ فسلّم وصعد(٤).

---

(١) نهج البلاغة، الخطب، ص٢٧.

(٢) حلية الأبرار للبحراني ٢: ١٣١؛ بحار الأنوار ٤٠: ٤٩؛ المناظرات في الإمامة: ١٢٣؛ شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٣١؛ ميزان الاعتدال ١: ٤٨٤؛ لسان الميزان ٢: ٢٠٠؛ نهج الإيمان: ٦٦٧.

(٣) الصراط المستقيم ١: ١٥٣؛ بحار الأنوار ٤: ١٢٤؛ المراجعات: ٢٥٤؛ الشيخ حسين الراضي في سبيل النجاة في تتمّة المراجعات: ١٦٥؛ نجم الدين العسكري في مقام الإمام علي: ٢٥؛ الغدير للأميني ١: ٣٠١؛ الإمام علي للرحماني: ١٣٤؛ عبدالله حسن في المناظرات في الإمامة: ١٢٣؛ نظم درر السمطين: ٨٠؛ قاموس شتائم للسقاف: ١٩٨؛ خصائص الوحي المبين: ٨٠عن محمّد ابن هارون الحضرمي؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤١٨؛ المناقب للخوارزمي: ١١ و٣٤؛ نهج الإيمان لابن جبر: ٦٦٨؛ ينابيع المودّة ١: ٩.

(٤) شرح الأخبار للمغربي ٢: ٥٩٥؛ أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، ولكنّها جعلت عليّاً عليه السلام الثالث بعد التوأم أي أبوبكر وعمر لعنهما الله؛ مسند أحمد ٣: ٣٨٠؛ مجمع الزوائد ٩: ١١٧؛ طبقات المحدّثين باصبهان ٤: ١٣٢ بعد طلوع الثنائي أو التوأم؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٢٢؛ موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٣٧٠.

وفي الصحاح عن مسند عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: عليّ أخي في الدنيا والآخرة ...[١].

جواب: روى المخالف عن أبي هريرة قال: ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام[٢].

وفي رواية أُخرى: أسلم الناس (صيغة أفعل التفضيل ـ المترجم) وآمن الناس ابنا العاص.

وهذا الحديث مناقض لحديث آخر لأبي هريرة مروي من طريق المخالف، قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت في النوم بني الحكم وبني العاص[٣] ينزون على منبري نزو القردة والخنازير. قال: فأصبح كالمغيظ، فما رؤي رسول الله ﷺ مستجمعاً متبسّماً حتّى مات.

ولو كانوا مؤمنين لأمن المسلمون من شرّهم لاسيّما أهل البيت وهم أهل العصمة والطهارة، فقد أشاعوا سبّهم ثمانين عاماً في الشرق والغرب.

حديث:

جاء في جامع العلوم عن مسند عائشة، قالت: قبض رسول الله ﷺ وإنّه بين حاقنتي وذاقنتي ـ وفي رواية: بين سحري ونحري ـ ولا أكره شدّة الموت لأحد بعد الذي رأيت من رسول الله ﷺ.

---

(١) الخلاف للطوسي ١: ٢٨؛ هامش المسترشد للطبري الشيعي: ٣٣٢ عن كنز العمّال ١١: ٦٠٢ الرقم ٣٢٩٠٧؛ الأمالي للطوسي: ١٣٧.

(٢) مسند أحمد ٢: ٣٠٤ و٣٢٧ و٣٥٣ و٣٥٤؛ المستدرك ٣: ٢٤٠؛ مجمع الزوائد ٩: ٣٥٢؛ الآحاد والمثاني ٢: ٩٩ وكتب أُخرى.

(٣) لست أدري كيف يخطأ المؤلّف على فضله وسعة اطّلاعه بأبسط الأشياء فهو هنا يعتبر بني العاص هم السهميّون وإنّما عنى النبيّ الأمويّين فالعاص في الحديث ابن أُميّة ووالد عمرو هو العاص بن وائل السهمي، ويا بعد ما بين الاثنين، ولكنّ المؤلّف ﷺ يفتقر إلى الدقّة في كتابه وكان عليه أن يتريّث فيما لا يعلم حتّى تثبت صحّته عنده.

وفي رواية إنّها قالت: ما أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدّة موت النبيّ ﷺ(١).

الجواب: وجاء في جامع العلوم أيضاً عن أُمّ سلمة قالت: والذي تحلف به أُمّ سلمة إنّ أقرب الناس عهداً برسول الله عليّ. ولمّا كان غداة قبض رسول الله وكان في حاجة فجعل يقول: جاء عليّ ـ ثلاث مرّات ـ فجاء قبل طلوع الشمس، فلمّا أن عرفنا أنّ له إليه حاجة خرجنا من البيت وكنت في آخر من خرج من البيت، ثمّ جلست أدناهنّ من الباب، قالت: فأجلسه عليّ وكان آخر الناس به عهداً، جعل يسارّه ويناجيه(٢).

عن ابن مردويه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيتي لمّا حضره الموت: ادعوا لي حبيبي، فدعوت أبابكر فنظر إليه رسول الله ﷺ ثمّ وضع رأسه، ثمّ قال: ادعوا لي حبيبي ويلكم، فقلت: ويلكم ادعوا له عليّ بن أبي طالب فوالله ما يريد غيره، فلمّا رآه فرج الثوب الذي كان عليه ثمّ أدخله فيه فلم يزل يناجيه حتّى قبض ويده عليه(٣).

وروى ابن مردويه أيضاً قال: لمّا كان اليوم الذي توفّي فيه رسول الله ﷺ كان جالساً وظهره إلى صدر عائشة فهي مسندة والناس مجتمعون في المسجد، فقال النبيّ: ادعي إلى أخي وصاحبي، فدعت عليّاً، فلمّا دخل عليّ رآه عمر، قام

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ٤٢٦٦ بما هو أكثر اختصاراً، وفي رقم ٤٢٥٩ اقتصر على قولها: ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي، والحاقنة ما سفل من البطن، والذاقنة ما علا منها؛ فتح الباري ١١: ٣١٢؛ كتاب الوفاة للنسائي: ٥٠؛ سنن النسائي ١: ٦٠٢؛ المعجم الأوسط ٨: ٣٣٣، هذا ما كانت تردّده عائشة كثيراً تتباهى به.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٤: ٢٦١ و٥: ١٥٤.

(٣) الطرائف لابن طاووس: ١٥٤؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢: ٣٩٣.

ليخرج أو يخرج من البيت فسلّمته عائشة حتّى وضعت رأسه على المرفقة وقامت، فأخبر نبيّ الله عليّاً بألف باب يكون قبل يوم القيامة يفتح من كلّ باب ألف باب ...(١).

عن ابن مردويه وساق السند إلى الأرقم بن سرحيل (كذا) ـ الصحيح شرحبيل .. المترجم ـ عن ابن عبّاس قال: لمّا مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة، فقال: ادعو لي عليّاً. قالت عائشة: ندعوا لك أبابكر؟ قال: ادعوه، قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر؟ قال: ادعوه، قالت أُمّ الفضل: يا رسول الله، ندعوا لك العبّاس، قال: أدعوه، فلمّا اجتمعوا رفع رأسه فلم ير عليّاً، فسكت، فقال عمر: قوموا عن رسول الله ﷺ(٢) فلو كانت له إلينا حاجة ذكرها، ففعل ذلك ثلاث مرّات.

وكذلك روي عن جابر أنّ عليّاً عليه السلام كان عند النبيّ حين حضرته الوفاة، فأمره وعهد إليه بما شاء، فلمّا كان زمان عمر جاء كعب الأحبار ونحن جلوس عند عمر، فقال: يا أميرالمؤمنين، ماكان آخر ما تكلّم به نبيّكم؟ قال: سل عليّاً. قال: أين هو؟ قال: ها هو ذا، نسأله، فقال: أسندته إليّ فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة. قال كعب: ذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه بعثوا. قال: فمن غسّله؟ قال: سل عليّاً، فلمّا سأله قال: كنت غسّلته وكان عبّاس جالساً وكان

---

(١) حذف الناسخ جزءاً من الحديث وهو دعوة حفصة لأبيها عمر، ولم أعثر عليه في المصادر الموجودة في حيازتي وقد بحثت عنه جهد الطاقة فلم أُوفّق للحصول عليه وأُحيط القارئ علماً بذلك.

(٢) الطبري الشيعي في المسترشد: ١٢٢، مناقب ابن شهرآشوب ١: ٢٠٣؛ البحار ٢٢: ٥٢١؛ مسند أحمد ١: ٣٥٦.

أُسامة بن زيد وشقرى مولى رسول الله ﷺ يختلفان بالماء(١).

وبهذا افتخر عليّ عليه السلام: ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد ﷺ أنّي لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعة قطّ، ولقد واسيته في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، ويتأخّر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها، ولقد قبض رسول الله وإنّ رأسه على صدري، ولقد اسلت نفسه في كفّي فأمررتها على وجهي، ولقد ولّيت غسله والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية؛ ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحقّ به منّي حيّاً وميّتاً(٢).

ويتعارض حديث عائشة مع حديث أُمّ سلمة، مع أنّ حديث أُمّ سلمة يفضل حديث عائشة لأنّ أُمّ سلمة من جملة المخدّرات ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾(٣):

أوّلاً: لم تعمل عائشة بهذه الآية.

ثانياً: يعترف الخصم بأنّ عائشة بغت على الإمام ولم تكن أُمّ سلمة مثلها، وجرت العادة على أنّ الرجل إذا بلغ السياق وبلغت روحه التراق يتولّى أمره الرجال لاسيّما وأنّ الزوجيّة مسلوبة عن عائشة بسبب عدم استحقاقها للإرث من النبي وإنّما تستحقّه بالزوجيّة، فلمّا انتفت انتفى الإرث بها فهي ليست بزوجة في تلك الساعة.

---

(١) المراجعات: ٣٢٩؛ سبيل النجاة للشيخ راضي: ٢٤٧؛ معالم المدرستين للعسكري ١: ٢٢٠؛ أحاديث عائشة ٢: ٢٠٣؛ كنز العمّال ٧: ٢٥٣ رقم ١٨٧٨٩؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٦٢؛ سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ١٢: ٢٥٨.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٧٢ باب الخطب.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

الجواب: قال البخاري: أبو إدريس سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في الجاهليّة وشرّ فنجّانا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر. قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنّم من أجابهم إليها فذاق فيها. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا. قلت: ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: الزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن جماعة وإمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتّى يدركك الموت وأنت على ذلك(١).

وفي رواية عبدالله بن عمر قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن حتّى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي فتنة هرب وحرب، ثمّ فتنة السرّاء دخلها أو دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنّه منّي وليس منّي، إنّما وليّي المتقون(٢) ثمّ يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثمّ فتنة الدهيا(٣) لا تدع أحداً من هذه الأُمّة إلّا لطمته لطمة ... الحديث(٤).

وذكر محمّد بن معمر في جامع العلوم عن قوله: «فتنة الاخلاص شبهاً بالخليص لظلمتها أو ركودها ودوامها، والورك ولا يستقرّ على ضلع فكأنّه جعله مثلاً فيمن ليس له الملك ولا استقلال به...

(١) صحيح البخاري ٤: ١٧٨ و٨: ٩٢.

(٢) جائت العبارة عند المؤلّف هكذا: «إنّما أوليائي المتقول» وهي تصحيف ما في ذلك ريب.

(٣) الدهماء ـ المؤلّف.

(٤) مسند أحمد ٢: ١٣٣؛ سنن أبي داود ٢: ٢٩٩؛ المستدرك ٤/٤٦٧؛ الفايق ١: ٢٦٥؛ كنز العمّال ١١: ١٣٠ رقم ٣٠٩١١؛ الدرّ المنثور ٦: ٥٦؛ تهذيب الكمال ٢٢: ٥٢٧ ومعنى الورك على ضلع، أي يصطلحون على أمر واهٍ لا نظام له ولا استقامة.

ويقول مؤلّف هذا الكتاب الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسن الطبري: فهل بعد هذا الخير، إشارة إلى زمان نزول الوحي ووجود النبي بينهم.

قوله: من شر، إشارة إلى زمان الخلفاء الثلاثة الذين كانوا شرّاً على العترة، وإيذاءاً للمؤمنين، وفتنة عامّة.

وقوله: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم، إشارة إلى عهد الإمام عليّ عليه السلام.

وقوله: فيه دخن، إشارة إلى معاوية لعنه الله وحربه لأميرالمؤمنين عليه السلام، وبغيه على إمام زمانه أميرالمؤمنين عليه السلام.

«وهل بعد ذلك الخير من شر» قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنّم من أجابهم إليها فذاق فيها»، إشارة إلى ملوك بني أُميّة وإلى العبّاسيّين.

وقوله: هم من أهل جلدتنا، يعني من قريش.

ويتكلّمون بألسنتنا، يعني يتمسّكون بظاهر شرعنا نظاماً للملك.

وقوله: جماعة المسلمين وإمامهم، يعني التابعين لأهل البيت عليهم السلام، إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي.

وقوله: تلك الفرق كلّها، إشارة إلى زمن غيبة الإمام عليه السلام.

وشرح عماد الدين شفروه هذا الحديث شرحاً فاحشاً بعيداً عن العقل والنقل في باب الحديث السابع عشر من كتاب «التناقض»، ولشدّة وهنه وركاكة معناها ارتكب حماقات نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مِن ثَمّ أعرضنا عنه؛ فإن كان قالها معتقداً بها فويل له يوم القيامة، وإن قالها صيانة للجاه والمال يفوّض أمره إلى الله تعالى ولكن: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾[1].

---

(١) الأنعام: ٢١.

ولقد كشف الإمام عن هذه الحال ببيان معجب لطيف في بعض خطبه، فقال: ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النقمة، وثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصار قطبها، ومداد رحاها، تبدو في مدارج خفية وتؤول إلى فضاعة جليّة، شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، يتنافسون في دنيا دنيّة، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرّأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء.

ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الحقيقة الرجوف، القاصمة الزحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضلّ رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر، تفيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتدقّ أهل البدو تسجّلها، وترضهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوجدان، ويهلك في طريقها الركبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدماء، وتثلم منار الدين، وتنقض عقد اليقين، تهرب منها الأكياس، وتدبّرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، بريّها سقيم، وظاعنها مقيم(١).

وأوضح هذا كلّه بقوله: ألا وإنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أُميّة فإنّها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطّتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، وأيم الله لتجدنّ بني أُميّة لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس، تقدم بفيها وتخبط بيدها، وتزين برجلها وتمنع درّها، لا يزالون

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٣٧ و٣٨ باب الخطب.

بكم حتّى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال البلاء حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا كانتصار العبد من ربّه، والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعاً جاهليّة، ليس فيها منار هدًى، ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة، ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبّرة، لا يعطيهم إلّا السيف، ولا يجلسهم إلّا الخوف، فعند ذلك تودّ قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم، ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني..(١).

جواب: سنّة الله ورسوله وأميرالمؤمنين فيما يقولون هو بيان الرموز والإشارات عن البيّنة وإظهار الحجّة والدعوة العامّة وإفاضة الخير، كما قال تعالى: ﴿**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ* عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ* أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**﴾(٢) وقد بيّنّا جانباً من هذا الباب.

حديث:

ورووا أنّ امرأة أتت النبيّ ﷺ فكلّمته بشيء فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله، إن جئت ولم أجدك، كأنّها تقول: الموت، قال ﷺ: إن (فإن) لم تجديني فأتي أبابكر(٣).

الجواب: أجبنا فيما سلف عن هذا الباب إلّا أنّنا نضيف هنا أشياء لم تكن هناك نقلاً عن كتاب «المناقضات» من المخالف، عن الأصبغ بن سلمان أنّه سئل رسول

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٨٣ باب الخطب.

(٢) المعارج: ٣٦ ـ ٣٨.

(٣) صحيح البخاري ٤: ١٩١ و٨: ١٢٨؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١١٢؛ المعجم الكبير ٢: ١٣٢؛ البداية والنهاية ٥: ٢٤٨؛ السيرة النبويّة لابن كثير ٤: ٤٥٢.

الله ﷺ عن عليّ وفاطمة ﷺ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليكم بعليّ بن أبي طالب فإنّه مولاكم فأحبّوه، وكبيركم فاتّبعوه، وعالمكم فأكرموه، وقائدكم إلى الجنّة فعزّزوه، وإذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه، فأحبّوه بحبّي، وأكرموه بكرامتي، ما قلت لكم في عليّ إلّا ما أمرني ربّي جلّت عظمته[1].

فتبيّن من هذا أنّ الحديث الأوّل حكم خاصّ مع شخص خاصّ في أمر خاصّ، والحديث الثاني حكم عام بملأ عام في أُمور عامّة، وفي مثل هذه الأُمور تغليب الأمر العام على الأمر الخاص أولى وأحقّ من تغليب الخاصّ على العام، والإمامة عامّة للمكلّفين وليست خاصّة لشخص معيّن.

حديث:

قال أبو سعيد الخدري: قال أبوبكر: ألست أحقّ الناس بها، ألست أوّل من أسلم[2].

الجواب: روى صدر الأئمّة وساق الحديث إلى الزمخشري عن أبي ذر قال: لمّا كان أوّل يوم في البيعة لعثمان، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾[3] قال أبوذر: فاجتمع المهاجرون والأنصار في المسجد ونظرت إلى أبي محمّد عبدالرحمان بن عوف، وقد اعتجر بريطة، وقد اختلفوا وكثرت المناجزة إذ جاء أبوالحسن ـ بأبي هو وأمّي ـ قال: فلمّا بصروا بأبي الحسن عليّ بن أبي طالب ﷺ سرّ القوم طُرّاً، فأنشأ عليّ ﷺ يقول:

إنّ أحسن ما ابتدأ به المبتدئون وتنطّق به الناطقون وتفوّه به القائلون حمد الله

(١) محمّد بن أحمد القمّي، مائة منقبة: ٦٢؛ الكراجكي، كنز الفوائد: ٢٠٩؛ محمّد طاهر القمّي الشيرازي، كتاب الأربعين: ٨٠؛ بحار الأنوار ٢٧: ١١٢ و٢٨: ١٥٢.

(٢) ابن عقيل، النصائح الكافية: ٢٢٨، وقال: أخرجه الترمذي وابن حبّان في صحيحه.

(٣) الأنفال: ٤٢.

والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على النبيّ محمّد وآله، الحمد للّٰه المتفرّد بدوام البقاء، المتوحّد بالملك والمجد والثناء ـ إلى أن قال: ـ فأُنشدكم الله يا معاشر المهاجرين والأنصار، هل تعلمون أنّ جبرئيل عليه السلام (أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا محمّد، لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي، هل تعلمون كان هذا؟ قالوا: اللهمّ نعم)(١).

قال: فأُنشدكم الله هل تعلمون أنّ جبرئيل عليه السلام نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد، إنّ الله يأمرك أن تحبّ عليّاً وتحبّ من يحبّه فإنّ الله تعالى يحبّ عليّاً ويحبّ من يحبّ عليّاً؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: فأُنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا أُسري بي إلى السماء السابعة رفعت إلى رفارف من نور ثمّ رفعت إلى حجب من نور فوعد النبيّ الجبّار لا إله إلّا هو أشياء، فلمّا رجع من عنده نادى منادٍ من وراء الحجب: نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك عليّ بن أبي طالب فاستوص به؟ قال: أتعلمون معاشر المهاجرين والأنصار كان هذا؟ فقال أبو محمّد من بينهم ـ يعني عبدالرحمان ابن عوف ـ: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وإلّا فصمّتا.

ثمّ قال: أتعلمون أنّ أحداً كان يدخل المسجد جنباً غيري؟ قالوا: اللهمّ لا.

قال: فأُنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبواب المسجد سدّها [رسول الله] وترك بابي بأمر الله؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: هل تعلمون أنّي كنت قاتلت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتلت الملائكة عن يساره؟ قالوا: اللهمّ نعم.

قال: فأُنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله قال لي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟ قالوا: اللهمّ نعم.

---

(١) هذه الفقرة لم يذكرها المؤلّف.

قال: فأُنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ أخذ الحسن والحسين فجعل يقول: هي يا حسن، فقالت فاطمة: يا رسول الله، إنّ الحسين أصغر وأضعف ركناً منه، فقال لها رسول الله: ألا ترضين أن أقول أنا هي يا حسن، ويقول جبرئيل: هي يا حسين؟ فقالوا: اللهمّ نعم.

قال: فهل لخلق منكم مثل هذه المنزلة.. نحن الصابرون ليقضي الله في هذه البيعة أمراً كان مفعولاً[١].

جواب: نعود إلى كلام أبي بكر القائل: من أولى بها منّي وأنا أوّل من أسلم. فعدّ السبق إلى الإسلام دلالة على استحقاق الإمامة، وهذا باطل، لأنّ الإمامة لا تصحّ حتّى يحصل الإجماع (عندهم طبعاً) وفي السابق إلى الإسلام اختلاف بين المسلمين، فمن قائل أنّه عليّ، ومنهم من قال زيد بن حارثة، وقيل بلال بن رباح، وقيل أُمّ المؤمنين خديجة عليها السلام وهلمّ جرّاً[٢].

روي عن عبدالله المدني عن ابن مردويه عن معاذة العدويّة قالت: سمعت عليّاً وهو على منبر البصرة يقول: أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبوبكر[٣].

---

(١) نهج السعادة ١: ١١٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ١٩٨؛ مناقب الخوارزمي: ٢٩٩؛ ينابيع المودّة ١: ٤٣٣.

وأنا بدوري أتساءل: لم لم يحتجّ أمير المؤمنين بيوم الغدير عليهم وهو لا بديل عنه في مثل هذا اليوم؟ أنا على يقين من أنّ الأيدي الخائنة لعبت في النصّ فحذفت كثيراً منه وما زال هذا دأبها وديدنها إلى اليوم فإلى الله المشتكى، كلّ هذا من أجل أن لا نخسر بيدقاً اسمه عمر وبيدقاً آخر اسمه أبوبكر في رقعة التاريخ المبسوطة للعب الأمزجة والخواطر والغايات.

(٢) لا اختلاف بين المسلمين في أوّل من أسلم، فقد أجمعوا على أنّ سيّدتنا خديجة عليها الصلاة والسلام أوّل من أسلم، ثمّ تلاها أمير المؤمنين، ولكن الاختلاف الذي حدث هو من صنع عائشة حين ادّعت لأبيها هذا السبق ونابعها على ذلك بطانتها.

(٣) المسترشد: ٢٦٤؛ الفصول المختارة: ٢٦١؛ الإرشاد ١: ٣١؛ كنز الفوائد: ١٢١؛ الاحتجاج ٢: ←

وروى ابن مردويه عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: أوّل من آمن خديجة ثمّ عليّ بن أبي طالب، ثمّ زيد بن حارثة، ثمّ أبوبكر.

جواب آخر: إن كان مجرّد السبق إلى الإسلام يثبت التقدّم والاستحقاق في الخلافة فينبغي أن يكون عثمان أولى بالخلافة من عمر، ومقدّماً عليه، لأنّه أسلم قبله كما ينبغي أن يلي الخلافة عليّ بعد أبي بكر، لأنّ عليّاً سبق عثمان وعمر إلى الإسلام بإجماع الخصوم[1] وليس الأمر كذلك فتبيّن من هذا أنّ السبق لا يثبت الأولويّة في الحكم.

حديث:

يقول المخالفون عن عليّ عليه السلام قال: ذكرت الأُمراء عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن تبايعوا أبابكر، تجدوه ضعيفاً في نفسه وقويّاً في أمر الله، وإن تبايعوا عليّاً ولن تفعلوه تجدوه هادياً يسلك بكم الطريق المستقيم[2].

الجواب: هذه الرواية ذكرها صاحب كتاب المناقضات «مناقضات البخاري»

➲ ١٤٩؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٨٩؛ المستجاد من الإرشاد للعلّامة الحلّي: ٣٤؛ الصراط المستقيم ١: ٢٣٥؛ بحار الأنوار ٣٨: ٢٢٦ و ٢٦٨.

(١) أقول: إنّ الذي فهمته من قول أبي بكر أو قولهم على لسانه أنّ الأولويّة في السبق شرط في التقدّم ولا يترتّب على ذلك تسلسل العدد بأن يكون الثاني بعد الأوّل والثالث بعد الثاني في الأوّليّة وهكذا وحينئذٍ لا محلّ لقول المؤلّف، فينبغي عليه أن يورد عليهم من وجه آخر.

(٢) الإيضاح لابن شاذان: ٢٣٧؛ الغارات ٢: ٥١٨؛ مناقب أمير المؤمنين للكوفي: ٤٤٨ وليس ذكر لأبي بكر؛ السقيفة وفدك للجوهري: ٧٦؛ مسند أحمد ١: ١٠٩ وفيه زيادة؛ المستدرك ٣: ٧٠؛ مجمع الزوائد ٥: ١٧٦؛ شرح ابن أبي الحديد ٦: ٥٢ و ١١: ١١؛ كنز العمّال ٥: ٧٩٩ و ١١: ٦١٢؛ شواهد التنزيل ١: ٨٢ و ٨٣ و ٨٤؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٤: ٢٣٦؛ أُسد الغابة ٤: ٣١؛ ميزان الاعتدال ٣: ٣٦٣؛ الإصابة ٤: ٤٦٨؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٥٠ وفي أكثرها يذكر عمر أيضاً.

ويروي كذلك عن الطبراني عن اسحاق بن إبراهيم عن عبدالرزّاق عن أبيه عن ميثاق عن عبدالله بن مسعود قال: كنت مع النبيّ ﷺ ليلة قد بايع الجنّ، فتنفّس، فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي يابن مسعود. قلت: استخلف يا رسول الله، قال: من يابن مسعود؟ قلت: أبوبكر، فسكت ثمّ مضى ساعة ثمّ تنفّس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي يابن مسعود. قلت: فاستخلف. قال: من؟ قلت: عليّ بن أبي طالب. قال: أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلنّ الجنّة[1].

الجواب: اعلم أنّ عبدالله المدني روى عن سلمان الفارسي أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ وصيّي وخليفتي وخير من أترك من بعدي ينجز موعدي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب.

ويقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

ويقول: إنّي تارك فيكم الثقلين.. الخ.

ويقول: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

ويقول: اللهمّ أدر الحقّ مع عليّ حيث ما دار[2].

قال المصنّف: إنّ قوله: إن تبايعوا أباكر تجدوه ضعيفاً على نفسه دليل على بطلان هذا الحديث ووضعه لأنّه يخالف القرآن، فقد قال رسول الله ﷺ: إذا ورد عليكم

---

(١) الفضل بن شاذان: ٩٣؛ الروضة في المعجزات والفضائل: ١١٩.

(٢) هذه جملة أحاديث وقد سبق تخريجها إلّا الحديث الأوّل عن سلمان وقد أخرجه ابن شهرآشوب في المناقب ٢: ٢٤٦ و٢: ٢٥٦ أخرجه عن أنس؛ معالم المدرستين ١: ٢١٦ عن أبي سعيد؛ وابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٨؛ تهذيب التهذيب ٣: ٩١؛ كشف اليقين للحلّي: ٢٧٠؛ مجموعة الرسائل للطف الله الصافي ٢: ٤٠.

منّي حديث فأعرضوه على كتاب الله فإن وافق فاقبلوه[١]، ويقول تعالى في حـق طالوت لمّا ردّه بنو إسرائل وأبوا ملكه وإمارته: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[٢] والقوّة من الصفات الممدوحة كما قال الله تعالى في حقّ نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٣] وقال في حقّ جبرائيل: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾[٤].

و «قويّاً في أمر الله تعالى» بـاطل أيـضاً، ولو كـان صـحيحاً لمـا آذى فـاطمة المعصومة البضعة من رسول الله ﷺ وأُمّ السادات والأئمّة وسيّدة نساء العالمين حتّى ماتت غاضبة عليه بغضّتها، وأوصت أن تدفن سرّاً، ولا يشهد جنازتها كما جاء في صحيح البخاري.

وما روي في حقّ عمر «قويّاً في نفسه» إن كان القصد بهـا الفـظاظة والغـلظة وشراسة الخلق فإنّها صفات ذمّ ونقصان: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥] وهي علامة على شقاء تلك الدار وقساوة القلب في هذه الدار، وإن كان المقصود منها الشجاعة فليس من المعروف عن عمر أنّه شـارك في قـتال أو قـتل

---

(١) عون المعبود ١٢: ٢٣٢، قال الخطابي: فإنّه حديث باطل لا أصل له، وقد حكى زكريّا الساجي عن يحيى بن معنى أنّه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة؛ تذكرة الموضوعات: ٢٨؛ كشف الخفاء ١: ٨٦ و٢: ٤٢٣؛ أضواء على السنّة المحمّديّة لأبو رية: ٩٩؛ التبيان للطوسي ١: ٥؛ تفسير مجمع البيان ١: ٣٦ و٣٩؛ أحكام القرآن لجصّاص: ١: ٦٢٩ و٣: ٣٨؛ تـفسير القـرطبي ١: ٣٨؛ أُصـول السرخسي ١: ٣٦٥ و٢: ٦٨ و٧٦؛ المحصول ٣: ٩١ و٤: ٣٣٨؛ الأحكام للآمدي ٢: ٣٢٣؛ شيخ المضيرة: ٢٣٨؛ تاريخ ابن معين ١: ٣٢٦.

(٢) البقرة: ٢٤٧.

(٣) الذاريات: ٥٨.

(٤) النجم: ٥ و٦.

(٥) آل عمران: ١٥٩.

خصماً للّه ورسوله، وكان ينهزم في كلّ حرب تشنّ على الإسلام لاسيّما في أُحد وحنين وبدر وما قاله في حقّ عليّ «ولن تفعلوه» دليل واضح على أنّ الصحابة يميلون عنه إلى غيره وهو مهدي وهادٍ وليس كغيره ضالاًّ مضلاًّ وهو الصراط المستقيم في فاتحة الكتاب واتّباعه طريق الإسلام.

جواب آخر: كلا الحديثين مرويّ من طريق علماء القوم والحديث الأوّل لا يدلّ على خلافة الثلاثة ولا برهان لهم فيه عليها، والحديث الثاني دالّ على خلافة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

جواب آخر: إنّ مذهب المخالفين أنّ عليّاً عليه السلام أقلّ مرتبة منهم وأدنى، وهذه العقيدة استحكمت فيهم جدّاً حتّى أنّي جرى لي بحث ذات يوم في مدينة يزدجرد وكنت قد استولى عليّ كرب مع عالم منهم في تلك البقعة من الأرض حول المذهب، فقال لي ذات يوم في طوايا البحث: إنّ النبيّ عندنا بمنزلة الإبهام، وأبوبكر السبّابة وعمر الوسطى وعثمان الخنصر وعليّ البنصر، وعليّ أدنى منهم بكلّ اعتبار، والعجب هنا أنّ هذا القول إن كان حقّاً فالحديث كذب وباطل لأنّ فيه أبابكر ضعيف وعمر له مرتبتان وعليّ حائز على عدد من المراتب أعلى مستوى منهم، وهذا الحديث عين نقصانهم وبه بانت فضيحتهم، وإذا جاز تقديم المفضول على الفاضل فلا بدع أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله أدنى آحاد الأُمّة والإجماع منعقد على أنّه أفضل أفراد الأُمّة وأفضل بمفرده من جميع الأنبياء، وعمر هو القائل: عجزت النساء أن يلدن مثل عليّ بن أبي طالب(١).

(١) قول عمر: عجز النساء، رواه الرواة في معاذ، راجع: المغني ١٠: ١٣٩؛ الشرح الكبير ١٠: ١٣٣؛ المحلّى ١٠: ٣١٦ و٧: ٣٥٥؛ البداية والنهاية ٧: ٧٥.

وقال: لا أبقاني الله لمعضلة (لم يكن فيها عليّ بن أبي طالب)[١] بعدك يا علي[٢].

وقال: اللهمّ لا تبقني لمعضلة لم يكن فيها عليّ بن أبي طالب حيّاً[٣].

حديث:

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: لا يبقينّ في المسجد باب إلّا سدّ إلّا باب أبي بكر[٤].

الجواب: روى أبوبكر ابن مردويه عن مشايخه عن الملائي أنّه قال: أتيت المدينة فدخلت على عليّ بن الحسين زين العابدين، فقلت: جعلني الله فداك، رجل من مواليك أُريد أن أسألك فحدّثني به، قال: وما ذاك؟ قلت: حدّثني في شأن الأبواب، سمعت فيها شيئاً من أبيك.

قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ، عن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: إنّ موسى بن عمران سأله ربّه أن يطهّر المسجد لهارون وذرّيّته من بعده، وإنّي سألت ربّي أن يطهّر مسجدي لك ولذرّيّتك من بعدي، ثمّ لم يكن إلّا قليلاً حتّى أرسل إلى أبي بكر أن سدّ بابك، فاسترجع أبوبكر، ثمّ قال: هل فعل هذا بأحد قبلي؟ قال: لا، فقال: سمعاً وطاعة، ثمّ فعل، ثمّ أرسل إلى عمر أن سدّ بابك، فاسترجع وقال: هل فعل بآخر قبلي؟ قالوا: بأبي بكر، قال: لي

---

(١) هذه العبارة من المترجم.

(٢) المسترشد: ٦٥٣؛ مناقب ابن شهرآشوب ٢: ١٨٢؛ البحار ٣: ٦٧٨.

(٣) أحمد المرتضى في شرح الأزهار ٤: ٣٤٦.

(٤) صحيح البخاري ١: ١٢٠ و٤: ١٩١؛ تحفة الأحوذي ١٠: ١١٢؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٧١؛ مسند أبي يعلى ٢: ٦٣؛ كنز العمّال ١١: ٥٥١ رقم ٣٩٥٩٠؛ نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني: ١٩٤؛ الطبقات ٢: ٢٢٧؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٨ و٤٠: ٢٢٦؛ مقام عليّ للعسكري: ٢٧؛ الغدير للأميني ٢: ٩٧؛ فيض القدير للمناوي ٤: ٤٧٠؛ المناقب للخوارزمي: ١٠١؛ جواهر المطالب: ٢٠٠؛ الأنوار العلويّة للنقدي: ٨٩؛ عمر بن الخطّاب: ٣٧١.

بأبي بكر أُسوة يفعل، ثمّ أرسل إلى العبّاس أن سدّ بابك فغضب غضباً شديداً ثمّ قال: ارجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقل: أليس عمّ الرجل صنو أبيه؟ فقال: بلى ولكن سدّ بابك، فلمّا سمعت فاطمة سدّ الأبواب خرجت فجلست على بابها تنتظر من يرسل إليها بسدّ الأبواب، فخرج العبّاس ينتظر هل يسدّ باب عليّ عليه السلام، فرأى فاطمة جالسة والحسن والحسين عليهما السلام معها، فلمّا رأى العبّاس قال: خرجت وبسطت ذراعي مثل الأسد أخرجت شبليها وقال: خاض الناس في سدّ أبوابهم وترك باب عليّ، فلمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك صعد المنبر فقال: ما الذي خضتم فيه وما أنا الذي سددت أبوابكم ولا فتحت باب عليّ ولكنّ الله سدّ أبوابكم وفتح باب عليّ عليه السلام(١).

فصل

في كتاب شرف النبي من تصانيف الأُستاذ أبي سعيد عبدالملك بن أبي عثمان الواعظ عن رؤيا أبي بكر في جاهليّته في المنام أنّ القمر نزل على الأرض في مكّة وتقطّع إرباً إرباً على سطح الكعبة ووقعت كلّ قطعة منه في حجرات مكّة ومنه قطعة وقعت في داره ثمّ عادت القطع فتجمّعت حتّى صارت قمراً واستدار كما كان فلم يقصص أبوبكر رؤياه على أحد إلى أن كان العام الذي خرج فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بتجارة خديجة وكان أبوبكر في ذلك الركب، فلمّا نزلوا بقرب دير الراهب بحيرا رأى الراهب الغمامة التي أظلّت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأضافهم بحيرا وعهد بالنبيّ إلى أبي طالب عليه السلام وقال: خذ حذرك من اليهود على هذا الغلام.

فلمّا سمع أبوبكر ما قاله بحيرا قصّ رؤياه عليه، فقال بحيرا: إنّ هذا الغلام سوف يرسله الله إلى الخلق وتكون أنت الخليفة بعده، فابتهج أبوبكر بهذه البشرى وكتم

(١) محمّد بن سليمان الكوفي، مناقب أمير المؤمنين ٢: ٤٦١.

ذلك في قلبه، طمعاً في الخلافة، فلمّا بعث رسول الله دعا أبابكر إلى الإسلام، فقال له أبوبكر: ما هو الدليل الذي أُصدّقك به؟ فقال: بآية الرؤيا التي رأيتها وعبّرها لك بحيرا الراهب.

وكان أبو سعيد الواعظ من النواصب وهو من كبار أهل السنّة.

الجواب: هذا ما يقوله علماء الشيعة بأنّ إسلام أبي بكر كان طمعاً في الخلافة، ومن أجل هذا زوّج ابنته عائشة رسول الله، وكان النبيّ معرضاً عنها، ولكن شفع لأبي بكر جماعة من رؤساء العرب فاستحيي النبيّ منهم ورضي بها، وطالما كاد النبيّ وتآمر عليه لقتله كي ينال الخلافة من بعده.

ولكنّي أنا المؤلّف لا أقطع بهذا حتّى اطّلعت على كلام النواصب هذا فقطعت الشكّ باليقين وثبت لديّ ما اتفق عليه علماء الشيعة من أنّ إسلام أبي بكر ما كان إلّا لنيل الملك وليس مخلصاً للّه فيه، ولا محبّاً لرسول الله ﷺ، وكان القمر الذي رآه في النوم رسول الله، وما رآه من تفرّقه في حجرات مكّة فتأويله سلطان محمّد ﷺ الذي ظهر في قريش، ونال به جماعة حظّاً من الدنيا وجماعة حظّاً من الدين، وخسر قوم الدنيا والآخرة، وفتن أُناس فيما جرى بحجرته قبل وفاته وطرده لهم إشارة وتنبيه على أنّ صاحب الفتنة ليس بعيداً عن مشركي قريش ولا فضل له عليهم، وهو مثل سائرهم، وآخر الأمر عاد إلى الصواب وهو أن كان القوم قد نالوا حظّاً من الدولة ولكنّهم تعرّضوا للهلاك بجملتهم إلى أن هلكوا في ختام الأمر وبقيت ظلمات الكفر معهم ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّيُبْصِرُونَ﴾(١) وتكون الخلافة في نهاية الأمر لأهل بيت النبيّ ﷺ يعني ينالها المهدي عجّل الله تعالى فرجه آخر الزمان وهو حجّة الله ووارث الأنبياء

---

(١) البقرة: ١٧.

والأوصياء، والكتاب السماء، ويستقيم العالم بعدله، ويستضيء الدهر والأرض بنوره، ويؤمن النواصب إيمان الحقّ، وينتزع الله محبّة الفاسقين من قلوبهم، ويحلّ محلّها حبّ أهل البيت.

وينبغي أن يجري التحقيق على ما تقرّر من إيمانهم فإنّه لم يكن على الحقيقة وإنّما أساسه الطمع وحبّ الجاه والسطوة، خلا أنّهم أفلسوا من هذا وذاك، كما قال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[1]، والسلام على من اتّبع الهدى.

(١) الأحقاف: ٢٠.

الباب التاسع

في البدع التي ابتدعها أبو بكر ورسيلاه[1]

البدعة الأُولى:

تسميته نفسه أميرالمؤمنين وحكمه على أهل الإسلام، والحال أنّه منصوب بدون إذن الله ورسوله وتنصيبهما.

البدعة الثانية:

أخذه البيعة لنفسه من الصحابة على أنّه وصيّ رسول الله وخليفته، والسبب في ذلك أنّ المنافقين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر واتفقوا معه على أن يكونوا يداً واحدة لهدم الدين وإبطال الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[2] فاتّحدت هذه الجماعة قلباً

---

(١) أحرِ بها أن تكون صاحباه، لأنّي لم أقف على معنى الرسيل بما يقصده المؤلّف هنا، لأنَ الرسيل في اللغة الرسول، والرسيل ـ كأمير ـ الواسع الطفيف، والرسيل الفحل، والرسيل المراسل في نضال وغيره، والرسيل الماء العذب، راجع تاج العروس، ولا أجد من هذه المعاني معنى ينطبق على عمر وعثمان.

(٢) الحجرات: ١٤.

وقالباً لاتفاق المصالح وليقوم أحدهم بالآخر، ويتعاونون ويتناصحون فيما بينهم، وسلك مسلكهم آخرون لخوفهم من التلف على مالهم وأنفسهم ولحفظ عرضهم، وأيضاً لقلّة عددهم وكثرة عدوّهم، وخدع بهم آخرون ولبسوا عليهم فاغترّوا بهم فرأوا باطلهم بعين الحقّ ولم يكن كذلك، ويكون العدّ كالتالي:

هلاك الجماعة الأُولى بكفرها، وأنّها كافرة بربّها ونبيّه وكتابه، وأمّا الجماعة الثانية فلم تخرج من دائرة الإيمان وظلّت محافظة على دينها وإسلامها، وأمّا الجماعة الثالثة فإن كانت ذات جهل مركّب أي أنّها تملك الذكاء والكياسة وبإمكانها البحث عن الدليل وتحرّي الحقّ والتمييز بين القبيح والحسن والحقّ والباطل، ثمّ لم تفعل ذلك فإنّها هالكة لا محالة، وإن لم تكن بتلك القوّة وذلك الاستعداد ولم تستطع دفع الشبهات فإنّها في حكم المجانين والسفهاء.

وقال بعضهم: إنّ أمر هؤلاء إلى الله إن شاء عذّبهم وإن شاء رحمهم وعفى عنهم.

ونعود إلى الفرقة الأُولى فإنّها لم تنسلخ عن صورة الإسلام ولم تتجرد من الشريعة ذلك لغاية في النفس تشتمل على ترويج أُمور الدنيا، وحفظ الإمارة والسلطان، وعلموا أنّ هذه الخطّه خير وسيلة للأخذ بثأر الجاهليّة في بدر وحنين، كما أنّهم فعلوا ذلك بهدوء وحذر وتأنّي فجدّدوا قوانين الجاهليّة وأضمروا الدخائل السوداء بتمنّيهم عودة أهل هذا الدين إلى منشأهم الجاهلي الأوّل، وعلموا أنّ الناس عبّاد المظاهر ولا أرب لهم في المخابر، وليسوا من أهل الأسرار، وكان الأوّل يكتب في رسائله معنوناً لها بأنّه خليفة رسول الله، وهذا افتراء على النبيّ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾[1] وكان مع ذلك يبيد المسلمين بالقتل والتمثيل، ويحتجّ على ذلك بالردّة المزعومة، وينسبها إليهم.

---

(١) طه: ٦١.

وحمل الجباة على الناس فراحوا يلزمونهم على الأخماس والزكوات بأقبح الوجوه من القهر والاستيلاء بالقوّة عليها، ولّى على كلّ قبيلة وحاضره حاكماً، وصنع له جيشاً عرمرماً، ولم يحاول أحد مسألته عن مفارقته حيث يزعم بأنّ النبيّ ﷺ مات ولم يستخلف، فكيف إذن تسمّى بخليفة رسول الله ؟ ومن سمّاه ؟ وما هي حجّته على ذلك ؟ وإن كانت الخلافة بالنصّ والعصمة والعلم والورع فأنت فاقد لها.

وبناءاً على هذا فإنّ من سلخ من عمره ستّاً وأربعين عاماً في الكفر حتّى أسلم وليس فيه خصلة واحدة من خصال الإمامة من المعجزات(١) والنصّ والعصمة والورع ثمّ هو الآن يدّعي خلافة رسول الله ﷺ فلا يجوز تسميته خليفة رسول الله بحال من الأحوال، لأنّ النبيّ قال: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار(٢) وأوّل من كذب على رسول الله متعمّداً هذا الرجل، وهم يتبعونه ويروون أنّ النبيّ مضى ولم يستخلف، وهذا الحديث مشهور مستفيض عندهم.

وإنّهم يقولون بأنّ ما فعل المهاجرون والأنصار من تنصيب أبي بكر والاجتماع

---

(١) الكرامات ـ المؤلّف.

(٢) السرائر لابن إدريس الحلّي ٢: ١٥٤؛ مستند الشيعة للمحقّق النراقي ١٨: ١٣٣؛ مصباح الفقاهة للخوئي ١: ١١٦ و٣٨٨؛ الرسالة للشافعي: ٣٩٦؛ مغني المحتاج للشربيني ٤: ٤٢٠؛ حواشي الرشواني ١٠: ٢٢٠؛ حشاية ردّ المحتار لابن عابدين ١: ١٣٨؛ كشف القناع للبهوتي ٥: ٣٦؛ المحلّى لابن حزم ٩: ١١١ و٣٣٦؛ سبل السلام لابن حجر ٣: ٢٢٣؛ نيل الأوطار ٨: ٨٥؛ نهج البلاغة ٢: ١٨٧؛ من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٦٩ و٤: ٣٦٤؛ ذخائر العقبى: ٧٦؛ مسند أحمد ١: ٦٥ و٧٨ و١٣٠ و١٦٥ و١٦٦ و٢٩٣، وكذلك أخرجه في أجزائه الخمسة الأُخرى؛ صحيح البخاري ١: ٣٥ و٢: ٨١ و٤: ١٤٥ و٧: ١١٨؛ صحيح مسلم ١: ٧ و٨ و٨: ٢٢٩؛ المستدرك ١: ١٠٣ و١١١ و١١٢ و١١٣ و٣: ٢٦٢ وكتب كثيرة أخرجت هذا الحديث وهو متواتر على قلّة الحديث المتواتر عندهم بخلاف الشيعة فإنّ أحاديثهم المتواترة كثيرة.

عليه إنّما كان لحفظ الدين وحماية بيضته وتثبيت أمر الأُمّة ونظام الإسلام.

الجواب: إنّ ثبات الأُمّة واجتماع الكلمة بقول الله ورسوله أولى، وليس بسبب اجتماع ثلّة من المسلمين، وإذا كان هذا الاجتماع لصلاح الدين فإنّ إجماع المسلمين على قتل عثمان يجب أن يكون حقّاً بناء على قول الخصوم.

وقال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1]، ولم يرد حديث مقطوع به أنّهم مأذون لهم فيما صنعوا بل الحديث وارد بنهيهم عمّا فعلوا.

وإذا ادّعوا بأنّ الأُمّة رأت فيهم الكفائة دون غيرهم وأنّهم المستحقّون لتقديم هذا العمل.

الجواب: ولكن الله ورسوله رأيا غيرهم أولى بهذا العمل منهما، مع أنّ أبابكر لم يكن أهلاً لهذا العمل بشهادته على نفسه حين قال: أقيلوني فلست بخيركم وإنّ لي شيطاناً يعتريني[2].

مع أنّ أعلام الصحابة من المهاجرين والأنصار لم يبايعوه، فمن المهاجرين: خالد ابن سعيد، والمقداد بن الأسود، وأُبيّ بن كعب، وعبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن مسعود، وعمّار بن ياسر، وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبريدة الأسلمي، ومحمّد بن أبي بكر[3]. ومن الأنصار خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وسهل بن

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ١: ٢٥٦؛ كنز العمّال ٥: ٥٩٠؛ الطبقات الكبرى ٢: ٢١٢؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠: ٣٠٣ و٣٠٤؛ البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٣٣٤؛ الإمامة والسياسة ١: ٢٢ و٣٤؛ سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣١٥؛ الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي ٢: ٤٣؛ مجمع النورين للمرندي: ١٠٩؛ صحيفة الرضا عليه السلام للقيّومي (فارسي): ٣١٠.

(٣) مات أبوه وعمره يومئذٍ سنتان فكيف يمتنع عن بيعته وهو بهذه السنّ، اللهمّ إلّا أن يقال: بأنّه لمّا علم بطلان خلافة أبيه مال عنه إلى أميرالمؤمنين بعد أن بلغ مبلغ الرجال فكان كمن أبى له بالبيعة.

حنيف وأبو أيّوب وأبو الهيثم بن التيّهان.

هؤلاء أعلام الصحابة المعروفون بالعلم والزهد والورع لمّا عرفوا باطل القوم وأنّ البيعة لهم باطلة أبوها ولم ينساقوا ورائهم ولا شايعوهم على الباطل، اللهمّ إلّا عبدالله بن عبّاس ومحمّد بن أبي بكر فإنّهما طلبا من الإمام الذهاب إلى القوم والردّ عليهم(١) فلم يأذن لهما الإمام وحذّرهما من ذلك قائلاً: إنّي أخاف عليكما هذا الجمع وحدوث الفتنة وتكأكأ الناس عليكما وقتلكما، اذهبا إليهم واحداً واحداً فإنّهم لا يستطيعون قتل الواحد إذا علموا أنّ الثاني ردءٌ له، فكانا يفعلان ما أمرهما به أميرالمؤمنين عليه السلام ويتلوان حكاية الغدير ووصيّة رسول الله والنصوص الواردة في الإمامة ويلزمون القوم الحجّة بتأكيدها وتبيينها ولكن الرجل الذي هفى قلبه إلى الحكم وجنح إلى الدنيا وراقه الزبرج منها لا يصغي إلى عتب عاتب ولا إلى لوم اللائمين.

وأطاعهم جلّ قبائل العرب إمّا جهلاً بواقع الحال أو رغبه في الحطام أو خوفاً من شرّهم المستطير، إلّا تلك القبيلة التي أبت أن تعطيهم زكاة أموالها وقالت: إنّ رسول الله لم يأذن لنا بإعطاء الزكاة أو الخمس إلى ابن أبي قحافة وإنّما أمرنا بدفعها إلى وصيّه عليّ بن أبي طالب إمام المسلمين، وأمّا أنت يابن أبي قحافة فلا تستحقّ شيئاً من هذا، جئنا برخصة من الله ورسوله وحجّة غالبة وإلّا فلن تنال منّا شيئاً، فعجز عن إجابتهم وحكم بارتدادهم.

وأرسل خالداً بن الوليد على رأس عسكر مجرّ، ولمّا اشتغل خالد بالحرب، ارتفع صوت المؤذّن للصلاة، فترك أهل تلك القبيلة الحرب وأقبلوا على الصلاة، فأنكر الصحابة شنّ الحرب عليهم، فأبى خالد أن يستمع إلى أحد وقال: لابدّ من

(١) قد عرفت حال محمّد، وأمّا ابن عبّاس فكان يومئذٍ صبيّاً صغيراً رضوان الله عليهما.

قتالهم، وأمهلهم حتّى شرعوا في الصلاة ومال عليهم بالجيش فأبادهم جميعاً وقتل رئيسهم مالكاً ابن نويرة، ووضع رأسه أثفية للقدر، باعتبار العداء المستحكم بينهما في الجاهليّة(١).

ودخل بزوجته في الليلة التي قتل بها زوجها فشاع الخبر في الجيش وبين الناس، فأنكروه على خالد وجماعته، وأغار خالد على النساء والبنات والأموال فغنمها واشتغل المهاجرون والأنصار هناك بفعل القبيح مع بنات المسلمين إلّا جماعة قليلة أنكرت هذا الفعل واعتزلت القوم، ولمّا عادوا إلى المدينة أبعدوا الحوامل منها إلى أقصى البلاد لئلّا يطّلع الناس على بشاعة الجريمة، وباعوهنّ، وكان عمر صديقاً لمالك بن نويرة(٢) في قديم الزمان.

فلمّا عادوا إلى المدينة واقتسموا الأموال والنساء والأولاد، فأصاب عمر نصيب من ذلك فقبله ولم يتصرّف فيه، ولم يقسمه بين قريش، ولمّا نال الخلافة عمد إلى ما تبقى من هذه الغنائم فجمعها وأرسلها إلى ذويها ومن لم يكن حيّاً منهم دفعها إلى ورثته.

---

(١) أقول: اقتصر المؤلّف ﷺ على وجه واحد من وجوه هذه الحرب البشعة ولعلّه اختاره لأنّه أشدّ بشاعة منها، أمّا حرب ما يسمّى بالردّة فهي طويلة وفصولها كثيرة تدمي القلب وتؤذي كلّ مسلم، وانتظر كتابنا حول هذا المعنى إن شاء الله. أمّا العداوة التي تحدّث عنها بين خالد ومالك فلم أسمع من مؤرّخ ذكرها وسبب قتل مالك هو زوجته الحسناء، هكذا قال المؤرّخون.

(٢) هذه الصداقة لم أطّلع عليها، ولعلّ المؤلّف استعظم أن يكون مثل عمر منكراً للمنكر فحاول إيجاد سبب إلى إنكاره فاستنبط لهما هذه الصداقة الموهومة ولو فكّر قليلاً لعلم بأنّ عمر لم يثأر لمالك أو لزوجته ولا للحقّ ولكنّه خاف من خالد أن يتقوّى به أبوبكر فيستغني عن عمر ويهمله وعندئذٍ تذهب أحلام عمر أدراج الرياح من ثمّ راح يشنّع على خالد ويأمر أبابكر بإجراء الحدّ عليه، والله يعلم أنّه كاذب فيما يدّعي ولو صدق لأجراه على خالد حين وصل إلى سدّة الحكم، ألا لعن الله القوم الظالمين.

وكان عمر أبّان الحرب ينكر على خالد فعله الشنيع وشدّد النكير عليه عند أبي بكر ويلومه لوماً شديداً على ما جنت يداه، وأشار على أبي بكر بالقصاص من خالد لأنّه زنى وقتل مسلماً، وقال لأبي بكر: عمله هذا مخالف للّه ولرسوله لأنّ القوم المقتولين كانوا مسلمين ولقد سمعت أنا وسمعت أنت من رسول الله ﷺ أنّه قال: أُمرت أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، فإذا قالوها منعوا بها دمائهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابها على الله.

ولم يملك أبوبكر ردّاً لقوله إلّا أن قال: لو منعوني عقال بعير ممّا كانوا يعطونه إلى رسول الله لحاربتهم(١).

وندم الجيش على ما اقترف في حقّ الأبرياء ولات حين مندم، وكان عمر يتحيّن الفرص للقضاء على خالد وكان خالد كثير الحذر منه، يحيى بعيداً عن متناول يده ولم تمكن الفرصة عمر لقتله، وكانت العصبيّة لمالك والحبّ له يغلي في باطن عمر إلى أن آلت الخلافة إلى عمر فعنّ له خالد ذات يوم وهو في أحد حوائط

---

(١) الظاهر أنّ شيخنا المؤلّف طاب ثراه كان يكتب من الذاكرة لأنّ قول أبي بكر لعمر كان قبل أن تنشب الحرب وقول عمر لأبي بكر عن خالد بعد وقوع الكارثة، والمؤلّف خلط بينهما.
وإليك مصادر حديث: «أُمرت أن أُقاتل الناس.. الحديث»: الأُمّ للشافعي ٤: ١٨١ و١٨٢ و٢٥٢ و٢٥٥ و٦: ١٨٠ و٧: ٨٦ و٣١٩؛ كتاب الموطّأ ١: ١١؛ حاشية الدسوقي ١: ١٣١؛ المبسوط للسرخسي ١٠: ٢ و٢٤: ٨٤؛ بدايع الصنايع لأبي بكر الكاشاني ٧: ١٠٠ و١٠٥؛ الجوهر النقي ٣: ٩٢ و٣٦٦؛ المغني لابن قدامة ٢: ٣٤ و٢٩٩ و٤٣٤؛ مسند الشافعي: ٢٠٨؛ مسند أحمد ١: ١١ و١٩ و٣٥ و٤٨، وأخرجه في باقي الأجزاء؛ صحيح البخاري ١: ١١ و٢: ١١٠ و٤: ٦ و٨: ٥٠ و١٤٠ و١٦٢؛ وصحيح مسلم ١: ٣٨ و٣٩؛ سنن ابن ماجة ١: ٢٧ و٢٨ و٢: ١٢٩٥؛ سنن أبي داود ١: ٣٤٧ و٥٩٤ و٢: ٧٨؛ سنن الترمذي ٤: ١١٧ و١١٨ و٥: ١١٠؛ سنن النسائي ٥: ١٤. وأخرج الحديث كتب كثيرة لا حصر لها، وأحبّ أن لا يفوتك خبث البخاري لعنه الله فقد تعمّد أن يدسّ في الحديث جملةً هي: «ويؤتوا الزكاة» على عادته في التصرّف بالمتون لتكون عاذراً لإمامه لعنه الله ولعن إمامه.

المدينة فناداه: أأنت قاتل مالك والزاني بزوجته؟ فأجابه: أجل يا أميرالمؤمنين، كانت بيني وبينه عداوة قديمة فقتلته تشفّياً لي ولأبي بكر، ولكنّي شفيت نفسك أيضاً بقتلي سعداً بن عبادة.

ولمّا سمع عمر ذلك قصرت يده عن قتل مالك، وربت على كتفه وقرّ وقرّبه إليه وقبّله ما بين عينيه وقال: أنت يا خالد سيف الله وسيف رسوله، فاشتهر خالد بين العوام بهذا اللقب وقال له: إن كنت جرحت قلبي بقتل مالك فلقد شفيت غيظي بقتل سعد.

وقال جماعة: إنّ عمر لمّا قال لأبي بكر: أجر الحدّ على خالد، لأنّه قاتل زاني، أجابه أبوبكر: خالد سيف من سيوف الله، فلزمه اللقب من ذلك اليوم، وعلى كلا الروايتين إنّ خالد نال هذا اللقب لقتله المسلمين المؤمنين.

قصّة سعد بن عبادة

كان سعد رئيس قبيلة الخزرج وكان من نقباء الأنصار، وللأنصار اثنا عشر نقيباً، ولمّا بايع الناس أبابكر قال الأنصار: إذا جاز ترك النصّ من الله ورسوله على الخليفة الحقّ فليس أحد الرجلين أولى بها من الآخر، ونحن الأنصار أصحاب العدد والشوكة والحسب أكثر من غيرنا، ونختار سعداً بن عبادة رئيساً لنا وهو خليفة علينا. فقال سعد: لا أبيع الدين بالدنيا، ولا أكفر بعد أن أسلمت، ولا أجعل من الله ورسوله خصماً لي، ولا أقبل هذا المنصب حتّى يحدث الفرق بيننا وبين غيرنا.

فلمّا نطق سعد بهذا قوي جانب أبي بكر ومال الناس نحوه وطلبوا من سعد البيعة له فأبى سعد ذلك أشدّ الإباء، وقال: أأبىٰ هذا الادّعاء لنفسي فكيف أقبله

لغيري، ولا أدخل النار من أجل غيري، فلم يبايع هو ولا قومه أبابكر، ولمّا آل الأمر إلى عمر ألحّ عليه ولكنّه أبى ولم يقدروا أن يكروهوه عليه لكثرة أتباعه، وكانوا يصانعونه لينالوا رضاه بالبيعة سرّاً، إلى أن استقبل قيس بن سعد ذات يوم عمر وقال له: استمع إلى نصحي، إشفاقاً عليكم، فإنّ سعداً أقسم أن لا يبايعكم وأنتم لا تقدرون على قسره عليها، كما أنّه ليس باستطاعتكم حمل قومه الخزرج على بيعتكم مادام سعد لم يبايع إلّا بقتله، ولا يقتل سعد حتّى تقتل الخزرج بأجمعها، ولا تقتل الخزرج حتّى يقتل الأوس كلّهم، ولا يقتل الأوس حتّى تستأصل بطون اليمن كلّها، وهذا خارج عن قدرتكم ولا يتّسع له حولكم.

وحدث أن خرج سعد إلى الشام في أيّام عمر لمهمّة تخصّه وكان خالد بن الوليد في الشام، فقصد سعد ذات ليلة حيّاً من بني الأزد، فبلغ خالد نبأ خروجه في الليل، وكان خالد شديد الساعدين، رامياً حاذقاً، فأعطى بعض المرتزقة شيئاً من الدنانير واستأجرهم تلك الليلة فقطعوا على سعد طريقه ورموه بسهم وأردوه قتيلاً، وأشاعوا بين العامّة لدرء خطرهم عنهم بأنّ الجنّ هي التي قتلت سعداً، وأنشدوا على لسان الجنّ:

قد قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباده ورميناه بسهمين فلم نخطأ فؤاده

فانتقم خالد منه لأنّه لم يبايع أبابكر وعمر(١).

وفي كتاب المؤالف لمحمّد بن جرير الطبري عن ابن علقمة عن سعد بن عبادة

---

(١) ولم تنطل الحيلة على الشعراء، فقال في ذلك أحدهم:

يقولون سعد شكّت الجنّ قلبه ألا ربّما صحّحت دينك بالغدر
وما ذنب سعد أنّه بال قائماً ولكنّ سعداً لم يبايع أبابكر
وقد صبرت من لذّة العيش أنفس وما صبرت عن لذّة النهي والأمر

شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١١.

قال ابن علقمة: قلت لابن عبادة: قد مال الناس إلى بيعة أبي بكر. قال: فقلت: ألا تدخل فيما قد دخل فيه المسلمون؟ قال: إليك عنّي فوالله لقد سمعت رسول الله يقول: إذا أنا متُّ تضلّ الأهواء ويرجع الناس على أعقابهم، فالحقّ يومئذٍ مع عليّ وكتاب الله بيده لا نبايع لأحد غيره. فقلت له: هل سمع هذا الخبر غيرك من رسول الله ﷺ؟ فقال: سمع أُناس في قلوبهم أحقاد وضغائن. قلت: بل نازعتك نفسك أن يكون هذا الأمر لك دون الناس كلّهم، فحلف أنّه لم يهمّ بها، ولم يردها، وأنّهم لو بايعوا عليّاً كان أوّل من بايع سعد(١).

وكان سعد رئيس الأنصار وشيخهم قتل في أيّام عمر وتولّى الرئاسة بعده ابنه قيس بن سعد وهو من شجعان العرب وسار على منوال أبيه فلم يبايعهم، والذين بايعوهم إنّما صدروا عن روح الطمع أو عداوة لأهل بيت النبيّ ﷺ أو خوفاً من بطشهم لأنّ الوهن دخل على الصحابة بموت النبيّ ﷺ لأنّ الدين لم يدخل قلوبهم إلّا جماعة يسيرة منهم، وهم أهل الدين والبصيرة واليقين، رسخت العقيدة فيهم وقامت بهم الشريعة، ويعزى بقاء القرآن اليوم السائر بين الناس ووجود الإسلام وسنّة الرسول إلى بركة وجود هذه الجماعة القليلة.

وعلى مذهبنا أيّها الشيعة إنّ الذي حفظ الشريعة وصانها من العبث والتبديل هو أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الأئمّة الاثني عشر، والحافظ اليوم للشرع الشرف هو قائم آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه.

نكتة:

ولمّا بايع الناس ابابكر، قال له عمر: إنّ هذا الأمر لم يتمّ بعد ولن يتمّ إلّا إذا أوصيت بالخلافة لي من بعدك حتّى أتمّ هذا الأمر بتدبيري، فعاهده أبوبكر على

---

(١) نهج السعادة للمحمودي ٥: ٢٠٥، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف، أُولى ١٣٨٦.

ذلك وأشهد على نفسه بأنّ عمر الخليفة من بعده، فقال له عمر عندئذٍ: لم يبق في العرب من ينازعنا الأمر إلّا عليّ وأولاده، ولهم قول أصيل، ودعواهم لها أنصار بين الناس وسبل ردعهم عن التطلّع لهذا الأمر هو انتزاع نحلة فاطمة وبلغتها وتوقع بهم، لكي يقول الناس أنّها العداوة المتأصّلة بينهما من زمان سحيق، وأنّ الغرض من هذا الجدال بين القوم هو الملك لا الدين، وحينئذٍ يقلّ الإقبال على كلامهم ويستخفي منهم ويستخف الناس بهم.

فعمل أبوبكر بنصيحته وانتزع فدكاً من فاطمة عليها السلام فأرسلت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر فردّ كلامها ولم تذهب بنفسها الشريفة إليه وإنّما أرسلت وكيلها كما ذكر أصحاب الكتب والمؤرّخون، إلى أن غضبت عليهم وخرجت من هذه الدنيا غاضبة عليهم، وأوصت أن لا يحضروا جنازتها.

وبناءاً على هذا المقتضي فإنّ الناس ردّوا عليهم وأطلقوا الألسن بذمّهم ولومهم، وقالوا: إنّ هذا الملك حقّ الزهراء فاطمة عليها السلام وكانت تتصرّف فيه في حياة رسول الله تصرّف المالك بملكه بلا مانع أو منازع، والنبيّ ملّكه إيّاها في حياته.

فخاف أبوبكر من ألسنة الناس ومن تشنيعهم عليه، فاستشار عمر، فقال له: إنّي أرى أن ترسل إلى فاطمة رسولاً وتطلب منها البيّنة، فشهد لها أميرالمؤمنين والحسنان وأُمّ أيمن، فردّ أبوبكر شهادتهم، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: يا أبابكر، إن جاءك شاكٍ وادّعى على أحد من الناس أنّه غصب ضيعته بغير حقّ، فماذا تصنع؟ أكنت تطلب البيّنة من المدّعي أو المدّعىٰ عليه؟

فقال أبوبكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «البيّنة على من ادّعى، واليمين على من أنكر»، كنت أأخذ المدّعي بالبيّنة من قبيل شاهدين عدلين لا يمتان إلى المدّعي بصلة، فإذا أخلّ بها، أخذت المدّعى عليه باليمين.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: فأنت المدّعي لفدك وأنت الراوي وأنت الشاهد،

والذين صدّقوك هم قوم يمتون إليك بالصِلاة (بكسر الصاد ـ المترجم) وينبغي أن يكون الراوي والبيّنة خارج أهل هذا الحقّ، وهؤلاء هم بنو هاشم الذين حرّم الله عليهم الصدقة، بحديث رسول الله ﷺ «نحن أهل البيت لا تحلّ لنا الصدقة»، ولمّا لم تكن معك البيّنة وأنت المدّعي كان اليمين على الزهراء عليها السلام، فلم تفعل شيئاً من هذا، وكلّمه بنحو من هذا الكلام، ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لو شهد شاهدان على فاطمة بما يوجب الحدّ أكنت تقيمه عليها؟ قال: بلى أُقيمه، فقال عند ذلك أميرالمؤمنين: إذن تخرج من ربقة الإسلام وتكذّب كتاب الله. فقال أبوبكر: وكيف ذلك؟ فقال أميرالمؤمنين: بآية التطهير الناصّة على عصمة فاطمة والتي نطق بها القرآن الكريم. فاستحيا أبوبكر وقام من بين أصحابه ودخل داره ولم يخرج طيلة النهار حياءاً من الناس، وكان غرض الإمام من إيراد مثل هذا الكلام هو إلزامه بالحجّة القاطعة والمحجّة الناصعة، وفرض العقوبة عليه وإن علم عليه السلام منذ أوّل وهلة أنّه لا يجيب.

والعجب ممّا قاله المخالف في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[1] ومثله من الآيات لا يوجب الإرث ولم يعلم أنّ الإرث لا يجب إلّا بعد الموت، وكان سليمان وأبوه على قيد الحياة نبيّاً له علوم النبوّة ومزاياها، كما قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[2]، وكان لآدم عدد من الأولاد وليس فيهم هبة الله إلّا شيث وكان الباقون أتباعاً، فلو كانت النبوّة ميراثاً لكان أولاد آدم جميعاً أنبياء، واليهود بأجمعهم رسلاً وأنبياء، ولا ينبغي أن يكون في الزمان حقبة تسمّى «الفترة» لأنّ أولاد الأنبياء لم يفارقوا الساحة قطّ

(١) النمل: ١٦.

(٢) الأنبياء: ٧٨.

وربّ الكعبة، وكانوا يعيشون بين الناس، وهكذا لو كان للنبيّ أولاد فإنّهم يكونون جميعاً أنبياء وكذلك الزهراء وأولادهم عليهم السلام.

بدعة أُخرى:

أوعز إلى خالد في صلاة الصبح أنّه إذا بلغنا السلام أُقتل عليّاً، ثمّ ندم على ذلك وقال في نفسه: لعلّه يعجز عن قتله وينكشف الأمر وتقع الفتنة التي لا يمكن تداركها، وكانوا قد اتّعدوا على قتله بعد السلام، فقال أبوبكر قبل أن يسلّم: لا تفعلنّ خالد ما أمرتك، وقال أتباعه: إنّه سلّم أوّلاً سرّاً، وهذا قدح في صلاة الجماعة أن تكون سلامين. وقال قوم منهم: لم يكن الأمر كذلك، والحاصل أنّه لم يرد بهذه البدعة لا حديث موضوع ولا صحيح، والإجماع حاصل بأنّه من فعل أبي بكر.

ونحن أيّها الشيعة نقول إنّها بدعة لا أصل لها في الشرع بل هي أكاذيب مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بريء منها.

بدعة أُخرى:

كان رزق أبي بكر كلّ يوم من بيت المال ثلاثة دراهم، فإن كانت من الخمس فهي لأهل البيت لا لأبي بكر وعمر، وإن كانت من الزكاة فإنّ أصناف المستحقّين لها ظاهرة بيّنة، وليس أبوبكر واحداً منهم.

فلو قال الخصم: إنّه من العاملين عليها فقد كذب، إذ أنّ ذلك لو ثبت له فقط بطلت خلافته. ثمّ إنّ العامل نائب للخليفة ومأمون من جهته، واتحاد النائب والمنوب عنه في شخص محال.

وإذا كان هذاالمال مال المصالحة ويقال له الجزية التي تؤخذ من الكتابي كاليهودي والنصراني والمجوسي الذين يعيشون بين المسلمين، ويشكّلون جزءاً من

مجموع السكّان المتمازج فإنّ أبابكر لا يستحقّ هذا أيضاً، لأنّ الله سبحانه أباح الجزية لأهل مكّة لأنّ لهم علاقات تجاريّة مع المشركين، فلمّا حرّم عليهم الدخول إلى المسجد الحرام حيث قال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (١).

ورأى الشيعة أنّ الله وهبهم هذا المال تفضّلاً منه لأنّه حرّم على عملائهم دخول المسجد الحرام إلّا أنّ أهل الخلاف يقولون: حكم هذا المال حكم مال الصدقة ومستحقّه مستحقّه، ونحن أيّها الشيعة لا نطلق عليه لفظ الصدقة ليمتاز ما يؤخذ من المسلمين عمّا يؤخذ من غيرهم، ولكن أبابكر لم يكن من مستحقّيه، وميراث من لا وارث له وأمثاله هو حقّ للفقراء والمساكين في العالم فكيف يحلّ للخليفة قضمه ويظلّ الفقراء يعانون من مسّ الحاجة في شرق الأرض وغربها ؟!

وإذا كان هذا المال جزءاً من أموال الغنام فإنّ أبابكر لم يكن من ضمن الغزاة ليستحقّ مال الغنيمة فكيف استحقّ الأجر من غير عمل ؟!

ولئن قالوا: إنّه استحقّ المال لسعيه في أُمور الدين ولأنّه خليفة الزمان مِن ثمّ أذن له في تناوله.

فإنّنا نقول: لم يأت نصّ من القرآن ولا النبيّ ﷺ يدلّان على أنّ للخليفة حقّاً في هذا المال، بناءاً على هذا يكون لأجير الإسلام لا للخليفة، وقال النبيّ ﷺ: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص العامل بها شيئاً من ثوابه، ومن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص العامل بها شيئاً.

وبناءاً على هذا فكلّ من سار على منوال أبي بكر وفرض لنفسه فرضاً من بيت

(١) التوبة: ٢٨.

المال من الخلفاء وغيرهم فإنّ وزرهم على أبي بكر لأنّه المبتدع الأوّل لهذه السنّة إلى يوم القيامة. وكيف يحلّ له ولغيره أكل مال المسلمين وفقراء الدنيا بغير إذنهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (١) وقال: ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

ولمّا استتب للقوم الأمر عقدوا اجتماعاً بينهم شمل الأطراف التي اغتصبت الحقّ، وتشاوروا فيما بينهم، وقالوا: ما كنّا نظنّ بأنّ الأمر يتمّ لنا على هذه السرعة، وينحى عليّ منه، واليوم لم تبق معه إلّا حجّة القرآن الذي يحمله بيده وهو عالم بتأويله فينبغي علينا أن نختطّ لنا خطّة نحجبه عن العمل بالقرآن أو الاحتجاج به، فنادى مناديهم: من كان معه شيء من القرآن فليأت به ومعه شاهدان على عدم تحريفه أو إضافته وتغييره.

والعجب من هؤلاء الجاهلين كأنّهم لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ (٣)، وبناءاً على هذا فكيف يستطيعون محو الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤).

والأعجب من هذا كلّه اثباتهم قرآنيّة القرآن بالشاهد واليمين، فإذا كانوا على جهل بتنزيله فكيف يمكنهم العمل بتأويله؟

وأعجب من هذا كلّه القوم الذين يتّبعونهم ويقتدون بهم ويتّخذونهم أئمّة وهم الجاهلون وينحّون أميرالمؤمنين عليه السلام عن منصبه وهو عالم بالتنزيل والتأويل.

---

(١) البقرة: ١٨٨.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) الحجر: ٩.

بدعة أُخرى:

لقد أمّر رسول الله عليهم أُسامة بن زيد في مرضه الذي توفّي فيه واستبق أميرالمؤمنين معه؛ لأنّك الوصيّ من بعدي ويلزمك حضوري ساعة وفاتي، وخرج أُسامة بن زيد من المدينة وعسكر بالجرف للذهاب إلى موقع في الشام من أرض فلسطين، وكان النبيّ في كلّ يوم مراراً وتكراراً يحثّ على تجهيز جيش أُسامة، فامتنع أبوبكر وعمر عن الذهاب معه ويقولون: إن مات محمّد ذهبت الفرصة من أيدينا وأفلسنا من الخلافة إلى أن حملوا النبيّ على أن يقول: لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة.

ولمّا قبض النبيّ ﷺ وبايعه الناس أرسل إلى أُسامة: إنّ الناس بايعوني، وأنا بحاجة إلى معاضدة عمر، فأذن له أن يبقى إلى جانبي، فأجابه أُسامة على يد رسوله: العجب أنّه من رعاياي بأمر الله ورسوله وتأمّر بغير إذني، ثمّ هاهو ذا يطلب غيري، وأرسل إليه: إن كنت مؤمناً برسول الله فقم أنت وعمر وائتيا إليّ بحكم رسول الله، وبقي هذا الجذب والشدّ بينهما حتّى استطاع إقناع أُسامة بالمكر والحيلة ودفع الرشاوى..[1].

وإنّهما تأخّرا عن جيش أُسامة خلافاً لأمر رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ

(١) أقول: يحول بيني وبين أُسامة قول الإمام الصادق عليه السلام: لا تقولوا إلّا خيراً، فأنا ملجم بهذا اللجام الذي يصعب عليّ تخطّيه مع علمي بما فعل أُسامة وما قال، وعلمي أيضاً بانحرافه عن أميرالمؤمنين، أسأل الله أن يجزيه على ما نوى، وما ذكره المؤلّف من قول أُسامة للعينين لم يروه غيره ولم أقع عليه أو على ما يثبته في كتاب آخر، وأنا أُقسم بالله إنّ أُسامة أقلّ من أن يقول لهما ذلك لأنّهم خدعوه بتسميته أميراً وانطلت على المسكين الحيلة.

(٢) النساء: ٨٠.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[(١)] ، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[(٢)] وأمر الرسول واحد في حال حياته وموته ، ويكفر من خالفه ، وهذا دليل واضح على كونهما رعيّة وليسا إمامين .

بدعة أُخرى :

لمّا دنى من أبي بكر أجله أراد أن يخفّف عنه ذنوبه فاستدعى عمر وعهد بالخلافة إليه وحمل الناس بالإكراه على البيعة له ، وتخطّى نصيحة خيار الصحابة الذين قالوا له : تجنّب هذا الظلم لأنّك تحكّمت في المسلمين بدون حقّ فلا تجعل بعدك آخر تستخلفه ، لأنّ ظرفك هذا الحرج هو ظرف توبة واستغفار ، فلم يسمع نصيحة أحد منهم ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾[(٣)] .

بدعة أُخرى :

إنّ النبيّ ﷺ اختار له من بقاع العالم بقعة صيّرها بيتاً له خاصّاً فعمدوا إليه وجعلوه مقبرة لهم لأنّهم أرادوا أن لا ينقطع إيذائهم له حيّاً وميّتاً ، فيؤذون النبيّ ميّتاً كما آذوه حيّاً . فإن كانا استحقّا الدفن بإرث ابنتيهما فإنّ لهما التسع من الثمن والباقي غصب وظلم ، وإن استحقّا بالصدقة فإنّ المسلمين سواء فيه إلى يوم القيامة ، فإن أبى مسلم واحد فلا يحلّ لهما الدفن هناك إلّا بأن يسحبا من أقدامهما ويقذفا في العراء : ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[(٤)] فلا يحلّ لهما الدخول في حياة النبيّ إلّا بإذن فهل أذن لهما بعد موته لست أدري ؟

---

(١) الجنّ : ٢٣ .

(٢) النساء : ٩٣ .

(٣) الأعراف : ١٧٩ .

(٤) الأحزاب : ٥٣ .

وعندنا حديث مشهور: من غصب بقعة من الأرض جعلت يوم القيامة من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا طوقاً في عنقه إلى أن يفرغ الله من حساب الخلق ثمّ يجعلها معه في النار[١].

إلى غير ذلك من البدع التي أحدثاها في حياتهما وحسّنها الأتباع والأشياع وساروا في نهجها ليتحمّلا تبعة ذلك ويكون عليهما إثمها وإثم من عمل بها. وهم قد اتفقوا على أنّ النبيّ ﷺ قال: كلّ محدثة بدعة[٢]، وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار[٣].

ولست أدري أين يُتوجّه بالتابع والمتبوع غداً يوم القيامة ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[٤].

بدعة أُخرى:

ابتدع أبوبكر في خلافته غسل الرجلين ومسح الأُذنين والرأس، وقال ذلك

---

(١) سبل السلام ٣: ٧٠ وتختلف ألفاظ السياق بعض الاختلاف، وقال ابن حجر: متفق عليه؛ مسند أبي يعلى ٢: ٩٠؛ كتاب العين ٥: ١٩٤؛ مسند أحمد ٢: ٤٣٢؛ صحيح مسلم ٥: ٥٨؛ المستدرك ٤: ٢٩٦؛ سنن البيهقي الكبرى ٦: ٩٨؛ مجمع الزوائد ٤: ١٧٩؛ تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٨٥؛ تهذيب الكمال للمزي ١٠: ٤٥٢؛ البداية والنهاية ١: ٢١؛ إعانة الطالبين للبكري الدمياطي ٤: ٣٢١؛ نيل الأوطار ٦: ٦٣.

(٢) المبسوط للسرخسي ١: ١٣٨؛ بدايع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ١: ١٥٠ و ٥: ١٢٧؛ فقه السنّة للسيّد سابق ١: ٥٦٤.

(٣) التغنّي بالقرآن للبيب سعد: ٤٣، ط الهيئة العامّة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م؛ أحكام الجنائز للألباني: ٤، ط المكتب الإسلامي، الرابعة ١٤٠٦، وص١٨ أيضاً؛ مسند أحمد ١: ٣٧١ الاقتصار على الجزء الأوّل من الحديث، و٤: ١٢٦ الاقتصار على جزئين، وص١٢٧؛ سنن الدارمي ١: ٤٥؛ سنن ابن ماجة ١: ١٨؛ سنن أبي داود ٢: ٣٩٣؛ المستدرك ١: ٩٧؛ السنن الكبرى ٣: ٢١٤، وكتب أُخرى كثيرة يطول تعدادها.

(٤) الصافّات: ٢٢ و ٢٣.

أوّل ممّا عهد فبدّل حكم القرآن والسنّة، وقال النبيّ ﷺ: «لا صلاة إلّا بوضوء»(١)، وقال ﷺ: بين الكفر والإيمان ترك الصلاة؛ فمن لا صلاة له فهو كافر(٢)؛ وبما أنّ وضوء الشيخ مخالف لما يريده الله فلابدّ من بطلان صلاته.

وهو الذي وضع بدعة المسح على الخفّين، وهو غداً يحشر مع البهائم لأنّ الله تعالى أمر بمسح الرجلين، ويوم يوقف الناس للعرض ويعطى ثواب الوضوء لفاعله يكون الحيوان المسكين شريكاً للسنّي في ثوابه لأنّه شاركه في العبادة بما جرى على جلده من المسح للوضوء...

والعجب من أمر هذه الطائفة التي تترك قول الخالق لقول المخلوق، وتقتدي به وهو بشر معرض للخطأ والجهل، وقد سجد للصنم ستّاً وأربعين عاماً من عمره، واليوم بعد إيمانه اشتغل بتكذيب الله ورسوله، وصدق الله حيث قال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللّهِ﴾(٣).

بدعة أُخرى:

تذرّع أبوبكر وأتباعه بذريعة للتقليل من شأن الصلاة وذلك بادّعائهم أنّ الناس تركوا الغزو وأقبلوا على الصلاة فينبغي صرفهم عن ذلك، وقالوا: الصلاة خير العمل، فإذا ارتفع صوت المؤذّن بذلك فإنّهم يعرضون عن كلّ شيء إلّا عن الصلاة، فعمدوا إلى حذف هذا الفصل من الأذان ووضعوا مكانه في صلاة الفجر: الصلاة خير من النوم، وقال النبيّ: الصلاة خير الأعمال، وهم قالوا: هي خير من

(١) تلخيص الحبير ١: ٣٩٠؛ بدايع الصنايع ١: ٣٣؛ المحلى لابن حزم ٢: ١١٥ و٧: ٣٥٦.

(٢) سنن الترمذي ٤: ١٢٥؛ الحدائق الناضرة للبحراني ٦: ١٥؛ منهاج الصالحين لمحمّد سعيد الحكيم: ١٥٥؛ ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ٢٣١؛ وسائل الشيعة ٣: ٢٩؛ الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة ٢: ٦٥؛ بحار الأنوار ٧٩: ٢١٧.

(٣) التوبة: ٣١.

النوم، واليقين حاصل أنّ الكذب منهم وهم أولى بـه، وكـان غـرضهم مـن ذلك تخريب الدين وإحياء سنن الجاهليّة.

بدعة أُخرى:

وقال رسول الله ﷺ: تبدأ الصلاة بالتكبير وتـنتهي بـالتسليم، فأبـطلوا ذلك بالحيلة فقدّموا السلام على التشهّد، فيقولون هكذا: التحيّات والصلاة والطيّبات، السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، فإذا بطل السـلام بـطلت الصلاة فيكون قد صلّى بدون ذكر الشهادتين، وأجمعت الأُمّة على أنّ الصلاة لا تتمّ إلّا بالتشهّد، من ثمّ تكون صلاتهم باطلة.

وكذلك زيادتهم آمين بعد الفاتحة لكي يتخلّل الصلاة كلام أجنبيّ مبطل لهـا، ولابدّ من نطق الأتباع بها لأنّهم الضالّون الطالبون الهداية من الله بـقول «آمـين» لكن شيعة عليّ على الصراط المستقيم بمحبّته وتنزيه الله وتوحيده وبالعدل والنبوّة والإمامة بالأدلّة الناصعة والبراهين القاطعة فهم المهتدون ولا حـاجة لهـم بـقول آمين، وقال النبيّ ﷺ: نحن أهل بيت لا يضلّ من تمسّك بنا.

بدعة أُخرى:

التكفير أي وضع اليد على اليد الأُخرى، واستدلّوا بهذه الآيـة: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[1] ولم يعلموا أنّه مأخوذ من القنوت والتواضع وهو يحصل بـغير فـعل التكفير، وهذا فعل اليهود الذين يضعون الأيدي على الأيدي ساعة الصلاة.

سأل عمر رسول الله ذات يوم فقال: يا رسول الله، إنّ لليهود أشياء جيّدة منها

(١) البقرة: ٢٣٨.

وضع اليد على الأُخرى، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ وخاطب عمر قائلاً: ألا تعلم لو كان موسى وعيسى حيّين ما وسعهما إلّا اتّباعي[1].

ولمّا آلت الدولة إلى عمر أحيا سنن اليهود ومنها التكفير.

وقال رسول الله ﷺ: لا تبركوا في الصلاة كبرك البعير، ولا تنقروا كنقر الديك، ولا تقعوا كإقعاء الكلب، ولا تلتفتوا كالتفات القرد[2]. ومعنى ذلك الابتداء بوضع اليد على الأرض دون التسرّع في الركوع والسجود، ولا تقعوا كإقعاء الكلب في التشهّد ولا تميلوا على الجانب الأيسر كالقرد، ولا يكن نظركم كنظر القرد يميناً وشمالاً ساعة الصلاة.

ووضعوا أمثال هذه البدع لتضيع الحقيقة على طالبها، ولا يحصل العلم بها لمن يبتغيه، وبها يحيون سنن الجاهليّة، ولم يكن باستطاعة الصحابة اعتراضهم بل منهم من مال وراقه زبرج الدنيا، وقد قال رسول الله ﷺ: من كتم علماً من أهله، جاء يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه قد أُلجم بلجام من النار.

بدعة أُخرى:

الصلاة عند غياب القرص والإفطار من الصوم كذلك، واعلم بأنّ المغرب لا يحلّ إلّا إذا غابت الشمس في تلك العين الحمأة أي الحارّة وتظهر النجوم وتتلألأ في صفحة السماء وحينئذٍ على المكلّف أداء فرض الصلاة، ثمّ يتناول إفطاره، ومن لم يفعل ذلك فقد أفسد صلاته وصومه، والسبب أولئك الذين وضعوا هذه البدعة فأفسدوا بذلك صلاة المسلمين وصيامهم، وحملوهم على ذلك قبل دخول الوقت ردّاً على الله ورسوله وإظهاراً للسنّة الباطلة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣: ١٠٥، ولم يذكر عن عمر شيئاً.

(٢) بحار الأنوار ٣٠: ٣٦١.

بدعة أُخرى:

قسّم أبوبكر الصدقات في خلافته كما كان يقسّمها رسول الله على الأصناف الثمانية بالسواء، فلمّا استخلف عمر فضّل بعضاً على بعض، وقال: أرى من الأحسن تفضيل المهاجرين من قريش على المهاجرين من غيرهم، وأُفضّل المهاجرين على الأعراب، والأعراب على العجم، والناس رضوا بذلك تبعاً للمصلحة، ولم يكن العجم يومذاك جميعاً مسلمين، فلمّا أسلموا لم يستطيعوا دفع هذا الحيف عنهم، واستقرّت الحالة على ما فعله ابن الخطّاب، فكان العرب والعجم يأكلون المال الحرام بسبب ذلك.

بدعة أُخرى:

قال عمر: إنّ رأيي أن أسقط الصدقات وأضع مكانها الخراج على الأرض، ثمّ أمر بمسح العراق ووضع على كلّ جريب درهماً، وعلى كلّ قفيز جملة مقدرة من نتاجه جرياً على ما كان عليه ملوك الفرس في الجاهليّة. ووضع على كلّ جريب في مصر ديناراً وأردباً من الحبوب كما كان في الجاهليّة زمن فرعون، وقد منع رسول الله من الاستنان بسنن الجاهليّة وبرئ من الفاعل، وكان عمر يظهر اتّباع السنّة وتطبيق الإسلام والشريعة حتّى قال: منفعة العراق دراهمها وقفيزها، ومنفعة المصر دينارها وأردبها.

فتبيّن من هذا أنّ عمر ردّ صدقات النبيّ ﷺ وحديثه برأيه وأحيا سنن الجاهليّة، وصار العالم كلّة يقضم الحرام قضماً، وذنب هذا كلّه في عنق عمر إلى يوم القيامة، وبطلت سنّة الزكاة في الدنيا.

بدعة عثمان:

ولمّا آلت الخلافة إليه وعطفت الدنيا عليه رأى بيت المال وكانت أموال الدنيا

تصبّ فيها ممّا يحوشه له أعوانه وأصحابه من غصب أموال المسلمين بالقهر والغلبة ، فجمعوها عنده وخوّلوها إلى ذهب من الدنانير الوفيرة وبائوا بإثم الظلم والتعدّي ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (١) وقال : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٢) .

ولمّا خطفت بصره الدنانير الكثيرة في بيت المال أطلق فيها يده وأنفقها بجملتها على بني أُميّة وبني الأعمام وبني الأخوال والأقرباء ، فمكّنهم وقوّاهم بما أعطاهم ، وحرم السواد الأعظم من المسلمين من القوت ، فانطلقت الألسن بذمّه وثلبه ، فلم يعبأ بذلك واستظهر ببني أُميّة ، واتّخذ لنفسه وأُسرته حياة الجبابرة من الأكاسرة والفراعنة ، وبذخ بذخهم ، فاتّخذ الرقيق من الترك والروم والخطا ، فاشتراهم من هذه الأموال ، واشترى الخيل والبغال وزينتها ، وراح يعدّ العُدّة لمديده وتعدّيه وتغلّبه على الناس .

فأرسل مماليكه إلى نواحي العراق والحجاز ليجوسوا خلال الديار لكي يحملوا له المراعي والجبال والأرض الزراعيّة ويرسموها لديوانه ويوقفوها عليه وعلى بطانته حتّى ضاقت الأرض على ساكنها ، ونادى مناديه : من أراد أن يعلف دابّته في أرض فليأت وليشتر المرعى منّي ، فأقبل الناس لشدّة احتياجهم طوعاً أو كرهاً إلى عثمان ويبتاعون الدغل الذي أنبته الله للناس وجعلهم فيه شرعاً منه .

ومثله فعل عمر الذي أبطل الزكاة وكان يأخذ المال حيث لم يجب ويتركه حيث وجب ، لأنّه كان يأخذه بناءاً على طريقة مسح الأرض ، ولا تؤدّى هذه الطريقة إلّا إلى ذلك .

---

(١) الطلاق : ١.

(٢) المدّثّر : ٣٨.

بدعة أُخرى:

استأجر عمر قوماً للجهاد لأنّ الناس ضاقت بالحرب ذرعاً فأخذت تهرب منها، وأقبلوا على الزراعة، وطلب المعاش ما عدا جماعة منهم آثروا الجهاد وهؤلاء أيضاً يجاهدون بثمن، فحرموا من ثواب الجهاد، وكذلك استأجر قوماً لتعليم حديث الإسلام وأُمور الدين، وينفق عليهم من أموال الزكاة، وهو لا يعلم أنّ الزكاة واجبة وتعليم الجاهل واجب على العلماء، فإذا أخذوا الأجر على ذلك بطل ثوابهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(١).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

وقال رسول الله ﷺ: من كتم علماً من أهله جاء يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه قد أُلجم بلجام من نار(٣).

---

(١) البقرة: ١٥٩.

(٢) البقرة: ١٧٤.

(٣) تحرير الأحكام للعلّامة الحلّي ١: ٣ و٢٤؛ الرسالة السعديّة للحلّي: ٦؛ السراج الوهّاج للقطيفي: ٢١؛ زبدة البيان للمحقّق الأردبيلي: ٢٠٦؛ التحفة السنيّة (مخطوط) للسيّد عبدالله الجزائري: ١١ و٣٣٤؛ الحداق الناضرة ١: ١٦١؛ كشف القناع ٦: ٢٨٢؛ بصائر الدرجات: ٣٠؛ مستدرك الوسائل ١٧: ٢٧٥؛ منية المريد للشهيد الثاني: ١٣٦؛ بحار الأنوار ٢: ٧٠ و١٠٥: ١٥؛ مسند أحمد ٢: ٤٤٩ و٥٠٨؛ سنن ابن ماجة ١: ٩٧؛ المستدرك ١: ١٠٢؛ النووي شرح مسلم ٣: ١١١؛ مجمع الزوائد ١: ١٦٣؛ كتاب العلم لأبي خيثمة: ٣٣؛ المصنّف ٦: ٢٣٢؛ صحيح ابن حبّان ١: ٢٩٧ ز٢٩٨؛ المعجم الأوسط ٥: ١٠٨.

وعند العلماء تعليم معالم الدين وفرائض العلماء من الواجبات، ويستحقّ الذمّ بتركه، وكيف يعطى الأجر على فعل الواجب ؟!

بدعة أُخرى:

لعن رسول الله ﷺ الحكم بن العاص ونفاه من المدينة، وكذلك أبوبكر وعمر، فلمّا جاءت النوبة إلى عثمان ردّه خلافاً لرسول الله، وخوّله ديوان الخلافة، وبالغ في إعزازه وإكرامه، قال الله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (١) ولو آمن عثمان بهذه الآية لما ردّ طريد رسول الله ﷺ ولما شرّفه ولم يجعله منشئ أهل الإسلام وأمينهم.

بدعة أُخرى:

ولمّا استتب له الأمر نادى مناديه يطلب المصحف الذي عند الناس ومن أبى ألجئه على دفعه، وطلب مصحف عبدالله بن مسعود فلم يعطه إيّاه فأقبل بنفسه إلى بيته وعذّبه وكسر خاصرتيه وعانى ابن مسعود من هذا الضرب حتّى مات متأثّراً بجراحه، وأخذ المصحف منه قهراً، ووضع المصاحف التي جمعها في المغاسل وأجرى عليها الماء أو أحرق جُلّها حتّى مصحف ابن مسعود، ثمّ أمر مروان بن الحكم وزياد بن نمرة كاتبه أن يستنسخوا له نسخة من القرآن، واعتمد على هذين الفاسقين وكتب بخطّه مصحفاً على ما كتباه وأمر زيد بن ثابت أن يقرأه، وأمر الناس بأخذ مصاحفهم من قرائة زيد وعبدالله بن مسعود وأصحابه لم يقبل حكمهم، وتصرّف بالمصحف كيفما شاء، وما بأيدي الناس اليوم إنّما هو بقيّة من مصحف ابن مسعود، وعصى الله بما فعل من غسله باقي المصاحف وإحراقها، فما

---

(١) المجادلة: ٢٢.

حال من أحرق كتاب الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[١] ومنع الناس من معرفة ما في تلك المصاحف.

وكذلك فعل بعمّار حين خاطبه وهو على المنبر، فقال: لا يحقّ لك أن تفعل هذا، فنزل عن المنبر وأمر بضربه حتّى قيل: مات عمّار، وقال رسول الله ﷺ: عمّار مع الحقّ والحقّ معه يدور حيثما دار، فإذا افترق الناس يميناً وشمالاً فانظروا الفرقة التي فيها عمّار فاتبعوه فإنّه يدور مع الحقّ[٢].

وحينئذٍ لا يكون ضرب رجل كعمّار بصفاته التي تقدّمت إلّا الفسق والفجور والظلم ومعصية الله ورسوله، وكذلك فعل بأبي ذر فقد نفاه من حرم الله لأنّه يقول الحقّ وينطق بالصدق، وكان عثمان يكره ذلك، وقال رسول الله ﷺ: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر[٣].

وكذلك أخبر الله تعالى رسوله بأنّه يحبّ أربعة من أصحابه: علي وسلمان والمقداد وأبوذر، والعجب من عثمان حيث يخرج من حرم الرسول حبيب الله.

وكبس العيد في عرفة وخطب خطبة العيد يوم عرفة، فأفسد على الناس حجّهم وأضحياتهم وصلاتهم في العيد، وانتهج المسلمون بعد ذلك نهج عثمان وتولّى كبر هذه البدعة وبقيت عالقة به إلى يوم القيامة.

---

(١) محمّد ﷺ: ٩.

(٢) علل الشرائع ١: ٢٢٣؛ وسائل الشيعة ٢٠: ٢٧٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٥؛ خلاصة عبقات الأنوار ٣: ٦١؛ الغدير ١: ٣٣١ و٨: ٣٤٣ و٩: ٢٥ و٢٥٩ و١٠: ٣١٢؛ نهج السعادة ٢: ٢٣٩؛ كنز العمّال ١٣: ٥٣٩ رقم ٣٧٤١١؛ الطبقات ٣: ٢٦٢؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٤٧٦؛ موسوعة التاريخ الإسلامي لليوسفي ١: ٦٢٣، والمصادر هذه خالفت سياق المؤلّف وكأنّه أدرج حديثيني في واحد.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٩٧؛ المستدرك ٣: ٣٤٢ و٤: ٣٤٤ و٤٨٠؛ فتح الملك العلي لأحمد بن الصدّيق المغربي: ١٥٧؛ تفسير القرطبي ١: ٣٦؛ التاريخ الكبير للبخاري ٩: ٢٣؛ تذكرة الحفّاظ للذهبي ١: ١٨؛ المناقب للخوارزمي: ٨٤.

وأمر عليّاً عليه السلام أن يحجّ في الناس في العام التالي، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: الخير أن ترسلني لأن أحجّ بحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أحجّ بحجّك، لذلك عزب عن بعث أميرالمؤمنين عليه السلام في الحجّ وبعث غيره.

ومن جملة هذه البدع ما جرى على عمر بعد طعنه وانتشر الخبر في المدينة أنّ علجاً قتل عمر فبلغت أبنائه (عبدالله بن عمر ـ المؤلّف) عبيدالله بن عمر وقال: لا يعدو هذا العلج الهرمزان، وصال عليه فقتله بريئاً لا ذنب له في قتل عمر، ولم يرض عمر بقتله، وقال: لا يرضى عليّ منّا إلّا بالقصاص للهرمزان لأنّه مولاه، فإذا أنا عوفيت فإنّي أدفع ابني عبيدالله إليه ليفعل فيه ما شاء، ولكنّه مات، فأرسل عليّ إلى عثمان بالقصاص للهرمزان من عبيدالله، فأبى عثمان وقال: قتل عمر أمس وأقتل ابنه اليوم لتستأصل شأفه آل الخطّاب، فأجابه أميرالمؤمنين: الحكم حكم القرآن والأمر للّه ولرسوله، فلم يعبأ عثمان بذلك وأصرّ على مخالفة القرآن وردّ أحكامه، فلجأ عبيدالله إلى عثمان، ولمّا قتل عثمان فرّ إلى معاوية، وحضر معه حرب صفّين إلى أن قتل هناك.

بدعة أُخرى:

ولمّا آلت الخلافة إلى عمر أدخل الظلم على أهل البيت، ونهب بيت المال وغيّر مجرى الصدقات والأخماس، فضجر الناس منه وارتفعت أصواتهم بالتظلّم منه، حتّى خاف على نفسه، فكان لا يخرج ليلاً من بيته مطلقاً، وعجز عن بلوغ المسجد حتّى أحدث نفقاً في الأرض يفضي به إلى المسجد، فكمن له أبو لؤلؤة في ذلك النفق حتّى طعنه في بطنه وقتله.

ولمّا ظهرت المظالم من عثمان خاف على نفسه فافترى على النبيّ حديثاً وهو قوله: نوّروا في الفجر فإنّه أعظم الأجر، وحرف صلاة الصبح عن موضعها من

الوقت حتّى يذهب إلى المسجد والضوء قد انتشر ، وقد ذهب الخوف عنه .

وأمّا سبب قتل عثمان فإنّه استعمل على مصر عاملاً شديد الوطأة كثير الظلم والتعدّي ، فتظلّم الناس منه إلى عثمان كثيراً فأعطى عثمان محمّداً بن أبي بكر كتاباً وأمره أن يمشي بالصلح بين الناس وعامله ، فذهب محمّد حتّى إذا دنى من مصر رأى راكباً يسرع به قلوصه وغادرهم مسرعاً ، فقال لمحمّد رفيقه : إنّ الراكب قادم من العراق وذاهب إلى مصر بسرعة ، فارتاب فيه محمّد وأرسل ورائه فلمّا مثل بين يديه وفتّشوه وإذا هو مولى لعثمان يحمل كتاباً إلى الوالي ، فأنكر أوّلاً ثمّ فتّشوه وأخرجوا منه الكتاب فإذا فيه الأمر بقتل محمّد بن أبي بكر ، فأخذوه وعادوا إلى المدينة ، وحدّثوا الناس بحديث الغلام والكتاب ، فاستنكروا هذا الفعل وأقبلوا على عثمان وقالوا : ما تقول في هذا ؟ فقال : الغلام غلامي ، والجمل جملي ، والمهر مهري ، والخطّ ليس خطّي بل خطّ مروان ، فقال المهاجرون والأنصار : ادفع إلينا مروان حتّى نقتله ، فقال : هيهات لن أفعل ذلك ، فأجمع الأصحاب على قتل عثمان فقتلوه وفيهم أهل الحلّ والعقد .

بدعة أُخرى :

كانت رقيّة وزينب زوجتي عثمان ليستا ابنتي رسول الله ﷺ من خديجة بل ابنتي أبي هند وهو رجل من بني تميم تزوّج هالة أُخت خديجة فأولدها هنداً ، وولدت منه أيضاً رقيّة وزينب ، ثمّ مات عنها وكانت حاملاً بهند فولدته بعد موت أبيه ، وكانت هالة معدمة ولها هؤلاء الأيتام الثلاثة ، فعمدت خديجة فصيّرتهم إليها لإعاشتهم ، ولم تكن قد تزوّجت من قبل بل كانت بكراً ، فلمّا رغب رسول الله ﷺ بالزواج منها فكانت هالة الواسطة بينها وبين رسول الله ﷺ حتّى رضيت خديجة بزواجها من رسول الله ﷺ .

فلمّا تمّ عقد رسول الله عليها توفّيت هالة وعهدت بأيتامها إلى خديجة، فبالغت خديجة في برّهم وإيوائهم، وفعل رسول مثل فعلها وأوصى بهم خديجة وأمرها أن تلطف بهم غاية اللطف ليتمهم، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، فكانوا في بيت خديجة بالمنزلة الخصّيصة والمقام الرفيع حتّى قالت قريش: هؤلاء أبناء خديجة، ونسبهم البعض إلى رسول الله بناءاً على سنّة قريش وهي سنة جاهليّة من إلحاق اليتيم بمتبنّيه، كما كانوا يقولون للعبيد موالي جمع مولى، لأنّ المولى يطلق على الولد والأب والسيّد والعبد وابن العمّ وهكذا دواليك.

فزوّج رسول الله زينب من أبي العاص بن الربيع، ورقيّة من عتبة بن أبي لهب[1]، فلمّا بعث بالنبوّة استدعت صناديد قريش عتبة بن أبي لهب وأمروه

---

(١) انساق المؤلّف وراء صاحب الاستغاثة الذي ابتدع القول بنفي السيّدتين من بنوّة رسول الله ﷺ ولم يسبقه أحد من أهل الإسلام من قبله ولا من بعده، وصاحب الاستغاثة لا يوثق به مطلقاً لارتفاعه أوّلاً، ولدعوته ـ بكسر الدال ـ أي ادّعائه النسب العلوي وهو ادّعاء مردود صرّح بذلك كبار علماء الرجال ومنهم النجاشي وهو مخمس، قال ذلك في ترجمته المقدّس الأردبيلي ﵀ ثمّ لعن المخمّسة بعد أن نصّ على نسبته إليهم فتناولته اللعنة معهم، وكان جعفر مرتضى العاملي قد طبع كتيّباً لتأييد هذه الفرية فرددت عليه في فصل مسهب من كتابي «فاطمة ﵍» ولا أُريد هنا أن أُعيد ذلك الجدال الذي يؤذي رسول الله ﷺ حيث يصعب عليه أن ينفى عنه فلذات كبده ويصنع لهما أب من بني تميم.

ومن الحجج التي تنفي قول هؤلاء أنّه لو صحّ ما ادّعوه لكان رسول الله قد زوّج زينب من أخيها العاص لأنّه ابن هالة أيضاً بإجماع المؤرّخين ومنهم صاحب الاستغاثة، فكيف يسوغ هذا القول لمسلم؟!

ثمّ إنّي رأيت المؤلّف يخبط خبط عشواء في التاريخ وكأنّه يكتب من الذاكرة وهي قد تخون صاحبها حيث زعم هنا أنّ هالة توسّطت لرسول الله ﷺ عند خديجة حتّى رضيت به، والإجماع حاصل من الأُمّة كلّها أنّ خديجة ﵍ هي التي تقدّمت للنبيّ بطلب الزواج لا العكس، إنّما ←

بفراق رقيّة وكان لم يدخل بها بعد، وأطمعوه بمن يختاره من بنات قريش، فأطاعهم وطلّقها، وطلبوا ذلك من أبي العاص فأباه وقال: لا أفعل، لم أر من صاحبتي إلّا الخير، ودعا رسول الله على عتبة بقوله: اللهمّ سلّط على عتبة كلباً من كلابك والعنه، فخاف أبولهب على ولده لمّا بلغه الدعاء، وقال: أخاف أن تلحقه اللعنة.

وكانت عادة قريش إذا أخرجت عيرها إلى الشام أن تقرع بين رجال القافلة فمن خرجت القرعة باسمه يولّى عليها ويجعل أمير الركب، فخرجت القرعة ذلك العام باسم عتبة، فقال أبولهب: أخشى عليه الأسد لكثرتها في طريق الشام من دعاء محمّد عليه، فجاء إليه أهل القافلة وضمنوا له عتبة، فامتنع أبولهب من قبول ذلك حتّى قالوا له: لا نفارقه في نوم ولا يقظة بل نجعله بيننا حللنا أو ارتحلنا، فإذا نمنا وضعناه بيننا وأحطناه بالرحال والحمال، ونقوم على حراسته واحداً إثر الآخر، فرضي أبولهب بهذا الشرط، فلمّا بلغوا أحد المواضع جاء أسد وتخطّى الجمال، وحمل على عتبة فلو عنقه وكسرها ثمّ أكله، فلمّا بلغت أنباء الواقعة أبالهب تألّم ألماً شديداً وبالغ في إدخال الأذى على النبي ﷺ.

وأمّا زوج أبي العاص زينب، فقد أسر زوجها أبوالعاص في بدر وكان المكّيّون يرسلونإلى أسراهم ألف درهم لكلّ أسير من الذهب وغيره من المتاع، وافتدوا أُسراهم وكانت زينب قد أسلمت وأخفت إسلامها، فأخذت تجيل الفكر في مكّة وخافت أن ترسل في فدائه فتتّهم بالردّة عن الإسلام[1] أو لا ترسل الفداء فتتّهمها

➲ الأمويّون كانوا يشيعون بين الناس أنّ النبيّ لم ترض قريش بمصاهرته ليتمه وقلّة ذات يده، وهناك أمور أُخرى يبطنونها لعنهم الله فجاء المؤلّف بحسن نيّته أو بجهله فاتّبع هذا القول المنافي للواقع.

(١) لم تكن عبارة المصنّف هكذا بل العبارة كما يلي: فتراجعت عن إرسال الفداء خشية أن يقول محمّد (هكذا باسمه ﷺ) ارتدّت عن ديني، وهي عبارة قاسية وحشيّة وغير مؤدّبة.

قريش بالإسلام، وأخيراً قالت: يسهل القدر مع محمّد (هكذا يصرّح باسم النبيّ ولم ينعته بالرسالة ولا وصفه بأنّه أبوها لما صدر عنه من تكذيب ذلك اتّباعاً لصاحب الاستغاثة، وهذا لعمري جفاء غير مقبول من مؤمن مثله ـ المترجم) فأرسلت بقلادتها التي أدخلتها بها خديجة عليها السلام على زوجها، فعرف النبيّ العقد وقال لأبي العاص: هذا عقد خديجة أعطتك زينب إيّاه فقد أطلقتك إكراماً لزينب، وأعطيتك العقد لتردّه عليها ولكن عاهدني أن تردّ زينب عليّ مع أمامة ابنتها إذا عدت إلى مكّة، فعاهده أبو العاص على ذلك[1].

وعجب الناس من وفاء أبي العاص، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علمت بأنّه سيفي لي، وهو الذي كان يأتينا بالطعام سرّاً ونحن في الشعب.

وعاد أبو العاص إلى مكّة ولمّا عاد عير قريش إلى مكّة وقعت القرعة على أبي العاص، فسار في القافلة، ولكنّه قابل قوماً من أهل الإسلام فأسروه في طائفة من رفاقه وساقوهم أسرى إلى المدينة فاحتال حتّى أبلغ زينب عن أسره وطلب منها أن تشفع له عند أبيها، فحارت في أمرها، فلم تجد وسيلة إلى الشفاعة إلّا بأن

---

(١) بين ما نقله المؤلّف عن فداء أبي العاص وما نقله المؤرّخون بون شاسع جدّاً، وإنّي هنا أنقل الحكاية وأترك للقاري الحكم عليه.. إنّ أبا العاص بن الربيع كان ممّن شهدا بدراً مع المشركين، فأسره عبدالله بن جبير بن النعمان الأنصاري، فلمّا بعث أهل مكّة في فداء أُساراهم قدم في فداء أبي العاص أخو عمرو بن الربيع وبعثت معه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهي يومئذٍ بمكّة ـ بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار ـ وظفار جبل باليمن ـ وكانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبي العاص ابن الربيع حين بنى بها، فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله القلادة عرفها ورقّ لها وذكر خديجة وترحّم عليها، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا إليها متاعها فعلتم، قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع وردّوا على زينب قلادتها، وأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله على أبي العاص أن يخلّي سبيلها إليه فوعده ذلك ففعل.. الطبقات الكبرى ٨: ٣٢؛ نصب الراية للزيلعي ٤: ٢٦١؛ الاستغاثة ١: ٦٦.

أخرجت رأسها من النافذة المطلّة على المسجد بعد فراغ النبي من صلاة الصبح واستقبلته بوجهها وقالت: يا رسول الله، ويا معاشر المهاجرين والأنصار، إنّي زينب ابنة رسول الله، قد أجرت أبا العاص ورفاقه، فأجاز النبيّ أمانها، وقال: لا أجيز بعد اليوم جوار النساء.

فلمّا أقبل أبوالعاص على رسول الله ﷺ فقال له النبيّ: يا أباالعاص، أما آن الأوان أن تقرّ بوحدانيّة الله وبنبوّتي، فأسلم أبوالعاص وردّ النبيّ عليه زينب بالعقد الأوّل، ولم يكن في الإسلام، ومات ولد زينب قبل البلوغ، وأدركت ابنتها أمامة البلوغ(١).

وقال أبوالعاص: يا محمّد، إنّ قريشاً إذا علمت بإسلامي قالت إنّما أسلمت طمعاً في ماهم عندي، أفتأذن لي بالرجوع إلى مكّة فأردّ عليهم ودائعهم وبضائعهم التي معي وأنصرف إليك؟ فأذن له في ذلك، فمضى أبوالعاص إلى مكّة فردّ عليهم ما كان معه، ثمّ قال: هل بقي لأحد منكم عندي شيء؟ قالوا: لا، قال: إنّي أشهد أن لاإله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة وبقي فيها زمناً ثمّ مات، وأعطى النبيّ رقيّة إلى عثمان، فلمّا توفّيت زوّجه من زينب(٢)، وكانت المرأتان تميميّتين وعثمان تميميّ أيضاً(٣).

وكان هند بن هالة مع أُختيه، فلمّا بلغ مبلغ الرجال نشأ صالحاً متديّناً واستشهد في كربلاء مع الحسين بن عليّ عليه السلام.

---

(١) زعم صاحب الاستغاثة بأنّ لزينب ولداً واسمه الربيع، وابنتاً واسمها أمامة من أبي العاص. الاستغاثة ١: ٦٦.

(٢) وهذا قول شاذّ لم يقل به أحد من المؤرّخين بل زوّجه النبيّ أُختها أمّ كلثوم ولكن المؤلّف اتّبع أبا القاسم الكوفي الذي لا يقرّ بوجودها أصلاً، راجع الاستغاثة ١: ٦٦.

(٣) عثمان أمويّ ولست أدري ما يقصد بتميميّته.

ومن المعلوم المحقّق أنّ أبا العاص كان مشركاً فكيف يزوّج النبيّ ابنته إلى مشرك بدون عقد أو بعقد الشرك والنبيّ لم يشرك بالله طرفة عين ولم يعبد صنماً، والمسألة إجماعيّة، لأنّ من كان مشركاً ثمّ أسلم لا يبعد في حقّه أن يعود إلى الشرك مرّة أُخرى، فيرتدّ عن الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾(١)، والعصمة تحمي من الشرك والارتداد، ومن هذه الجهة نحن نثبت العصمة للنبيّ والإمام.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢)، وقال حكاية عن إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٣)، ومن هنا ثبت القول القائل بأنّ الإمام لا يمكن أن يكون مشركاً.

فرحة

لم يتعبّد النبيّ ﷺ بأيّة شريعة من شرايع الأنبياء، لأنّ دين الله وشريعته واحدة لا تبديل لكلماته، ولن يكون هذا التبديل لاسيّما وإنّ الأنبياء جميعاً من آدم إلى عيسى كانوا يدعون أُممهم إلى التديّن بدين محمّد ﷺ، وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(٤) على ملّة إبراهيم، فإنّه من باب إظهار مزيد العناية بإبراهيم عليه السلام وتخصيصه بالفضل على من عداه وتمييزه وتفضيله، نظير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾(٥)،

---

(١) النساء: ١٣٧.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) الأنعام: ٧٩.

(٥) البقرة: ٩٨.

وقال: ﴿لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾[(١)].

وغرض النبيّ ﷺ حيث يقول: على ملّة إبراهيم، من أنّه من سلالته، وإنّي على الدين والملّة التي كان جدّي عليها ﴿مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾[(٢)]، وكما كان على ملّة إبراهيم فهو على ملّة عيسى أيضاً، لأنّ دين الأنبياء وملّتهم واحدة، لكن إبراهيم خاصّة له منزلة عند جميع الطوائف ومحبّة متمكّنة من القلوب، من هذه الجهة ميّزه الله عن الأنبياء وأفرده بالذكر.

ثمّ إنّ النبيّ والإمام لا يجوز لهما الاختلاط بالمشرك أو تزويجه إلّا في حالة الاضطرار، فإنّ ذلك ربّما جاز.

ويقول محمّد بن عبدالرحمان بن محمّد الاصفهاني في كتابه: «التواريخ»: كانت خديجة عليها السلام عذراء حين تزوّجها النبيّ ﷺ فكيف يكون لها أولاد وهي لم يمسّها بشر، ولم يحدث ذلك لبنات حوّاء إلّا لمريم عليها السلام، فقد ولدت ولداً بإذن الله من دون أب.

ويقول أيضاً[(٣)]: ولمّا وقع بيني وبين من نسب إلى هند من ولده مجادلات ومناظرات، فيما ينسبون إليه من خديجة وما يجهلون من جدّتهم هالة»[(٤)] فإنّهم

---

(١) الإسراء: ٥٥.

(٢) الأحقاف: ٩.

(٣) نسب المؤلّف هذاالقول إلى محمّد بن عبدالرحمان الاصفهاني بينما هو لأبي القاسم الكوفي صاحب الاستغاثة، ونحن نقلنا عبارته.

(٤) راجع الاستغاثة ١: ٧٠ وليس فيه الكلام الذي أعقب قوله هذا عند المؤلّف، والمؤلّف يضرب على وتر حسّاس من إنكار بنات رسول الله ﷺ الثلاث فيحاول جهد الطاقة أن يرد نسبهنّ إلى النبيّ بما يستطيعه من اللفّ والدوران، الاصفهاني هذا لم أعرفه ولم أعرف كتابه التواريخ، ولم أعرف السبب الذي جعل شيخنا المؤلّف ينسب هذا القول إليه وهو لأبي القاسم الكوفي، بل ⇐

قالوا: إنّ الحسن والحسين أولاد أُختنا، وإنّ هنداً بن أبي هند المقتول بكربلاء خال الحسين بن عليّ عليهما السلام من قبل الأُمّ، فأخرجت لهم ديوان الأنساب وفيه: إنّ خديجة لم تكن قد تزوّجت قبل رسول الله فكانت عذراء حين بنى عليها.

ولكن العجب ممّن رضي بما يقال عن خديجة من أنّها أعرضت عمّن تقدّم لخطبتها من أشراف قريش والعرب فكيف ترضى برجل لئيم من بني تميم[1].

بيان في أنّ عثمان وبني أُميّة لم يكونوا من قريش وأنّ أُميّة غلام روميّ

ذكر محمّد بن عبدالرحمان بن محمّد الاصفهاني في كتاب «البديع»، قال: كان أُميّة غلاماً روميّاً لعبد شمس شقيق هاشم عليه السلام بن عبدمناف، فتبنّاه عبد شمس وعاش تحت رعايته، وكان أصله من الروم، كما جاء في القرآن الكريم ونصّ على ذلك: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[2] أي أنّهم سوف يغلبون على سرير الملك والخلافة ثمّ يطوح بهم الدهر ويلفظهم الزمان إلى الذلّ والنسيان، ويقهرهم ويغلبهم، والمقصود من الروم هم بنو مروان.

وكان هذا القانون سائداً في جزيرة العرب فقد جرى على زيد ما جرى على أُميّة حين تبنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك الزبير بن العوام، مملوك أسد بن خويلد.

➲ لم يجر ذكر للكوفي هنا وهو أوّل من أطلق هذا الفرية، ولم تكن عند أحد من المؤلّفين والمؤرّخين غيره.

(١) أقول: فرغت من الردّ على أصحاب هذا القول أعني المنكرين لبنوّة السيّدات الثلاث زينب ورقيّة وأُمّ كلثوم في كتابي «فاطمة الزهراء دراسة ومحاضرات» ببحث مسهب فارجع إليه إن شئت.

(٢) الروم: ١ ـ ٤.

وقصّة زيد كما يلي: فقد اشتراه رسول الله على غرار ما كان يفعله العرب من سوق عكاظ من مال خديجة[١] وهو حارثة الكلبي وهو من قبيلة كلب، وكان رجلاً كبيراً في المقام، ولمّا اشتراه النبيّ بعث بالنبوّة فأسلم زيد فأعتقه النبيّ ﷺ بعد أن استوهبه من خديجة عليها السلام.

ولمّا بلغت أنباء زيد أباه أقبل مع جماعة من رجاله إلى مكّة ونزل على أبي طالب عليه السلام وتشفّع به عند النبيّ ﷺ على ردّ ولده أو بيعه عليه وأخذ ثمنه، فقام أبوطالب ومعه حارثة الكلبي وجماعة من أعلام قومه، الذين صحبوه إلى مكّة، وأقبلوا على النبيّ ﷺ، فتحدّث أبوطالب بحديث حارثة وزيد ابنه وعرضه على النبيّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: إنّي حرّرت زيداً والأمر إليه إن اختارني أو اختار أباه، فقال زيد: إنّي اخترت صحبة الرسول وخدمته ولا أُفارقه ما دمت حيّاً، فآلم قوله حارثة أباه، فقال: معاشر قريش، إنّي تألّمت من زيد فاشهدوا بأنّي قد خلعته فلا هو ابني ولا أنا أبوه، فقال رسول الله ﷺ: معاشر قريش، اعلموا بأنّي قد تبنّيت زيداً فهو ابني، وعرف بعد ذلك اليوم بزيد بن محمّد، إلى أن طلّق زوجه وتزوّجها النبيّ ﷺ ليعلم الناس بأنّ زيداً ما هو بابنه على الحقيقة، وجاء في القرآن نفيه من بنوّة النبيّ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[٣] ولمّا لم يكن سبق زيد إلى الإسلام موجباً لتعلّق حقّة بالخلافة

---

(١) هذا كلام من لا يدري، فإنّ زيداً اشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بأربعمائة درهم. الإصابة ١: ٥٦٣.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

كذلك القول في سبق غيره إلى الإسلام ما عدا أميرالمؤمنين والحسن والحسين وأولادهما.

بيّنة

وأمّا زواج عمر من أُمّ كلثوم بنت أميرالمؤمنين فقد كان زواجاً بالقهر، ولمّا كان باستطاعتهم أخذ الخلافة منه وهي عطيّة مالك الملك سبحانه فلا عجب من قهره على الزواج بابنته وإن كان كارهاً لذلك، وشأن أميرالمؤمنين شأن لوط النبيّ صلّى الله عليه حيث قال: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾(١) وقال الصادق عليه السلام: ذلك أوّل فرج غصبناه(٢) [غصبنا عليه ـ المؤلّف].

وقيل عن هذه الحكاية كما يلي: إنّ عمر أرسل العبّاس إلى أميرالمؤمنين يخطب عليه ابنته أُمّ كلثوم فأبى الإمام ذلك، فقال عمر: إنّ عليّاً يأنف منّي، أُقسم بالله لأقتلنّه، فأخبر العبّاس أميرالمؤمنين عن نيّة عمر، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ قتلي في جانب والخطبة في جانب آخر، وإنّي لا أُزوّجه ابنتي. فقال عمر للعبّاس: تعال للمسجد يوم الجمعة لتسمع ما يجب أن تسمعه، فقال يوم الجمعة في آخر الخطبة:

---

(١) هود: ٧٨.

(٢) المسائل السرويّة للشيخ المفيد: ٨٧؛ جواهر الكلام ٣٧: ٩؛ الكافي ٥: ٣٤٦؛ وسائل الشيعة ٢٠: ٥٦١؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٠٦، اللمعة البيضاء: ٢٨١ ومهما نفى النافون أو أثبت المثبتون من هذا الزواج فإنّه لا يرفع من قدر عمر إلّا بما يرتفع به قدر فرعون من زواجه بابنة مزاحم ولا ينخفض قدر سيّدتنا أُمّ كلثوم إلّا بقدر ما ينخفض قدر نظيرتها من زواجها بفرعون، وليس هذا غريباً على الأولياء من زواج الخبيثين بالطيّبات أو الطيّبات بالخبيثين، والحمد للّه الذي لم يجعل لعمر ما يزكّيه إلّا هذه الأُمور قليلة الشأن التي لا يكترث بها عاقل من زواج بسيّدة من البيت النبوي أو تسمية ولد من أولادهم باسمه، ولو صحّ هذا وذاك فإنّ القطرة العذبة تلقى في الملح الأُجاج لا تصيّره عذباً.

يا أيّها الناس، هاهنا رجل من أصحاب رسول الله قد زنا وهو محصن وقد اطّلع أميركم وحده فما أنتم قائلون؟ فقال الناس من كلّ جانب: إذا كان أميرالمؤمنين اطّلع عليه فما حاجته أن يطّلع عليه غيره [أميرالمؤمنين لا يحتاج إلى شاهد والقول قوله، وإذا أمرنا قتلنا ذلك الزاني].

فلمّا انصرف عمر قال للعبّاس: امض إليه فأعلمه ما قد سمعت، فوالله لئن لم يفعل لأفعلنّ، فصار العبّاس إلى عليّ عليه السلام فعرّفه ذلك، فقال عليّ صلوات الله عليه: أنا أعلم أنّ ذلك ممّا يهون عليه وما كنت بالذي أفعل ما تلتمسه أبداً، [فقال العبّاس: يقتلك والله ليس في الأمر مزاح وهو مجرم ووقح، وخشن الطبع] إن لم تفعل أنت فأنا أهله، وأقسمت عليك أن خالفت قولي وفعلي [لتمحى السخيمة من صدره ولا يتضرر الإسلام من هذا الوضع، فاحتمل أنّ هذه البنت قد ماتت فامتنع أميرالمؤمنين أشدّ الامتناع].

فمضى العبّاس إلى عمر وأعلمه أن يفعل ما يريد من ذلك [فمضى العبّاس إلى عمر وقال: هل تريد شيئاً غير الخطبة، إنّ عليّاً لا يفعل ذلك ولكنّي أفعله ...] فجمع عمر الناس، فقال: إنّ هذا العبّاس عمّ عليّ وقد جعل إليه أمر ابنته أُمّ كلثوم وقد أمره أن يزوّجني منها، فزوّجه العبّاس وبعث بعد مدّة يسيرة فحوّلها إليه(1)، وسكت أميرالمؤمنين بوصيّة من رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا العقد بعينه مشابه لعقد فرعون على آسية بنت مزاحم.

مسألة

قال المخالفون: إنّ رسول الله أمر أبابكر بإقامة صلاة العصر وصلّى خلفه

---

(1) مستدرك الوسائل ١٤: ٤٤٣ وما بين الحاصرتين من إضافات المؤلّف؛ الصراط المستقيم ٣: ١٣٠.

أصحاب النبيّ ﷺ وهذا نصّ على إمامته، لأنّ ما يجب في إمامة الصـلاة يجب في الإمامة العامّة.

ويقولون أيضاً: لمّا سمع النبيّ صوت أبي بكر يكبّر للصلاة خرج يتهـادى بـين عليّ عليه السلام وبين الفضل بن العبّاس وقد وضع يديه على منكبيهما ورجلاه يخـطّان في الأرض حتّى بلغ المسجد فاستقبل القبلة فصلّى بالناس وصلّى أبـوبكر بـصلاته، وصلّى الناس بصلاة أبي بكر.

فإذا كانت صلاته بإذن رسول الله ورأيه فإنّ عزله بأمر الله ووحيه ﴿وَمَا يَـنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[(١)]، ومثله ما فعل في سورة براءة فقد أثبت للأُمّـة فإنّ الله أمر رسوله بعزله عن أدائها ليعلم الناس أنّه غير أهل لأداء الشريعة كما هو غير أهل لإمامة الصلاة.

ولمّا فتح رسول الله مكّة، وبان له النصر الأكيد، فأراد الصلاة في العصرين في المسجد الحرام فاستناب عتاب بن أسيد في إمامة الصلاة فأمره أن يقيمها ويصلّيها بالنيابة عنه، فإذا كانت إمامة الصلاة موجبة لاستحقاق الخلافة فإنّ عـتاب بـن أسيد أولى بها من أبي بكر، حيث يقيمها في المسجد الحرام والنبيّ صحيح معافى، وفي صلاة أبي بكر كانت الصورة قائمة فالنبيّ في أشدّ حالات المرض، فإذا ائتمّ بأبي بكر في صلاته فيعتبر حينئذٍ معزولاً من نبوّته لأنّه آخر عمل أقامه ثمّ تـوفّي مـن بعده، وقال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[(٢)] وقال: ﴿لَا تُـقَدِّمُوا بَـيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[(٣)] وأمثالها الدالّة على حرمة التقدّم على رسول الله بكلّ وجه من

(١) النجم: ٣ و٤.
(٢) الحجرات: ٢.
(٣) الحجرات: ١.

الوجوه، وحينئذٍ يعتبر أبوبكر عاصياً لرسول الله بهذا الفعل.

وفي مذهب أهل البيت عليهم السلام إنّ النبيّ لم يأمر أبابكر بالصلاة وإنّما صدر الأمر من عائشة إلى بلال بالأذان لكي يصلّي أبوها بالناس، ولمّا رفع أبوبكر صوته بالأذان وبلغت مسامع النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: من الذي قدّم هذا؟ فقالت عائشة: بلال يا رسول الله. فقال: أسندوني، أمّا إنّكنّ لصويحبات يوسف.

وكنّ في عهد يوسف كاذبات وحريصات على الحبّ والغزل والدلال والفتنة، وحريصات على تحصيل الأماني والشهوات واللذّات الدنيويّة.

وقام النبيّ عجلاً بعد سماعه صوت أبي بكر مكبّراً واضعاً يده على منكب ميمونة ويده الأُعرى على منكب عليّ عليه السلام ينحو المسجد، ولمّا خرج من البيت وافاه الفضل بن العبّاس فصرف ميمونة ووضع يده على منكب الفضل وعادت ميمونة من حيث أتت، وأبعد ابابكر من المحراب واستأنف الصلاة[1].

مسألة:

قال المخالفون إنّهما وزيرا رسول الله صلى الله عليه وآله.

الجواب:

إن كانت وزارتهما مشاركة للنبوّة فهو الكفر المحض، أم أنّ وزارتهما معناها النيابة عن النبيّ في إدارة الأُمور وكفاية الحروب، فإنّ أبابكر حمل الراية مرّة واحدة في خيبر فرجع منهزماً، ومثله فعل عمر عاد بالهزيمة الفاضحة إلى أن أخذ الراية أميرالمؤمنين عليه السلام وتمّ فتح خيبر على يديه، وفي كلّ آية يذكر الله فيها الحرب والفرار من الزحف والنفاق فإنّهما المَعنيّان بها، وكانا أكثر الناس فراراً من الزحف

---

(١) كان المؤلّف قد عقد هذا الفصل لنفي الأمويّين من قريش ولكنّه لم يأت بحجّة واحدة تنفيهم وإنّما أخذ يتنقّل في الأحاديث من فصل إلى آخر دونما مناسبة.

ليدخلا الوهن على الإسلام، وإذا ذكر النفاق في موضع فهما الشريك الأكبر فيه.

ويقول الله تعالى مخاطباً لنبيّه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(١) وتاب بعض المنافقين من نفاقهم أمّا هم فقد ماتوا على النفاق، إنّ الله أمره بمشورتهم لئلّا يقولوا بأنّ محمّداً لا يشركنا في قضاياه كسائر أصحابه، وعندئذٍ يكيدون للإسلام ما شاء لهم خبثهم، ويغدرون بالنبيّ ﷺ في ساعة الشدّة، وإلّا فالنبيّ غنيّ بالوحي عن المشورة، ولقد أعطاه الله من المكارم ما لا يحتاج معها إلى استشارة أحد من الناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢).

مسألة:

ما يقال من أنّ أبابكر أنفق أربعين ألف درهم على رسول الله ﷺ.

الجواب:

مرّ شرح هذه المسألة بإسهاب مضافاً إلى أنّ رسول الله ﷺ حلّ بعد الهجرة ضيفاً على الأنصار وكان أبوبكر فقيراً معدماً يحتاج إلى برّ الأنصار وهو طفيليّ بركاب رسول الله ﷺ وبعد الهجرة، يسّر الله لرسوله فتح البلاد وأغناه بالغنائم المحرّرة، هذا ما يخصّ حال النبيّ بعد الهجرة، وأمّا قبل الهجرة فقد أغناه الله بمال خديجة عن مال أبي بكر، على أنّ الصدقة على رسول الله حرام، واكترى أبوبكر جملاً فهاجر عليه فأين كانت ثروته وهو لا يملك حتّى راحلة يهاجر عليها؟!

والدليل على أنّه لا يملك أربعين ألف درهم لينفقها على النبيّ ﷺ أنّ بعض الناس كانوا يختلون بالنبيّ ويسارونه أو يسألونه عن بعض المسائل فاقتدى بهم

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

البقيّة ومالوا إلى حبّ الخلوة مع النبيّ حتّى أضجروه، فأنزل الله هذه الآية عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾(١)، فلمّا نزلت الآيه باع أميرالمؤمنين عليه السلام ديناراً عندهم بدرهم، وقيل استدان عشرة دراهم، وسأل عشرة أسئلة ولم يعمل بهذه الآية غيره حتّى نسخ حكمها بآية: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾(٢)، فلو كان لأبي بكر مال لأنفق بعضه وحظى بمناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله، ولو كان بحوزته أربعون ألف درهم ثمّ لم يتصدّق فإنّه أبخل الناس.

ولو صحّ حديث: اقتدوا باللذين من بعدي أبوبكر وعمر(٣) لم يحتج إلى البيعة ولم يجادله الأنصار على الخلافة، ولاحتجّ بهذا الحديث لا بحديث «الأئمّة من قريش».

وقالوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أبوبكر أفضلكم، وأعلمكم، ولم يقولوا إنّ أبابكر جهل معنى الكلالة ومثله عمر، وكلاهما لم يعرف معنى لفظ «الأبّ» كما قال الثعلبي، وطالما قال عمر: لولا علي لهلك عمر، لولا معاذ لهلك عمر(٤).

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) المجادلة: ١٣.

(٣) هذا الحديث الموضوع تكذيبه سهل جدّاً لأنّ الرجلين لم يتفقا عمرهما كلّه بل كانا في خلاف دائم كخلافهما في حروب ما يسمّى بالردّة، وخلافهما حول خالد وفعلته النكراء مع مالك وزوجته، فبمن نقتدي إذن ؟! والاقتداء بأحدهما مخالفة للآخر وردّ لحديث النبيّ ـ إن صحّ ـ وهو موجب للكفر، وحينئذٍ كيف يصحّ حديث يوجب الكفر على المسلم!!

(٤) سنن البيهقي ٧: ٤٤٣؛ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٥٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨ و١٤١ و١٢: ١٧٩؛ كنز العمّال ١٣: ٥٨٤ رقم ٣٧٤٩٩؛ تفسير القرطبي ٩: ٢٨٨؛ تاريخ مدينة دمشق ٥٨: ٤٢٢؛ سير أعلام النبلاء ١: ٤٥٢؛ الإصابة ٦: ١٠٨؛ ينابيع المودّة ١: ٢١٦ ←

وما يقال: من أنّ النبيّ قال: مكتوب على ساق العرش: أبوبكر وعمر، يـردّه حديث صحيح عن النبيّ أنّه قال: مكتوب على ساق العرش: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله»، وكيف يصحّ كتابة اسم من عبد الصنم خمسين أو أربعين عاماً وبعد ذلك التحف الإسلام، إلّا أنّ ذلك يصحّ في عليّ عليه السلام لأنّه معصوم ومطهّر من الصغائر والكبائر من يوم ولادته إلى أن نال درجة الشهادة، فلا مانع من كتابة اسمه في ساق العرش، وكلّ حديث قاله النبيّ في عليّ نسبوه إلى أنفسهم[1].

وقالوا: إنّ الشيطان يفرّ من ظلّ عمر، ولم يذكروا قول عمر عن نفسه في حرب أُحد: كنت كالماعز الجبلبة أفرّ من جبل إلى جبل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا**﴾[2]. ولو صحّ ما قالوا لما فرّ ولما استزلّه الشيطان.

وقالوا: إنّ النبيّ دعى الله سائلاً: اللهمّ أعزّ هذا الدين بأبي جهل أو بعمر، فاستجاب الله لنبيّه في عمر فنصر به الرسول وقوي دينه به وعزّ.

[الجواب] قال الله في مواضع من كتابه أنّه هو الذي أعزّ الدين ونصره وهو الذي نصر رسله حيث قال: ﴿**لَنَنصُرُ رُسُلَنَا**﴾[3] وقال: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ**

و٢٢٧؛ عمر بن الخطّاب للبكري: ١٥١ و١٨٩ و٣٦٩ و٣٧١؛ وفي تاج العروس ١٠: ٤٤٥: لولا زيد لهلك عمر؛ شرح الرضي على الكافية ١: ٢٧٥؛ مختصر المعاني للتفتازاني: ٩٥.

(١) ليس هم الذين نسبوه بل هم الذين حاولوا طمسه ولكن دار ضرب الحديث التي أسّسها معاوية واشترى لها ذمماً رخيصة كذمّة عائشة وأبي هريرة وسمرة بن جندب وأمثالهم، هم الذين فعلوا هذا الفعل ا لشائن، ولا أقول ذلك دفاعاً عنهما لعنهما الله ولكنّهما أقلّ وأذلّ من ارتكاب هذه الحماقة.. وعليّ عليه السلام على قيد الحياة.

(٢) آل عمران: ١٥٥.

(٣) غافر: ٥١.

كُلِّهِ﴾[(١)]، وقال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾[(٢)] ونحوها، فكيف يحتاج النبيّ إلى المشرك في نصر دينه.

وما يقال: من أنّ عثمان جهّز جيش العسرة فإنّ ذلك في غزوة تبوك باتفاق الأُمّة وكانوا خمساً وعشرين ألف مقاتل، وقالوا: إنّ النبيّ أمر المسلمين جميعاً أن يأتوا بما عندهم لتمويل الجيش وكان لعثمان مأتا بعير أعطاهم لتحمل أربعمائة من المقاتلين، فماذا فعل للباقين؟! وتخلّف الفقراء المعدمون عن اللحاق بهم، فلو كان عثمان جهّزهم لما تخلّفوا، ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَيَجِدُونَ مَايُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَأَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[(٣)]؛ وهذه الآية تكذّب ما افتروه عن عثمان.

وقالوا عن النبيّ أنّه قال ذات يوم: من يصلح بئر رومة وأعطيه بيتاً في الجنّة، فقال عثمان: أنا يا رسول الله، ولكن أضمنها وأنت رسول الله لي.

فلو كان مصدّقاً رسول الله ومعتقداً برسالته حقّاً ومؤمناً بالجنّة لما طلب ضامناً من رسول الله ﷺ، وطلب الضامن دليل على شكّه في صدق قول النبيّ ﷺ، وفي المعاد ولو كان مؤمناً حقّاً لما كان بحاجة إلى ضمان، ولو لم يكن مؤمناً فإنّ دخوله إلى الجنّة محال، والنبيّ ﷺ لا يضمن المحال.

ولمّا تمّ تحرير هذه المقدّمات من كلّ نوع وكلّ باب من كتب المؤالف والمخالف صار لزوماً علينا الإتيان بموجز هذا الباب، وكيف تمّت الغلبة على بني هاشم، وتمّ النصر لبني تيم وعدي وبني أُميّة وأضرابهم عليهم.

---

(١) التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩.

(٢) آل عمران: ١٦٠.

(٣) التوبة: ٩١ و٩٢.

الباب العاشر

في حجّة الوداع وذكر الغدير ووصيّة الرسول ووفاته وفيه ما يتبع ذلك

الفصل الأوّل: في حجّة الوداع

روى البراء بن عازب وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وغيرهم، قالوا: لمّا صالح النبيّ ﷺ نصارى نجران، هبط عليه الأمين جبرئيل وقال: إنّ الله يأمرك أن تحجّ هذا العام، لأنّ أجلك قد دنى.

وكان النبيّ ﷺ قد أرسل عليّاً إلى اليمن لقبض ما أقرّه من الجزية على أهل نجران، وأمر النبيّ بالاستعداد للحجّ، ولمّا أعدّ العُدّة للسفر خرج من المدينة بجمع عظيم، ومن هناك كتب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قائلاً: إنّنا ذهبنا إلى حجّ بيت الله فإذا فرغت من عملك فوافنا هناك من طريق اليمن، لنلتقي إن شاء الله.

فلمّا بلغ النبيّ ﷺ بذي الحليفة كانت أسماء بنت عميس حاملاً بمحمّد بن أبي بكر فولدته هناك، فأوقف النبيّ ﷺ الركب يوماً بكامله من أجلها.

فلمّا وصل كتاب النبيّ إلى عليّ عليه السلام أخذ يتأهّب للسفر ومعه ما كان قد حازه من

الغنائم، وأقبل ومن معه متوجّهين نحو مكّة، ولمّا بلغ ميقات أهل اليمن أحرم منه، وكان معه من الهدي أربع وأربعون، وكان حجّه حجّ القران المفرد، ولم يشرع حجّ التمتّع بعد، فلمّا وصل مكّة نزلت آية التمتّع وهي قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1] وكان النبيّ قد أحرم قبل نزول الآية، فخطب الناس وقال: من لم يحرم فإحرامه إلى العمرة، ولو كنت أعلم قبل علمي لما سقت الهدي حتّى أحلّ من الحرام ولكنّي لا أستطيع أن أحلّ حتّى يبلغ الهدي محلّه، وعلى من لم يسق الهدي الإحلال الآن ويحجّ حجّ التمتّع ثمّ يحرم بعد ذلك، فاستجاب بعضهم للنبيّ ﷺ وأبى بعضهم الآخر، فعاتبهم رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نحلّ وأنت محرم، فقال: أنا عذري معي فقد سقت الهدي معي، أمّا أنتم فلا عذر لكم، فلم يقبلوا قوله وأصرّوا على فعلهم، وقالوا: لا نحلّ حتّى تحلّ، فقال النبيّ: إنّكم لتقولون منكراً من القول وزوراً، وها أنا قد سقت معي الهدي ستّاً وستّين بدنة ونويت القران فكيف أحلّ إذن، فقال المنكرون: كيف نحلّ ونخلو بالنساء ونخرج ورؤوسنا تقطر ماءاً ورسول الله أشعث أغبر[2].

ولمّا دنى أميرالمؤمنين من مكّة أقام أحد أصحابه مقامه وأسرع باللحوق برسول الله، فلقي رسول الله على أبواب مكّة فسأله النبيّ ﷺ: ماذا صنعت؟ قال: صنعت ما أمرتني به، واستوفيت من القوم ما عليهم، وخلّفتها عند أصحابي في الوادي، وألحح بي الشوق على لقائك عاجلاً، فقال رسول الله ﷺ: وبماذا نويت يا علي في إحرامك؟ فقال عليّ عليه السلام: إنّك أبلغتني بالحجّ في كتابك ولكنّي نويت على

---

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) رأس المنكرين عمر بن الخطّاب لعنه الله وهو صاحب الكلمة وليس فيها رؤوسنا تقطر ماءاً، بل كذا: تقطر منيّاً، وما هو بعابئ برسول الله بل بشعارات الجاهليّة يخشى عليها أن تتحلّل.

ما نويت عليه ، وقلت : اللهمّ اجعل إهلالي كإهلال نبيّك ، فقال : أو سقت الهدي ؟ قال : نعم أربعاً وأربعين بدنة ، فقال النبيّ : الله أكبر ، شاركتني في حجّي وهديي ، فقد سقت أنا ستّاً وستّين بدنة فاذهب الآن وائتني بأصحابك .

فذهب أميرالمؤمنين عليه السلام إليهم فوجدهم قد عبثوا بالمال وفتحوا الرحال واستخرجوا الحلل فلبسوها ، فعاتب الذي ائتمنه على القوم ، فقال : إنّهم طلبوا منّي أن يلبسوا الحلل ويحرموا بها ، فقال أميرالمؤمنين : سبحان الله ! كيف ساغ لك لبسها قبل أن يراها النبيّ ؟! فاستدعاهم جميعاً وأمرهم بنزعها وأن يجعلوها في الأثقال ، وأقبلوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فشكوه إلى النبيّ ، وقالوا : إنّه انتزع الحلل منّا ، فقال النبيّ : لقد فعل عليّ الصواب ، فكانوا يطعنون على عليّ لما في صدورهم من حقد عليه ، وأطلقوا ألسنتهم في أمره ، فرقى النبيّ المنبر وخطبهم قائلاً : ارفعوا ألسنتكم عن عليّ بن أبي اطلب فإنّه خشن في ذات الله تعالى ، غير مداهن في دينه .

ولمّا رأى الناس غضب النبيّ أمسكوا عن الطعن على عليّ عليه السلام ، وأتمّ النبيّ حجّه ثمّ قفل راجعاً إلى المدينة .

الفصل الثاني : في ذكر الغدير

وأقبل النبيّ عائداً من منزل إلى منزل حتّى بلغ موضعاً يدعى «غدير خم» وهو واقع على مفترق الطرق ، ومنه تتفرّق القبائل إلى مساكنها ، ولكن ليس فيه مكان يصلح للنزول ، فهبط جبرئيل على النبيّ آخذاً بزمام ناقته ، وقال : إنّ الله تعالى يقرئك السلام ويأمرك بالنزول على غير ماء أو كلأ لكي تبلغ رسالته المهمّة إلى الناس قبل أن يتفرّقوا ، ومعه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾[1] ، فنزل رسول الله

---

(١) المائدة : ٦٧ .

ونادى مناديه بالنزول، ودعى الذاهبين منهم إلى الرجوع، وتأنّى قليلاً حتّى لحق به من تخلّف منهم.

وكانت هناك دوحات نابتة على ضفاف الغدير، فأمر أن يقممن ونـزل النـبيّ تحتها وأمر أن تجمع له حدوج الإبل، ووضعت على شكل منبر، ثمّ صـعد النـبيّ عليه، وكان المهاجرون والأنصار حضوراً بين يديه، فخطب تلك الخطبة المعروفة، وقال في ختامها:

يا قوم، نعيت إليّ نفسي، وحان منّي حقوق من بـين أظـهركم، وقـد دعـيت ويوشك أن أجيب، وإنّي مخلّف فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عـليّ الحوض. ثمّ قال: اللهمّ هل بلّغت. ثمّ قال كلاماً بعده، وقال أخيراً: عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى. وذكر في هذه الخطبة مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام وأعلن على الملأ نصّ إمامته ثمّ دعاه وأخذ بضبعه ورفعه أمام الناس.

حكاية:

كان الشبليّ في مطلع أمره رئيساً من رؤساء دماوند وكان رجلاً عاقلاً، فبعثه ملك مازندران بكتاب إلى الخليفة، فلمّا بلغ بـغداد، وشـاهد مـعالمها الحـضاريّة واجتمع بعلمائها، أعلن عن توبته هناك وإعراضه عن الدنيا (القصّة)(١) زار الشبلي يوماً نقيب بغداد وقال له: هل تعلم يا سيّدي ما هـو غـرض المـصطفى مـن هـذا الحديث حيث أمسك بضبع أبيك ورفعه أمام أعين الناس؟

فقال: لا يا أيّها الشيخ.

(١) تأتي هذه الكلمة أحياناً في النثر الفارسي القديم حكايه عن نـهج الاخـتصار أو الحـذف الذي مارسه الكاتب وهي عربيّة وكان يستعملها أيضاً القدماء بهذا المعنى.

فقال الشبلي : فتنت زليخا بيوسف وكان يوسف معرضاً عنها ، فعمدت إلى صنع مأدبة للمصريّات اللواتي لُمْنَها وقرعنها على ما بدر منها تجاه يوسف ، وقالت : أُريد أن أُريكم وضع حالي معه ، وآتت كلّ واحدة منها سكّيناً واعتدت لهنّ متّكئاً ووضعت بين أيديهنّ الفاكهة وهي عبارة عن «الأترنج» وقالت لهنّ : اقطعن لي منها قطعة وناولنني إيّاها ، ورجت يوسف وأقسمت عليه بسابق عهدها من الخدمة والرعاية أن يخرج عليهنّ ، فخرج يوسف من مكانه إلى حيث يجلس النساء ، فلمّا رأينه طمثن جميعهنّ حتّى تخضّبت الزرابيّ منهنّ ، وقطّعن أيديهنّ مكان الأترنج ، وقلن : ﴿مَا هٰذَا بَشَراً إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [(١)] ، فلم يرمق يوسف إحداهنّ بنظرة واحدة ، فقلن : لو كان بشراً لطالعنا ونظر إلينا ، فقالت زليخا : ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ .

وهكذا كان رسول الله يثني على عليّ أمام الناس ويبين عن فضله ويكشف مناقبه ، فلا يجد عند الحسّاد والمنافقين إلّا البعد عنه والطعن عليه ، حتّى جلاه لهم يوم غدير خمّ فعرفوه [(٢)] (القصّة) .

فقال رسول الله ﷺ : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقالوا سريعاً : بلى . فقال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، والعن من ظلمه ، اللهمّ هل بلّغت [(٣)] .

---

(١) يوسف : ٣١.

(٢) لو رزق الله الشبلي السلامة من هذا التنظير الركيك لكان خيراً له ، ولا أعرف الحسن فيه الذي حمل المؤلّف على كتابته ، ولعلّ الشبلي يرى في حادثة الغدير ما يراه غيره من اتّباع قوم من الصحابة ليس فيه إلّا بيان الفضل وذكر المناقب وما هو بنصّ على إمامته ، وليس ذلك بعيداً ، فالشبلي ليس من أهل الولاء .

(٣) الهداية للصدوق : ١٥٠ وليس فيه «العن من ظلمه» ؛ دعائم الإسلام ١ : ١٦ ؛ معاني الأخبار : ٦٧ ؛ ⇐

ثمّ نزل عن المنبر وأقاموا للصلاة وصلّى بهم جماعة ودخل الخيمة، وأمر أن تضرب لعليّ عليه السلام خيمة أُخرى مواجهة لخيمته، وأمره بالجلوس فيها، ثمّ نادى مناد في المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه يهنّئونه بالإمامة والبيعة، فلمّا بلغت النوبة إلى عمر، دخل عليه وبالغ في الثناء عليه وقال في تهنئته: بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فلمّا هنّأه الرجال دخل عليه النساء لتهنئته، بالطريقة التي مرّ ذكرها، فاستأذن حسان بن ثابت من رسول الله أن ينشد أبياتاً في ذلك، فأذن له وقال: باسم الله سبحانه وتعالى، فقال حسان:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ واسمع بالرسول مناديا

فقال: فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا: ولم يبدو هناك التعاميا

أنت (إلهك) مولانا وأنت وليّنا ... ولن تجدن منّا لك اليوم عاصيا

فقال له: قم يا عليّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعى اللهمّ وال وليّه ... وكن للذي عادى عليّاً معاديا

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا تزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس بما نصرتنا.

⟵ ذخائر العقبى: ٦٧؛ مسند أحمد ١: ١١٨ و١١٩؛ مجمع الزوائد ٩: ١٠٤ و١٠٥ و١٠٦؛ سنن النسائي ٥: ١٣٦ و٥: ١٥٥؛ خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٠٣ و١٠٤ و١٣٢؛ المعجم الكبير للطبراني ٤: ١٧ و٥: ١٩٢؛ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٨ و١٣: ١٩٣ و١٨: ٧٢؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٩ رقم ٣٢٩٤٦، وص ٦١٠ رقم ٣٢٩٥١؛ كنز العمّال ١٣: ١٣١؛ فيض القدير للمناوي ٦: ٢٨٢؛ الكامل في الرجال ٣: ٢٥٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٠٧ و٢٠٨ و٢١٠ و٢١١؛ ذكر أخبار اصفهان ٢: ٣٥٩؛ البداية والنهاية ٥: ٢٢٩ و٢٣٠ و٧: ٣٧٠ و٣٨٤؛ السيرة النبويّة لابن كثير ٤: ٤١٨ و٤١٩ و٤٢٠؛ سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٩٤؛ ينابيع المودّة ٢: ٢٨٢ و٢٨٣ و٢٨٤ و٣٦٩؛ لسان العرب لابن منظور ١٥: ٤٠٩، أمّا كتب الشيعة فهي كثيرة جدّاً ولا حاجة بنا إلى ذكرها لأنّها لا تكون حجّة لنا على الخصم.

إنّ الرسول ﷺ يرفع عليّاً يوماً ويعليه ويجلّيه أمام الأعداء كما حدث في المباهلة، ويوماً أمام الأولياء كما حدث في غدير خمّ.

يقول أبو سعيد الخدري: والله ما تفرّقنا حتّى نزل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1]، فقال رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآية: الله أكبر على إكمال الدين وتمام النعمة ورضا الربّ برسالتي وبولاية عليّ من بعدي.

ثمّ التفت النبيّ ﷺ إلى الإمام وقال: يوم بيوم، إنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وإنّما قال النبيّ لعليّ هذا لأنّ عليّاً بارز مرحباً اليهودي وهو من شجعان العرب وأبطالهم[2] فأورده حمام الردى وساقه إلى نار الغضى، فقال جبرئيل عليه السلام: يا رسول الله، إنّ له يوماً عندك، يوماً بيومه هذا.

كنت في اصفهان سنة ستّمائة وثلاث وسبعين حاضراً في مجلس شخص ما وكان في المجلس أحد مفتي الفرق ويُدعى يزيد التقي، وكان معروفاً بالنصب والعداوة لأهل البيت، وكان يردّد قول النبي: إنّ له يوماً عندك يوماً بيومه، ولكن هذا التقي الشقي روى رواية عن أبيه عن ابن مسعود أنّ عليّاً في يوم أُحد كان يصول على الكتائب ويردي الأبطال قتلى عن اليمين وعن الشمال ومن وراء ومن أمام، فلمّا رأى النبيّ ذلك قال: لا تقيّة في الإسلام بعدك، ما عذر من كتم الحقّ وأنت ناصره. ولمّا نزلت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[3] فكان الرسول ﷺ على حيرة من

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) بل هو يهوديّ يا سيّدي كما قلت أوّلاً.

(٣) المائدة: ٦٧.

أمره، يجيل الفكر في هذه المهمّة الصعبة، فدعا عليّاً إليه شرح له واقع الأمر، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا رسول الله، أما إنّك قد قلت لي يوم أُحد: ما عذر من كتم الحقّ وأنت ناصره، فاليوم ما عذر من كتم الحقّ والله عاصمه.

قال أبو إسحاق الثعلبي إمام أصحاب الحديث في تفسيره الكشف (والبيان): سُئل سفيان بن عيينة عن قول الله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾[1] فيمن نزلت؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألني أحد قبلك، حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آبائه، فقال:

لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ عليه السلام، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه[2] فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ الحرث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله على ناقة له حتّى أتى الأبطح فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثمّ أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في ملأ من أصحابه، فقال: يا محمّد، أمرتنا عن الله أن نشهد لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟

فقال: والذي لا إله إلّا هو هذا من الله.

فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقوله حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه الله

(١) المعارج: ١.

(٢) مسند أحمد ١: ٨٤و٥: ٣٤٧؛ والمستدرك ٣: ١١٠؛ ومصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٥، عن محقّق الكتاب.

بحجر، فسقط على هامته وخرج من دبره، وأنزل الله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾(١).

وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام أنّ «ما» في قوله: ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ هي «ما» في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾(٢) وذلك أنّ النبيّ أبلغ في تلك الحال بأنّ عليه إقامة عليّ مقامه خليفة ووصيّاً عندما يبلغ الكتاب أجله، فلمّا كان يوم الغدير قال له: بلّغ ما أُنزل إليك ليلة المعراج.

الفصل الثالث: في ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله

بدأ المرض يعاود رسول الله في يوم الثلاثاء، وقيل في يوم الأحد فقبض على يد عليّ وقصد به البقيع، واجتمع الصحابة من ورائهم، فلمّا وصل إلى البقيع، قال: السلام عليكم يا أهل القبور، إنّ الدين سيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، وقال: يوشك أن أُدعى فأجيب، لأنّ جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن في العام مرّة وفي هذا العام عرضه عليّ مرّتين، وهذا يدلّ على قرب أجلي، ولقد خيّرني ربّي بين جواره وبين خزائن العالم والبقاء إلى يوم المحشر فاخترت جواره والجنّة، وتركت الدنيا الفائتة «الدنيا بالنسبة إلى الآخرة أن يجعل أحدكم اصبعه السبّابة في اليمّ فلينظر بم يرجع»(٣).

ثمّ أوصى عليّاً بوصاياه، فقال: يا علي، إذا أنا متُّ فغسّلني وجهّزني بيدك(٤)

---

(١) المعارج: ١ و٢.

(٢) النجم: ١٠.

(٣) هذا حديث شريف رواه ابن حبّان في صحيحه ١٤: ٢٩، وابن سلامة في مسند الشهاب ٢: ٢٩١ و٢٩٢.

(٤) وفيه: ولقّنّي قبل وجهّزني، ولكنّي رأيتها لا تنسجم مع النبوّة فحذفتها.

وليعينك الفضل بن العبّاس وعمّي العبّاس بحمل الماء إليك، وإنّما أعوانك الملائكة، ولا يجوز لأحد النظر إلى عورتي، فإنّه يفقد بصره سواك يا علي، عند ذلك أمر أميرالمؤمنين الفضل وأباه العبّاس أن يعصّبا عينيهما، فوقعت عين العبّاس على عورة رسول الله فأضرّ في الحال(١).

واشتدّ برسول الله المرض يوم الأربعاء فاتّكأ على عليّ والعبّاس عليهما السلام ودخل المسجد على هذه الحال ثمّ رقى المنبر وقال: من كانت له علىّ بيعة أو يأخذني بقصاص فليأت إليّ، فإنّ فضوح الدنيا خير من فضوح الآخرة.

فقام رجل فقال: إنّك يا رسول الله وعدتني أن تزوّجني، فأقبل على الفضل بن العبّاس وقال له: ادفع له ثلاث أواقٍ من الفضّة.

فقام عكاشة فقال: يا رسول الله، كنت ألعب مع أقراني فضربتني بسوطك وأطلبك اليوم بقصاص، فقال رسول الله: يا بلال، اذهب إلى بيت فاطمة وائتني بالقضيب ليقتصّ عكاشة منّي، فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام بكت وقالت: ما يصنع أبي بالقضيب وهو في حالة المرض؟ وكيف يطيق تحمّل الضرب وهو وقيد؟ فقال العبّاس: يا عكاشة، اضربني عشراً واعف عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه لا يطيق ذلك. فقال عكاشة: لا أقتصّ إلّا منه، ثمّ أخذ عكاشة القضيب وارتقى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على المنبر وقال: يا نبيّ الله، كنت مكشوفاً يوم ضربتني، فرفع النبيّ صلى الله عليه وآله ردائه عن كتفيه، فبان بياضهما، فلمّا رأى عكاشة ذلك ألقى السوط من يده واحتضن النبيّ وقبّل في جبينه وقال: فدتك روحي ألف مرّة، سمعتك تقول: لا تمسّ النار أحداً قبّل وجه النبيّ، ولقد رميت إلى هذا في طلب القصاص، فليس عليك قصاص بأبي أنت وأمّي.

---

(١) لم يحدّثنا التاريخ عن ذلك، ولم يفقد العبّاس بصره حتّى مات، والمؤلّف أهمل المصدر الذي اعتمد عليه.

وقام آخر وطلب ذلك من رسول الله ، فقال ﷺ : سبقك بها عكاشة فلم يصل أحد إلى ما وصل إليه عكاشة ، فلمّا كانت الجمعة خرج إلى المسجد وصلّى صلاة الجمعة ووعظ الناس وعظاً شديداً .

الفصل الرابع : في ذكر الوصيّة

يقول أميرالمؤمنين : لمّا نزلت سورة «إذا جاء نصر الله» بدأ المرض برسول الله ﷺ ولم يمكث في بيته بل خرج يوم الخميس معصوب الرأس ، فصعد على المنبر وقد امتقع لونه الشريف ، فجرت دموعه ونادى بلال أن يجمع له الناس ، فصاح فيهم : الصلاة جامعة ، هلمّوا إلى رسول الله ليوصيكم فإنّها آخر وصاياه ، فأمّ الناس المسجد من رجل وامرأة وصغير وكبير ، حتّى غصّ بهم ، فقال رسول الله ﷺ : وسّعوا لمن وراءكم ، وسّعوا لمن وراءكم ، ثمّ قام قائماً على قدميه والدموع جارية على وجنتيه ، وقال : إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ، وحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على إخوانه الأنبياء .

ثمّ قال : أنا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبدمناف ، لا نبيّ بعدي ، أيّها الناس اعلموا أنّ نفسي نعيت ، وحان فراقي من الدنيا ، واشتقت لقاء ربّي ، فواحزناه على فراق أُمّتي ، ماذا يقولون من بعدي ، اللهمّ سلّم سلّم ، أيّها الناس اسمعوا وصيّتي لكم ، أيّها الناس قد بيّن الله لكم في محكم كتابه ما أحلّ لكم وما حرّم عليكم ، فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه ، وآمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه واعتبروا بأمثاله ، ثمّ رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهمّ هل بلّغت .

أيّها الناس ، إيّاكم وهذه الأهواء الضالّة البعيدة من الله ، والبعيدة من الجنّة ، والقريبة من النار ، اللهمّ هل بلّغت .

الله الله في دينكم وما آتاكم الله.

الله الله فيما ملكت أيمانكم؛ أطعموهم ممّا تأكلون، واكسوهم ممّا تكسون، ولا تكلّفوهم ممّا لا يطيقون فإنّها لحم ودم، وخلق أمثالكم، ألا ومن ظلمهم فأنا خصمه يوم القيامة، والله حاكمهم.

الله الله في النساء أوفوا لهنّ مهورهنّ ولا تظلموهنّ فتخرّ بكم حسناتكم، اللهمّ هل بلّغت.

أيّها الناس، أطيعوا ولاة أُموركم ولا تعصوهم، وإن كان عبداً حبشيّاً مجدعاً؛ فمن أطاعهم فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله، ألا لا تخرجوا عليهم ولا تنقضوا عهودهم، اللهمّ هل بلّغت(١).

أيّها الناس، عليكم بحبّ أهل بيتي، عليكم بحبّ حملة القرآن، عليكم بحبّ أهل العلم ولا تنقضوهم ولا تحسدوهم ولا تطعنوا فيهم، ألا ومن أحبّهم فقد أحبّني، اللهمّ هل بلّغت.

أيّها الناس، أدّوا زكاة أموالكم، الا ومن لم يزكّ فلا صلاة له، ولا دين له، ولا صوم له، ولا حجّ له، ولا جهاد له، اللهمّ هل بلّغت.

أيّها الناس، إنّ الله قد فرض الحجّ على من استطاع إليه سبيلاً، ومن لم يفعل فليمت على أيّ حال شاء؛ يهوديّاً أو نصرانيّاً أو مجوسيّاً، إلّا أن يكون به مرض

---

(١) لا يشكّ عاقل بأنّ الغرض من ولاة الأمر هم المعصومون لأنّ النبيّ لا يأمر بطاعة غير المعصوم لما يلزم ذلك من فعله المعصية واتّباعه عليها لأنّه غير مأمون من ذلك فكيف يأمر النبيّ بطاعة من شأنه المعاصي وطبيعته اقتراف السيّئات وحينئذٍ يكون النبيّ قد أعان على فعل الذنب وحاشاه، أمّا العبد المجدع فالذي يظهر لي أنّ الغرض منه هو الوالي الذي يستنيبه المعصوم على المدن والأقاليم.

جالس، أو منع سلطان جائر، ألا لا نصيب له في شفاعتي ولا يرد حوضي، اللهمّ هل بلّغت.

أيّها الناس، إنّ الله جامعكم يوم القيامة في صعيد واحد في مقام عظيم وهول شديد، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم، اللهمّ هل بلّغت.

أيّها الناس، احفظوا ألسنتكم، وأبكوا أعينكم، وأتعبوا أبدانكم، وجاهدوا عدوّكم، واعمروا مساجدكم، وأخلصوا إيمانكم، وانصحوا إخوانكم، وقدّموا لأنفسكم، واحفظوا فروجكم، وتصدّقوا من أموالكم، ولا تحاسدوا فيذهب حياءكم، ولا يغتب بعضكم بعضاً فتهلكوا أنفسكم، اللهمّ هل بلّغت.

أيّها الناس، اسعوا في فكاك رقابكم واعملوا الخير ليوم وقوفكم وفاقتكم.

أيّها الناس، لا تظلموا فإنّ الله الطالب لمن خان، وعليه حسابكم، وإليه إيابكم، فإنّ الله لا يرضى منكم بالمعصية.

أيّها الناس، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[1]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2].

أيّها الناس، إنّي قادم على ربّي، وقد نعيت إليّ نفسي، فأستودع الله دينكم وأمانتكم، والسلام عليكم يا معشر أصحابي وعلى جميع أُمّتي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الخامس: في تمام قصّة موته ﷺ

ودخل البيت ولم يخرج منه، وبقي في بيت أُمّ سلمة وزاد عليه الوجع، وظلّ

---

(١) فصّلت: ٤٦.

(٢) البقرة: ٢٨١.

هناك يومين حتّى قدمت عائشة في اليوم الثالث ودعته إلى بيتها، فنهض رسول الله إلى بيتها، ولمّا بلغ البيت أذّن المؤذّن، فأمرت عائشة أباها بالصلاة، ولمّا سمع رسول الله صوت أبي بكر بالتكبير، نادى: من قال لهذا يصلّي بالناس؟ فقالت عائشة: أنا أمرته يا رسول الله. قال: إنّكنّ لصويحبات يوسف، أي تأمرن بالشيء وتفعلنه لا لصواب، ثمّ وضع يده على عاتق عليّ واليد الأُخرى على عاتق ميمونة وخرج من البيت، وإذا بالفضل بن العبّاس قادم، فصرف ميمونة ووضع يده على عاتقه، وإنّ رجليه ليخطّان الأرض حتّى بلغ المسجد، وأشار إلى أبي بكر بيده فتنحّى له عن المحراب، ولم يعبأ بصلاته بل استأنف الصلاة وعاد إلى منزله.

وحضر عنده أبوبكر وعمر، فقال لهما رسول الله: ألم آمركما بالخروج مع أُسامة؟ فقال أبوبكر: لم أشأ أن أسأل عنك الركبان؟! فاستدعى أُسامة وأمره بتعجيل الخروج بأصحابه، وقال: إنّي اخترتك لهذا الأمر، وأُغمي عليه، فارتفعت الضجّة في البيت، فلمّا أفاق قال: آتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، ثمّ أُغمي عليه، فقاموا ليأتوه بما طلب، فاعترضهم عمر وقال: الرجل يهدي، فلمّا أفاق من غشوته قالوا: يا رسول الله، أنأتيك بما طلبته؟ فقال: أبعد الذي قلتم ما أردتم وسمعته، يعني قول عمر لعنه الله.

وأمر المسلمين بمتابعة أهل بيته وأوصاهم بهم، وقال أخيراً: الصلاة، وما ملكت أيمانكم، وكرّر هذا القول مراراً، ويقول في كلّ ساعة: أنفذوا جيش أُسامة، وقال بعد ذلك: لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة، وحوّل وجهه عمّن في المجلس، فلمّا رأوه فعل ذلك قاموا ولم يبق إلّا أميرالمؤمنين والعبّاس والفضل بن العبّاس، فقال العبّاس: يا رسول الله، وكيف نكون بعدك؟ قال: تُظْلَمون وتُغْلبون، فصاح أهل البيت، فأقبل على عمّه العبّاس وقال: تقبل وصيّتي؟ فقال العبّاس: عمّك شيخ وما به على هذا الأمر طاقة، ثمّ قال لأميرالمؤمنين: أتقبل وصيّتي؟

فقال: نعم، فأعطاه خاتمه وقال: ضعه في يدك، وأعطاه سلاحه وما يرجع إليه من الثياب والدراعة والسوط ونظير ذلك، وقال: خذها وأنا حيّ وتصرّف بها.

ولم يفارقه أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا لضرورة، فلمّا أفاق لم يجده عنده، فقال: ادعوا لي أخي، فأسرعت عائشة وصاحبتها حفصة إلى دعوة أبيهما، فلمّا فتح النبيّ صلى الله عليه وآله عينه رآهما عندها، فقال: إنّي لم أرد هذين، وقال لأُمّ سلمة: ادعي لي عليّاً، فلمّا جاءه ناجاه طويلاً ثمّ وضع لسانه في فمه، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: علّمني رسول الله ألف باب من العلم فتح الله لي من كلّ باب ألف باب، وأوصاه بوصاياه، فقال: سوف أقوم بها جميعاً طاعة للّه ورسوله، فقال رسول الله: يا عليّ، وقعت في النزع، فضمّ رأسي إليك، فإذا ما فارقت روحي بدني فأمرر بها على وجهك فسينفتح لك علم الأوّلين والآخرين.

فبينما هم كذلك وإذا بأعرابيّ يطرق الباب، فقالت فاطمة: انصرف فإنّ رسول الله مريض، فعاد ثانية وطرق الباب، ثمّ الثالثة، وفي كلّ مرّة لا يتوقّف عن قرع الباب، فخافت فاطمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، افتحي له، فإنّه ملك الموت، هادم اللذّات، الذي فصل الأنبياء عن النبوّة، وأيتم الأطفال، وأخرب الديار، وأُقسم بالله أنّه لم يستأذن على أحد إلّا عليّ من لدن آدم إلى يومنا هذا، ففتحت الباب فاطمة عليها السلام، فدخل ملك الموت وسلّم، وقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت البقاء خلّدناك، وإن شئت رضاي فاستسلم لأمر الله، وأمرني أن أفعل ما يرضيك، فقال رسول الله: وما بعد ذلك يا ملك الموت؟ فقال: آخره الموت والفناء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سلّمت لأمر الله.

وشرع ملك الموت يتولّى أمره، فبدأ بقدميه حتّى بلغت روحه ركبتيه، فعجز النبيّ عن التحمّل، فقال: إنّ أُمّتي ضعيفة فهل تصنع بها هذا الصنيع؟ فقال ملك الموت: أُقسم بالله أنّي حملتك جزءاً من ألف جزء من ألم الموت، فشفّع النبيّ

إلى الله أن يسهّل الموت على أُمّته، فقبل الله تعالى شفاعته، ولمّا بلغت روحه التراق، شفع مرّة أُخرى، فقال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1]، ولمّا فارقت رسول الله الروح مسح أميرالمؤمنين بها وجهه ووجّهه إلى القبلة وأسبل يديه وأغمض عينيه، وساعده الفضل بن العبّاس وأبوه، فكان الإمام يسكب عليه الماء ويناوله العبّاس الماء، ويقلّبه جبرئيل، فلمّا فرغ من جانبه الأيمن، قال: يا رسول الله، بماذا تأمرني بعد ذلك؟ فانقلب على جهته الأُخرى بإذن الله تعالى حتّى فرغ من تغسيلها.

وكان هذا المشهد ردّاً على ما فعله أميرالمؤمنين لرسول الله عندما وضعته فاطمة بنت أسد عليها السلام في المخضب بعد ولادته وغسله النبيّ غسل الولادة، فكان أميرالمؤمنين يتقلّب على جنبيه من دون أن يقلّبه رسول الله، وهنا بكى النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقالت أُمّ أميرالمؤمنين عليهما السلام: لماذا بكيت يا ولدي؟ فقال رسول الله: كأنّي به هو الذي يغسّلني وأنا أتقلّب على اليمين والشمال، ولمّا ثقل عليه الموت أمر بطست مليء ماءاً فكان يضع فيه يده ويرشّه على صدره ليخفّف عنه ثقل وطأة الموت، وقال: مُر أُمّتي أن تفعل ذلك.

قيل: جاء إبليس والإمام مشغول بتغسيل النبيّ، ووقف بجانب البيت، وقال: يا عليّ، لا تغسل النبيّ فإنّه طاهر، وأراد اللعين أن يقدم النبيّ على ربّه من دون تغسيل، فقال أميرالمؤمنين: أيّها اللعين، إنّ رسول الله وإن كان طاهراً إلّا أنّه أمرنا بتغسيله، ثمّ وضع عليه الكافور الذي جاء به جبرئيل عليه السلام، وكان بمقدار أربعين درهماً وقد قسمه رسول الله قبل موته إلى ثلاثة أقسام له ولفاطمة والثلث الآخر لعليّ عليهما السلام، فوضعه الإمام عليه السلام على مساجده السبعة ومسح بشيء منه الكفن وهو

---

(١) الضحى: ٥.

حلّة من الجنّة جاء بها جبرئيل، وصلّى عليه أميرالمؤمنين، وقال: رسول الله إمامنا حيّاً وميّتاً، وليس لأحد ان يكون إماماً بحضرته، وبقي في البيت يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس فلم يتغيّر ريحه بل يزداد طيباً كلّما مرّ عليه يوم بعد يوم، بينما يسرع التغيّر إلى الميّت في المدينة كما قيل، وكان الناس يدخلون عليه أفواجاً صغاراً وكباراً، وذكوراً وإناثاً، عشرة عشرة، واثنتين اثنتين، وواحداً واحداً، والأصحّ أنّه دفن في الليلة التي توفّي بها.

واختلفوا في موضع دفنه، فقال عليّ عليه السلام: إنّ أشرف بقاع الأرض للبقعة التي قبض عليها رسول الله صلى الله عليه وآله، فدفنه يكون هناك، فقبل الجمع قوله، وقال جمع من الصحابة: نحمله إلى الشام في مقابر الأنبياء[1]، فمنع عليّ من ذلك.

وكان العبّاس وأبو عبيدة بن الجرّاح يحفران لأهل مكّة، وزيد بن سهل يحفر لأهل المدينة، فأحضروه وقالوا له: احفر لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقيل: إنّ قبر النبيّ حفره أبو طلحة، ولمّا تمّ الحفر شرع عليّ والعبّاس وأُسامة بن زيد بدفن رسول‌الله صلى الله عليه وآله، ووقف المدنيّون وراء الباب، وقالوا: يا علي، نسألك حقّنا من رسول الله، وخُذ أحدنا ليكون معك لننال هذا الشرف إلى يوم القيامة، فقال عليّ عليه السلام: أرسلوا لنا «أويس الخويلي»[2] وكان رجلاً صالحاً من أهل بدر، فأرسله الإمام في اللحد وحمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّمه إليه وإلى العبّاس والفضل ولده، فوضعوه في تراب القبر، ولمّا وضعوه في القبر أمر أميرالمؤمنين القوم أن

---

(١) لا شكّ أنّ هذا رأي عدوّه اللدود عمر بن الخطّاب لأنّه لا يريد أن يبقى لرسول الله ذكر في جزيرة العرب، وكأنّها ملك صهّاك.

(٢) لم أتعرّف على هذا الاسم في كتب الرجال، وذكر ابن ماكولا عدداً بهذا الاسم ولم يذكر أحداً منهم حضر دفن النبيّ، وقال ابن حجر: والذي شهد الدفن الكريم هو أوس بن خولي قلبه بعض الرواة. (الإصابة ٢: ٢٩٣)

يخرجوا من القبر ونزل هو إلى القبر ووضع وجه رسول الله على التراب من جـهة خدّه الأيمن، وحلّ عقدة الكفن من جهة الرأس، ووضع لبنة تحت خدّ النـبيّ ﷺ كالوسادة ووجّهه إلى القبلة، وأشرج عليه اللبن، وخرج من القبر، ثمّ أهال عليه التراب، وكان أُسامة والعبّاس والفضل ولده يساعدونه في تسوية القبر وإقامته، وهم يرتّلون قوله تعالى: «إنّا للّه وإنّا إليه راجـعون» وأقـبل النـاس عـلى القـبر يزورونه، ولكن كره الناس بعد ذلك زيارته لوقوع قبر العمرين إلى جانب قـبره الشريف(١). وكان بعضهم يجافي الأدب عند قبر النبيّ حين يركل قبريهما برجليه.

وفي العصر العبّاسي ردم باب القبّة وحرم الناس من زيارة النبيّ ﷺ، ويـقال: إنّهم قصدوا بذلك أن يزوره الشيعة من غير الجـهة التي فـيها قـبرهما، ولو كـان قبرهما في غير هذا الموضع لأمكن لشيعتهما الفقراء زيارتهما بأمن وراحة.

وأمّا عثمان فقد دفن في مـوضع يـقال له: حشّ كـوكب وهـو مـقبرة للـيهود والكفّار(٢). وباعتبار أنّ الإجمـاع من المسلمين حصل على قتله مـن المـهاجرين والأنصار فإنّهم أبوا أن يدفن في مقابر المسلمين، وطرح في قبور أهل الذمّة، ولمّا آلت الحكومة إلى معاوية أدخل ذلك المـوضع في مـقابر المسـلمين، وبـلغني أنّـه لم يدفن شيعيّ في ذلك الموضع، ولن يدفن إلى يوم القيامة إلّا أن يشاء الله تعالى.

---

(١)

ما ينفع الرجس من قـرب الزكـيّ ولا على الزكيّ بقرب الرجس مـن ضـرر

(٢) بل هو كنيف لرجل يهودي أُلقي فيه عثمان لعنه الله.

الباب الحادي عشر

في بناء السقيفة

ولمّا انتشر خبر وفاة النبيّ ﷺ في الأطراف والأكناف من ديار العرب، أقبل الرؤساء والأُمراء وقبال العرب للعزاء بوفاة النبيّ ﷺ، وصاروا يتقاطرون على المدينة يعزّون بني هاشم، وكانوا مشغولين بإقامة العزاء عليه، فاغتنم الصحابة انشغالهم بالعزاء فرصة وقالوا: إذا فرغوا من العزاء فإنّ الأمر لا يتمّ لنا حتماً، وينبغي أن نسارع إلى اهتبال الفرصة لئلّا تضيع من أيدينا.

روي أنّ أوّل خلاف ظهر في الإسلام بعد رسول الله ﷺ قول عمر عن رسول الله: لم يمت بل غاب كما غاب موسى في الطور ثمّ رجع، وسيرجع رسول الله ﷺ، ومن قال مات فسوق أُقيم عليه الحدّ، فلمّا سمعه أبوبكر قام من فوره ودخل على رسول الله ﷺ وكشف الغطاء عن وجهه وقال: مات رسول الله، وأخبر الناس بموته، فصدّق به بعض ولم يصدّقه آخرون[1].

---

(١) لا أدري عن مصادر المؤلّف شيئاً لأنّه لم يذكرها إلّا ما اقتضت الضرورة ذكرها، وما أقلّها، وهنا خالف المؤلّف مؤرّخي الشيعة فقد أجمعت كلمتهم على أنّ عمر ماكان يجهل موت النبيّ ولكنّه أراد أن يحدث بلبلة في الأذهان وحالة ترقّب بينهم حتّى يرجع صاحبه في المؤامرة أبوبكر فقد ←

ولمّا بلغت عليّاً عليه السلام هذه الأنباء دعا الناس وقال: أيّها الناس، إنّ الله تعالى يقول للنبيّ في حياته: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾[1]، فقبل الناس قوله، وارتفعت الضجّة والصراخ من كلّ مكان: مات رسول الله، ولمّا أيقنوا بموته اضطربوا، واقبلوا يأمون سقيفة بني ساعدة، وكان قد حضرها ساعتئذٍ عبدالرحمان بن عوف وخالد ابن الوليد، وسعد بن أبي وقّاص، وسعيد بن العاص القرشي، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسالم مولى حذيفة بن اليمان مع أبي بكر وعمر، وتشاوروا بينهم بشأن الخلافة، واجتمع الأنصار من جهتهم عند سعد بن عبادة الخزرجي وكان مريضاً قد أشفى، وقالوا له: أنت رئيسنا وإمامنا فمن خالفك قاتلناه، وكان قيس بن سعد يبلّغ الناس كلامه وهو يتكلّم، وقال: إنّ قريشاً رهط النبيّ آذوه وأخرجوه قهراً من داره، ونحن الأنصار آويناه وأوسعنا له أكنافنا ونصرناه بالمال والأنفس، فإذا كان رسول الله قد قبض فنحن أولى بخلافته من قريش.

وقيل: أوّل من دعى الناس إلى خلافة سعد خزيمة وقال: إنّ عليّاً أعرض عنها وسكن في بيته مشغولاً بعزاء النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يستحقّها من قريش سواه، فلمّا سمع الأنصار كلامه أقبلوا على سعد بأجمعهم.

والمحقّقون من العلماء مجمعون على أنّ عمر بايع أبابكر يوم وفاة النبيّ ثمّ خالد بن الوليد ثمّ بايعه جماعة ممّن يناصب أهل البيت العداء، وأخذوا الناس بالبيعة لأبي بكر أخذاً شديداً، وذكرنا في هذا الفصل المبادرين إلى بيعته توّاً، وهم أفراد معدودون، وذهبوا في تلك الليلة إلى عكرمة بن أبي جهل والحارث بن شهاب

كان في السنح ولمّا عاد وتلا عليه آية «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون»، عند ذلك صدّق المسكين بموته وبدأ فصله الثاني من هذه المهزلة، راجع لكلّ ذلك كتاب السقيفة لآية الله الشيخ المظفر رحمة الله عليه.

(١) الزمر: ٣٠.

وغيرهما ودعوهما إلى البيعة وأهدوا إليهما وأغروهما بـالولايات، وبـعثوهما إلى النواحي لأخذ البيعة.

ولمّا علم أبوسفيان بواقع الحـال أقـبل مـبادراً إلى بـيت عـليّ عليه السلام وقـال: يـا بني هاشم، يا بني عبد مناف، أرضيتم أن يكون هذا الأمر في أخسّ بيت وأذلّه من قريش، وقرأ عليهم شعره:

بني هاشم لا يطمع الناس فـيكم ... ولاسيّما تـيم بـن مـرّة أو عـدي

ومـا الأمـر إلّا فـيكم وإليكـم ... وليس لهـا إلّا أبـو حسـن عـلي

أبا حسن فاشدد لها كـفّ حـازم ... فإنّك بالأمر الذي يـرتجي مـلي

فقال له أميرالمؤمنين: اسكت فإنّك لا تبتغي إلّا الفتنة، وتـريد إفسـاد الأُمّـة وليس الإصلاح، وإنّي مشغول بعزاء رسول الله، فلا أتـركه وأذهب أُنـازع عـلى سلطانه.

وقال جماعة: لم يتمّ أمر البيعة في اليوم الأوّل، ولمّا أصبح الصـباح قـال عـمر لأبي‌بكر: أردت أمس بيعتك ولكن حيل دون ذلك، فقال أبوبكر: أنت أحقّ بها منّي، وعَلَيّ مبايعتك، فقال عمر: أنت شيخنا وأنت الأحقّ والأولى.

فلمّا كان اليوم الثالث عقدوا له البيعة، وأرضوا أبا سفيان فقطعوا لسانه لعنه الله وذلك بوعده بتولية ولده يزيد على جيش أُسامة بعد عزله، فلمّا تمّ لأُسامة أربعون يوماً عاد من رحلته، فأرسلوا يزيد بن أبي سفيان مكانه إلى الشام وبقي هناك لهذا السبب، وبقي معه معاوية أخوه ينوب عنه وعن الخلفاء.

ولمّا بلغت عليّاً أخبار السقيفة، قال: كيف وقع ذلك؟ قالوا: وقع الخلاف بـين المهاجرين والأنصار، فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فغلبهم أبوبكر بما رواه من أنّ الأئمّة من قريش، فسلّم له الأنصار ذلك، فـقال عـليّ عليه السلام: فـإنّ قـريشاً شـجرة

بنو هاشم ثمرتها، فكيف أنّ الصحابة احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة(١).

وروت عائشة عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله تعالى أنّه قال: قلّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب خيراً من بني هاشم، وكان عليّ هاشميّاً من الأبوين؛ فأبوه أبوطالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم.

قيل لعليّ: إنّ الحقّ حقّك فما بالك قعدت عنه؟ فقال: ماذا أصنع، إنّ على المسلمين طلب إمامهم إلّا أنّهم ذهبوا إلى آخر غيره ليس بإمام خلافاً لقول الله ورسوله ﷺ، واليوم والنبيّ على فراش الموت وقد جاء الناس من كلّ حدب وصوب إليه للعزاء وأنا المعزّى به، فلو أذهب أطلب السلطان لسخر الناس منّي وعابوني بأنّي لم أصبر على عزاء رجل مثل رسول الله ﷺ خمسة أيّام وخرجت مخلّفاً إيّاه جنازةً على الفراش مطالباً بالملك، إنّ هذا لا يكون أبداً، ولابدّ من مقامي هنا لقبول العزاء طوعاً أو كرهاً، ولو فعل الناس فعل سلمان الفارسي والمقداد وعمّار بن ياسر وحذيفة وجندب وهو الذي نفاه أبوبكر من المدينة وأبوذر وهو الذي نفاه عثمان إلى الربذة(٢) وجابر بن عبدالله الأنصاري، وخزيمة بن ثابت

---

(١) جاء في نهج البلاغة: لمّا انتهت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ، قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول الله ﷺ وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصاية بهم، ثمّ قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرسول ﷺ. فقال عليه السلام: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة.. نهج البلاغة ١: ١١٦ باب الخطب.

(٢) لم يتيسّر لي معرفة جندب المنفي، ولكن أباذر يدعى جندباً ونفاه عثمان، ولعلّ الأمر التبس على المؤلّف وأخشى أن تكون يداً امتدّت إلى الكتاب بالتحريف لكثرة ما أرى من خلطه مع فضله العظيم واطّلاعه الجمّ.

وعبدالله بن عبّاس رضي الله عنهم فإنّهم صاروا إليّ وتركوا بيعة أبي بكر.

ورابط أُسامة في المدينة أيّاماً لينضمّ إليه الرجلان فيكونان من رعيّته وكان هدف النبيّ إبعاد المشاغبين عن سماء المدينة ليصفوا الأمر إلى بني هاشم وعليّ عليه السلام، فقال الناس لأبي بكر: ليتك لم تبعث بأُسامة إلى الروم ليقوم بردع من تسوّل له نفسه الخروج عليك أو من يأبى أن يبايع.

فذهب أبوبكر وعمر إلى أُسامة: أيّها الأمير، أنت ترى ما عليه الصحابة فمرنا بأمرك هنا واذهب مع الجيش حيث أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان غرضهما عزله بعد أن يستتب لهما الأمر، فأمرهما بأمره وذهب إلى الشام تنفيذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا مضى عليه أربعون يوماً بعثوا يزيد بن أبي سفيان ورائه ونحّوه عن إمارة الجيش، فجاء أُسامة إلى المدينة ووقف على باب المسجد وقال: يا سبحان الله! بالأمس كنت أميراً عليهم بنصّ رسول الله واليوم عزلوني بالقوّة وتأمّروا عليّ مستبدّين، فلم يعبأ أحد منهم بقوله، وكان سبب عزله أنّ أبابكر كتب إليه أنّ المسلمين بايعوني ولم يبق سواك فهلمّ وبايع، فأجابه أُسامة: أنا أحد المسلمين ولا أرضى بك.

الفصل الأوّل: في خلاف الصحابة

فقام أُسيد بن حضير(١) الأنصاري وخطب خطبة، فقال: معاشر الأنصار، أنا رجل ممّن يهوون سعداً وأوسيّ، وقد أكرمكم الله تعالى بهجرة النبيّ إليكم ونصرتكم إيّاه، وإنّي أرى أن لا تلوّثوا أنفسكم بالخلافة، ودعوا هذا الأمر لقريش، فوقع هذا القول من الأنصار موقع القبول.

---

(١) حصين ـ المؤلّف.

فقام أرثم بن ساعدة الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّكم تتداولون هذا الأمر مكراً وحيلة وهو حقّ أهل بيت رسول الله ﷺ، فليس من العدل إدخال الظلم عليهم وأخذ الحقّ منهم ونصحهم كثيراً، فما استجابوا له ولم يتأثّروا بقوله.

فقام معن بن عدي الأنصاري وشتم أرثم وقال: إنّ أهل البيت في شغل شاغل بمصيبتهم ولا يمكن تأجيل أمر هذا الدين إلى حين فراغهم، ويجب تقديم أبي بكر.

فائدة:

قيل: أراد أبوبكر وعمر الذهاب إلى بيت رسول الله للعزاء ثمّ يخرجون من هناك لتدبير أمر الحكم، واضطرب الأنصار في أمر خلافة سعد بن عبادة فظهر الأمر للمغيرة بن شعبة فقام من ساعته وأقبل على أبي بكر وعمر وعثمان وشرح لهم واقع الحال وأعلمهم بما ينوي فعله الأنصار، فقال عمر: دفع حجّة الأنصار تقع على عاتق عليّ لأنّنا لا نقوى على ردّها.

فقال المغيرة لما يضمره من البغض لعليّ عليه السلام والعداء: ما هذا الخذلان؟ وأيّ حليم يرضى بهذا؟ لو أشركت عليّاً في أمرك لسدّ عليك الذرائع، وحكم هو وبنو هاشم وسوف نبقى ما دمنا أحياءاً وأولادنا أسرى أولاد ابن أبي طالب، ونظلّ لهم خولاً ورعيّة ما عشنا وعاشوا، لأنّ الرجل مليء علماً وحجّته قويّة جدّاً، إيّاك ثمّ إيّاك أن تشاوره في الأمر أو تشركه به فإنّ ذلك بعيد عن الصواب جدّاً.

فقال عمر: لقد أصدقتني القول، فما العمل إذن؟! ارجع لننتبذ ناحية ونتداول الأمر بيننا كيف ندفعهم ونهتبل الفرصة مادام عليّ وبنو هاشم خارج الساحة، فقبض على يده وقصدا قصد السقيفة، وأحكما الخطّة، وأهل البيت كلمة واحدة على أنّ القوم لم يشهدوا تجهيز النبيّ ولم يحضروا الصلاة عليه، واعتذروا عن عدم ذلك بأنّه فرض كفاية لا فرض عين، ولمّا حضره بنو هاشم سقط الوجوب عنّا، واعتزالنا كان للدين لأنّه لابدّ من نصب الخليفة، وما علما أنّ رعاية مصلحة الدين

ليست إليهم بل هي لله تعالى ولرسوله ﷺ صاحب الشرع.

ولمّا تمّ لهم الأمر قالوا لأبي بكر: اخطب خطبة تجمع الناس لتشتهر بينهم خلافتك، ونادى مناديهم في الناس أن اجتمعوا في المسجد، فاجتمعوا وقام أبوبكر خطيباً فيهم، وهي أوّل خطبة خطبها، وذكرها أبو زيد عمر بن شبّة وهو من أكابر علماء أهل السنّة والجماعة، وموثوقاً به عندهم، ومع كلّ هذا فالإجماع حاصل عليها: يا أيّها الناس، إنّكم تكلّفون سنّة نبيّكم محمّد، ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا اعتراني فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وتعاهدوني بأنفسكم، فإذا استقمت فاتّبعوني، وإذا زغت[1] فقوّموني[2].

وروي أنّه قال: أيّها الناس، إنّي ولّيتكم وليست بخيركم، إنّما أنا رجل منكم، ولكنّي أطولكم شغلاً وأثقلكم حملاً، وطاعتي ما أطعت الله فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم، وإن عدلت فاتّبعوني، وإن ملت فاعتزلوني، ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني عند غضبي فاتّقوني لا أُؤثر بأشعاركم وأبشاركم، أو يفرط منّي إليكم ما أندم عليه.

وهذه رواية الحسن البصري وهو المغالي في ولاء أبي بكر وطالما أثنى عليه.

ويا عجباً من رجل له شيطان يعتريه بحيث يؤثر في أموال الناس وأعراضهم ولم يكن معصوماً بإقراره على نفسه أنّ الشيطان يستولي عليه، فكيف يجوز للمسلمين الاقتداء به ؟! وأيضاً لا يؤمن شرّه في كلّ أوقاته لأنّه معرض لعروض الشيطان عليه، وأيّ عاقل يشهد على نفسه هذه الشهادة ويعترف عليها بما لا يقوله العدوّ في عدوّه ؟!

---

(١) رغبت ـ المؤلّف.

(٢) يوجد هذا النصّ في تاريخ مدينة دمشق ٣٠: ٣٠٣ مع اختلاف يسير.

ولا يبعد أنّ الشيطان حمله على افتراء هذا الحديث «الأئمّة من قريش» وحديث نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث ما تركناه صدقة، أو أنّ الشيطان أقرّه على تولّي أمر الخلافة وطلب البيعة من الناس لنفسه وإبطال حقّ عليّ في الإمامة.

وقال أيضاً: فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم، وإن عدلت فاتّبعوني، فأثبت على نفسه جواز المعصية وأمر الرعيّة أن تمتنع من طاعته ساعة عروض المعصية له، وبناءاً على زعمه هذا أن يكون إماماً في وقت دون وقت.

نعود إلى أصل المطلب: ولمّا تمّ له الخلافة قام في وجهه ناس من صلحاء الصحابة واحتجّوا عليه بما يأتي إن شاء الله. فندم أبوبكر على قبولها وقال: أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم، ونزل من المنبر ودخل بيته، فارتفع البكاء والصيحة من المسجد فقبض عبيدة بن الجرّاح على يد أبي بكر وأدخله داره وبقيت الفتنة تضطرم ثلاثة أيّام، ووقع الناس في هرج ومرج، وطال الأخذ والردّ بينهم.

فجاء عثمان في اليوم الثالث ومعه مأة من الرجال ومثله فعل أبو عبيدة وسالم مولى حذيفة، وجاء خالد بن الوليد في جمع عظيم ومثله فعل المغيرة بن شعبة وقد لبسوا السلاح وسلّوا السيوف، وجاء عمر وأخذ بيد أبي بكر وقال له: قم إلى المسجد، فامتنع أبوبكر أشدّ الامتناع، فقال عمر: أفي هذا الساعة بعد أن خاضت فينا ألسنة الناس، إنّك لو أبيت هذا الأمر فإنّ الناس يطعنون بنا إلى يوم القيامة فكان أبوبكر يمتنع وعمر يصرّ عليه ويقول: بالأمس سخرت منّا وبدأت عمل الخلافة واليوم تستقيلها، فإمّا أن تذهب إلى تولّي الأمر وأتّ موفور الاحترام وإلّا قتلتك.

فقال أبوبكر: إنّ الناس يحتجّون عليّ وأنا يدركني الحياء، فقبض عمر على يده وأخرجه من البيت وأجلسه على المنبر وقال: أيّها الناس، من قام من مجلسه هذا وكلّم الشيخ بما كلّموه به أمس ضربت عنقه.

فقام خالد بن سعيد وقال: أتخوّفنا بالسيف يا عمر، ولولا طاعة الله ورسوله ﷺ وأنّ إمامنا عليّاً لا يأذن لنا لعلمت من منّا الغالب ومن المغلوب، ولكنّ طاعة إمامنا واجبة على كلّ حال.

سؤال:

فيا للعجب كيف يصحّ أن يقع مثل هذا المنكر العظيم مع حضور عليّ وبني هاشم في وسط المعمعة فلا يغيرون ولا يستطيعون دفعاً لما حدث بعد علمهم بالأمر واطّلاعهم على واقع الحال، فما بالهم أخلدوا إلى السكوت؟

الجواب:

نقول: شأنهم شأن هارون أخي موسى على نبيّنا وآله وعليهما السلام، فقد كان صاحبه وخليفته ويحيطه الآلاف من المؤمنين وعبد قومه العجل فلم يصنع شيئاً يدفع به هذا المنكر إلّا عدم الرضا به، ونهيهم عنه، وكان آدم ومعه آلاف من الملائكة في الجنّة وكفر إبليس بحضرتهم، ومثله يقال في نوح وإبراهيم وشعيب وسائر الأنبياء الذين كان لهم حضور في قومهم وكفروا بالله العظيم فلم يملكوا القوّة الرادعة لمنعهم من هذا الكفر.

سؤال:

ومع علم أميرالمؤمنين بحقّه وشجاعته الخارقة للعادة وقوّته الإلهيّة الضاربة كيف التئم معهم وصانعهم على باطلهم؟

الجواب:

ممّا لا شكّ فيه أنّ درجة النبوّة أعلى من درجة الإمامة، ولمّا ذهب موسى إلى الطور وعاد منه ورأى ما رأى من قومه، أبان هارون عن عذره، فقال: يابن

أُمّي ... ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ (١) وقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٢) أي أنّ الحلّ الوحيد هو إعلان الحرب عليهم وبذلك أخاف عليهم الفرقة والانقسام فتكثر الفتنة وتزداد اشتعالاً، وحينئذٍ نقول: إنّ عذر عليّ من جنس عذر هارون ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ (٣).

وهنا وجدوا عليّاً ضعيفاً أي لا يملك العدد والمدد، وعبد الناس العجل، وكان عليّ عليه السلام يكثر من قول: ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله، ومرّ هذا الباب مشروحاً بأكثر ممّا قلناه هنا.

ولمّا بلغ بالقوم المقام إلى هذاا الحدّ قالوا: لا يقف في وجوهنا شيء اليوم، لكنّنا يتحتّم علينا أخذ البيعة من عليّ عليه السلام بأيّة وسيلة كانت وإلّا بقي أمرنا على غير التمام، ولا ينتظم لنا أبداً أمر.

تقول عائشة: ما بايع عليّ وفاطمة على قيد الحياة ستّة أشهر بعد وفاة

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) طه: ٩٤.

(٣) الأعراف: ١٥٠.

هذا جواب واقعيّ وهو عين الصواب، فقد قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة الجزء الثالث ص ٣٠١ و٣٠٢: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن زيد، فقلت له: إنّي لأعجب من عليّ عليه السلام كيف بقي تلك المدّة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله مع تلظّي الأكباد عليه؟! فقال: لولا أنّه أرغم أنفه بالتراب ووضع خدّه في حضيض الأرض لقتل ولكنّه أخمل نفسه واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن وخرج عن ذلك الزي الأوّل وذلك الشعار ونسي السيف وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، فلمّا أطاع القوم الذين ولّوا الأمر صار أذلّ لهم من الحذاء (كذا) تركوه وسكتوا عنه. (بحار الأنوار ٢٩: ١٣٩)

رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا على روايتها، وأمّا ما رويناه في ذلك فيختلف عنها، ومرّت شذرة من ذلك.

يقول جعفر بن محمّد الصادق عليهما الصلاة والسلام: لم يتمّ تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تنكّروا لعهده وتجمّعوا على خلاف ما أمرهم به.

شعر:

من مبلغ عنّا النبيّ محمّداً — أنّ الورى عادوا إلى العدوان
إنّ الذين أمرتهم أن يعدلوا — لم يعدلوا إلّا عن الأيمان
غصبوا أميرالمؤمنين مكانه — واستأثروا بالملك والسلطان
بطشوا بفاطمة البتول وأخذوا[1] — ميراثها طعنا على الفرقان

فلمّا فرغ الإمام من دفن النبيّ والاشتغال بعزائه قيّد نفسه بجمع القرآن، وائتمّ به الشيعة ولم يبق معه إلّا النزر اليسير من الصحابة.

وقال عمر لأبي بكر: إنّ جماعة الناس بايعونا ما عدا عليّاً فأرسل إليه من يحضره للبيعة، فبعث عمر قنفذ لعنه الله ـ وهو ابن عمّه ـ إلى أميرالمؤمنين، فقال: أجب خليفة رسول الله. فقال عليّ عليه السلام: ما أسرع ما كذبتم على رسول الله! ونكثتم فارتددتم، وقال لقنفذ: إنّما أنت رسول، فارجع إلى صاحبك وقل له: كذبت على رسول الله فلست خليفة له بل أنت سمّيت نفسك بهذا الاسم.

فلمّا بلّغه قنفذ الرسالة، قام عمر مغضباً وأقبل يريد عليّاً، فاستوقفه أبوبكر وقال: صدق عليّ ما أنا بخليفة لرسول الله، وقال لقنفذ: اذهب إليه وقل له: أميرالمؤمنين يدعوك، فأبلغه قنفذ الرسالة، فقال عليّ: يا قنفذ، قل له: إنّك انتحلت اسماً هو لغيرك، فقد لقّب رسول الله غيرك به وهو لقبي الذي وضعه رسول الله عليّ.

---

(١) لا يستقيم وزن الصدر إلّا إذا وضعنا مكان «أخذوا»، «صادروا».

وبلّغ قنفذ أبابكر قول عليّ، فهبّ عمر واقفاً وقال: إنّ أمرنا لا يتمّ بغير قتل عليّ، وسآتيك برأسه من ساعتي هذه، فأقسم عليه أبوبكر أن يجلس، وقال لقنفذ: اذهب إليه وقل له: أبوبكر يدعوك إليه، فجائه قنفذ فأبلغه ما قاله أبوبكر، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: وما كنت بالذي أترك وصيّة حبيبي وأخي إلى باطلكم، وما اجتمعتم عليه من الجور والفساد في أُمّة محمّد.

فرجع قنفذ وأبلغهم الذي سمعه من عليّ، فغضب عمر غضباً شديداً ودعا خالداً بن الوليد وجماعة من المنافقين، فجمعوا الحطب وأقبلوا إلى بيت فاطمة به وهي لا تعلم لما داهمها من شدّة المصاب، وقد جلست جلسة الحزين مطأطأة الرأس، وقد بكت كثيراً فأصابها ألم برأسها عليها السلام، وما فتئت تنشأ المرثية بعد الأُخرى لفراق أبيها، وما زالت يغشى عليها مرّة وتفيق أُخرى، فإذا تذكّرت أباها رسول الله دعت الحسنين إليها ونظرت إليهما وقالت: أين أبوكما الذي يكرمكما؟ أين أبوكما الذي كان أشدّ الناس شفقة عليكما؟ أين أبوكما الذي كان لا يدعكما تمشيان على الأرض؟ إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، لا أرى جدّكما يفتح هذا الباب لا يحملكما على عاتقه.

لفاطمة عليها السلام:

وكنّا كغصني بانة وسط روضة　　فـفرّقنا ريب الزمان الموارب
كذا الموت لا يبقى خليلاً لخلّة　　أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي
فيا ساكني الصحراء علّمني البكا　　وحزنك أنساني جميع المصائب
إذا اشتدّ شوقي زرت قبرك باكياً　　أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي
فإن تك عنّي في التراب مغيّباً　　فما أنت عن قلبي الحزين بغائب

وبينما هم كذلك وإذا بعمر ومعه أصحاب العناد والنفاق على الباب، وقال عمر: يابن أبي طالب، افتح الباب وإلّا أضرمنا عليك الدار ناراً. فقالت فاطمة عليها السلام: اتّق

الله يا عمر في حرم رسول الله ﷺ، لا تدخل فإنّه عليك حرام، فعاندها عمر ودخل البيت مع المنافقين، فصاحت فاطمة: يا أبتاه، ما لقينا من أبي بكر وعمر بعدك، ورفع عمر سيفه وهو في غمده فضرب به جنب مولاتنا فاطمة عليها السلام (لعن الله عمر بن الخطّاب ـ المترجم) وضربها قنفذ لعنه الله بالسوط على متنها، فصاحت فاطمة: يا أبتاه، ما لقي أهل بيتك من أبي بكر وعمر من بعدك.

فنهض أميرالمؤمنين وأمسك عمر من تلابيبه وجلد به الأرض وأراد قتله، فتذكّر وصيّة رسول الله ﷺ فأطلقه، وكان من المنظرين: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾(١)، وقال: يابن صهّاك الحبشيّة، لولا وصيّة سبقت من رسول الله ﷺ لعلمت أيّنا الأضعف، والله لقد همّ رسول الله بقتلك وأمرني بذلك، فجائت هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾(٢).

وجاء عمر المدد وسلّ خالد سيفه ليقتل به عليّاً، فسلّ الزبير سيفه على خالد، فأقسم عليه الإمام أن لا يفعل، فجاء سلمان والمقداد وأبوذر مدداً لعليّ، ولكن جيش النفاق تغلّب عليهم وأخرجوا عليّاً معهم من بيته ووراءه فاطمة تصيح، والمسلمون يقولون: ما أسرع ما نسيتم رسول الله وأخرجتم الضغائن التي في صدوركم لرسول الله ﷺ، إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، ذهب الإسلام اليوم.

وقال بريدة لعمر: أتظلم أهل بيت رسول الله ﷺ وأنت الذي تعرفه قريش.

وجاء خالد ومعه السيف في الغمد وأوقف أميرالمؤمنين قبال أبي بكر، فصاح أبوبكر ليوهم الناس: خلّوا سبيله، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام لأبي بكر: أغدرتم بأخي رسول الله وظلمتموه، بأيّة حجّة تدعو الناس إلى بيعتك؟ أنسيت اليوم

---

(١) الحجر: ٣٧ ـ ٣٨، ص: ٨٠ ـ ٨١.

(٢) مريم: ٨٤.

الذي بايعتني به بأمر رسول الله ﷺ، ولقد توفّي رسول الله وهو غاضب عليكم، وكنت أنت العاصي.

فقال أبوبكر: دعنا من أباطيلك وهلمّ فبايع وإلّا ضربت عنقك.

فقال عليّ عليه السلام: إذن أكون عبدالله وأخا رسوله المقتول، ولولا وصيّة رسول الله لأريتكم تفاهة شأنكم وعجزكم عن مقارعتي.

فقال بريدة لأبي بكر: أمس أمرك رسول الله بالسلام على أميرالمؤمنين عليه السلام، بالله أُقسم لا أبق في بلد أنت فيه، فأمر أبوبكر بتعتعته وإخراجه بعيداً من المجلس.

فقام سلمان وكانت له مع أبي بكر وعمر عداوة ظاهريّة، ووعظ أبابكر وأبان عن فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام، ثمّ قام من بعده مقداد وأبوذر ووعظا القوم كثيراً، وقالا في الختام: لو كنّا نعلم بأنّ الظلم يدفع عن أهل البيت بقتالنا لسللنا سيوفنا وقاتلنا حتّى يستقيم أمر العترة، ويعود الحقّ إلى صاحبه.

وكان أبوبكر على المنبر والقوم يخاطبونه حتّى قال له عمر: مالك ساكت، مُره حتّى يبايع وإلّا ضربنا عنقه، وبكى الحسن والحسين حين سمعا بهذا وكانا مع أبيهما، وأبكيا جماعة ممّن حضروا مثل أبي ذر وبريدة وسلمان والمقداد وآخرين، فضمّهما عليّ عليه السلام إلى صدره، ولمّا سمعت أُمّ أيمن بكاء الحسنين، قالت: يا أبابكر، أأظهرتم النفاق وأغلظت لهم القول.

فقال أبوبكر: يا علي، بايع، قال: فإن لم أفعل فما أنت صانع؟ قال: أضرب عنقك، فكرّر القول ثلاث مرّات لإكمال الحجّة، وفي جميع ذلك يقول أبوبكر: نضرب عنقك.

فقام خالد المنافق وقبض على تلابيب أميرالمؤمنين، فصارعه أبوذر وقال له: إنّ عداوتك وعداوة أبيك لرسول الله وأهل بيته قديمة، واليوم أبنت عنها.

فخاف أبوبكر الفتنة على نفسه من العامّة فنزل عن المنبر وضرب بيده على يد

أميرالمؤمنين موهماً أنّه بايع وكان يقول كاذباً: إنّ عليّاً بايعني، فبايعوني أنتم أيضاً.

فخرج أميرالمؤمنين عليه السلام من هناك ومعه سلمان والمقداد وبريدة والحسن والحسين عليهما السلام وذهبوا إلى ضريح النبيّ صلى الله عليه وآله وشكوا إليه غدر الصحابة، وأقبل جماعة من المسلمين على عليّ عليه السلام وقالوا له: عزّ والله علينا ما صنع بك بعد رسول الله، ادعنا إلى ما شئت فإنّا لك بحيث تحبّ.

فعلم أميرالمؤمنين بأنّ المنافقين يفوقون المؤمنين بالعدد، فنهاهم عن الخروج لأنّهم لا يملكون العُدّة والعدد الكافيين.

وكانت فاطمة عليها السلام تستنهض الأنصار؛ الصغار والكبار، وقيل: إنّها خرجت وهي مريضة إلى بيوت الأنصار تستنهضهم وتستعين بهم لإتمام الحجّة عليهم، وعليّ والحسنان عليهم السلام معها، فلم يجبها أحد منهم، وكان جوابهم لها واحداً: ليس لنا بالقوم طاقة لأنّهم أقوياء وحريصون على الظلم.

ويقال: إنّ معاذ بن جبل سأل أباه: ماكان غرض فاطمة في مجيئها إليك؟ فقال: طلبت منّي نصرها على ظالميها فلم أجبها لذلك، فغضب على أبيه وقال: لا كلّمتك من رأسي أبداً، أتأتيك بنت رسول الله مستصرخة ثمّ تخرج آيسة من نصرك.

وقيل: إنّ فاطمة أسقطت المحسن لضرب عمر (لعنه الله ـ المترجم) إيّاها على بطنها.

ولمّا أدركها اليأس من نصرة أصحاب أبيها لها عادت إلى بيتها مهمومة مغمومة، وجلست في بيتها حتّى غصبوا فدكاً منها، فلمّا فعل الرجل ذلك جاءت إليه وقالت: يا أبابكر، أما علمت بأنّ فدكاً لي حتّى غصبتها، ووعظته وعظاً كثيراً، فطلب أبوبكر بياضاً ليكتب لها كتاباً بفدك، فسأله عمر: يا خليفة رسول الله، ماذا

تصنع ؟ فقال : جائت ابنة رسول الله وادّعت أنّ رسول الله نحلها فدكاً في حياته(١)، فتناول البياض من يد أبي بكر وخرّقه، وقال : أيّتها المرأة، ايتينا بشاهدٍ أنّ رسول الله أعطاك فدكاً، وكان مع الزهراء عدد من النساء فاتّجهت من بينهنّ إلى أُمّ أيمن وقالت : يا أُمّ أيمن، اشهدي بما تعلمين.

فقالت أُمّ أيمن لا أشهد حتّى تشهدوا بما قاله لي رسول الله في بيته من أنّي امراة في الجنّة، فقالوا : نعم سمعناه قال ذلك. ثمّ قالت : ناشدتكم الله أما سمعتم قول النبيّ : من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار ؟ فصاحوا بأجمعهم : اللهمّ نعم. قالت : فلو كذبت على رسول الله لبدّل الله بيتي الذي في الجنّة إلى بيت في النار. ثمّ قالت : أشهد أنّ رسول الله تصدّق على فاطمة بنته بفدك، وشهد أميرالمؤمنين أيضاً.

فقام عمر مغضباً، وقال : لا نقبل شهادتك لأنّك امرأة من العجم ولا تفهمين العربيّة، وعليّ يجرّ النار إلى قرصه(٢).

الفصل الثاني : في وفاة فاطمة عليها السلام

فعادت فاطمة إلى البيت منهم غاضبة، وأنشبت العلّة فيها أظفارها، فكانت

---

(١) رحم الله المؤلّف، يظهر من كلامه أنّ أبابكر ألين من عمر عريكة، وأحسنه طريقة، ولكنّ الواقع أنّه شرّ منه لشقوته ونكرانه جميل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه صاحب المزاج العصبي الذي أحرق آلاف المسلمين شيباً وشبّاناً وصبياناً، ذكوراً وإناثاً فيما أطلق عليه حروب الردّة وهو صاحب الفكرة في سحب عليّ من بيته وإحراقه عليهم، وهو صاحب التهديد بضرب العنق، وهو صاحب الجرائم الكبرى التي سطرها الطبري في تاريخه، ولك أن ترجع إليه لتعرف سرّ ما أقول لك، فلعنه الله وأخزاه.

(٢) فما لأبي بكر لا يجيب ؟! فهل قطع الله لسانه يومذاك ؟! إنّي أردّ كثيراً ممّا قاله المؤلّف حيث يضفي شكلاً من أشكال الخير على أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد، لعنه الله.

تزداد في كلّ يوم ذبولاً، إلى أن مرّ عليها أربعون يوماً وهي راقدة على فراش المرض من ظلمهم لها.

فأقبل أبوبكر وعمر لعيادتها، فلم تأذن لهما فاطمة عليها السلام، فظهر الجزع على أبي بكر، وقال: والله لا أعود إلى بيتي حتّى تأذن لي فاطمة، وترضى عنّي، وخرجت فاطمة تلك الليلة إلى البقيع.

ورأى عمر أميرالمؤمنين في تلك الليلة وقال: والله إنّ أبابكر صادق فيما قال، وقد أقسم بالله لا يذهب إلى بيته حتّى ترضى عنه فاطمة[1]، فلو استأذنت فاطمة في زيارتها عسى أن تأذن له بشفاعتك.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام طاهر القلب، سليم النفس، فقال: أفعل إن شاء الله. فأقبل عليها وقال لها: يابنة العم، ويابنة خير خلق الله، إنّ أبابكر وعمر استأذنا في زيارتك وطلب رضاك والعفو عمّا بدر منهما بحقّك.

فقالت فاطمة عليها السلام: يابن العمّ، المنزل منزلك والإذن فيه إليك، والنساء تبع للرجال، فسمعاً وطاعة، فاصنع ما بدا لك، وأعوذ بالله أن أعصيك طرفة عين، وأذنت لهما وقالت: يا علي، ألحفني الثوب، وقالت لنساء بحضرتها: حوّلن وجهي إلى الحائط.

فأقبل الرجلان وسلّما، فلم تردّ عليهما، فقال أبوبكر: نحن إنّما جئنا لطلب رضاك يابنة رسول الله قبل موتنا ونريد منك إبراءاً للذمّتنا.

فقالت فاطمة: لا والله ولا كرامة، ثمّ قالت: أُريد أن أسألكم وأُريد أن تصدّقاني إن صدقتما، وبعد ذلك أقول ما يصلحنا.

---

(١) لو كان صادقاً فيما يقول لردّ عليها ما أخذه منها وتنحّى لهم عن إمامتهم، وأعلن التوبة عسى الله أن يتوب عليه، أمّا أن يظهر الندم وهو مصرّ على ما فعل فإنّما هي دموع التماسيح.

قالا: لنصدّقنّك.

قالت: أما قال أبي رسول الله ﷺ: فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟

فقالا: أجل والله لقد سمعناه قال ذلك.

ثمّ قالت فاطمة: اللهمّ إنّي أُشهدك وجميع ملائكتك ورسلك وجميع من حضر أنّهما آذياني في حياتي بعد موت أبي، أخرجا عنّي، والله لا رضيت عنكما حتّى ألق أبي وأبثّه الشكوى، وأُخبره بما ظلمتماني به.

فقام أبوبكر خزيان يدعو بالويل والثبور، وخرج من عندها، فقال عمر: ما أعجبك، ويل للقوم الذين أمّروك عليهم، وما زال به حتّى استلّ السخيمة من نفسه، وقال له: كيف يجزع الرجل لقول امرأة ويفرح لرضاها.

وبقيت الزهراء طريحة الوسادة وقيده أربعين ليلة إلى أن دنى أجلها، فاستدعت عليّاً عليه السلام وأسماء بنت عميس الخثعميّة وأمّ أيمن، وقالت: أخبروني بموتي وأنّي أُوصيكم. فقال عليّ عليه السلام: أوص بما شئت. فأوصت فاطمة بوصيّتها، فقالت: يا علي، إنّي حفظت رضا الله ورسوله ورضاك لأنّك زوجي، ولم أكذب قطّ، ولم يرتفع صوتي بالقهقهة، وقالت جملاً مثل ذلك، ثمّ قالت: تزوّج أمامة من بعدي، فإنّها امرأه مشفقة على أولادي[1]، وإنّي أرى الملائكة قد حضروا لتجهيزي، وينبغي أن تحضر أسماء وفلانة وفلانة إلى أربع نسوة غسلي، وادفنّي يا علي ليلاً لئلّا يحضر عدوّ الله ورسوله جنازتي، ولئلّا يصلّوا عليّ.

---

(١) لم يقل عن أمامة أنّها ابنة أُخت الصدّيقة عليها السلام لأنّه ذهب إلى ما ذهب إليه صاحب الاستغاثة من كون زينب ورقيّة من رجل تميميّ تزوّج هالة أُخت خديجة فأولدها إيّاهما، ولكن فات المؤلّف أنّ زينب لو كانت بنت هالة لم يزوّجها النبيّ من أبي العاص لأنّه ابن هالة أيضاً فيكون أخاها من جهة الأُمّ فكيف يتزوّجها، يا ناس! أرجو أن يفتح عينيه جيّداً من يذهب هذا المذهب.

ولمّا أسلمت الروح عليها السلام فارتفعت الصيحة من نساء قريش، فبكى الحسن والحسين وأُمّ كلثوم على أُمّهم، وبكى الناس لبكائهم، فجاء أبوبكر وعمر إلى عليّ وعزّياه عنها، فلم يجبهما أميرالمؤمنين، وقالا: لابدّ من إخبارنا لحضور جنازتها والصلاة عليها، فلم يجبهما أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال عمر: إنّ عليّاً لا يجيب لحزنه ممّا نزل به.

فخرج سلمان وقال: اذهبوا إلى بيوتكم فقد أخّرنا تجهيز الزهراء.

فقال عمر: أُقسم بالله ما أرادوا بالتأخير إلّا دفنها سرّاً فلا نحضر جنازتها.

فلمّا تفرّق القوم ومضى هزيع من الليل أحضروا نعش فاطمة، ودار به عليّ والحسن والحسين وسلمان وأبوذر والمقداد والعبّاس وولداه عبدالله والفضل، وحضرها عقيل بن أبي طالب وعبدالله بن جعفر وبريدة وعمّار والزبير وأُسامة وبنات عليّ ونساء من قريش، وصلّى الحاضرون على جنازة الزهراء عليها السلام ثمّ دفنوها إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة منبره.

فلمّا أصبح الصباح اجتمع الناس عند بيت فاطمة عليها السلام للصلاة عليها، فلمّا بصر المقداد بأبي بكر، قال: إنّنا ألحدناها ليلاً.

فقال عمر: ألم أُخبرك يا أبابكر بما ينوون.

فقال المقداد: إنّ فاطمة أوصت بذلك لئلّا تحضروا جنازتها.

فرفع عمر يده وضرب المقداد على وجهه، وما زال يضربه حتّى كلّ من الضرب، فحال الحاضرون بينهما، وخلّصوا المقداد من شرّه.

فلمّا خلص المقداد من يده استقبله بوجهه وقال: لا عجب من ضربك إيّاي فقد ضربت بنت رسول الله بالسيف ـ وهو مغمد ـ على جنبها فأدميته وألهبت متنيها بالسوط حتّى ماتت على هذه الحالة، وأنا أدنى منزلة منها ومن بعلها.

ولمّا سمعوا هذا الكلام منه، قالوا: والله لأحقّ الناس بالضرب والعقوبة عليّ بن

أبي طالب، وأقبلوا نحو عليّ وإذا به جالس على باب داره، فدار به أصحابه، وناداه عمر: يابن أبي طالب، ما أنت بتارك حسدك القديم، غسّلت رسول الله من دون علمنا، وصلّيت على فاطمة ولم نحضرها، وحملت الحسن على أن يخاطب أبابكر قائلاً: انزل عن منبر أبي.

فاحتقره عليّ عليه السلام ولم يجبه، فانبرىٰ عقيل للجواب، وقال: وأنتم والله لأشدّ الناس حسداً وأقدم عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ضربتموها بالأمس وخرجت من الدنيا وظهرها بدم[1] (كذا) وهي غير راضية عنكما، فمدّ عمر يده إلى عقيل، فلمّا بصره به عليّ يفعل هذا أخذه من تلابيبه وقال: والله ما أراك تنتهي يابن الخطّاب حتّى نتكلّم بما فيك!!

وقام بنو هاشم يظاهرون عليّاً عليه السلام ونهض معهم الزبير بن العوام والعبّاس وعبدالله بن جعفر وسلمان والمقداد وأبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطّلب وأبوذر وعمّار وخيار المؤمنين الصحابة مدداً لعليّ عليه السلام، وسلّ خالد السيف على عليّ، فقال له عليّ عليه السلام: يا فاسق الخبيث، ما كان ظالماً أشرّ على رسول الله بسيفك هذا أنت وأبوك[2]، فقام أبوبكر وقبض على يد عليّ وقال له: اجلس يا أباالحسن، فقال:

---

(١) هكذا وردت الكلمة، والصحيح أنّها «مُدمى».

(٢) من الواضح أنّ أخبار المؤلّف هذه لم يعزها إلى أحد ولم يشر إلى مصدرها وليس لها سند للنظر فيه، والذي يجعلها مقبولة عندنا الثقة بناقلها رحمه الله، ومع انعدام المصدر يذهب البحث والتحرّي سُدى، وهذه العبارة مغلوطة ولم أستطع التأكّد من صحّتها لعدم الثور على راويها أو الكتاب الذي أخذها المؤلّف منه لذلك تركتها كما ذكرها المؤلّف، ثمّ هو لم يترجمها لأهتدي إلى صيغتها الصحيحة من معنى العبارة المترجمة إليها وأُحيط القارئ علماً بانّ كثيراً من هذه الأخبار عثرت عليه لأوّل مرّة في كتاب الكامل على أنّ بعض السياقات أشكّ في صحّتها لتكرّر الضرب والاقتتال وسلّ السيوف بين كلمة وكلمة، وهذا إن لم يكن عجيباً من الخصوم فهو عجيب من أهل البيت عليهم السلام.

كلّا بل نذهب إلى القبر فنجلس بينه وبين المنبر.

فلمّا بلغوا المكان أقسم أميرالمؤمنين هناك قائلاً: بحقّ المنبر ومن فيه أنّ رسول الله ﷺ أوصاني أن لا يرى جسمي أحد سواك ومن رأى عورتي عمي، فقلت: يا رسول الله، من يعينني؟ قال: جبرئيل والملائكة، فغسّلت رسول الله وعصّبت عيني الفضل بن العبّاس، وكان ينقل لي الماء والملائكة تقلّب رسول الله كما أُريد، فأردت أن أخلع قميصه فهتف بي هاتف فكنت أسمع صوته ولا أرى شخصه: لا تنزع الثوب من رسول الله، فأحضرت الحنوط والكفن وأدرجت رسول الله في كفنه وخلعت بعده قميصه.

وأمّا الحسن فقد كان معلوماً لديكم أنّ النبيّ إذا خطب يأتي ويجلس على كتفي النبي ويضع رجليه خلفه في عنقه، فلمّا وقعت عينه على غير جدّه على المنبر غضب الطفل وآلمه ذلك، فقال: انزل عن منبر أبي، وأُقسم بالله أنّي ما علّمته الذي قاله.

وأمّا ما كان بينكما وبين فاطمة فهو معلوم لديكما، ولقد ماتت غاضبة عليكما وأوصتني وقالت: إن هما صلّيا عليّ شكوتك إلى أبي بمثل الذي أشكوهما، فكرهت أن أغضبها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: تحالف القوم على قتل أميرالمؤمنين، وقالوا: لن يخلو لنا الجوّ حتّى نقتل عليّاً، فدعوا خالداً وقالوا: لنا إليك حاجة، إن قبلتها. قال: أطعتكما ولو أمرتماني بضرب عنق عليّ بن أبي طالب. فقالا: هذا هو ما نريده منك. فاتعدوا على أن يأتي خالد بالسيف عند صلاة العتمة فإذا رفع أبوبكر صوته بالصلاة علاه خالد بالسيف.

وجائت أسماء بنت عميس ليلاً وأخبرت عليّاً بما ينوي الرجلان من قتله بيد خالد بن الوليد، وأمرته بالحذر، فندم أبوبكر وهو في الصلاة، فسلّم إخفاتاً لئلّا

يسمعه خالد وقال: لا يفعلنّ خالد ما أمرته فإن فعل لأضربنّ عنقه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأجاز المخالفون التكلّم في الصلاة بناءاً على فعل أبي بكر.

فقبض أميرالمؤمنين عليه السلام على يد خالد وقال: أأنت فاعل ما أمروك به؟ فقال خالد: نعم، والله أردت ضرب عنقك بالسيف، فقبض الإمام على قلاصمه حتّى كاد يختنق، ونهض عقيل يخاصم خالداً ويدافع عن أخيه ويطلق لسانه في أبي بكر وعمر.

ثمّ قال عمر: والله لأستخرجنّ فاطمة من قبرها ولأُقيمنّ الصلاة عليها، فقال عليّ: لو فعلت ذلك لأُجرّدنّ سيفي فيكم حتّى أقتل، واجتمع نساء بني هاشم في المسجد وصحن بصوت واحد: أردتم قتل رسول الله فلم تقدروا عليه فقتلتم ابنته بالأمس وتريدون قتل أخيه، واغوثاه بالله وبرسوله، ما من منكر فينكر، ما من مسلم يقوم فيتكلّم بالحقّ بما صنع بوصيّ رسول الله وخليفته من بعده، فلم يجبهنّ أحد إلّا نفر قليل من المسلمين.

فخرج عليّ من بينهم وتبعه بنو هاشم، وأقبل على قبر النبيّ وأرخى عينيه بالدموع فبكى بكاءاً كثيراً.

قال ابن عبّاس: ما إن وقعت عين عليّ عليه السلام على قبر رسول الله حتّى قال: يـ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ (١)، ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٢)، وأقسم على الناس فرجعن من حيث جئن.

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) طه: ٩٤.

الفصل الثالث

سأل أبان بن تغلب من الإمام جعفر الصادق عليه السلام: يابن رسول الله، أما ردّ أحد من الصحابة على مدّعي الإمامة؟ فقال: بلى، ردّ عليهم اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله وهم: خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد، وأُبيّ بن كعب وعبدالله بن مسعود، وعمّار، وأبوذر الغفاري، وسلمان، وبريدة من المهاجرين، ومن الأنصار: خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب، وأبو الهيثم بن التيّهان.

اجتمع هؤلاء وتعاهدوا على جذب أبي بكر من المنبر، وقال أحدهم: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، قالوا: نذهب إلى عليّ عليه السلام نستشيره.

فقال عليّ عليه السلام: لو فعلتم ذلك لكنتم كالمال المنهوب لا يأتي بشيء، وكالملح المذاب في المرجل، إنّ القوم رجعوا إلى جاهليّتهم الأُولى وأظهروا العداوة للّه ورسوله، وأظهروا حقدهم القديم، وإنّ رسول الله أخذ عليّ السكوت وإلّا استأصلت أنا وأهل بيتي، وأنا شاورت أهلي فرأوا الصواب فيما أفعل لعلمهم أنّ قلوب القوم مُلئت بالعداوة للّه ورسوله، وقال لي رسول الله: عليك بالصبر حتّى ينزل الأمر، ألا وإنّهم سيغدرون بك لا محالة فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإنّ الأُمّة ستغدر بك بعدي كذلك أخبرني جبرئيل عن ربّي[2].

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) والرواية ذكرها الشيخ في الخصال ولكن بسياق آخر قريب من سياق المؤلّف ونحن نأتيك به ليكون مائز بين رواية المؤلّف المترجمة وبين الأصل.

عن زيد بن وهب قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدّمه على عليّ بن ←

ثمّ انطلقوا حتّى أتوا منبر رسول الله ﷺ فحفّوا به يوم جمعة، فقالوا للمهاجرين: إنّ الله عزّ وجلّ بدأ بكم في القرآن، فقال: ﴿لَقَد تَابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ

أبي طالب ﷺ اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، وكان من المهاجرين: خالد بن سعيد ابن العاص والمقداد بن الأسود وأُبيّ بن كعب وعمّار بن ياسر وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي وعبدالله بن مسعود وبريدة الأسلمي، وكان من الأنصار خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وسهل بن حنيف وأبو أيّوب الأنصاري وأبوالهيثم بن التيّهان وغيرهم، فلمّا صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره، فقال بعضهم: هلّا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله ﷺ، وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم، وقال الله عزّ وجلّ: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، ولكن امضوا بنا إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ نستشيره ونستطلع أمره.

فأتوا عليّاً ﷺ فقالوا: يا أميرالمؤمنين، ضيّعت نفسك وتركت حقّاً أنت أولى به، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله ﷺ فإنّ الحقّ حقّك وأنت أولى بالأمر منه، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك.

فقال لهم عليّ ﷺ: لو فعلتم ذلك ما كنتم إلّا حرباً لهم، ولا كنتم إلّا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وقد اتفقت عليه الأُمّة التاركة لقول نبيّها، والكاذبة على ربّها، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلّا السكوت لما تعلمون من وغر صدور القوم وبغضهم للّه عزّ وجلّ ولأهل بيت نبيّه ﷺ، وأنّهم يطالبون بثارات الجاهليّة، والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدّين للحرب والقتال كما فعلوا ذلك حتّى قهروني وغلبوني على نفسي، ولبّبوني، وقالوا لي: بايع وإلّا قتلناك، فلم أجد حيلة إلّا أن أدفع القوم عن نفسي وذاك أنّي ذكرت قول رسول الله ﷺ: يا علي، إنّ القوم نقضوا أمرك واستبدّوا بها دونك وعصوني فيك، فعليك بالصبر حتّى ينزل الأمر، ألا وإنّهم سيغدرون بك بعدي، كذلك أخبرني جبرئيل ﷺ عن ربّي تبارك وتعالى، ولكن ائتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيّكم ولا تجعلوه في الشبهة من أمره ليكون ذلك أعظم للحجّة عليه وأزيد وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربّه وقد عصى نبيّه ... الخ.

واقتصرنا في الهامش على هذا المقدار من رواية الخصال، وأتممنا بما تبقّى من الرواية سياق المؤلّف في المتن لأنّه لايختلف عنه إلّا بجمل بسيطة جدّاً، وقد وضعنا ما اختلف بين قوسين أو حاصرتين تمييزاً له، راجع الخصال: ٤٦٢، نشر جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم، تحقيق غفاري.

وَالأَنْصَارِ﴾(١) فبكم بدأ، وكان أوّل من بدأ وقام خالد بن سعيد بن العاص، بإدلاله بني أُميّة، (وكان أبوبكر على المنبر) فقال: يا أبابكر، اتّق الله، فقد علمت ما تقدّم لعليّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة وقد أقبل على رجال منّا ذوي قدر، فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار، أُوصيكم بوصيّة فاحفظوها، وإنّي مؤدٍّ إليكم أمراً فاقبلوه، ألا وإنّ عليّاً أميركم من بعدي وخليفتي فيكم، أوصاني بذلك ربّي وهو أعلم، وإنّكم إن لم تحفظوا وصيّتي فيه ولم تؤدّوا أمر دينكم (وتؤووه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم) وولي عليكم ألأمر شراركم، ألا وإنّ أهل بيتي هم الوارثون الأمر (أمري)، القائمون (القائلون) بأمر أُمّتي من بعدي، اللهمّ فمن أطاعهم من أُمّتي وحفظ فيهم وصّيتي فاحشره في زمرتي واجعله له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز الآخرة، اللهمّ ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنّة التي عرضها السماوات والأرض.

فقال له عمر بن الخطّاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة (الشورى) ولا ممّن يرضى بقوله.

فقال خالد: بل اسكت أنت يابن الخطّاب، فوالله إنّك لتعلم أنّك تنطق بغير لسانك، وتعتصم بغير اركانك، والله إنّ قريشاً لتعلم [أنّي أعلاها حسباً، وأقواها أدباً، وأجملها ذكراً، وأقلّها غنًى من الله ورسوله، و] أنّك ألأمها حسباً، وأقلّها عدداً، وأخملها ذكراً، وأقلّها من الله عزّ وجلّ ومن رسوله، وأنّك لجبان عند الحرب، بخيل في الجدب، لئيم العنصر، مالك في قريش مفخر.

قال: فأسكته خالد، فجلس.

---

(١) التوبة: ١١٧.

ثمّ قام أبوذر رحمة الله عليه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أمّا بعد، يا معشر المهاجرين والأنصار، لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله ﷺ قال: الأمر لعليّ عليه السلام بعدي ثمّ للحسن والحسين عليهما السلام ثمّ في أهل بيتي من ولد الحسين، فأطرحتم قول نبيّكم وتناسيتم ما أوعز إليكم واتّبعتم الدنيا الفانية وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا تهدم بنيانها (الذي لا يهرم شبابها) ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها ولا يموت سكّانها، وكذلك الأُمّة التي كفرت بعد أنبيائها وغيّرت وبدّلت فساويتموها (فحاذيتموها) حذو القذّة بالقذة، والنعل بالنعل، فعمّا قليل تذوقون وبال امركم وما الله بظلّام للعبيد.

ثمّ قام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: يا أبابكر، إلى من تسند أمرك إذا نزل بك القضاء؟ وإلى من تفزع إذا سُئلت عمّا لا تعلم وفي القوم من هو أعلم منك وأكثر في الخير أعلاماً ومناقب منك، وأقرب من رسول الله ﷺ وقدمة في حياته، وقد أوعز إليكم فتركتم قوله وتناسيتم وصيّته (ووبّخه كثيراً وقال: قد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عمّا أنت فاعله، فالله الله في نفسك وقد أعذر من أنذر ـ المؤلّف).

ثمّ قام المقداد بن الأسود رحمة الله عليه فقال: يا أبابكر، أربع على نفسك وقس شبرك بفترك ـ أي لا تتجاوز حدّك .. المترجم ـ والزم بيتك، وابك على خطيئتك، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك، ورُدّ هذا الأمر إلى حيث جعله الله عزّ وجلّ ورسوله، ولا تركن إلى الدنيا، ولا يغرّنك من قد ترى من أوغادها فعمّا قليل تضمحلّ عنك دنياك ثمّ تصير إلى ربّك فيجريك بعملك وقد علمت أنّ هذا الأمر لعليّ عليه السلام وهو صاحبه بعد رسول الله ﷺ وقد نصحتك إن قبلت نصحي.

ثمّ قام بريدة الأسلمي وبالغ في الوعظ والنصيحة، وقال: يا أبابكر، نسيت أم تناسيت أم خادعتك نفسك، أما تذكر إذ أمرنا رسول الله فسلّمنا على عليّ عليه السلام

بإمرة المؤمنين ونبيّنا بين أظهرنا، فاتّق الله ربّك وأدرك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها من هلكتها ودع هذا الأمر ووكله إلى من هو أحقّ به منك، ولا تماد في غيّك وارجع وأنت تستطيع الرجوع، فقد نصحتك نصحي وبذلت لك ما عندي فإن قبلت وفّقت ورشدت.

ثمّ قام عبدالله بن مسعود(١) فقال: يا معشر قريش، قد علمتم وعلم خياركم أنّ أهل بيت نبيّكم ﷺ أقرب إلى رسول الله ﷺ منكم وإن كنتم إنّما تدّعون هذا الأمر بقرابة رسول الله ﷺ وتقولون: إنّ السابقة لنا فأهل نبيّكم أقرب إلى رسول الله منكم وأقدم سابقة منكم وعليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب هذا الأمر بعد نبيّكم فأعطوه ما جعله الله له ولا ترتدّوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.

ثمّ قام عمّار بن ياسر فقال: يا أبابكر، لا تجعل لنفسك حقّاً جعله الله عزّ وجلّ لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله ﷺ وخالفه في أهل بيته....

ثمّ قام خزيمة ذوالشهادتين فقال: يا أبابكر، ألست تعلم أنّ رسول الله ﷺ قبل شهادتي وحدي ولم يردّ معي غيري؟ قال: نعم. قال: فأشهد بالله أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: أهل بيتي يفرّقون بين الحقّ والباطل، وهم الأئمّة الذين يقتدىٰ بهم.

ثمّ قام أبوالهيثم بن التيّهان فقال: يا أبابكر، أنا أشهد على النبيّ ﷺ أنّه أقام عليّاً فقالت الأنصار: ما أقامه إلّا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلّا ليعلم الناس أنّه وليّ من كان رسول الله ﷺ مولاه، فقال عليه السلام: إنّ أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقدّموهم ولا تقدّموهم.

---

(١) إن كان عبدالله بن مسعود هو الذي يسمّيه النبيّ ابن أُمّ عبد وهو صاحب المصحف المعروف فهو من المنحرفين عن الإمام عليه السلام وقد جنح مع الظالمين رجاء دنياً يصيبها فخيّب الله ظنّة ومات مغضوباً عليه منهم.

ثمّ قام سهل بن حنيف فقال: أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ قال على المنبر: إمامكم من بعدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو أنصح الناس لأُمّتي(١).

ثمّ قام زيد بن وهب فتكلّم، وقام جماعة من بعده فتكلّموا بنحو هذا، فأخبر الثقة من أصحاب رسول الله ﷺ أنّ أبابكر جلس في بيته ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الثالث (خرج من بيته وأقبل يطرق الأبواب مستقيلاً قائلاً: أقيلوني أقيلوني) ثمّ أتاه عمر بن الخطّاب وطلحة والزبير!! وعثمان بن عفّان وعبدالرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وأبو عبيدة بن الجرّاح مع كلّ واحد منهم عشرة رجال من عشائرهم، شاهرين السيوف (مع كلّ واحد مأة رجل من عشائرهم ـ المؤلّف) فأخرجوه من منزله وعلا المنبر، وقال قائل منهم: والله لئن عاد منكم أحد فتكلّم بمثل الذي تكلّم به لنملأنّ أسيافنا منه، فجلسوا في منازلهم ولم يتكلّم أحد بعد ذلك..(٢).

الفصل الرابع

إنّ بريدة الأسلمي أتى عمران بن حصين فدخل عليه في منزله حين بايع الناس

---

(١) وهو نصح لأُمّتي ـ المؤلّف، والعبارة الأُولى أجدر بالسياق وأقرب للبلاغة النبويّة.

(٢) لا ندري عن مصدر المؤلّف في هذا النصّ شيئاً ووجدناه في الخصال: ٤٦٣ واضطرّتنا الحال أن نترجم قسماً منه ونحذف العبارة الطويلة التي تخرج النصّ من اختيار المؤلّف على أنّنا وضعنا من غير استقصاء بعض الاختلافات بين المؤلّف والخصال بين قوسين وأحياناً بين حاصرتين، وأخرج هذا النصّ صاحب الاحتجاج ١: ١٠٠، وابن طاووس في اليقين: ٣٣٩، ومحمّد طاهر الشيرازي في الأربعين: ٢٣٩، وأخرجه في بحار الأنوار ٢٨: ١٩٦، والأحمدي الميانجي في مواقف الشيعة ١: ٤٢٦، وفي الدرجات الرفيعة اقتصر على موقف أبي ذر وذكر أقواله: ٢٣٧، وأخرجه ابن جبر في كتابه نهج الإيمان: ٥٨٠، وذكره الطريحي في المجمع: ٨٦ بسياق آخر، ومجمع البحرين هنا في مجلّد واحد وهي الطبعة القديمة الحجريّة.

أبابكر، فقال: يا عمران، ترى القوم نسوا ما سمعوا من رسول الله ﷺ في حائط بني فلان أهل بيت من الأنصار، فجعل لا يدخل عليه أحد من المسلمين فيسلّم عليه إلّا ردّ عليه السلام، ثمّ قال له: سلّم على أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، فلم يردّ على رسول الله ﷺ يومئذٍ أحد من الناس إلّا عمر فإنّه قال: عن أمر الله أو عن أمر رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: بل من الله ومن رسوله.

قال عمران: قد أذكر ذا.

فقال بريدة: فانطلق بنا إلى أبي بكر فنسأله عن هذا الأمر فإن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ عهده إليه بعد هذا الأمر أو أمر أمر به فإنّه لا يخبرنا عن رسول الله ﷺ بكذب ولا يكذب على رسول الله ﷺ(١).

فانطلقنا فدخلنا على أبي بكر فذكرنا ذلك اليوم وقلنا له: فلم يدخل أحد من المسلمين فسلّم على رسول الله ﷺ إلّا قال له: (سلّم على أميرالمؤمنين عليّ) وكنت أنت ممّن سلّم عليه بإمرة المؤمنين، فقال أبوبكر: قد أمر أذكر ذلك.

فقال له بريدة: لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يتأمّر على أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بعد أن سمّاه رسول الله بأميرالمؤمنين، فإن كان عندك عهد من رسول الله ﷺ عهده إليك أو أمرك به فأنت عندنا مصدّق.

فقال أبوبكر: لا والله ما عندي عهد من رسول الله ﷺ ولا أمرٌ يأمرني به ولكن المسلمين رأوا رأياً فتابعتهم به على رأيهم.

فقال له بريدة: والله ما ذلك لك ولا للمسلمين خلاف رسول الله ﷺ.

فقال أبوبكر: أرسل لكم عمر، فجائه، فقال له أبوبكر: إنّ هذين سألاني عن أمر قد شهدته وقصّ عليه كلامهما، فقال عمر: قد سمعت ذلك ولكن عندي المخرج من ذلك.

(١) بلى والله إنّه أوّل من تبوّأ مقعده من النار بموضوعه: لا نورث ما تركناه صدقة.

فقال له بريدة: عندك ؟

قال: عندي.

قال: فما هو ؟

قال: لا تجتمع النبوّة والملك في أهل بيت واحد.

قال: فاغتنمها بريدة وكان رجلاً مفوّهاً جريّاً على الكلام، فقال: يا عمر، إنّ الله عزّ وجلّ قد أبى ذلك عليك، أما سمعت الله في كتابه يقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً﴾(١) فقد جمع الله لهم النبوّة والملك.

قال: فغضب عمر حتّى رأيت عينيه توقدان، ثمّ قال: ما جئتما إلّا لتفرّقا جماعة هذه الأُمّة وتشتّتا أمرها، فما زلنا نعرف منه الغضب حتّى هلك(٢).

روى هشام بن عروة عن أبيه أنّ أبابكر وعمر وأبا عبيدة بن الجرّاح لم يحضروا دفن رسول الله ﷺ وكانوا ساعتها في السقيفة يلاطمون على الخلافة لئلّا تذهب الفرصة من أيديهم، وكان أبوبكر يقول: البدار البدار قبل البوار، ويحثّ الناس على البيعة.

يقول البراء بن عازب: قصد أبوبكر وعمر بعد وفاة النبيّ بليلتين منزل العبّاس عمّ رسول الله وكان معهما أبو عبيدة بن الجرّاح والمغيرة بن شعبة، فقال أبوبكر: يا عمّ رسول الله، إنّ الأُمّة اختارتني، ولكن لا يخلو من طعن طاعن ونحن نعرف لك منزلتك وقرابتك، فأردنا أن يكون لك في الأمر نصيب ويبقى من بعدك لأولادك.

فقال عمر: لم تأت بنا حاجة إليك ولكن نخشى من طاعن علينا، فإذا أردت فأنت شريكنا في الأمر.

---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) السيّد ابن طاووس الحسني في كتاب ؟؟؟: ٢٧٣.

فقال العبّاس : يا أبابكر ، إن كنت أخذت الخلافة برسول الله فحقّنا أخذت ، إذ لا قرابة بينك وبينه ، وإن كنت أخذتها برضى المؤمنين ، فنحن منهم ولا نرضى بك ونكره خلافتك ، وهذا الذي تعطيه لي ولأولادي إن كان لك فاحتفظ به لنفسك ، وإن كان للمؤمنين فليس لك التصرّف به ، وإن كان لنا فلا نرضى ببعض دون بعض فأعطنا كلّه ولا حرج عليك ، وأقول ذلك من باب الحجّة عليك ؛ رسول الله الشجرة ، ونحن فروعها ، وأنتم جيرانها .

فقال عمر : أتخوّفني بالناس ، فاعلم بأنّ هذا أوّل عصيان منك .

الفصل الخامس

لمّا بايع محمّد بن أبي بكر أميرالمؤمنين عليه السلام ، قال : يا محمّد ، إنّي آخذ منك البيعة لإقرارك على أنّ أباك أوّل من ظلمني بعد وفاة رسول الله ، وعبارة أميرالمؤمنين كما يلي : أُبايعك أنّ أباك أوّل من ظلمني وأنّي أولى الناس بالناس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي ، لا يتقدّمك بعدي إلّا كافر ، وإنّ أهل السماوات يسمّونك أميرالمؤمنين .

الفصل السادس

قال النعمان بن بشير : رأيت المقداد يبكي في اليوم الذي اجتمع الناس فيه على بيعة أبي بكر .

وقال سلمان : ما دخل قلبي فرح منذ أُخرج هذا الأمر عن بني هاشم .

قال جابر : ما زلت أعرف الغم في وجه سلمان منذ بايع الناس أبابكر .

وقال المقداد : لا فرحت بشيء بعد غمّي بالأثرة على عليّ وفاطمة عليهما السلام .

قال: كان رسول الله يحبّ ثلاث قبائل من قريش أوّلهم بنو هاشم، وثانيهم بنو أسد بن عبدالعزّى ـ عبدالعزيز .. المؤلّف ـ لأنّ خديجة بنت خويلد منهم، والثالثة بنو زهرة لأنّ آمنة أُمّه منهم، ويكره قبائل أربعاً من قريش: بنو مخزوم لأنّ أباجهل منهم، ثمّ بنو تيم وبنو عدي وبنو عبدالدار الذين منهم عمر بن الخطّاب وأصحابه وهو يبغضهم لعلمه بما يجري منه علينا.

وقد أمر النبيّ تسعة منهم بالسلام على عليّ بإمرة المؤمنين، وهم: أبوبكر وعمر وعثمان والمقداد وابن مسعود وبريدة وأمثالهم، وهم رواة هذا الأمر بأجمعهم، أوّلاً في حائط بني النجّار، ويوم الغدير، فقد سلّم عليه جماعة المهاجرين والأنصار بإمرة المؤمنين.

قال رسول الله ﷺ ذات يوم لعليّ عليه السلام: يا علي، لا تفش سرّك على ثلاثة من قريش فإنّهم عدوّ لي ولك يا علي. فقال عليّ عليه السلام: سمّهم لي يا رسول الله. فقال النبيّ: لا أُخبرك بهم حتّى ينزل الوحي، ومرّ على هذا القول زمان، وذات يوم وهو في بيته وقد أذن للمهاجرين والأنصار فاجتمعوا على النبيّ حتّى اضطرّ أميرالمؤمنين أن ينحاز خارج الدار، فناداه النبيّ ﷺ وقرّبه حتّى أدناه فصار إلى جنبه، فأوسع النبيّ له، وجاء بعده أبوبكر وعمر وعثمان فلم يسعهم المكان حتّى جلسوا على عتبة الباب، فقال أبوبكر: يا رسول الله، قدّمت عليّاً عليّ وأوسعت له حتّى جلس إلى جانبك، فلماذا لم تفعل بي هكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: لقد أبديت ما في قلبك وما بقي لعليّ في قلبك أشدّ وأجلّ.

وقال عمر نحواً من قول صاحبه، فقال رسول الله: إنّ الله لم يجعلك عندي وعليّاً (سواء ـ الترجم).

فقال عثمان: إنّ في البيت من أنا أحقّ بالجلوس في البيت منه. فقال رسول الله ﷺ: من لا ينقص الحقّ ولا يعطي الفيء غير من جعله الله له.

فلمّا انفضّ المجلس قال رسول الله ﷺ لعليّ: أخبرني الوحي بأنّ هؤلاء عدوّك وقد بيّن الله أمرهم فاحذرهم أنّى يؤفكون.

الفصل السابع

اعلم بأنّ أبابكر لم يكن من الأنصار وليس من المهاجرين بوجوه عدّة:

الأوّل: لمّا كان خادماً للنبيّ كان بمثابة دليله وحمّاله الذين لازماه، فإذا جاز تسمية هذين مهاجرين جاز تسمية أبي بكر مهاجراً لوحدة الشأن والغاية «وهذا باطل فذاك باطل أيضاً».

الثاني: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] فينبغي أن تكون الهجرة إلى الله ورسوله ولذا عدّاها بالحرف «إلى» لا بالحرف «مع» ليكون من صحب النبيّ مهاجراً ولم تكن هجرة أبي بكر للّه ورسوله لذا لا يسمّى مهاجراً.

الثالث: إنّ غرض أبي بكر وعمر وعثمان من الهجرة هو خطبة فاطمة، فحرّمهم الله ورسوله منها وأعطاها لعليّ[2].

الرابع: قال المؤرّخون: لمّا نزل النبيّ بقباء استأذنه أبوبكر في الذهاب إلى أصحابه في المدينة، فأذن له النبيّ وبقي النبيّ ثلاثة أيّام في قباء وأبوبكر متخلّف عنه عند أصحابه، فتبيّن أنّ هجرته إنّما كانت لزيارة الأصدقاء وتجديد العهد بهم لا لنفس الهجرة وصحبة الرسول ﷺ، وفي هذه الصورة لا يصدق على هجرته حرف

(١) النساء: ١٠٠.

(٢) لا أعتقد أنّ هؤلاء الأوغاد تمنّيهم أنفسهم نيل ذلك لعلمهم بما عزم عليه النبيّ ولو كان ذلك يدور في خلدهم لما كتموه وهم في مكّة إذ لا داعي للهجرة من أجله، فقد كان بوسعهم طلبه وهم في مكّة.

«إلى»، فإذا كان الأمر كذلك فخلافته باطلة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِن وَلَايَتِهِم مِن شَيْءٍ﴾(١).

سؤال:

الرضا بالظلم والتسليم به ظلم أيضاً، فلماذا سكت أمير المؤمنين عليه السلام عن حقّه ولم يقاتل القوم لكي يظفر بحقّه لو كان له حقّ بالخلافة؟

الجواب:

أمره رسول الله بالصبر لئلّا يستأصله المنافقون وأولاده. وجاء في الرواية بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّه سيلي هذا الأمر أبوبكر؛ فإن قاتلت فلك، وإن تركت فهو خير لك، ثمّ يلي بعده عمر؛ فإن قاتلت فلك، وإن تركت فهو خير لك، ثمّ يلي بعده عثمان؛ فإن قاتلت فلك، وإن تركت فهو خير لك.

ثمّ إنّ قوام الدين بعد النبيّ منوط به وبأولاده، ولو أنّه خرج فإنّ بني هاشم لا يقفون عن معاضدته وإنّهم لفئة قليلة ولابدّ من وقوع السيف بين هؤلاء وهؤلاء، وحينئذٍ تدور الدائرة على بني هاشم فيهلكون بأجمعهم، وهلاكهم هلاك الدين، وفي المدينة يكثر المنافقون وخارجها المرتدّون...(٢) فإنّ الغلبة لهم، وسوف يهتبلون الفرصة ويدمّرون بني هاشم طلباً لثاراتهم القديمة، فكان أمير المؤمنين يودّ أن يبقى من الدين ولو رمق واحد على أن يهلك كلّه وإن ظلّ محروماً من حقّه، من هذه الجهة تباطأ عن القتال، لأنّه خاف محق الدين.

وهذا المعنى ظاهر من كلامه، معلوم بيّن، فقد قال لمّا بويع أبوبكر: أتاني نفر من

---

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) أخشى أن يكون المؤلّف على فضله أخذ بالدعاية المضلّلة من أنّ الذين حاربوا أبابكر مرتدّون والواقع أنّهم ليسوا كذلك وإنّما كان ارتدادهم عن أبي بكر لا عن الدين، فلم تنقل عن أحدهم كلمة واحدة مضادّة للدين ليثبت ارتدادهم، إنّما أبوا البيعة ودفع المال لأبي فصيل....

أصحاب رسول الله ﷺ أعرفهم بالنصح للّه ولرسوله ولدينه وللمسلمين، فدعوني إلى أخذ حقّي وبذلوا أنفسهم في نصرتي ليؤدّوا بذلك الحقّ عنهم لي فعلمت أنّ نصب نفسي لطلب حقّي مع جدّة الإسلام وقرب عهده بالجاهليّة والمنازعة في ذلك، قال قائل فيه نعم، وقال قائل فيه: لا، فنرى في ذلك من القول إلى الفعل حتّى يصيروا إلى الحرب، فيتقيني عصبة ألّفهم رسول الله ﷺ باللين مرّة وبالشدّة أُخرى.

إلى أن قال: ونحن أهل بيت لا سقوف لبيوتنا، ولا ستور ولا أبواب إلّا جرايد نتداول الثوب الواحد في الصلاة أكثرنا، وربّما أتانا النبيّ بالشيء ممّا أفاء الله عليه وصيّره لنا خاصّة دون غيرنا، ونحن على ما وصفت من حالنا فنؤثر به أرباب النعم[1] والأموال تألّفاً منه لهم، واستكثاراً منهم، فكنت أحقّ من لم يفسد هذه العصابة ألّفها رسول الله ولم يحملها على الخطّة التي لا خلاص لها منها دون بلوغها أو فناء آجالها قبلها لأنّي لو نصبت نفسي حتّى أدعوهم إلى نصرتي مع إطباقهم على ما أطبقوا عليه، كانوا في أمري على إحدى المنزلتين: إمّا متّبع فقاتل او مقتول، وإمّا خاذل يكفر بخذلانه إيّاي، وقد علم أنّي من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى يحلّ به في مخالفتي وترك نصرتي ما أحلّ به قوم موسى بأنفسهم في مخالفة هارون، ورأيت الإمساك حتّى يقضي الله ما أحبّ[2].

جواب آخر: يقول المخالفون: إنّ المهاجرين والأنصار بايعوا بأجمعهم أبابكر، وبناءاً على هذا كيف يستطيع عليّ محاربة هؤلاء؟!

---

(١) فيؤثر به رسول الله ﷺ أرباب النعم والأموال تأليفاً منه لهم... الخ، السياق يدلّ على صحّة هذه العبارة دون التي ذكرها المؤلّف، وهي في ج١ ص٣٤٩ من شرح الأخبار للمغربي.

(٢) القاضي النعماني المغربي، شرح الأخبار ١: ٣٤٩؛ الخصال: ٣٧٣ بسياق مختلف عن سياق المؤلّف والمعنى واحد؛ الاختصاص للمفيد: ١٧٢؛ حلية الأبرار للبحراني ٢: ٣٦٩؛ بحار الأنوار ٣٨: ١٧٥؛ حياة أمير المؤمنين عن لسانه ٢: ٢٤٢.

جواب آخر: إنّ إبليس خالف أمر الله وعصاه فلم يسجد لآدم وكان بين الأُلوف المؤلّفة من الملائكة ومع هذا فلم يقاتله الملائكة، وكان عليّ منفرداً وحده.

ولمّا كان إبراهيم لا طاقة له بعدوّه فعاش محتقراً وأُلقي في النار، ولكنّه حين قوي على القتال قاتل حتّى قتل بأنّه اشترى ثلاثمائة غلام ليقاتلوا معه بالعصى وعمد الخشب.

ولمّا كان يوسف ضعيفاً رضي بالعبوديّة، ولمّا استقوى خلّص نفسه.

ولم يقاتل موسى وهارون عبدة العجل السامري ولكن لمّا قويا قاتلا عنصرين من عناصر جيشه رجلاً وامرأة حين زنيا، ومثله بنو إسرائيل فقد كانوا لا يدخلون بيت المقدس فلم يحاربهم موسى.

ونبيّنا ﷺ لم يقاتل أيّام الشعب والغار وأوّل الهجرة، ولكنّه قاتل بعد الهجرة إلى المدينة حين ملك القوّة،، ولا ذمّ على الأنبياء في تركهم للحرب في ضعفهم.

ومثلهم عليّ عليه السلام حين لم يجد الأعوان، ولمّا ملك العُدّة والعدد أيّام معاوية حاربه حرباً شرسة، وكان عليّ يقول: لو كان لي أعوان لجاهدتهم.

وقال أيضاً كما قال سلفه الأنبياء: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1].

الفصل الثامن

النبوّة دعوة الخلق إلى الطاعة والإسلام والإيمان بعد الوحي، والإمامة بالنصّ، والنصّ يكون من رسول الله ﷺ، والنبيّ دعاهم إلى إمامة عليّ عليه السلام يوم الغدير، ويوم حائط بني النجّار، ويوم الحديبيّة، ويوم تبوك، ونظائر ذلك.

ويمكن أن نشبّهها بسجدة آدم، فقد أمر بها الله تعالى ولم يوجب على آدم دعوة

---

(١) هود: ٨٠.

إبليس إلى السجدة فإذا أبى حاربه بل هذا الأمر يعود إلى الله تعالى، فلمّا امتنع إبليس عن السجود قال الله له: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١) ولم يأذن للملائكة بقتاله.

ولو قلنا بوجوب إقامة البيّنة فلا يستبعد أن يحتال القوم على شهادة الشهود، وحينئذٍ لا يجني منها إلّا نقصان درجة المدّعي وكماله والاستخفاف به وتجرّ إلى إذلاله وإهانته وإهانة الشهود، وتداني رتبة الشاهد عند الناس كما فعل أبوبكر (مع الزهراء)، وشهد جماعة على المغيرة بن شعبة بالزنا فدفع عمر شهادتهم بكلّ ما يملك من الاحتيال، فأدّى ذلك إلى خجل الشهود أمام الناس.

وأيضاً لماذا لم يثبت إمامته بإظهار المعجزة وهذه في ظاهر الحال من خصائص النبوّة.

ولمّا أبى سعد من بيعته وقال له: أعطني سيفاً يقتل الكافر دون المسلم، قال عليّ عليه السلام: إنّ إمامتي نصّ من صاحب المعجزة وليس في المعاجز تعنّت، وسُئل رسول الله مثل هذا السؤال بتعنّت وأعرض عن السائل، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (٢) الآية، وقال: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ (٣).

وقال عليّ عليه السلام: ألا إنّ أبابكر تقدّمني عليها وهو يعلم أنّي خير منه وأولى بها منه، ألا ما زلت مظلوماً، ألا ما زلت مقهوراً منذ قبض الله نبيّه.. والخطبة الشقشقيّة شاهد عدل على ذلك.

---

(١) ص: ٧٨.

(٢) النساء: ١٥٣.

(٣) الفرقان: ٧ ـ ٨.

ثمّ إنّ القوم أثاروا شبهة يوم السقيفة وتمكّنت من عقول الناس ولو أظهر عليّ دعواه فلابدّ من إزالة هذه الشبهة، وهذا لا يتمّ إلّا بظهور الفتنة، ولمّا كان ضرر الفتنة عامّاً كان دفعها واجباً بالصبر والتحمّل والسكوت.

جواب آخر: لو كان لأحد دين على أحد فإنّ المطالبة به واجبة بأحسن وجه، وليس بالحرب والقتال، بل الواجب طلب الدين وإن جحده الغريم وإلّا فالصبر إلى موعد القيامة، ولمّا كان عليّ على علم تامّ بأنّ المطالبة بحقّه يجرّ إلى هلاكه وهلاك أهل بيته وكثير من المسلمين المؤمنين وتثور فتنة في الإسلام تأتي على الأخضر واليابس، فإنّ فرض الجهاد حينئذٍ يسقط عنه، قال الله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾**(١).

جواب آخر: اتفق المخالف والمؤالف على أنّ بني هاشم لم يبايعوا أبابكر طيلة حياة فاطمة عليها السلام، ولم يقبل عليّ ولايتهم ولا شاركهم في غزو، وكان كثير المطالبة بحقّه، وينكر على الصحابة ما فعلوه، وأعانه قوم من أصحاب النبيّ كسلمان ومقداد وعمّار، حيث رووا عن النبيّ أنّ الحقّ حقّه وغيره مبطل، ولمّا عاد الحقّ إلى أهله وأُلقي زمامها إلى أميرالمؤمنين وأصبحت الخلافة في حوزته واستأصل إليه شأفة عدوّه، لم يتقدّم أحد بالاعتراض عليه أو الردّ بأخذ ما ليس حقّه، وهذا بمجمله دليل على أحقّيّته، وإبطال دعاوى الآخرين، وطلحة والزبير لم ينكرا حقّ عليّ ولا مرتبته في الدين بل توسّلوا بقتل عثمان فموّهوا على الناس أنّه تمّ بسعي عليّ عليه السلام، وليس كذلك وإنّما هو بإجماع من الصحابة واتفاقهم عليه، ولو أراد عليّ القصاص مثلاً فكيف السبيل إلى قتل كلّ هؤلاء القوم، ثمّ إنّ الذين قتلوه قتلوه بحجّة حتّى قالوا: قتلناه كافراً، كما جاء في نكت الفصول للاصفهاني.

---

(١) الأنفال: ٢٥.

وأيضاً: إنّ صاحب النكت من فرقة النواصب إلى الحدّ الذي رأيته يمحو من بعض النكت المكتوب فيها عليّ أميرالمؤمنين لفظ «أميرالمؤمنين» ويكتب اسم عليّ مكانها، ويكتب عن شيوخه فلان وفلان بخطّ يده «أميرالمؤمنين»، وأوّل من بايع عليّاً من الصحابة طلحة وكان هو والزبير يدعون الناس إلى بيعة أميرالمؤمنين، ولكن استحوذ عليهم الشيطان وسوّل لهم النكث.

وكانت عائشة تحرّض الناس على قتل عثمان وبعد أن قتلته أخذت تطالب بدمه، وقال لها الإمام: إنّ وليّ عثمان المطالب بدمه أولاده، فأمّا أنت فلست من أوليائه، وان قتله قتل «عمية» أي بين عدّة من المهاجمين لا يمكن إلقاء تبعة قتله على أحد منهم.

وعرض عليهم يوم الجمل كتاب الله فلم يقبلوه ثمّ طالبهم بالسنّة فردّوها وأرادوا أن يتأمّروا على الأُمّة فلم يمكّنهم الله من ذلك وضلّ سعيهم فأهلكهم سبحانه، وتمثّل أميرالمؤمنين بهذه الأبيات:

لنا ما يدّعوه بغير حقّ ... إذا ميز الصحاح من المراض

عرفتم حقّنا فجحدتموه ... كما عرف السواد من البياض

كتاب الله شاهدنا عليكم ... وقاضينا الإله فنعم قاضي

قال إسحاق بن جعفر: إنّ الأعمش قال: شهد عندي عشرة من خيار التابعين بأنّ البراء بن عازب قال: إنّي أبرأ حتّى الموت من أولئك الذين تقدّموا على عليّ، وأبرأ في الدنيا والآخرة منهم، وكانت آخر كلمة قالها الأعمش عند النزاع: أنا إلى الله منهم بريء، ثمّ أسلم الروح.

بيّنة:

قال عبدالله بن عبّاس: كنت أُماشي عمر ذات يوم، فرفع صوته بآية نزلت في

عليّ عليه السلام ثمّ استقبلني بوجهه وقال: إنّ عليّاً أحقّ بالأمر من الجماعة. وفي رواية: أما والله إنّ صاحبكم أحقّ بالأمر منّا.

قال عبدالله: فقلت: فلماذا منعتموه حقّه أنت وصاحبك؟

قال: كنّا خائفين أن لا يجتمع العرب عليه، لأنّه وترهم جميعاً.

فقال عبدالله: إنّ الله قدّمه فكيف تؤخّره العرب، ومع ذلك فإنّ قتلهم كان بأمر الله ورسوله لا باختياره.

قال عمر: استصغرنا سنّه فأخّرناه.

قال عبدالله: إنّ رسول الله أعطاه سورة براءة وبعثه في الموسم فما استصغره، كما زوّجه فاطمة عليها السلام، وكذلك حمّله الراية يوم خيبر فلم يستصغره، كما بعثه إلى اليمن وهو في هذه السنّ.

قال عمر: ما فعلنا ذلك عن عداوة ولكنّا خفنا أن لا يجتمع عليه قريش والعرب.

وقال أيضاً: لو أدركت سالماً مولى حذيفة ما تخالجني الشكّ، وسالم مولى امرأة من الأنصار وهي وارثته(١).

وكذلك قال: لو أدركت أعمش عبد القيس لسلّمتها إليه، يعني الجارود العبدي، وغرضه من ذلك الاستخلاف.

قال أبوبكر: الأئمّة من قريش.

وما أعجب هذا التناقض! لست أدري هل الصدق في جانب عمر أو صاحبه؟!

ثمّ اعلم أنّ عمر أقرّ يوماً بالخلافة لسالم ويوماً للجارود العبدي ويوماً لعليّ عليه السلام

---

(١) غفر الله للمؤلّف، هو يقول سالم مولى حذيفة، ثمّ يقول مولى امرأة من الأنصار، وحذيفة هذا هو ابن اليمان، وسالم مولاه، ثمّ العبارة التي ساقها المؤلّف ناقصة وتمامها «بتوليته».

وصيّرها يوماً شورى، فإن كان مصيباً في واحد فقد أخطأ في الأُخرى، «فاعتبروا يا أُولي الأبصار».

رقبة بن مصقلة عن أبيه عن جدّه، عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: سمعت من رسول الله ﷺ أنّه قال: لو أنّ السماوات السبع وضعت في كفّة ووضع إيمان عليّ في كفّة لرجح إيمان عليّ(١).

وهو الذي غصب حقّ عليّ وتقدّمه، والعجب من أمر القوم أنّ الله ورسوله أراد تقديم عليّ على الأُمّة ولكن الأعراب وقريشاً كرهوا ذلك، وإرادتهم مقدّمة على إرادة الله ورسوله، ولها الاعتبار ولا اعتبار لأمر الله ورسوله ونهيه.

وكذلك قال عمر لأصحاب الشورى الستّة: إنّ الأمر فيكم ما بقي منكم أحد فلا تختلفوا فيه فيغلبكم عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص لمكرهم وغنائهم، ومع هذا ولّى معاوية من قبله على الشام(٢).

وقال لعثمان: أمّا أنت يا عثمان فوالله لروثة خير منك، وأنت من أهل النار.

وقال للزبير: أنت كافر الغضب مؤمن الرضا.

وقال لطلحة بن عبدالله: إنّي لا أُحبّك ولا تحبّني، وأنت الذي أردت نكاح أزواج النبيّ من بعده «ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً».

وقال لسعد بن أبي وقّاص: إنّك لفاروق هذه الأُمّة في سحرك.

وقال لعبدالرحمان: لست عاقلاً ولا فصيحاً.

---

(١) مستدرك الوسائل ١٥: ٣٢٩؛ مناقب ابن شهرآشوب ١: ٢٩٢ و٢: ١٩١؛ الأربعين: ٤٥٠؛ بحار الأنوار ٣١: ٢٨ و١٣٣؛ مقام علي لنجم الدين العسكري عن ذخائر العقبى: ١٤ إلى آخره؛ لسان الميزان لابن حجر ٥: ٩٧؛ مناقب الخوارزمي: ١٣١؛ كشف اليقين: ١١٠.

(٢) في كتابي «الحكم والأخلاق في منطق الثورة الحسينيّة» جرّدت عمر من ثيابه حتّى بدت سوئته في هذه المسألة.

وقال لعليّ: لو وزن إيمانك بأهل الأرض لوزنتهم.

ثمّ قال: اذهب يا صهيب وصلّ بالناس، فإن مضت ثلاثة أيّام ورضي خمسة وأبى واحد فاضربوا عنقه، وإن أبى اثنان فاضربوا أعناقهما، وإن مضت ثلاثة أيّام ولم يجتمعوا على شيء فاضربوا أعناقهم.

فقال الوليد بن عتبة[1]: يا عمر، سمّ الخليفة أنت وعثمان أهل لها، فقال عمر مستنكراً على عثمان وخلافته: فكيف محبّته لأهل بيته وحبّه للمال.

وقال آخر: سمّ لها طلحة فإنّه جدير بها، فقال: كيف يستخلفون رجلاً كان أوّل شيء يحلّه رسول الله أرضاً فجعله من مهر يهوديّة.

فقال أحدهما: أين أنت عن عليّ عليه السلام فاستخلفه، قال: إنّكم لا تستخلفونه ولو أنّكم استخلفتموه لأقامكم على الحقّ وإن كرهتم.

والعجب من هذا الرجل زعم أنّ رسول الله توفّي وهو راضٍ عن هؤلاء الستّة، ولم يأتوا ما يحلّ له دمهم لكي يقتلوا من الزنا وقتل النفس بغير الحقّ أو السعي فساداً في الأرض وأمثال ذلك، ولكنّه أمر بقتلهم عند موته !!

تأمّلوا أيّها العقلاء، وشاهدوا هذا الحال بعين الاعتبار فقد أمر بقتلهم بعد ثلاثة أيّام من وفاته فهل حكم الله ورسوله بهذا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2] إلّا أنّه يقول الخصم: إنّ حكم الأكاسرة والفراعنة والقياصرة والنماردة، وليس حكم الله ورسوله.

---

(١) لعلّه الوليد بن عقبة، وتجد خطاب عمر للستّة بصيغ متباعدة في الكتب التالية: الإيضاح: ٥٠٠ و ٥٠١؛ المسترشد: ٤٥٦؛ الأمالي للمفيد: ٦٢؛ الصراط المستقيم ٣: ٢٣؛ كتاب الأربعين لمحمّد بن طاهر القمّي: ٥٦٧؛ بحار الأنوار ٢١: ٣٥٩؛ الغدير ٥: ٣٦٤؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥؛ كنز العمّال ٥: ٧٤١ رقم ١٤٢٦٧ وغيرها كثير.

(٢) المائدة: ٤٤.

جواب: لمّا أمر عمر بوضع الديوان وجاؤوه بالسجلّ فأمر أن يكتب اسم عليّ والحسن والحسين في رأس الجريدة وأمر لكلّ واحد منهم بخمسة آلاف درهم لكلّ سنة، فقال له بعضهم: لم لم تبدأ باسمك؟ قال: بل أكتبه بينهم، ولمّا مضت أيّام طلب الصحيفة، وأمر بمحو اسم عليّ والحسنين منها، فقال: إن كان لهم هذا المال في كلّ سنة فسوف يترفون ويأخذهم البطر فيهبون للطلب بميراث النبيّ وخلافته فينبغي أن يظلّوا دائماً في الجوع والحاجة حتّى يعجزوا عن القيام لتحلّ بهم النكبة.

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: نشدتك بالله يا عمر حين كتبت في صدر الصحيفة أكنت تعدّها من حسناتك؟ قال: اللهمّ نعم، قال: الحمد للّه الذي لم يمتني حتّى رأيتك تمحو حسناتك بيدك، قيل: فطلب عند ذلك الصحيفة وأمر بإثبات بوضع أسمائهم في مكانها.

الفصل التاسع: في فوائد هذا الكتاب

قال ثوبان في وصف يوم السقيفة: ذلك يوم نحس مستمرّ.

وقال سعد بن عبادة: كاد هذا الأمر يضمحلّ يوم السقيفة، وكان غرضه من ذلك دين محمّد صلى الله عليه وآله.

وقال أبوذر: ما عدلت عندي مصيبة خروج هذا الأمر عن بني هاشم.

قال سلمان: أنا قلت لأبي بكر: لم يخرج أُمّة قطّ إمارتها من بيت نبوّتها إلّا وقعت في شرّ.

مرّ أُبيّ بن كعب عشيّة يوم السقيفة على حلقة فيها الأنصار جلوس، فقالوا له: من أين قدمت؟ قال: من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالوا: كيف خلّفتهم؟ فقال: كيف أُخلّف قوماً كان فيهم رسول الله وجبرئيل واليوم فقدوهما وغصب حقّهم، فأبكى الحاضرين جميعاً.

كان خزيمة بن ثابت وأبو الهيثم والأنصار في يوم صفّين بذلوا غاية الجهد في نصر أميرالمؤمنين، فقال عليّ عليه السلام: إنّهم إن خذلونا في البداية ولكنّهم تابوا في النهاية، وعلموا أنّ ما عملوه قبل اليوم كان شرّاً كلّه.

مسألة:

قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. وروي: فاضربوا عنقه.

والمراد من الفلتة أنّه لم يكن بإجماع الأُمّة بل أمر ارتجل من غير رويّة وتفكّر، وذلك أنّ الصحابة لم يكونوا راضين به، فإذا كان هذا رأيه في بيعة صاحبه ولم يمنع من وقوع الفلتة بل أعان عليها فهو مخطئ.

فلو قيل: ما كان ذلك بمستطاع له، **فنقول**: وكذلك عليّ لم يكن قادراً على دفع ظلمهم.

ولئن قالوا: هذا القول موضوع على لسان عمر وإنّه قوّل ما لم يقل، **فإنّنا نقول**: وكذلك الأحاديث الموضوعة في مناقبهم.

ويجوز قتل صاحبه طبقاً لفتواه بل يجب وما كذب الخليفة فقد أنكر عليه الأمر خالد بن سعيد بن العاص كما قال عبدالله بن عبّاس: يا بني هاشم، أنتم هداة البشر ولكن ختم الله الأديان والنبوّات فما بالكم سكتّم فقوموا إلى سيوفكم المرهفة الحدّين.

مسألة:

مذهبنا بأنّ بني هاشم قاطبة وأتباعهم كأبي ذرّ وسلمان والمقداد لم يبايعوا قطّ.

وقال عمر لسلمان يوماً: إنّ تلكّأ بنو هاشم عن البيعة فلإدلالهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وفخرهم به، وأنّهم يقولون: أفضل الخلق بعد النبيّ فما الذي خلّفك أنت؟

فقال سلمان: أنا شيعة لهم في الدنيا والآخرة، أتخلّف بتخلّفهم، وأُبايع ببيعتهم.

والبراء بن عازب وبريدة بن الحصين كانا مدّة قعود أميرالمؤمنين معه يأتـونه بأخبار القوم.

الفصل العاشر

لمّا انتقل النبيّ إلى الرفيق الأعلى، قيل: إنّ الصحابة اجتمعوا في المسجد وقـال بعضهم: نبايع عليّاً، وقال البعض الآخر: لا نبايع إلّا أبابكر، ثمّ قـاموا إلى بـيت عائشة وبايعوا أبابكر.

فقال عمر: لا يتمّ لنا هذا الأمر ما لم يبايع عليّ عليه السلام، فذهب إلى بيت فاطمة عليها السلام ومعه فريق من الناس، فصاح بعليّ كما تقدّم: أين أبوالحسن؟ أين أبوالحسن؟ ثمّ قبض عليه من ثيابه وأخرجه خارج البيت، وقال: أترى أولادك يحمونك بمـال الخمس الذي يأكلونه، فلن يطعموه بعد اليوم ولن ينالوه إلى الأبد، قال: «الثرى في فيك». فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: بل الثرى في فيك، وانتزاع ردائه من يده وسار معه وجلس ناحيه في المسجد مهموماً يفكّر في ما آل إليه أمر الأُمّة، وسرح في فكر عميق، ويضع التصاميم، ثمّ قال: إنّ هذا الذي بايعه الناس سوف يظلّ حاكماً لمدّة محدودة ويأتيه حتفه ويموت بحمامه، وأمّا عمر فإنّه يظلّ حاكماً سنين عدّة من بعده ثمّ يوافيه الأجل قتلاً ويريق الله دمه.

يقول حبشي بن جنادة: وقع ما قـاله أمـيرالمـؤمنين عليه السلام كـلّه لم يـتقدّم يـوماً ولم يتأخّر يوماً، وكان حبشي أحد الصحابة.

الفصل الحادي عشر

وقع الخلاف بين المهاجرين والأنصار في موضوع الإمامة حتّى قال قائل منهم:

«منّا أمير ومنكم أمير» وهذا دليل على أنّ موضوع الخلافة يختصّ بالملك والسلطان وليس بالخلافة بعد النبوّة أو الإمامة، وكانت حجّة أبي بكر «الأئمّة من قريش» فانقاد الأنصار له عند سماع هذا الحديث ولكنّه لا يعرف كيف يستدلّ به، فإنّ قريشاً كثيرون والتخصيص يحتاج إلى دليل، وهو إمّا بنصّ من الله ورسوله، وإمّا بالقرابة أو بكليهما، وهذه كلّها مفقود في الجماعة ومجموعة في عليّ عليه السلام؛ لأنّ عمر قرشيّ وله قرابة ولا تخصيص في هذه المرويّة إلّا بالنبيّ صلى الله عليه وآله، والنبيّ من بني هاشم، وقريش بمنزلة الشجرة وبنو هاشم ثمرتها.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي مخلّف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

فقال: لا تقدّموهم فإنّهم أفضل منكم، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

وخصّ عليّاً عليه السلام من بينهم فقال: إنّه هادٍ مهدي يسلك بكم المحجّة البيضاء، وإنّه أقضى الأُمّة، وإنّه عالم على (كذا) تأويل القرآن كما علم رسول الله صلى الله عليه وآله تنزيله[1].

هذا مع أنّ الخزرج بقيادة رئيسهم سعد بن عبادة لم يبايعوا ومات سعد على إنكار البيعة وبايع فريق من الأوس وفريق آخر لم يبايع، والذين بايعوا كانت بيعتهم بدافع قبليّ محض حيث حملهم الحسد والعداوة القديمة في الجاهليّة بين الأوس والخزرج، وكان الله قد ألّف بين قلوبهم في الإسلام ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولمّا فارق النبيّ الدنيا عاد القوم إلى جاهليّتهم وعداوتهم، في يوم السقيفة، ورفع الغطاء عن الأضغان القديمة، واستجدّت في الإسلام أُخرى، ولهذا قال خزرجيّ لأوسيّ بعد أن بايع أبابكر: ما حملك على ما صنعت إلّا حسد ابن عمّك سعد.

---

(١) هذه مجموعة أحاديث اشتهرت بين الأُمّة وتواتر بعضها، فما من حاجة إلى تخريجها لأنّك تجدها مرويّة ومخرّجة بأحسن الطرق عند معظم الحفّاظ إلّا الشاذّ منهم.

ويقال عن الواقدي في فتوح الشام بأنّه قال عن أبي بكر أنّه قال: قد علمت أنّي داخل في النار. وروي: واردها، وليت شعري أخرج أم لا.

وكان الواقديّ عثمانيّاً وهو من شيعة أبي بكر، ويوثق به عند أهل السنّة والجماعة.

المعروف عن أبي بكر أنّه كان يظهر اللين والرفق بأميرالمؤمنين عليه السلام، وكان يظهر النفرة من الخلافة وعدم الرضا بها لاسيّما إذا رأى أميرالمؤمنين عليه السلام أو جلس بحضرته، وسنحت له الفرصة ذات يوم فأقبل عليه وقال: يا أباالحسن، أنت تعلم بأنّي لم أكن صاحب مال ولا خدم أو حشم، ولم أرغب في الإمرة، ولا تمنّيتها، فمالك تميل عنّي بوجهك وتظهر الكراهيّة على وجهك والألم عند لقياي؟

فقال عليّ عليه السلام: إن لم تكن ذا رغبة بها فمالك قبلتها وأخذت حقّاً لم يكن لك؟

قال: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تجتمع أُمّتي على ضلال، مِن ثَمّ تقبّلتها، ولو علمت أنّ أحداً من الأُمّة غير راضٍ بي لما أقدمت على هذا الفعل الخطير، ولعزلت نفسي.

فقال عليّ عليه السلام: يا أبابكر، أنا واحد من أُمّة محمّد ومثلي سلمان وأبوذر والمقداد وعمّار وسعد بن عبادة والأنصار من الخزرج، ولم يطعن بهم أحد، ولم يتّهمهم بالتقصير في ذات الله ووصيّة رسوله.

فقال أبوبكر: خفت على الأُمّة من الارتداد إن لم أقم في الأمر أو يتخلى الناس عن الإسلام، وعند ذلك يصاب الإسلام بخلل لا يسدّ، وكسر لا يجبر.

فقال عليّ عليه السلام لأبي بكر: بم يحصل هذا الأمر؟

فقال: بالنصيحة والوقار ورفع المداهنة والمخاتلة وحسن السيرة وإظهار العدل والعلم بالكتاب والسنّة وفصل الخطاب مع الزهد في الدنيا وقلّة الرغبة فيها، وانتصار المظلوم من الظالم للقريب والبعيد.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : والسابقة والقرابة . ثمّ قال : ناشدتك الله ، أهذه الخصال فيك أم فيّ ؟

فقال أبوبكر : فيك يا أباالحسن .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : أأنا السابق في الإسلام أم أنت ؟ قال : بل أنت .

فقال : أأنا كنت مولى المسلمين كلّهم أم أنت ؟ قال : بل أنت .

قال : أأنا وليّ المسلمين لمّا تصدّقت بالخاتم فأنزل الله فيّ قرآناً يُتلى أم أنت ؟ قال : بل أنت .

قال : أأنا لرسول الله بمنزلة هارون من موسى أم أنت ؟

قال : بل أنت .

فقال : هل باهل رسول الله بي وبأولادي وزوجتي أو بك وبأهل بيتك ؟ قال : بل باهل بك وبأهل بيتك .

قال : هل نزلت آية التطهير فيّ وبأهل بيتي أو فيك وبأهل بيتك ؟ قال : بل فيك وفي أهل بيتك .

قال : المدعوّ تحت الكساء أنا وأهل بيتي أو أنت وأهل بيتك ؟ قال : بل أنت وأهل بيتك .

فقال : أفيك نزلت آية ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[1] الآية ، وفي أهل بيتك أو فيّ وفي أهل بيتي ؟ قال : بل فيك وفي أهل بيتك .

قال : وفي وقعة أُحد حين نادى جبرئيل بين السماء والأرض : لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي ، أكان هذا النداء في حقّك أم في حقّي ؟

وهل رُدّت الشمس لي أو لك بعد غروبها ؟

---

(١) الإنسان : ٧.

وفي يوم خيبر أُعطي الراية لي وكان الفتح على يدي أم لك وعلى يديك؟

ومن كشف الغمّ عن وجه رسول الله والمسلمين يوم الأحزاب والخندق بقتل عمرو بن عبد ودّ، أنت أم أنا؟

وهل ائتمنني رسول الله على رسالته إلى الجنّ أو ائتمنك فأجابه بل إئتمنك.

وهل طهّرني رسول الله أم طهّرك بقوله: «يا علي، أنا وأنت من نكاح لا من سفاح من لدن آدم إلى عبدالمطّلب»؟

واختارني لفاطمة كفواً أم اختارك؟

وأنا أبٌ لسيّدي شباب الجنّة أم أنت؟

وأخي يطير مع الملائكة في الجنّة جعفر أم أخوك؟

وأنا قاضي دين رسول الله أم أنت؟

وأنا مرسل من قبله للنداء في أهل الموسم أم أنت؟

وأنا منجز عدات رسول الله أم أنت؟

أنا المدعوّ إلى الطير المشويّ مع رسول الله أم أنت؟

وأنا الذي قمت بتجهيز رسول الله وأغمضت له عينيه وأسبلت له يديه وقمت بدفنه أم أنت؟

وأنا الذي دعا لي بعلم القضاء وفصل الخطاب وقال عنّي: أقضاكم عليّ، أم أنت؟

ومن منّا أمر النبيّ الصحابة أن يسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، أنا أم أنت؟

ومن منّا أنزل الله عليه ديناراً لقضاء حاجته وبايعه جبرئيل وشاراه، فأضاف الرسول وأولاده، أكان ذلك الشخص أنا أم أنت؟

قيل: وهاهنا بكى أبوبكر[١].

ثمّ قال: وأنا الذي رقيت على منكب النبيّ حتّى هشمت أصنام الكعبة أم أنت؟

ثمّ قال: لو شئت أنال أُفق السماء لنلتها.

ومن صاحب لواء رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، أنا أم أنت؟

وسدّ رسول الله جميع أبواب أصحابه المحاذية للمسجد وترك بابي مفتوحاً أم بابك؟

ومن صاحب مناجات رسول الله ﷺ والمتصدّق قبل التسبيح في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[٢] أنا أم أنت؟

وقال رسول الله ﷺ لفاطمة: «زوجك أوّل الناس إيماناً، وأرجحهم إسلاماً» عنّي أم عنك؟

وكان أبوبكر لا يجيب على سؤال الإمام عليه السلام إلّا بقوله: أنت لا غيرك، وناشده بأمثال هذه الرتب العالية كثيراً، وكان يثني على الإمام كثيراً، وبكى في آخر الحديث وقال: يا أباالحسن، أخرجني من هذا المأزق الذي وقعت فيه وخلّصني من عذاب الله يوم القيامة.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: الأمر إليك إن شئت ذلك، اردد عليّ حقّي وحقّ أولادي الذي لا تستحقّه أنت، فرضي بأن يفعل ذلك، وخرج على هذا القرار عند الإمام عليه السلام.

وكان عمر يبحث عنه طول يومه وقد تملّكته الحيرة من غيابه، حيث لا يعلم

---

(١) إن كان أبوبكر بهذا القلب الرقيق والعواطف السامية ويتحلّى بالنجابة التي تحمله على الشهادة لخصمه بحقّه وفضله إذن من الذي ظلم عليّاً وغصبه حقّه.. ؟؟!

(٢) المجادلة: ١٢.

الوجهة التي استخف فيها ، وكان يعلم منه اللين والرضوح للحقّ أحياناً(١) لذلك لا يدعه وحده بحال من الأحوال ، وكان يخشى أن يرجع الحقّ إلى عليّ عليه السلام ، ولمّا علم أنّه مختلٍ بعليّ خاف .

وفي تلك الليلة رأى أبوبكر النبيّ صلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا فسلّم عليه ولكن النبيّ لم يرد جواب سلامه وأشاح بوجهه الشريف عنه ، فقال أبوبكر : يا رسول الله ، ما ذنبي حتّى أدرت وجهك عنّي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أردّ السلام عليك وقد عاديت من والى الله ورسوله ، رُدّ الحقّ إلى أهله . قال : فقلت : من أهله ؟ فقال : من عاتبك عليه، عليّ . فقال أبوبكر : قد رددته عليه يا رسول الله . وغاب رسول الله عن عينه.

فما أن أصبح الصباح حتّى وافى ابوبكر بيت الإمام وأخبره عن الرؤيا وقال : مُدّ يدك لأُبايعك ، فمدّ الإمام يده فبايعه وسلّمه الخلافة وقال : يا أباالحسن ، سأذهب إلى المسجد وأحكي للأُمّة عن قصّة الرؤيا وأكشف لهم وجه حجّتك ، وأستقيلهم من الحكم وأُسلّمه لك . فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : لعلّك تفعل ذلك .

فلمّا خرج من عنده وإذا بعمر مقبل عليه ، فقال : يا خليفة رسول الله مالك تغيّر لونك ؟ فحكى له أبوبكر الرؤيا وما شاور فيه أميرالمؤمنين وما اتفقا عليه ، فقال له عمر : إنّك وقعت تحت تأثير سحر بني هاشم ، وما زال يوسوس له حتّى صرفه عمّا عاهد عليه الإمام عليه السلام ، وردّه إلى وضعه السابق ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**﴾(٢) .

---

(١) أمّا هذه الصفات فأبوبكر منها براء ، وهو صاحب الانفعالات والمزاج العصبي الشديد الذي لا يلين ، وعلى أثر هذاالمزاج الحادّ قامت حروب التأسيس أو ما يسمّى بالردّة ، فقد وقف المسلمون بجانب يستنكرون الحرب ، ووقف أبوبكر بالجانب الآخر يأمر بها حتّى غلبت إرادته وقامت الحرب فأين لينه ؟؟ ليت شعري .

(٢) المجادلة : ١٩ .

فذهب عليّ عليه السلام إلى المسجد على العهد الذي عاهده عليه أبوبكر ولكنّه رأى المسجد مقفراً فخرج منه «خائفاً من شرّ غائلتهم عازماً (على) زيارة روضة الرسول» فلحق به عمر في الطريق وسخر منه، وقال له: لن أدعك تنال الحكم أنت وأولادك ما دمت على قيد الحياة، فزار الإمام النبيّ وعاد إلى بيته.

الفصل الثاني عشر

كلّما اجتمع أبوبكر بعليّ يقول له: أعذرني. قال ابن عبّاس: أحصيت لأبي بكر عشرة مواضع سمعته يقول فيها لعليّ عليه السلام: «أعذرني».

قال سلمان: ما وقعت عين أبي بكر على عليّ إلّا قال له: المعذرة إليك من التقدّم عليك.

وقال يوماً وقد ضمّه المجلس مع عليّ والعبّاس: أعذروني أعذركم الله بالتقدّم، ما تقدّمنا عليكم عن رأينا ولكن غلبنا عليه[1].

قال عبدالله بن عبّاس: جاء أبي العبّاس يوم السقيفة المغيرة بن شعبة وأخذ يعتذر له، فقال أبي: لا عذّر الله من عذرك، اعزب عنّا لعنة الله عليك.

---

(١) لست أدري من أين استقى المؤلّف هذه الأخبار وقد ساقها من غير ذكر للسند ولا للكتاب الذي تناولها منه، وقد بعد زماننا عن زمانه فليس لنا أن نحكم عليه بخطأ أو صواب حتّى يتبيّن لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وأنّى لنا بذلك، أمّا عن أبي بكر وما يحكيه المؤلّف عنه من سماحة الخلق ورجاجة الرأى وتفانيه في خدمة الإمام حتّى عاهده على الاستقالة وردّ حقّه إليه لولا ما فعله عمر فهو كلام فارغ لا أساس له من الصحّة إطلاقاً، والرجل أبعد الناس من هذه الأخلاق، ولو صحّ فيه ما قاله المؤلّف لكان ردّه فدكاً على الزهراء وإرثها عليها وسهم ذوي القربى أهون من ردّ الخلافة، فما باله مات وهو مصرّ على ذنبه، عاكف على جريمته، عفى الله عن المؤلّف فإنّه خلط الحابل بالنابل.

ورأى الإمام عليّ عليه السلام أبا عبيدة بن الجرّاح، فقال له: وأنت أيضاً تظاهر علينا؟ فقال: معذرة عليك، فحوّل الإمام وجهه عنه، وقال: هذا أوان لا يعذرون ولا يؤذن لهم فينتصرون.

يقول الزهري:

عليّ لعمري كان بالناس أرؤفا — وفي العلم بالأحكام أقضى وأعرفا

فما عذر قوم أخّروه وقدّموا — عديّاً وتيماً وهو أعلى وأشرفا

* * *

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين، تمّ بحمد الله ومنّه وبتوفيقٍ منه وعناية الجزء الأوّل من كتاب «كامل البهائي» في السقيفة، ونسأله سبحانه أن يمنّ علينا بالتوفيق لإتمام الجزء الثاني منه.

شعبان المعظّم ١٣٧٦ هـ(١)

(١) الظاهر أنّ تجزئة الكتاب من الناشر والدعاء والتاريخ منه أيضاً، والحمد للّه أوّلاً وآخراً.

فهرس المحتويات